

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٢٣)

شرح

الكافي للشافعية في الانتصار للفرقة الناجية

للعالم المحقق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قسيم الجوزية
تقره أبو بوسع رحمه ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الرابع

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شَرَحُ

الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

٤

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح
شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية./
محمد بن صالح العثيمين - الرياض، ١٤٣٤هـ
٤مج؛ (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٣)
ردمك: ٤ - ٦٢ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٢ - ٦٦ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ٤)
١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - أهل السنة
أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي ٢٤٠
١٤٣٤/١٠٢٢٧

حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
إلا لمن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيراً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الأولى

محرم ١٤٣٥هـ

يُطلب الكتاب من:

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧

www.ibnothaimeen.com

info@binothaimeen.com

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

فصل

في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

- ٤٢٩٨- وَكِفَايَةُ النَّصِّينِ مَشْرُوطٌ بِتَجَرُّدِ
رِيدِ التَّلَقِّيِّ عَنْهُمَا لِمَعَانِي
٤٢٩٩- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِحُلُوعِ قِيُودِهِمْ
فَقِيُودُهُمْ غِلٌّ إِلَى الْأَذْقَانِ
٤٣٠٠- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِهَذَا قَوَاعِدِ
مَا أَنْزَلَتْ بَيْنَائِهَا الْوَحْيَانَ
٤٣٠١- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِإِقْدَامِ عَلَى الْ
آرَاءِ إِنْ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
٤٣٠٢- بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ لَا تَعْبَأُ بِهَا
شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَّانِ
٤٣٠٣- لَوْلَا الْقَوَاعِدُ وَالْقِيُودُ وَهَذِهِ الْ
آرَاءُ لَأَتَّسَعَتْ عُرَى الْإِيمَانِ
٤٣٠٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهِ ضَيْقَةُ الْعُرَى
فَاخْتَجَعَتِ الْأَيْدِي لِذَلِكَ تَوَانِي
٤٣٠٥- وَتَعَطَّلَتْ مِنْ أَجْلِهَا وَاللَّهُ أَعَزُّ
دَادَ مِنْ النَّصِّينِ ذَاتُ بَيَانِ
٤٣٠٦- وَتَضَمَّنَتْ تَقْيِيدَ مُطْلَقِهَا وَإِطْ
سَلَاقِ الْمُقْيِيدِ وَهُوَ ذُو مِيزَانِ
٤٣٠٧- وَتَضَمَّنَتْ تَخْصِيصَ مَا عَمَّتْهُ وَالنَّ
تَعْمِيمِ لِلْمَخْصُوصِ بِالْأَعْيَانِ
٤٣٠٨- وَتَضَمَّنَتْ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجَمْعَ
عَا لِلَّذِي وَسَمَّتْهُ بِالْفُرْقَانِ
٤٣٠٩- وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدَّ وَسَعَّتْ
هُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ الْأَمْرَانَ
٤٣١٠- وَتَضَمَّنَتْ تَحْلِيلَ مَا قَدَّ حَرَمْتْ
هُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ النَّوْعَانَ

- ٤٣١١- سَكَتَتْ وَكَانَ سُكُوتُهَا عَفْوًا فَلَمْ تَعْفُ الْقَوَاعِدُ بِاتِّسَاعِ بَطَانِ
 ٤٣١٢- وَتَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرَتْ كَذَا بِالْعَكْسِ وَالْأَمْرَانَ مَحْدُورَانَ
 ٤٣١٣- وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا شُرُوطًا لَمْ تَكُنْ مَشْرُوطَةً شَرْعًا بِإِبْرَاهَانَ
 ٤٣١٤- وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا مَوَانِعَ لَمْ تَكُنْ مَمْنُوعَةً شَرْعًا بِإِبْرَاهَانَ
 ٤٣١٥- إِلَّا بِأَقْيَسَةٍ وَآرَاءٍ وَتَقَى لِيَدِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ اسْتِحْسَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «النَّصِيْنِ» النَّصَانُ هُمَا نَصُّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَ«الْوَحْيَانِ» هُمَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

٤٢٩٨- وَكَفَايَةُ النَّصِيْنِ مَشْرُوطٌ بِتَجْزِئِ رِيْدِ التَّلَقِّي عَنْهَا لِمَعَانِي

يعني: يُشْتَرَطُ لِكِفَايَةِ النَّصِيْنِ -أَي: الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- لِمَنْ اسْتَدَلَّ بِهَا أَنْ يَكُونَ مُجَرِّدًا لِلتَّلَقِّي عَنْهَا لِمَعَانِيهَا، وَمَعْنَى «مُجَرِّدًا» أَنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهَا؛ فَيَجْعَلُ اسْتِدْلَالَه وَأَخْذَه لِلْمَعَانِي مِنَ النَّصِيْنِ لَا غَيْرَ، فَيَكُونُ دِينُهُ عَقِيدَةً وَقَوْلًا وَعَمَلًا مُتَلَقِّيًا مِنَ النَّصِيْنِ: الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ مِنْ شُرُوطِ الْاِكْتِفَاءِ بِالنَّصِيْنِ.

٤٢٩٩- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِخَلْعِ قِيُودِهِمْ فَقِيُودُهُمْ غِلٌّ إِلَى الْأَذْقَانِ

الشَّرْطُ الثَّانِي: يُشْتَرَطُ أَيْضًا أَنَّ الْقِيُودَ الَّتِي اشْتَرَطَهَا تُحْدَفُ وَتُخْلَعُ؛ مِثْلَ قَوْلِهِمْ: يُشْتَرَطُ لِقَبُولِ أَخْبَارِ الصِّفَاتِ أَنْ تَكُونَ مُتَوَاتِرَةً، فَمِنْ أَيْنَ هَذَا؟! وَمِثْلَ قَوْلِهِمْ: يُشْتَرَطُ لِلْعَمَلِ بِظَوَاهِرِ النُّصُوصِ إِلَّا تَكُونَ مُخَالَفَةً لِلْعَقْلِ، مِنْ أَيْنَ هَذَا؟!

بينما العقل هو الذي يُحكّم بالنصوص لا بالعكس، ثم ما هو العقل الذي يحكّم على النصوص؛ وعقل مَنْ؟ إذَنْ لا بُدَّ أن نخلع جميع القيود التي قيّدوها.

٤٣٠٠- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِهِمْ قَوَاعِدٍ مَا أَنْزَلَتْ بَيْنَائِهَا الْوَحْيَانِ

ومن القواعد - ما أشرتُ إليه آنفاً - إذا تعارضَ العقل والنقل في بابِ الصِّفاتِ قُدِّمَ العقلُ عندهم، هذه قاعدةُ المتكلِّمين من الأشاعرة وغيرهم، ولا شكَّ أن هذه القاعدة باطلة؛ لأنَّ تقديمَ العقلِ عند معارضةِ النقلِ إبطالٌ ومخالفةٌ للعقلِ، فبابُ الصِّفاتِ من بابِ الخبرِ الذي لا مدخلَ للعقلِ فيه، فإذا قَدَّمنا فيه العقلَ على النقلِ فقد خالفنا العقلَ نفسه؛ إذ إنَّ العقلَ يقولُ: «الأمورُ الغيبيةُ نستندُ فيها إلى النقلِ المحضِ»، هذا مقتضى العقل.

فأنت الآن لو أردت أن تتحدّثَ عن حياةِ شخصٍ فإنه لا يمكنُ أن تُحكِّمَ عقلك، بل تتلقّى الخبرَ أو العِلْمَ عن حياته من طريقِ الخبرِ، الذي هو «النقل».

هم قعدوا هذه القاعدةَ الباطلةَ، أنه إذا تعارضَ العقلُ والنقلُ فإنه يُقدِّمُ العقلَ، والذي يقولُ هذا لا يمكنُ أن يكتفيَ بالوحيينِ عمّا سواهما، بل هذا هادمٌ للوحيينِ في الواقعِ.

بل إنَّ هؤلاء يُقعِّدونَ قواعدَ ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ، فمثلاً ونحن الآن نتكلّمُ عن العقيدةِ، يقولُ هؤلاء المعطلّةُ: لا يمكنُ أن يستويَ اللهُ على العرشِ، ولا أن يأتيَ للقضاءِ بين عباده، ولا أن ينزلَ إلى السَّماءِ الدُّنيا، ولا أن ينزلَ إلى السَّماءِ الدُّنيا يومَ عرْفَةَ يُباهي بأهلِ عرْفَةَ الملائكةَ، فقالوا أن هذا لا يمكنُ، قالوا: لأنَّ هذه الأفعالَ حوادثُ، والحوادثُ لا تقومُ إلاّ بحادثٍ، واللهُ عزَّ وجلَّ أزليٌّ أبديٌّ سبحانه وتعالى، فمن أين أتوا بهذه القاعدةِ؟ ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ، ولا تُقبلُ،

ولو كُنَّا نحكمُ على الوحيين بعقولنا لم يكن القرآنُ ولا السُّنَّةُ بيانا للناسِ وهدي.

إذْنُ الشُّرُوطِ ثَلَاثَةٌ:

الأوَّلُ: تجريدُ التَّلَقِّي.

الثَّانِي: خلعُ القيودِ.

الثَّالِثُ: هدمُ القواعدِ التي ما أنزل اللهُ بها من سُلْطَانِ.

٤٣٠١- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِإِقْدَامِ عَلَى الْآرَاءِ إِنْ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

٤٣٠٢- بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ لَا تَعْبَأُ بِهَا شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَانِ

يُشْتَرَطُ أَيْضًا لِلَاكْتِفَاءِ بِالْوَحِيِّينَ أَنْ تُقَدِّمَ عَلَى الْآرَاءِ الْمَخَالَفَةِ بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ؛
يعني: لا يكفي أن تتلقى عن الوحيين فقط، بل ما خالف الوحيين فلا بُدَّ أن تقابله
بالرَّدِّ والإبطال، أمّا إن كانت هذه الآراء بدليلٍ فاحترمها لاحترام الدليل، لكن إن
عريت فلا تهتمك.

قَوْلُهُ: «لَا تَعْبَأُ بِهَا»؛ أي: بالآراء، «شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَانِ»، وهذا صحيح،
فكلُّ رأيٍ يفوته النصُّ فلا تعبأ به، ولا تلتفت إليه، ولا تتهيب منه، فإنه زبدٌ
يذهبُ جُفَاءً، فما دام هذا الرَّأيُّ مجردًا عن القرآنِ والسُّنَّةِ فإنه لا يُعْبَأُ به، بل
ولا يُساوي فلسًا.

٤٣٠٣- لَوْلَا الْقَوَاعِدُ وَالْقِيُودُ وَهَذِهِ الْآرَاءُ لَا تَسَعَتْ عُرَى الْإِيمَانِ

وهذا صحيح، فهذه القيودُ والقواعدُ التي أصلوها صيقت البطان، وصار
الإيمانُ لا يتسعُ! وأضربُ لكم مثلًا: فالذي يُثبتُه الأشاعرةُ من صفاتِ الله سبعُ
صفاتٍ فقط، مع أن صفاتِ الله عزَّ وجلَّ لا تُحصَرُ ولا تُحصَى؛ إذن هم ضيقوا على

أنفسهم بحذف صفاتٍ لا تُحصَى من صفاتِ الله؛ بناءً على قواعدهم الباطلة، وأننا نرجعُ إلى العقلِ فيما نحكمُ به على ربِّنا من الصِّفاتِ.

فلولا قيودُ يضعُها هؤلاء من أهلِ العقائدِ بل وأهلِ الفقه، لانتسعت العُرَى وتوسَّع النَّاسُ، فالفقهاء -رحمهم الله- ذكروا شروطاً للمسحِ على الخُفِّين، شروطاً ما أنزل اللهُ بها من سُلطانٍ، ولا يصح أن نأخذَ بهذه الشُّروطِ بلا دليلٍ؛ لأننا لو أخذنا بهذه الشُّروطِ بلا دليلٍ ضيَّقنا على عبادِ الله بدون دليلٍ.

ذكروا مثلاً أن الإنسانَ إذا خلع الخُفِّين بعد مسحها بطلَ الوضوءُ، أين الدليلُ على هذا؟ فهذا رجلٌ تَوَضَّأَ وَصَحَّ وضوءه بمقتضى الدليلِ الشرعيِّ، فلا يمكنُ أن ننقضَ هذا الوضوءَ إلاً بدليلٍ شرعيِّ، أمَّا مجردُ قياسٍ فهذا غلطٌ، وتطهيرُ الخُفِّ هل هو تطهيرٌ للخُفِّ أم أنه تطهيرٌ للرجلِ التي تحته؟ بل هو للرجلِ التي تحته، أمَّا الخُفُّ فهو طاهرٌ لا نجاسةَ فيه، وأيضاً ليس المسحُ بمطهِّرٍ له لو كان به نجاسةٌ.

وعلى هذا فنقولُ: أيُّ إنسانٍ يأتي بشرطٍ في كُلِّ الأحكامِ فعليه الدليلُ، وإلاَّ فقد تجرَّ واسعاً.

٤٣٠٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهِ ضَيْقَةُ الْعُرَى فَاحْتَاجَتِ الْأَيْدِي لِذَلِكَ تَوَانِي

يعني: أنَّها ضَيْقَةُ الْعُرَى «فاحتاجتِ الأيدي لِذَلِكَ تَوَانِي»، فالعُرَى إذا ضاقت تحتاجُ الأيدي في حلِّها إلى تَوَانٍ، فلا يسهلُ حلُّها إذا ضاقت.

على كُلِّ حالٍ معروفٌ أنَّ العُرَى إذا ضاقت فإنَّها تحتاجُ إلى تَوَانٍ في حلِّها، بخلاف ما إذا كانت مَتَّسَعَةً، وأنتَ إذا عقدتَ أيَّ عقدةٍ فإذا كانت مَتَّسَعَةً يسهلُ عليك الحلُّ، لكن إذا ضَيَّقْتَهَا صَعِبَ حلُّها؛ فإنَّها تحتاجُ إلى تَوَانٍ وتُوَدَّةٍ في حلِّها.

٤٣٠٥- وَتَعَطَّلَتْ مِنْ أَجْلِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ — دَادَ مِنْ النَّصِّينِ ذَاتُ بَيَانٍ

لأنهم يقولون: كلُّ هذه النصوصِ المثبتةِ للصفاتِ كُلِّها مجازٌ، فعطلوا دلالتها، مع أنها بيّنة واضحةٌ، لكنهم أهذروها.

وفي القرونِ الوسطى لو رَجَعْتَ إلى مؤلِّفاتِ الفقهاءِ خاصَّةً لوجدت الصفحاتِ العديدةَ ليس فيها ذكرٌ لآيةٍ أو حديثٍ، فكُلُّها: (قال فلان، وقال فلان، والعلةُ كذا)، وما أشبه ذلك، تعطلَّ الكتابُ والسُّنَّةُ؛ ولهذا إذا خرج عالمٌ يبيِّنُ أحكامه على الكتابِ والسُّنَّةِ عادوه، وقالوا: هذا خَرَجَ عَمَّا قال الشُّيوخُ، ولكنَّ الحقَّ منصورٌ ومُمتَحَنٌ، كما قال ابنُ القيمِ في هذه القصيدة:

الْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَّحَنٌ، فَلَا تَعْجَبُ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ^(١)

ثم قال:

٤٣٠٦- وَتَضَمَّنَتْ تَقْيِيدَ مُطْلَقِهَا وَإِطْلَاقَ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ ذُو مِيزَانٍ

٤٣٠٧- وَتَضَمَّنَتْ تَخْصِصَ مَا عَمَّتْهُ وَالتَّعْجِيمَ لِلْمَخْصُوصِ بِالْأَعْيَانِ

تضمَّنت هذه القيودُ وهذه القواعدُ تقييدَ المُطلقِ وإطلاقَ المُقيَّدِ؛ يعني: عكسَ ما جاء في القرآنِ والسُّنَّةِ، وتضمَّنت أيضًا «تخصيصَ ما عمَّته والتَّعْجِيمَ للمخصوصِ بالأعيان».

لكن بماذا يكونُ تقييدُ المُطلقِ؟

الجوابُ: يكونُ تقييدُ المُطلقِ بكُلِّ شرطٍ يُوضَعُ لحكمٍ بلا دليلٍ، فكُلُّ شرطٍ يُوضَعُ لحكمٍ بلا دليلٍ فهذا تقييدٌ للمطلقِ وتضييقٌ للموسَّعِ، أمَّا مُطلقُ المُقيَّدِ فربَّما

يكون بحيث يحمل هذا التقييد على أنه قضية عين، أو في حال معينة، أو ما أشبه ذلك.

إذن هناك فرق بين المطلق والعام، وبين المخصص والمقيد، فالتقييد يرد على المطلق ولا يرد على العام، والتخصيص يرد على العام ولا يرد على المطلق، فإذا قلت: «أعتق رقبة مؤمنة» فهنا تقييد ورد على مطلق، وهو «رقبة»، والقيد: «مؤمنة»، وإذا قلت: «أكرم الطلبة المجتهد منهم» فهذا تخصيص ورد على عموم المؤلف - رحمه الله - يقول: هذه القواعد أوجبت أن يُعمم الخاص، وأن يُخصص العام؛ على عكس ما أراد الله به ورسوله.

٤٣٠٨- وَتَضَمَّنَتْ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجَمَّ عَا لِّلَّذِي وَسَمَّتُهُ بِالْفُرْقَانِ

يعني: أن هذه القواعد والآراء تضمنت أيضا جمع ما دلّ الدليل على التفريق فيه، أو تفريق ما دلّ الدليل على جمعه.

٤٣٠٩- وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدَّ وَسَعَتْهُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ الْأَمْرَانَ

قوله: «وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدَّ وَسَعَتْهُ وَعَكْسَهُ»، وعكسه هو توسيع ما ضيقته.

قوله: «فَلْتَنْظُرِ الْأَمْرَانَ»؛ أي: «فلتنظر الأمرين»، لكن إما أنه على لغة من يلزم المثني الألف مطلقا، أو لضيق النظم، ومشهور عند العلماء أن النظم لا يبيح إلا صرف ما لا ينصرف، لكن بعض علماء النحو يقول: ضيق النظم يبيح حتى رفع المنصوب أو نصب المرفوع؛ يعني: يُجيز كل ما يخالف الإعراب، وابن القيم - رحمه الله - يمشي على هذا الرأي ولا يُبالي.

٤٣١٠- وَتَضَمَّنَتْ تَحْلِيلَ مَا قَدْ حَرَمْتَ هُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ النَّوْعَانَ

إِذْ صَارَتْ هَذِهِ الْأَرْأُ وَالْقَوَاعِدُ مُضَادَّةً لِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِالْوَحْيَيْنِ.

٤٣١١- سَكَتَتْ وَكَانَ سُكُوتُهَا عَفْوًا فَلَمْ تَعْفُ الْقَوَاعِدُ بِاتِّسَاعِ بَطَانِ

يعني: أَنَّ النُّصُوصَ سَكَتَتْ عَمَّا سَكَتَتْ عَنْهُ، وَكَانَ مَا سَكَتَتْ عَنْهُ عَفْوًا، أَمَّا قَوَاعِدُهُمْ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَتَّسِعَةً، وَلَمْ يَكُنْ سُكُوتُهَا عَفْوًا.

٤٣١٢- وَتَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرْتَ كَذَا بِالْعَكْسِ وَالْأَمْرَانَ مَحْدُورَانَ

قَوْلُهُ: «تَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرْتَهُ» كَذَا بِالْعَكْسِ؛ أَي: وَاعْتِبَارَ مَا أَهْدَرْتَهُ.

٤٣١٣- وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا شُرُوطًا لَمْ تَكُنْ مَشْرُوطَةً شَرْعًا بِإِبْرَاهَانَ

إِذْ وَضَعْتَ شُرُوطًا لَمْ تَكُنْ شَرْطًا، وَهَذِهِ زِيَادَةٌ عَلَى النُّصُوصِ.

٤٣١٤- وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا مَوَانِعَ لَمْ تَكُنْ مَمْنُوعَةً شَرْعًا بِإِبْرَاهَانَ

كَأَنَّ الْمُؤَلِّفَ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ خَالَفَتِ النُّصُوصَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَهَذَا هُوَ حَاصِلُ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ.

٤٣١٥- إِلَّا بِأَقْيَسَةِ وَآرَاءِ وَتَقَى لِيَدِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ اسْتِحْسَانِ

يعني: أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا مَخَالَفَةٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى شَيْءٍ، إِلَّا عَلَى أَقْيَسَةِ وَآرَاءِ بَاطِلَةٍ، وَتَقْلِيدِ لِعَامَّتِهِمْ بِلَا عِلْمٍ أَوْ اسْتِحْسَانٍ.

- ٤٣١٦- عَمَّنْ أَتَتْ هَذِي الْقَوَاعِدُ مِنْ جَمِيحِ
عِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِحْسَانِ
- ٤٣١٧- مَا أَسْسُوا إِلَّا أَتْبَاعَ نَبِيِّهِمْ
- ٤٣١٨- بَلْ أَنْكَرُوا الْأَرْءَ نُصْحًا مِنْهُمْ
- ٤٣١٩- أَوْلَيْسَ فِي حُخْفٍ بِهَا وَتَنَاقُضٍ
- ٤٣٢٠- وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ مَا اخْتَدَعَتْ
- ٤٣٢١- شُبُهَةٌ يَهَافُتُ كَالزُّجَاجِ نَخَالَهَا
- ٤٣٢٢- وَاللَّهِ لَا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ
- ٤٣٢٣- فَمِثَالُهَا وَاللَّهِ فِي قَلْبِ الْفَتَى
- ٤٣٢٤- كَالزَّرْعِ يَنْبُتُ حَوْلَهُ دَعْلٌ فَيَمُوتُ
- ٤٣٢٥- وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى
- ٤٣٢٦- وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّدَّ
- ٤٣٢٧- فَيَعُودُ ذَلِكَ الْغَرَسُ يَبْسًا ذَاوِيًا
- ٤٣٢٨- فَتَرَاهُ يَخْرُتُ دَائِبًا وَمَغْلُوعًا
- ٤٣٢٩- وَاللَّهِ لَوْ نَكَشَ النَّبَاتَ وَكَانَ ذَا
- ٤٣٣٠- لَأَتَى كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ مَغْلُوعًا
- عِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِحْسَانِ
لَا عَقْلَ فَلَئِنِ وَرَأَى فُلَانٍ
لِلَّهِ وَاللِّدَّاعِي وَلِلْقُرْآنِ
مَا دَلَّ ذَا لُبٍّ وَذَا عِرْفَانَ
تَلَفَّتْ وَلَا انْتَهَضَتْ مَدَى الْأَرْمَانِ
حَقًّا وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانِ
عَلِيَاءَ طَالِبَةِ لِهَذَا الشَّانِ
وَنَبَاتِهَا فِي مَنِبَتِ الْإِيمَانِ
نَعْمَةُ النَّسَمِ فَتَرَاهُ ذَا نُقْصَانِ
غَرَسٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي الْإِنْسَانِ
شُبُهَاتٍ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْأَفْنَانِ
أَوْ نَاقِصِ الثَّمَرَاتِ كُلِّ أَوَانِ
نَزَرَ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ
بَصِيرٍ لِدَاكِ الشُّوكِ وَالسَّعْدَانِ
وَلَكَانَ أَضْعَافًا بِلا حُسْبَانِ

الشرح

٤٣١٦- عَمَّنْ أَتَتْ هَذِي الْقَوَاعِدُ مِنْ جَمِيْدٍ عِصَابِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِحْسَانِ

يعني: هذه القواعد التي أسسوها عمَّنْ أتت؟ هل جاءت عن الصحابة؟ هل جاءت عن التابعين لهم بإحسان؟

فقوله: «عَمَّنْ» «مَنْ» هنا استفهامية؛ يعني: عن أيِّ أحدٍ أتت هذه، هل جاءت عن الصحابة أو الأتباع بالإحسان؟ والجواب: لا.

٤٣١٧- مَا أَسَّسُوا إِلَّا أَتْبَاعَ نَبِيِّهِمْ لَا عَقْلَ فَلْتَانٍ وَرَأَى فُلَانٍ

يعني: أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ما أسسوا إلا أتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

٤٣١٨- بَلْ أَنْكَرُوا الْآرَاءَ نَصْحًا مِنْهُمْ اللَّهُ وَاللَّذَائِعِ وَلِلْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أَنْكَرُوا» الضمير يعود على الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فهم أنكروا الآراء، وأنكروا معارضة النص بالآراء؛ لما حدث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» قال ابنه بلال: «وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ» والرَسُولُ يَقُولُ: «لَا تَمْنَعُوا»، لكن بلال ابنه رأى ما عليه الناس من فسادٍ فقال: «وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ»، فأقبل عليه أبوه عبد الله يسبُّه سبًّا شديدًا ما سبَّه مثله قطُّ، وقال: أَقُولُ لَكَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» وتقول: «وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ»، ثُمَّ هَجَرَهُ حَتَّى مَاتَ (١)، مع أَنَّهُ عَارِضُ النَّصِّ بِاجْتِهَادٍ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنَةٌ وأنها لا تخرج مطيئة، رقم (٤٤٢).

أن نعارض النص، والله ورسوله أعلم، بل أتبع النص وفيه الخير، وإذا حدث شيء معين فعالجه، أمّا أن تعارض النص قائلًا: «وَاللّٰهُ لَنَمْنَعَنَّ» والرّسول يقول: «لَا تَمْنَعُوا»، فهذا خطأ، لكن لو حدثت فتنة من امرأة معينة امنعها، فمقابلة النص بالمعارضة خطيرة.

٤٣١٩- أَوْلَيْسَ فِي حُلْفِ بِهَا وَتَنَاقُضٍ مَادَلَّ ذَا لُبٍّ وَذَا عِرْفَانٍ

الجواب: بلى، هذا الاختلاف بين أهل الآراء وهذا التناقض يدل على فسادها؛ لأنها لو كانت سليمة ما اختلف أهلها ولا تناقضوا.

٤٣٢٠- وَاللّٰهُ لَوْ كَانَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ مَا اخْتَلَفَتْ وَلَا انْتَقَضَتْ مَدَى الْأَرْمَانِ

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٤٣٢١- شُبُهَةٌ تَهَافَتْ كَالزُّجَاجِ نَحَالَهَا حَقًّا وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانٍ

هذا بيت مشهور لكن آخره: «وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ» كما قال الشاعر:

حُبَجٌّ تَهَافَتْ كَالزُّجَاجِ نَحَالَهَا حَقًّا، وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ^(١)

أمّا ابن القيم فأتّمه بغير هذا من أجل النظم، فقال: «وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانٍ»، وإذا سقطت على صفوان؛ يعني: على صفا، لا يبقى لها باقية.

٤٣٢٢- وَاللّٰهُ لَا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ عَلِيَاءَ طَالِبَةَ لِهَذَا الشَّانِ

يعني: لا يرضى بهذه الآراء ذو همّة عالية تطلب هذا الشأن، وهو الحق في

(١) البيت لابن الرومي، في ديوانه (١٦٦/٢).

باب أسماء الله وصفاته وغيرها.

٤٣٢٣- فَمِثَالُهَا وَاللَّهُ فِي قَلْبِ الْفَتَى وَنَبَاتُهَا فِي مَنْبِتِ الْإِيمَانِ

٤٣٢٤- كَالزَّرْعِ يَنْبُتُ حَوْلَهُ دَعْلٌ فِيمَا نَعَهُ النَّامَا فَتَرَاهُ ذَا نُقْصَانٍ

هذا مثالٌ عجيبٌ منضبطٌ، فهذا إنسانٌ عنده زرعٌ نبت حوله دَعْلٌ، والدَعْلُ: زروعٌ تُفْسِدُ الزَّرْعَ، وتقضي عليه من فوق ومن تحت؛ يعني: هذه الزروعُ تُفسدُ الزَّرْعَ من تحت بالعروق، تحوّل بين عروقه وبين أخذ الطعم الذي في الأرض، وتفسده أيضًا من فوق، تغمره عن الشمس والهواء، فهاذا يكونُ حالُ الزَّرْعِ؟ الجواب: يفسدُ، يذبلُ، يموتُ، أو يكونُ ناقصًا.

٤٣٢٥- وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى غَرْسٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي الْإِنْسَانِ

نسأل الله أن يغرّس في قلوبنا وقلوبكم الإيمانَ وينميّه.

٤٣٢٦- وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْأَفْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ»؛ أي: تنبتُ حولَ القلبِ الشَّهَوَاتِ.

قَوْلُهُ: «وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْأَفْنَانِ»؛ أي: كثيرةُ الأغصانِ، كثيرةُ الفروعِ.

فالإيمانُ يغرّسه اللهُ في قلبِ الإنسانِ، ثم تأتي النفسُ الأمّارةُ بالسوءِ فتُنبتُ حوله الشَّهَوَاتِ والشُّبُهَاتِ وتؤثّرُ عليه.

٤٣٢٧- فَيَعُودُ ذَلِكَ الْغَرْسُ يَنْسَا ذَاوِيًا أَوْ نَاقِصَ الثَّمَرَاتِ كُلِّ أَوَانٍ

صحيحٌ؛ إذا نبتت حول الإيمان الشُّبُهَاتُ والشَّهَوَاتُ -والعياذُ بالله- فإنَّ

الإيمانَ يذوي، وربّما يزولُ بالكليّةِ؛ ولهذا قال العلماءُ: «إِنَّ المعاصِيَ بريدُ الكفرِ».

٤٣٢٨- فَتَرَاهُ يَحْرُثُ دَائِبًا وَمَغْلُهُ نَزْرٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

ترى الزارع يحرث دائبًا، ولكن المغل قليل لما ينبت حوله من هذه النوابت التي تؤثر عليه في الأرض وفي الجو.

٤٣٢٩- وَاللَّهُ لَوْنَكَشَ النَّبَاتِ وَكَانَ ذَا بَصِيرٍ لِدَاكَ الشُّوكِ وَالسَّعْدَانِ

٤٣٣٠- لَأَتَى كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ مَغْلُهُ وَلَكَانَ أضعافًا بلا حُسبانِ

قوله: «لَوْنَكَشَ النَّبَاتِ»؛ يعني: أزاله ونبشه.

فلو زال هذا النبات المضر لأتاك أمثال الجبال مغله وكان أضعافًا بلا حُسبانِ.

والمؤلف - رحمه الله - يريد بهذا المثال أن يحرض الإنسان فينظر ماذا نبت

حول قلبه، بل حول غرس الرحمن «الإيمان في قلبه» حتى يُزيله ويُطهره منه.

فصل

- ٤٣٣١- هَذَا وَلَيْسَ الطَّعْنُ بِالِإِطْلَاقِ فِيهِ
 هَا كُلُّهَا فِعْلَ الْجَهُولِ الْجَانِي
 ٤٣٣٢- بَلْ فِي النَّبِيِّ قَدْ خَالَفتُ قَوْلَ الرَّسُولِ
 لِي وَمُحْكَمَ الْإِيمَانِ وَالْمُرْقَانِ
 ٤٣٣٣- أَوْ فِي النَّبِيِّ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي
 تَقْرِيرِهَا يَا قَوْمُ مِنْ سُلْطَانِ
 ٤٣٣٤- فَهِيَ النَّبِيِّ كَمْ عَطَلْتِ مِنْ سُنَّةِ
 بَلْ عَطَلْتِ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 ٤٣٣٥- هَذَا وَتَرْجُو أَنْ وَاضِعَهَا فَلَا
 يَعْدُوهُ أَجْرٌ، أَوْ لَهُ أَجْرَانِ
 ٤٣٣٦- إِذْ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِي
 جَابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانِ
 ٤٣٣٧- بَلْ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَبُولِ كَلَامِهِ
 نَصًّا بِتَقْلِيدِ بِلَابُرْهَانَ
 ٤٣٣٨- وَكَذَلِكَ أَوْصَانَا بِتَقْدِيمِ النَّصُ
 صِ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
 ٤٣٣٩- نَصَحَ الْعِبَادَ بِذَا وَخَلَصَ نَفْسَهُ
 عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّبَانِ
 ٤٣٤٠- وَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ فَهَوَ عَلَى الَّذِي
 تَرَكَ النَّصُوصَ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانِ
 ٤٣٤١- فَإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَاهَا بِمَا
 لَوْ قَالَهُ خَصَمٌ لَهُ ذُو شَانِ
 ٤٣٤٢- لَرَمَاهُ بِالذَّاءِ الْعُضَالِ مُنَادِيًا
 بِفَسَادِ مَا قَدْ قَالَهُ بِأَذَانِ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الطَّعْنَ فِي أَقْوَالِ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ قَالَ:

٤٣٣١- هَذَا وَلَيْسَ الطَّعْنُ بِالِإِطْلَاقِ فِيهَا كُلُّهَا فِعْلُ الْجَهُولِ الْجَانِي

يعني: نحن إذا طعننا في أقوال هؤلاء فلا نطعن فيها على الإطلاق كما يفعل الجهول الجاني الذي يطعن في أقوالنا على الإطلاق.

٤٣٣٢- بَلْ فِي النَّبِيِّ قَدْ خَالَفَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ لِوُجُوهٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ

وهذا من العدل إلا نطعن إلا فيما خالف القرآن والسنة، وهذا هو الواجب على الإنسان، أن يكون عدلاً يقبل الحق ممن جاء به ويرد الباطل ممن جاء به، فيكون مراده الحق.

٤٣٣٣- أَوْ فِي النَّبِيِّ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَقْرِيرِهَا يَا قَوْمٌ مِنْ سُلْطَانِ

يعني: نطعن فيما خالف أو في شيء لم ينزل به سلطان من الله يقرره، فأقوال الناس ثلاثة أقسام:

الأول: قول وافق الدليل فهو مقبول من أي شخص.

الثاني: قول خالف الدليل فهو مردود.

الثالث: قول لم ينزل الله به من سلطان، ويطلب فيه الدليل، ولكن لا دليل،

فهذا مردود أيضاً.

ولهذا قال: نرد شيئين: ما خالف قول الرسول، والذي لم ينزل الله في تقريره

من سلطان، أمّا ما وافق قول الرسول فإننا نقبله وإن كان من أقوال هؤلاء الفلاسفة أو المناطق.

٤٣٣٤- فَهِيَ النَّبِيِّ كَمْ عَطَلَتْ مِنْ سُنَّةٍ بَلْ عَطَلَتْ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

قوله: «فهي النبي» أي: هذان النوعان من الأقوال، «كم عطلت من سنة،

بَلْ عَطَلْتَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ»، وهذا واضح.

٤٣٣٥- هَذَا وَنَزَجُوا أَنْ وَاضِعَهَا فَلَا يَعْدُوهُ أَجْرٌ، أَوْلَهُ أَجْرَانِ

يعني: نرى أَنَّ مَنْ قَالَهَا عَنْ اجْتِهَادٍ فَلَا يَخْلُو مِنْ أَجْرٍ أَوْ أَجْرَيْنِ، فَهُوَ يَأْخُذُ الْأَجْرَيْنِ إِذَا أَصَابَ، وَوَاحِدًا إِذَا أَخْطَأَ.

٤٣٣٦- إِذْ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِيَابِ جَبَابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «إِذْ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ»؛ يعني: وَجْهٌ أَنَّهُ مَا جَوْرٌ أَنَّهُ قَالَ (مَبْلَغَ عِلْمِهِ)، وَكُلُّ إِنْسَانٍ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ فَإِنَّهُ لَا يُلَامُ.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ إِيَابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانٍ» اللهُ أَكْبَرُ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ؛ إِذْ أَنَّهُ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: يَجِبُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَّبِعُوهُ، وَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُبَيِّنُ الْحَقَّ فِي نَظَرِهِ، وَلَا يَقُولُ لِلنَّاسِ: يَلْزَمُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا قَوْلِي.

إِذَنْ هُوَ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ؛ لِأَنَّهُ بَحَثَ وَنَظَرَ فِي الْأَدَلَّةِ فِي أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ، فَهَذَا مَبْلَغُ عِلْمِهِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا قَالَ هَذَا الرَّأْيِ لَمْ يُوْجِبْهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُوجِبَ الْقَوْلَ بِمَا قَالَ عَلَى أَيِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَبَدًا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولٌ.

فَأَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ رَأْيًا فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُلْزِمَ النَّاسَ بِهِ؛ لِأَنَّ غَيْرَكَ قَدْ يَرَى خِلَافَكَ، أَمَّا إِذَا كَانَ لَكَ سُلْطَةٌ وَكَانَ قَوْلُكَ هُوَ الْحَقُّ فَهَذَا تُلْزِمُهُمْ بِالْمُوَافَقَةِ بِالظَّاهِرِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: رَجُلٌ لَهُ سُلْطَةٌ يَرَى أَنَّ شَرَبَ الدُّخَانِ حَرَامٌ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ، هُنَا يُلْزِمُ النَّاسَ فِي ظَاهِرِ حَالِهِمْ بِمَا يَرَى أَنَّهُ حَرَامٌ إِذَا كَانَ لَهُ سُلْطَةٌ؛

لأننا لو لم نقل بهذا لأصبح النَّاسُ فوضى؛ ولهذا ألزم عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّاسَ ألا يرجعوا إلى نسائهم إذا طلقوهنَّ ثلاثاً؛ لئلا يحصل اللَّعِبُ بآياتِ الله عزَّ وجلَّ^(١)، وهذا في المسائل الاجتهاديَّة القابلة للأخذ والردِّ.

وأما إذا كان الاستدلال صحيحاً والدليل صحيحاً، لزمهم الأخذ بقوله، لا لأنه قولُ فلانٍ، ولكن لأنه مقتضى الدليل، وهذا متفقٌ عليه بين العلماء، فليس للإنسان أن يُجبر النَّاسَ على الأخذ بقوله، لكن عليه أن يُجبرهم على الأخذ بالدليل؛ لأنَّ هذا كلامُ الله أو كلامُ رسوله، لا لأنه قاله، مثلاً لو قال: «الميتة حرام» هنا يلزمهم أن يأخذوا بأنَّ الميتة حرام؛ لأنَّ الله قاله، لا لأنَّ فلاناً قاله.

٤٣٣٧- بَلْ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَبُولِ كَلَامِهِ نَصًّا بِتَقْلِيدِ بِلَابِرْهَانَ

من الذي نهانا؟ الجواب: الذي قال برأيه مجتهداً قال: لا تُقلِّدوني إلا برهانٍ، انظر كلامَ الأئمة، ولاسيما الأئمة المتبوعون الأربعة: أبو حنيفة، ومالكُ والشافعي، وأحمد، رحمهم اللهُ جميعاً، تجدُ كُلَّ كلامهم يَنْهَوْنَ عن تقليدِ آراءِ الرِّجالِ، ويقولون بلسانِ المقالِ أو بلسانِ الحالِ: «إِذَا خَالَفْتَ أَقْوَالَ قَوْلِ الرَّسُولِ فَاصْرَبُوا بِهَا عُرْضَ الْحَائِطِ»، كُلُّهم يقولُ هذا إمَّا بهذا اللَّفْظِ أو بمعناه، وهذا هو الحقُّ والله، ليس الحقُّ أن يقولَ الإنسانُ بلسانِ حاله أو بمقاله: يا جماعة لا تخرجوا عن قولي، ثُمَّ يغضبُ إذا رأى النَّاسَ خرجوا عن قوله.

أقول: إنَّ كُلَّ شخصٍ يريدُ من النَّاسِ أن يتبعوا قوله ويرى أنَّ ذلك واجبٌ، فإنَّه قد جعل نفسه شريكاً للرَّسولِ ﷺ؛ لأنه لا أحدَ يجبُ اتِّباعُ قوله إلا الرَّسولُ صلى اللهُ عليه وسلم.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث، رقم (١٤٧٢).

٤٣٣٨- وَكَذَلِكَ أَوْصَانَا بِتَقْدِيمِ النُّصُوصِ صِ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ أَوْصَانَا»؛ يعني: المجتهد مِنَّا معشرَ أهلِ السُّنَّةِ «أَوْصَانَا بِتَقْدِيمِ النُّصُوصِ عَلَيْهِ»؛ يعني: على قوله «مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ»، هذا يقوله المؤلف.

٤٣٣٩- نَصَحَ الْعِبَادَ بِذَا وَخَلَّصَ نَفْسَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّيَانِ أَيْ: نَصَحَ الْعِبَادَ بِأَلَّا يَتَّبِعُوا قَوْلَهُ بِلا حُجَّةٍ، وَنَصَحَهُمْ حَيْثُ اجْتَهَدَ وَبَالَغَ فِي الاجْتِهَادِ وَقَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ، وَاجْتَهَدَ فَبَيَّنَ لِلْعِبَادِ، فَقَالَ: أَنَا أَرَى هَذَا حَلَالًا، أَرَى هَذَا حَرَامًا، أَرَى هَذَا وَاجِبًا، هَذَا هُوَ النَّصْحُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنَ نِصُوصِي، ثُمَّ خَلَّصَ نَفْسَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّيَانِ، خَلَّصَ نَفْسَهُ لِمَا قَالَ: أَنَا لَسْتُ نَبِيًّا، لَسْتُ وَاجِبَ الْإِتِّبَاعِ، أَنَا أَقُولُ لَكُمْ: «هَذَا مَبْلَغُ عِلْمِي، هَذَا مَحْطُّ اجْتِهَادِي، وَلَسْتُ نَبِيًّا أَلْزَمُكُمْ بِقَوْلِي»، فَهُوَ خَلَّصَ نَفْسَهُ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سَأَلَهُ اللَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ مَا أَلْزَمْتُ عِبَادَكَ بِمَا أَقُولُ لَكِنِّي اجْتَهَدْتُ لَهُمْ وَقَلْتُ مَبْلَغَ عِلْمِي، وَهَذَا غَايَةُ جِهْدِي، فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ حُسْنَيْنَيْنِ:

الأولى: بيان الحقِّ حسب رأيه.

والثانية: نهي النَّاسِ عَنِ أَنْ يَأْخُذُوا بِقَوْلِهِ بِلا بَرَهَانٍ.

٤٣٤٠- وَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ فَهُوَ عَلَى الَّذِي تَرَكَ النُّصُوصَ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ

نَعَمْ، وَاللَّهُ هَذَا هُوَ الْخَوْفُ؛ أَنْ يَتَرَكَ الْإِنْسَانُ النَّصْرَ، وَيَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ، تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ، لَوْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ يَخَافُ عَلَيْهِ أَمْ لَا؟ أَلَيْسَ الرَّسُولُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

الرَّاشِدِينَ»^(١)، فبدأ بسنته، فهي مقدّمة على كلِّ سنّة؛ ولهذا يُروى عن ابن عباسٍ أنّه قال: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا نَزَلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ؛ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(٢)، هذا وهما أبو بكرٍ وعمر اللذان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال فيهما رسولُ الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكرٍ وعمر»^(٣)، وقال: «إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا»^(٤)، ومع ذلك لو عارضت قول الرسول بقوليهما لأوشك أن تنزل عليك حجارة من السماء.

وهل التّعصّب إلى الأئمّة وتقديم أقوالهم على قول الرسول ﷺ هل يصل إلى الكفر؟

الجواب: لا، لا يصل إلى الكفر؛ لأنّ غالب الذين يتعصّبون للأئمّة جهال عامّة؛ لأنك تجده يتعصّب لهذا الإمام، لا لأنّه يقدّمه على الرسول، لكن يقول: لأنّ الإمام أعلم منك أنت، فقد تخفى عليك أحاديث لم تخف على الإمام، فأكثر ما يُحاجّون به هذا، يقول: هل أنت أعلم من أحمد بن حنبلٍ؟ فإن قلت: نعم، يا ويلك منه، وإن قلت: لا، قال: إذن أفرزت على نفسك بأنك أقصر منه، فهو أعلم منك.

٤٣٤١- فإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَاهَا بِمَا لَوْ قَالَ خَصْمٌ لَهُ ذُو شَانِ

(١) أخرجه أحمد (٣٧٣/٢٨)، رقم (١٧١٤٤). وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧).

(٢) أوردّه شيخ الإسلام في الفتاوى (٢٠/٢١٥، ٢٦/٥٠، ٢٨١)، والإمام ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/٢٣٨)، والزاد (٢/١٩٥)، والصواعق المرسلّة (٣/١٠٦٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧٣٤)، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كليهما، رقم (٣٦٦٢)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٩٧).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم (٦٨١).

٤٣٤٢- لَرَمَاهُ بِالذَّاءِ الْعُضَالِ مُنَادِيًا بِفَسَادِ مَا قَدْ قَالَهُ بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَاهَا» إذا بغى الإحسان فأراد أن يُوَفَّقَ بين قولِ فلانٍ وبين النُّصوصِ فإنه يُؤَوَّلُهَا تَأْوِيلَ تحريفٍ، لا تَأْوِيلَ تفسيرٍ، فالمرادُ أَوْلَاهَا تَأْوِيلَ تحريفٍ لأجل أن تُوَأَفَّقَ قولَ فلانٍ؛ مثل ما أوَّلَ دعاةَ الاشتراكيةِ، فدعاةُ الاشتراكيةِ قالوا: الاشتراكيةُ من الإسلام، كما قال الشاعر:

(الِشْتَرَاكِيُونَ أَنْتَ إِمَامُهُمْ)^(١)

واقراً قولَ الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨]، ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ هذه الاشتراكيةُ، وهل غيرُ كلامِ الله شيءٌ؟ إذن هذا من التَّأْوِيلِ، فهم تَبِعُوا إِمَامَ الاشتراكيةِ، وقالوا: هذا القرآنُ يدلُّ عليها، أوَّلوا تَأْوِيلَ تحريفٍ؛ لأنَّ المعنى أن الله يُنَكِّرُ على هؤلاء، هل عبيدُكم يشاركونكم في الرِّزقِ ويكونون معكم سواء؟ هذا إنكارٌ ونفيٌّ، فإذا كان عبيدُكم لا يُشاركونكم فيما رزقناكم فكيف تجعلون عبيدي يشاركونني في العبادة؟! وهذا خلافُ العدلِ.

قَوْلُهُ: «لَوْ قَالَ خَصْمٌ لَهُ ذُو شَانٍ لَرَمَاهُ بِالذَّاءِ الْعُضَالِ... إلخ» وصدق رحمه الله؛ يعني: لو أن غيره أوَّلها هذا التَّأْوِيلَ لرماه بالذَّاءِ الْعُضَالِ، وقال: أنت مُحَرِّفٌ، أنت مرتدٌّ، أنت ضالٌّ، وما أشبه ذلك.

وختلاصةُ هذا الفصلِ: أن الواجبَ على الإنسان أن يقولَ العدلَ، وإذا جاء الحقُّ من عدوٍّ فاقبله، وإذا جاء الباطلُ من صديقٍ فرده.

(١) جزء من بيت أحمد شوقي، في ديوانه (٣٧/١)، وتمامه:

لَوْلَا دَعَاوَى الْقَوْمِ وَالْعُلُوَاءِ

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟

- ٤٣٤٣- وَلَوْازِمُ الْمَعْنَى تُرَادُ بِذِكْرِهِ
مِنْ عَارِفٍ بِلُزُومِهَا الْحَقَّانِي
- ٤٣٤٤- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ فِي حَقِّهِ
قَضْدُ اللَّوَازِمِ وَهِيَ دُوْتِيَانِ
- ٤٣٤٥- إِذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا الْمَجْهُولَ، أَوْ
قَدْ كَانَ يَعْلَمُهُ بِلَا نِكْرَانِ
- ٤٣٤٦- لَكِنْ عَرْتُهُ غَفْلَةً بِلُزُومِهَا
إِذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَانِ سَيَانِ
- ٤٣٤٧- وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُ لَازِمًا لِمَذَاهِبِ الْأَ
عُلَمَاءِ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانِ
- ٤٣٤٨- فَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَاكَ مَذْ
هَبُهُمْ أَوْلُو جَهْلٍ مَعَ الْعُدْوَانِ
- ٤٣٤٩- لَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ
قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللُّزُومِ الدَّانِي
- ٤٣٥٠- سِيًّا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ
لَكِنْ يَظُنُّ لُزُومَهُ بِجَنَانِ
- ٤٣٥١- لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيَحْكُمُ عَلَى
مَا تَلْزَمُونَ شَهَادَةَ الْبُهْتَانِ
- ٤٣٥٢- بِخِلَافِ لَازِمٍ مَا يَقُولُ إِلَهْنَا
وَبَيِّنَا الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ
- ٤٣٥٣- فَلِذَا دَلَالَاتُ التُّصُوصِ جَلِيَّةٌ
وَخَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ
- ٤٣٥٤- وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الْفَهْمَ فِي
آيَاتِهِ رِزْقًا بِلا حُسْبَانِ
- ٤٣٥٥- وَاحْذَرُ حِكَايَاتِ الْأَرْبَابِ الْكَلَا
مِ عَنِ الْخُصُومِ كَثِيرَةَ الْهَدْيَانِ

- ٤٣٥٦- فَحَكُوا بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزَمُهُمْ فَقَا
 ٤٣٥٧- كَذَبُوا عَلَيْهِمْ بَاهِتِينَ لَهُمْ بِمَا
 ٤٣٥٨- فَحَكَى الْمُعْطَلُّ عَنْ أُولِي الْإِثْبَاتِ قَوْ
 ٤٣٥٩- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ
 ٤٣٦٠- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَجُودُ
 ٤٣٦١- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا بِتَحْ
 ٤٣٦٢- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ الْ
 ٤٣٦٣- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ هُوَ التَّ
 ٤٣٦٤- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ عَنْهُمْ مَا لَمْ يَقُو
- لُوا ذَاكَ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانَ
 ظَنُّوهُ يَلْزَمُهُمْ مِنَ الْبُهْتَانِ
 لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ ذُو جُؤْمَانٍ
 نَ اللَّهُ لَيْسَ يُرَى لَنَا بَعِيَانٍ
 رُ كَلَامُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعَانِي
 بِيَزِ الْإِلَهِ، وَحَضْرِهِ بِمَكَانٍ
 أَعْضَاءٌ جَلَّ اللَّهُ عَنْ بُهْتَانِ
 تَشْبِيهِ لِلْخَلْقِ بِالْإِنْسَانِ
 لُوهُ وَلَا أَشْيَاخُهُمْ بِلِسَانِ

الشرح

هذا الفصل مهم جداً: هل لازم المذهب مذهب؟

والجواب: إذا كان القائل عارفاً بلوازم كلامه فإثباتها حق، وتعتبر من قوله.

لكن من الذي يعرف بلوازم كلامه؟

الجواب: هو الله ورسوله.

ولهذا نقول: لوازم الكتاب والسنة من الكتاب والسنة؛ إلا أنه يشكّل على هذا أن الرجل قد يظنّ هذا لازماً وليس بلازم، فالمعطلة الآن يرون أن إثبات الصفات يلزم منه التمثيل، فيقولون لأهل الإثبات: لازم إثباتكم للصفات أن الله

مماثل للعباد، وهذا منهم إمّا أن يكون ظنّاً، وإمّا أن يكون عدواناً.
 إذن إذا قال نافي الصفات للمثبت لها: يلزمك من إثبات هذه الصفة أن
 يكون الله مماثلاً للخلق، وهي موجودة في القرآن، هل نلتزم بهذا؟
 فالجواب: لا، بل نقول: هذا لازم عند فهمك.

لكن إذا قال قائل: إن الله تعالى خالق كل شيء، فهل يلزم أن يكون عالماً
 بأحوال العباد؟

فالجواب: نعم، لأنه لا خلق إلا بعلم، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
 خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

أمّا غير الكتاب والسنة من أقوال العلماء، فهل لازم المذهب مذهب؟
 والجواب: لا، إلا لعارفي، لكن لنا أن نلزم هذا المتمذهب بالرجوع عن
 مذهبه بذكر لازمه، ولا نقول: يقول بكذا.

٤٣٤٣- وَلَوْازِمُ الْمَعْنَى تُرَادُ بِذِكْرِهِ مِنْ عَارِفٍ بِلُزُومِهَا الْحَقَّانِي

أولاً: هل لازم الكلام ملزوم للقائل أو لا؟ يقول ابن القيم رحمه الله: إنه
 لا يلزم القائل بلازم كلامه إلا إذا كان عارفاً باللازم، فيحتاج إلى مسألتين: أن يُقرَّ
 بأنه من اللازم، وأن يعرف أنه من اللازم، فإذا أُقرَّ به وقد عرفه صار هذا اللازم
 قولاً له، بشرط أن يعترف بأنه لازم، أمّا إذا منع فسيأتي - إن شاء الله تعالى -
 الكلام عليه.

٤٣٤٤- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ فِي حَقِّهِ قَصْدُ اللَّوَازِمِ وَهِيَ ذُو تَبَيَانٍ

فسوى الله ورسوله وسوى العارفي بكلامه، «ليس بلازم في حقه قصد

اللَّوَاظِمِ، وَهِيَ ذُو تَبْيَانٍ»، وفي نسخة: «ذَاتُ بَيَانٍ»؛ يعني: سوى مَنْ لا يعرفُ لازمَ كلامه لا يكونُ لازماً له، أما لماذا؟ فقال:

٤٣٤٥- إِذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا الْمَجْهُوْلَ، أَوْ قَدْ كَانَ يَعْلَمُهُ بِلَا نُكْرَانَ

٤٣٤٦- لَكِنْ عَرَّتْهُ غَفْلَةٌ بِلُزُومِهَا إِذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَا نِسْيَانٍ

يقول: ليس بلازم قَصْدُ اللَّوَاظِمِ، وَبَيَّنَّ السَّبَبَ فَقَالَ: «إِذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا الْمَجْهُوْلَ»؛ يعني: مجهولاً له، إذ قد يكونُ اللَّازِمُ مجهولاً للمتكلِّم؛ يعني: لم يظنَّ أنَّه يلزمُ من كلامه هذا المعنى، ولو ظنَّ لرجع عن قوله، مثلاً لو قال: إِنَّ اللَّهَ -سبحانه وتعالى- بذاته في كُلِّ مكانٍ، يلزمُ على هذا القولِ أن يكونَ اللهُ في المواضعِ القدرة، وأن يكونَ متجزئاً، وأن يكونَ متعدِّداً، ولا شكَّ أنَّ هذا اللَّازِمَ باطلٌ، فهل هذا يُعْتَبَرُ قولاً لِمَنْ قال: إِنَّ اللَّهَ بذاته في كُلِّ مكانٍ؟

يُنظَرُ؛ فإذا كان قد عرف أنَّ هذا لازمُ قوله والتزمه صار قولاً له وإن لم ينطق به، وإن كان لا يعلمُ أنَّه لازمُ قوله؛ بأن يكونَ قد غفل أو جهل أو نسي أو امتنع من أن يكونَ لازماً، قال: أبداً، هذا لا يلزمُ أن يكونَ في القاذوراتِ وغيرها، فإنَّه لا يكونُ قولاً له؛ ولهذا إذا تكلم العلماءُ على أحدٍ قال قولاً خاطئاً يلزمُ على قوله شيءٌ باطلٌ، لم يجعلوا هذا اللَّازِمَ قولاً له؛ ولهذا يقولون: يلزمُ من هذا القولِ، ولا يقولون: هذا اللَّازِمُ قولٌ للقائل؛ لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: لأنه قد يكونُ جاهلاً بهذا اللَّازِمِ، وإذا كان جاهلاً به كيف يُقال: إِنَّه من أقواله!؟

الوجه الثاني: قد تكونُ اعترته غفلةً ونسياناً؛ يعني: يعلمُ أنَّه يلزمُ لكن نسي، فكيف نقول: إِنَّ الرَّجُلَ النَّاسِيَ لهذا اللَّازِمِ يُجْعَلُ اللَّازِمُ قولاً له؟! وأنتم أحياناً قد

تمرُّ بكم نصوصٌ فتستحضرُون لها معاني، وتستفيدون منها فوائداً، فإذا مرَّت بكم أخرى وجدتم أنفسكم قد نسيتم أو غفلتم.

الوجه الثالث: قد يمنعُ هذا اللّازم، ويقولُ: لا يلزمُ على قولي كذا وكذا، وحينئذٍ لا يكونُ قولاً له.

فما دامت الاحتمالاتُ الثلاثةُ وارداً على اللّازم؛ فإنّه لا يُجَعَلُ لازمُ القولِ قولاً لقائله كما سيأتي.

٤٣٤٧- وَلِذَاكَ لَمْ يَكْ لَازِمًا لِمَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ مَذَاهِبُهُمْ بِإِلْبَرَاهَانَ

يعني: ما كان لازماً من أقوال العلماءِ في من مذاهبهم، فإذا كان يلزمُ على قولِ هذا العالمِ كذا، فليس قولاً له، وإذا كان يلزمُ على هذا المذهبِ كذا، فليس مذهباً، حتّى يُورَدَ هذا اللّازمُ على القائلِ، ثمَّ يقول: نعم، هذا يلزمُ على قولي وأنا مُلتزمٌ به، فحينئذٍ يكونُ اللّازمُ قولاً.

فصار لازمُ القولِ ليس بقولٍ إلّا إذا عرفه القائلُ والتزم به؛ فإن لم يعرفه فليس له بقولٍ، وإن عرفه ورَدَّه، فقال: «لا يلزمُ من قولي كذا وكذا» فليس بقولٍ له.

فإذا قال قائلٌ: إذا كنّا نجهلُ: هل الرّجلُ الذي قال هذا القولَ يعلمُ أنّ قوله يستلزمُ هذا القولَ أو لا يعلمُ؟ فالأصلُ أنّه لا يعلمُ؛ لأنّ الأصلُ عدمُ العلمِ، والأصلُ عدمُ التزامه.

٤٣٤٨- فَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَلِكَ مَذَاهِبُهُمْ أَوْلُو جَهْلِ مَعَ الْعُدْوَانِ

يعني: المُقدِّمون على أن يحكوا لازمَ القولِ قولاً هؤلاءُ جهالٌ وذوو عدوانٍ؛

لأنَّ القائلَ إذا أوردَ عليه اللَّازِمُ فإنَّ قِبَلَهُ والتزمه فهو قولٌ له، وإن رَدَّهُ وأنكره وقال: «هذا لا يلزم» فليس قولاً له.

فإن قال قائلٌ: هذه الأقوالُ المُنكَرَةُ في بابِ الصِّفَاتِ وغيرها إذا كان يلزمُ عليها لوازمٌ باطلةٌ لماذا لم يرجع عنها أصحابُها؟

نقولُ: هل عندك علمٌ أنَّها بَلَّغَتْهُمْ؟ لا، ما ندري، رَبِّمَا كانوا لا يُلْزَمُونَ بها، وكانوا قد جهلوا هذا اللَّازِمَ أو نسوه، وكثيراً ما يُقالُ للقائلِ: إنَّه يلزمُ من كلامِكَ كذا وكذا، ثُمَّ يرجعُ إذا عَلِمَ أنَّ اللَّازِمَ باطلٌ فإنَّ الملزومَ باطلٌ عند العقلاءِ كُلِّهِمْ.

٤٣٤٩- لا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللَّزُومِ الدَّانِي

يعني: أنَّ الذين يُقَدِّمُونَ على حكاية اللَّازِمِ أنَّه مذهبٌ للقائلِ لا يُفَرِّقُونَ بين اللَّازِمِ الظَّاهِرِ واللَّازِمِ الخَفِيِّ؛ لأنَّ اللَّوْازِمَ - كما تعلمون - قد تكونُ ظاهرةً، فلو قلت: «صَنَعَ فلانُ البابَ»، فاللَّازِمُ مِمَّنْ صنعه أن يكونَ قادراً، وأن يكونَ عالماً، وأن يكونَ عنده موادُّ.

إذَنْ نقولُ: هذا الذي صَنَعَ البابَ عنده قدرةٌ بدنيَّةٌ، وقدرةٌ فكريَّةٌ، وقدرةٌ ماليَّةٌ، من أين عرفنا ذلك؟ الجوابُ: من أنَّه لا يمكنُ صنْعُ البابِ إلا بهذا، وهذا ظاهرٌ، وقد يكونُ اللُّزومُ خَفِيًّا لا يُدْرِكُهُ كُلُّ أَحَدٍ، فكوننا لا نفرِّقُ بين الخَفِيِّ والظَّاهِرِ لا شكَّ أنَّه زورٌ؛ ولهذا قال: «لا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ» حيث يجعلون لازمَ المذهبِ مذهباً، «قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللَّزُومِ الدَّانِي»، و«الدَّانِي»؛ يعني: القريب.

٤٣٥٠- سِيِّمًا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ لَكِنَّ يَظُنُّ لُزُومَهُ بِجَنَانٍ

قَوْلُهُ: «سِيِّمًا» بمعنى: لا سِيِّمًا.

قَوْلُهُ: «إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ» «مَا» هنا زائدة، ويقول القائل:

يَا طَالِبًا خُذْ فَائِدَهُ بَعْدَ (إِذَا) (مَا) زَائِدَهُ^(١)

فإذا جاءت «مَا» بعد «إِذَا» فهي زائدة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]؛ أي: إذا غضبوا، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ﴾ [فصلت: ٢٠]؛ يعني: حتى إذا جاؤوها، وهنا يقول المؤلف رحمه الله: «سِيَمَا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ»؛ يعني: سيمًا إذا كان ليس بلازم. قَوْلُهُ: «بِجَنَانٍ الْجَنَانُ» أي: القلب.

٤٣٥١- لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيَحْكُمُ عَلَىٰ مَا تَلْزَمُونَ شَهَادَةَ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ» الخطابُ لمن أَلْزَمَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَوَازِمَ غَيْرِ لَازِمَةٍ لَهُمْ، مثاله: قالوا: إنكم لو أثبتتم أن الله مُستَوٍ عَلَى الْعَرْشِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَحْدُودًا؛ لِأَنَّ الْمُسْتَوِيَ عَلَى الْمَحْدُودِ مَحْدُودٌ، نقول: لا يلزمنا هذا.

إذا قالوا: إنكم إذا أثبتتم الوجه واليدين لزمكم أن تثبتوا أن الله جسمٌ مُرَكَّبٌ من أعضاء، نقول: لا يلزم؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وإذا كان يُقَالُ: وَجْهَ الثَّوْرِ لِمُسْتَقْبَلِهِ، وَنَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ كَقَوْلِنَا: وَجْهَ الْإِنْسَانِ، وإذا كان الله يقول عن بعض بني إسرائيل: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ﴾ [آل عمران: ٧٢] فقال: ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾، فجعل للنَّهَارِ وَجْهًا، ومعلومٌ أَنَّ وَجْهَ النَّهَارِ؛ يعني: مُسْتَقْبَلَهُ.

٤٣٥٢- بِخِلَافِ لَازِمٍ مَا يَقُولُ إِلَيْهَا وَنَبِيَّنَا الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: فَإِنَّهُ مُعْتَبَرٌ وَلَا زِمٌ.

(١) ذكره في فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية (ص: ١٧٢) بدون قائل.

٤٣٥٣- فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ وَخَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ

يعني: أن دلالة النصوص على اللازم تجعل اللازم حكماً ثابتاً، فإذا كان يلزم من هذا النص كذا وكذا فهو لازم، وهو حق ولا يمكن إنكاره، لكن الذي يجب هنا هو التوقف: هل هذا لازم أو ليس بلازم؛ لأن الناس يختلفون في فهم اللازم اختلافاً كثيراً، فقد يقول قائل: هذا لازم، لهذا وليس بلازم، وقد يكون هذا لازماً للكلام، ولكن لم يُذكره أحدٌ إلا واحدٌ من اثنين مثلاً؛ ولهذا يقول المؤلفُ رحمه الله: «فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ وَخَفِيَّةٌ»؛ يعني: دلالاتُ النصوصِ جليَّةٌ واضحةٌ، وهناك دلالاتُ خفيةٌ تخفى على بعض الناس.

ونحن نضربُ مثلاً لدلالة اللزوم، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الطلاق: ١٢] فيلزم من الخلقِ القدرة؛ لأنَّ غيرَ القادرِ لا يخلقُ، ويلزم أيضاً العلمُ؛ لأنَّ غيرَ العالمِ لا يخلقُ، ويلزم منه الحياة؛ لأنَّ غيرَ الحيِّ لا يخلقُ، ويلزم له الإرادة؛ لأنَّه لا فعلَ إلا بإرادة.

واللوازمُ يختلفُ فيها الناسُ اختلافاً كثيراً، وبعضها قريبٌ وبعضها بعيدٌ.

٤٣٥٤- وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الْفَهْمَ فِي آيَاتِهِ رِزْقًا بِإِلْحَسَابَانِ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَدْ يَرْزُقُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فَهْمًا فِي كَلَامِهِ فَهْمًا لَا نَظِيرَ لَهُ، وَقَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ.

٤٣٥٥- وَاحْتَذِرْ حِكَايَاتِ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ مِ عَنِ الْخُصُومِ كَثِيرَةَ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «احْتَذِرْ حِكَايَاتِ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ»؛ يعني: المتكلمين.

قَوْلُهُ: «عَنِ الْخُصُومِ»؛ يعني بهم: أهل السنة.

٤٣٥٦- فَحَكَّوْا بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزَمُهُمْ فَقَا لَوْ ذَاكَ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانٍ

حَكَّوْا عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَا يَظُنُّونَهُ لَازِمًا لِمَذْهَبِهِمْ، فَقَالُوا: هَذَا مَذْهَبُهُمْ، كَمَا قَالُوا: (يَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِنَّ اللَّهَ لَهُ أَعْضَاءٌ، وَلَهُ أَجْزَاءٌ، وَأَنَّهُ يَتَحَرَّكُ، وَأَنَّهُ يُبْصَرُ شَيْئًا وَلَا يُبْصَرُ آخَرَ... إلخ)، فَيُوهَّمُونَ عَلَى الْعَامَّةِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ.

٤٣٥٧- كَذَّبُوا عَلَيْهِمْ بِأَهْتَيْنَ لَهُمْ بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزَمُهُمْ مِنَ الْبُهْتَانِ

فهل يلزمنا نحن إذا أثبتنا لله وجهًا وعينًا ويدًا وقدمًا أن نكون قد مثلنا؟

الجواب: أبدًا، لا يلزم.

وهم يقولون: أنتم ممثلة، وهل يلزمنا أن نقول بالتجسيم؟

الجواب: لا يلزمنا، لكن هم يقولون: أنتم مجسمة.

وهل يلزمنا أن نقول: إن الله له أعضاء؟

الجواب: لا، لا يلزمنا، وهم يقولون: إنكم ممثلة تقولون بهذا.

٤٣٥٨- فَحَكَّى الْمُعْطَلُّ عَنْ أُولِي الْإِثْبَاتِ قَوْلَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ ذُو جُثْمَانٍ

وهذا من الكذب، وقوله: «الجُثْمَان»؛ يعني: الجسم، يقول: إنكم تقولون أنتم المثبتة: إن الله تعالى له سمع، وبصر، ويد، ووجه، إلى آخره، وهذا يلزم أن يكون جسمًا؛ فأنتم مجسمة ومجثمة.

٤٣٥٩- وَحَكَّى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يُرَى لَنَا بَعِيَانٍ

يقول المعطلة: إن أهل السنة يقولون: «إن الله لا يرى بعيان»، وهذا كذب

عليهم، هم يقولون: إِنَّ اللَّهَ يُرَى بِالْعِيَانِ، وَمَنْ أَنْكَرَ الرَّؤْيِيَةَ فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ، وَرُبَّمَا أَطْلَقَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ الْكَفْرَ.

٤٣٦٠- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَجُوزُ زُكْلَامُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعَانِي

معناه: يجوزُ أن يتكلمَ اللهُ عزَّ وجلَّ من غيرِ أن يقصدَ المعنى؛ ولهذا فصلوا اللَّفْظَ عن المعنى؛ فمنهم مَنْ قَالَ: إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْمَعَانِي فَقَطْ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْأَلْفَاظُ فَقَطْ، وَلَكِنَّ الْكَلَامَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا.

٤٣٦١- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا بَتَحَ سِيْرِ الْإِلَهِ، وَحَضْرِهِ بِمَكَانِ

ولم نقل بذلك، لكن هو يزعمُ أنك إذا قلت: «إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَحْدُودًا مَحْصُورًا.

٤٣٦٢- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ أَلْ أَعْضَاءُ جَلَّ اللَّهُ عَنْ بُهْتَانِ

قالوا ذلك لأنهم أثبتوا لله اليدَ، والوجهَ، والعينَ، والسَّاقَ، فقالوا: إِذَنْ أَنْتُمْ مَثَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَنْتُمْ مَمَثَلَةٌ.

٤٣٦٣- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ هُوَ التَّشْبِيهُ لِلْخَلْقِ بِالْإِنْسَانِ

على زعمهم أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ.

٤٣٦٤- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ عَنْهُمْ مَا لَمْ يَقُو لُؤُهُ وَلَا أَشْيَاخُهُمْ بِلِسَانِ

ولكنه كذبٌ، يحكي عنهم أشياء ما قالوها، وليس لها أصلٌ عندهم، ومع ذلك يقولون بهذا اللازم الباطل على زعمه أنه لازمٌ.

- ٤٣٦٥- ظَنَّ الْمُعْطَلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ فَلَمَّا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانَ
 ٤٣٦٦- فَعَلَيْهِ فِي هَذَا مَحَازِيرٌ ثَلَاثٌ، كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ الْبُطْلَانِ
 ٤٣٦٧- ظَنَّ اللَّزُومِ وَقَدَّفُهُمْ بِلِزُومِهِ
 ٤٣٦٨- يَا شَاهِدًا بِالزُّورِ وَيَلِكَ لَمْ تَخْفَ
 ٤٣٦٩- يَا قَائِلَ الْبُهْتَانِ غَطَّ لَوَازِمًا
 ٤٣٧٠- وَاللَّهِ لَازِمُهَا انْتِفَاءُ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لِلرَّحْمَنِ
 ٤٣٧١- وَاللَّهِ لَازِمُهَا انْتِفَاءُ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ
 ٤٣٧٢- وَلِزُومٌ ذَلِكَ بَيِّنٌ جِدًّا لِمَنْ
 ٤٣٧٣- وَاللَّهِ لَوْ لَا ضَيْقُ هَذَا النَّظْمِ بَيْنَ
 ٤٣٧٤- وَلَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا يَكْفِي لِمَنْ
 ٤٣٧٥- إِنَّ الذِّكْرَ بِبَعْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي وَأَخُو الْبِلَادَةِ سَاكِنُ الْجَبَّانِ

الشرح

- ٤٣٦٥- ظَنَّ الْمُعْطَلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ فَلَمَّا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانَ
 قَوْلُهُ: «ظَنَّ الْمُعْطَلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ: مَا رَمَاهُمْ بِهِ مِنَ التَّشْبِيهِ وَغَيْرِهِ.
 قَوْلُهُ: «فَلَمَّا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانَ»؛ يَعْنِي: أَنَّ الْمُعْطَلَّ قَدْ يَكُونُ لِمُزِهِ لِأَهْلِ
 السُّنَّةِ بِأَتَمِّهِمْ مُشَبَّهٌ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ حَقِيقَةً، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْعُدْوَانِ؛ فَلِهَذَا

يقول رحمه الله:

٤٣٦٦- فَعَلَيْهِ فِي هَذَا مَحَاذِيرٌ ثَلَاثٌ، كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ الْبُطْلَانِ

٤٣٦٧- ظَنُّ اللَّزُومِ وَقَدْفُهُمْ بِلُزُومِهِ وَتَمَامُ ذَلِكَ شَهَادَةُ الْكُفْرَانِ

الأول: «ظنُّ اللُّزومِ».

الثاني: «قدفهم بلزومه»، حيث قالوا: إنه يلزم على قولكم كذا وكذا، ويلزم على قولكم تشبيه، فأنتم وقعتم في الحرام، فهذا رميهم بهذا اللازم على زعمهم، وهم منه براء.

الثالث: «شهادة الكفران»؛ يعني: شهادتهم بأنهم كفروا؛ لأنهم يدعون أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم، وأن التشبيه والتجسيم كفر.

فقالوا لأهل السنة: أنتم كفار؛ لأنكم تمثلون الله بخلقه، فتجعلون الخلق يعبدون صنما، فأنتم كفار، سبحانه هذا بهتان عظيم! يعني: هم الذين كذبوا الله ورسوله؛ لكن ليس تكديبا صريحا، وإلا لضربنا أعناقهم، ثم يكفرون أهل السنة.

٤٣٦٨- يَا شَاهِدًا بِالزُّورِ وَيَلِكَ لَمْ تَخَفْ يَوْمَ الشَّهَادَةِ سَطْوَةَ الدِّيَانِ

قوله: «الديان» هو الله عز وجل.

٤٣٦٩- يَا قَائِلَ الْبُهْتَانِ غَطَّ لَوَازِمًا قَرَّرْتَ مَلْزُومَاتِهِ بِيَانِ

يعني: غطت أنت اللوازم التي تفضحك، فإنتها أشد من اللوازم التي نسبتنا لنا.

٤٣٧٠- وَاللَّهُ لَازِمُهَا انْتِفَاءُ الدَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لِلرَّحْمَنِ

قوله: «والله...» أقسم رحمه الله على هذه اللوازم.

قَوْلُهُ: «لَا زِمَهَا انْتِفَاءُ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لِلرَّحْمَنِ»؛ يعني: أن ما قلته من النَّفْيِ والتَّعْطِيلِ من لازمه انتفاء ذات الله، وانتفاء أوصافه، وانتفاء أفعاله.

إذا قالوا: إنه - سبحانه وتعالى - ليس تحت العالم، وليس فوق العالم، ولا يمينه، ولا شماله، ولا متصلًا بالعالم، ولا منفصلًا عن العالم، فلو قالوا بذاك لكن معناه العدم، وهذا انتفاء الذات، وهم لم يُقِرُّوا بذلك.

وانتفاء الأوصاف واضح، فهم يصرِّحون بأن الله تعالى لا صفة له.

الثالث: انتفاء الأفعال، فهم يُنكرون أن الله يستوي على العرش، أو ينزل إلى السماء الدنيا، أو يأتي للقضاء بين عباده، أو يفرح، أو يضحك، أو يعجب، فكلُّ هذا مُنتَفٍ عن الله عزَّ وجلَّ عندهم، فنَقَوْا الأفعال.

٤٣٧١- وَاللَّهُ لَا زِمَهَا انْتِفَاءُ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

إِذَنْ قَوْلٌ هُوَ لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذِهِ اللَّوَاظِمِ الْبَاطِلَةُ الَّتِي فِيهَا انْتِفَاءُ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَكَلَامِهِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، كُلُّ شَيْءٍ يَنْتَفِي؛ لِأَنَّ تَعْطِيلَهُمْ يُوَدِّي إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَهٌ يُعْبَدُ وَلَا يُرْكَعُ لَهُ وَيُسْجَدُ، وَهَذَا أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنَ التَّعْطِيلِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

٤٣٧٢- وَلِزُومِ ذَلِكَ بَيْنَ جِدِّالٍ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ وَعَيْنَانِ

٤٣٧٣- وَاللَّهُ لَوْ لَا ضَيْقُ هَذَا النِّظْمِ بَيْنَ سَيْنَتِ اللَّزُومِ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ

ولكن أحوالنا - رحمه الله - على أن ننظر نحن بأنفسنا، وننظر هذه اللوازم.

فإذا قال قائل: إن الله - سبحانه وتعالى - لا يُوصَفُ بوجودٍ ولا عدم، ولا سمعٍ ولا بصير، ولا صممٍ ولا عمى، ولا أنه فوق العالم ولا تحته، فماذا يكون

هذا غيرَ العدم المحض، بل هو المستحيل؛ لأنه لا يمكن أن يوجد شيءٌ لا يُوصَفُ بوجودٍ ولا عَدَمٍ، فكلُّ شيءٍ فهو إمَّا موجودٌ وإمَّا معدومٌ، دعونا من الحياة والموت؛ فقد يقولُ قائلٌ: الحياةُ والموتُ لا يُوصَفُ بهما إلا الحيوانُ بخلافِ غيره كالجمادِ والحجرِ، فالحجرُ لا يُوصَفُ بحياةٍ ولا موتٍ.

ولذا نقولُ: الوجودُ والعدمُ لا مفرَّ منهما، لا يمكنُ أن يُوصَفُ شيءٌ بأنَّه لا موجودٌ ولا معدومٌ، إذا نَفَيْتَ وجودَه لَزِمَ أن يكونَ معدومًا، وإذا نَفَيْتَ عَدَمَه لَزِمَ أن يكونَ موجودًا.

٤٣٧٤- وَلَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا يَكْفِي لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

قَوْلُهُ: «تَقَدَّمَ»؛ يعني: في كلامِ المؤلِّفِ في هذه القصيدة.

قَوْلُهُ: «مَا يَكْفِي»؛ أي: ما يكفي في الرَّدِّ على هؤلاء وبيانِ لوازمهم الباطلة.

٤٣٧٥- إِنَّ الذِّكْيَ بِبَعْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي وَأَخُو الْبِلَادَةِ سَاكِنُ الْجَبَّانِ

الذِّكْيُ هو الذي يفهمُ بسرعةٍ ويعرفُ، والبليدُ هو الذي لا يفهمُ كالحمارِ،

سَاكِنُ الْجَبَّانِ؛ أي: ساكنُ المقابرِ، فهو ميِّتٌ، فأخو البلادةِ ميِّتٌ لا ينفعُه شيءٌ.

٤٣٧٦- يَا قَوْمَنَا اغْتَبِرُوا بِجَهْلِ شَيْوِخِكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

٤٣٧٧- أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ أَفْضَلِ وَقْتِهِ فَيْكُمْ مَقَالَةَ جَاهِلٍ فَتَّانِ

٤٣٧٨- إِنَّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضَ قَبْلَ

٤٣٧٩- وَاللَّهِ مَا هَذِي مَقَالَةُ عَالِمٍ فَضْلًا عَنِ الْإِجْمَاعِ كُلِّ زَمَانِ

- ٤٣٨٠- مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ وَالْ
 حَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهِرَ الْقُرْآنِ
 ٤٣٨١- فَانظُرْ إِلَى مَا جَرَّهُ تَأْوِيلُ لَفْظِ
 «الِإِسْتِوَاءِ» بِظَاهِرِ الْبُطْلَانِ
 ٤٣٨٢- زَعَمَ الْمُعْطَلُ أَنَّ تَأْوِيلَ «أَسْتَوَى» ﴿
 بِالْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ وَضَعُ لِسَانِ
 ٤٣٨٣- كَذَبَ الْمُعْطَلُ لَيْسَ ذَا لُغَةِ الْأَلْسِنَةِ
 قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 ٤٣٨٤- فَأَصَارُهُ هَذَا إِلَى أَنْ قَالَ: خَلْفَ
 تِلْكَ الْعَرْشِ بَعْدَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
 ٤٣٨٥- يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ وَإِجْمَاعِ
 الْهُدَاةِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

الشرح

- ٤٣٧٦- يَا قَوْمَنَا اغْتَبِرُوا بِجَهْلِ شَيْوَحِكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
 قَوْلُهُ: «يَا قَوْمَنَا» يُحَاطَبُ الْمُعْطَلَةَ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يُحَاطَبَ الْإِنْسَانُ بِالْقَوْمِ؛ لِأَنَّ
 الْقَوْمَ لَفْظٌ عَامٌّ يَشْمَلُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ.
 ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلًا غَرِيبًا مِنْ أَعْرَبٍ مَا يَكُونُ فَقَالَ:
 ٤٣٧٧- أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ أَفْضَلٍ وَقْتِهِ فَيُكْمُ مَقَالَةَ جَاهِلٍ فَتَانِ
 مَا هَذِهِ الْمَقَالَةُ؟ قَالَ:

- ٤٣٧٨- إِنَّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضَ قَبْلَ الْعَرْشِ بِالْإِجْمَاعِ مَخْلُوقَاتَانِ
 يَقُولُ: السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مَخْلُوقَاتَانِ قَبْلَ الْعَرْشِ بِالْإِجْمَاعِ، وَهَذَا مَقَالٌ
 جَاهِلٌ، بَلْ مَقَالٌ أَجْهَلُ مِنْ حَمَارِهِ، لَكِنْ لِمَاذَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ؟ لِأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِذَا قُلْتَ:
 إِنَّ «أَسْتَوَى» بِمَعْنَى مَلَكٍ وَاسْتَوَى، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

والأرض مملوكًا لغير الله؛ لأن الله يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، إذن ما دام هذا هو اللازم قال: إن العرش خلق بعد خلق السماوات والأرض، فيكون معنى الآية -على رأيه- أنه -سبحانه وتعالى- خلق السماوات والأرض، ثم خلق العرش فاستولى عليه، ومع هذا يقول: هذا بالإجماع، وهو أفضل أهل وقته في زمانه^(١).

قال ابن القيم رحمه الله:

٤٣٧٩- وَاللَّهِ مَا هَذِي مَقَالَةٌ عَالِمٍ فَضْلًا عَنِ الْإِجْمَاعِ كُلِّ زَمَانٍ

وهذا صحيح، فوالله ما يقول هذا الكلام عالم، فضلًا عن أن يقول: هذا أجمع الناس عليه من عهد الرسول إلى يومه، فهو يدعي أن الناس منذ عهد الرسول إلى يومه مجمعون على أن خلق السماوات والأرض قبل خلق العرش.

٤٣٨٠- مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ وَالْخَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهِرَ الْقُرْآنِ

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]؛ أي: عند خلق السماوات والأرض، إذن ظاهر القرآن أن العرش سابق؛ ولهذا قال: «في ظاهر القرآن» ولم يقل: «صريح»، أمّا السنة فصريحة في هذا أن العرش مخلوق قبل السماوات.

٤٣٨١- فَاَنْظُرْ إِلَى مَا جَرَّهُ تَأْوِيلُ لَفْظِ «الِاسْتِوَاءِ» بِظَاهِرِ الْبُطْلَانِ

حيث قال: الاستواء بمعنى الاستيلاء.

(١) وهذا الذي هو أفضل أهل وقته: «فخر الدين أبو عبد الله الرازي».

٤٣٨٢- زَعَمَ الْمُعْطَلُ أَنَّ تَأْوِيلَ ﴿أَسْتَوَى﴾ بِالْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ وَضَعُ لِسَانِ

زعم أن تأويل «استوى» «بالخلق والإقبال وضع لسان»؛ يعني: أنه وضع لغوي؛ أي: إن اللغة يأتي فيها «استوى» بمعنى «خلق» و«أقبل»، وهذا كذب ابن القيم رحمه الله، فلا يأتي في اللغة «استوى» بمعنى «أقبل»، ولكن ورد عن بعض علماء السنة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: إن الاستواء هنا بمعنى القصد والإقبال، فإن صحَّ هذا المعنى فإن هناك فرقاً بين أن يتعدى «استوى» بـ«على»، أو يتعدى بـ«إلى»، والمقصود ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، لا يمكن أن يأتي في اللغة العربية «استوى» المعدى بـ«على» بمعنى «قصد» أو «أقبل»، لا يمكن هذا.

٤٣٨٣- كَذَبَ الْمُعْطَلُ لَيْسَ ذَا لُغَةٍ الْأَلَى قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «الْأَلَى»؛ يعني: الذين.

قَوْلُهُ: «قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ» وَهُمْ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤٣٨٤- فَأَصَارَهُ هَذَا إِلَى أَنْ قَالَ: خَلَقَ الْعَرْشَ بَعْدَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ قَوْلُهُ: «أَصَارَهُ هَذَا» أَصَارَهُ بِمَعْنَى صَيَّرَهُ.

قَوْلُهُ: «هَذَا» الْمُشَارُ إِلَيْهِ؛ أَي: تَأْوِيلُ «أَسْتَوَى» بـ«أَسْتَوَى».

المعنى: أصاره إلى أن يجعل خلق العرش بعد خلق السماوات والأرض؛ للعلّة التي أشرنا إليها أولاً، وهي أنه قيل له: إذا قلت «استوى» بمعنى «استوى» فلمن يكون الاستيلاء قبل خلق السماوات والأرض على العرش؟ قال: إذن أعرض عن هذا، وأقول: إن العرش خلق بعد السماوات والأرض، ولم أسمع

بهذه المقالة إلا الليلة أن أحدا من العلماء الذين يُقال: إنهم علماء، يقولون: إن خلق العرش كان متأخرا عن خلق السماوات والأرض، ما علمنا بهذا، لكن نعوذ بالله، فالقول الباطل يجرُّ إلى باطل.

٤٣٨٥- يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ وَإِجْمَاعُ الْهُدَاةِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
يعني أن قوله: إن العرش مخلوق بعد السماوات والأرض قد كذبه الرسول، وكذبه إجماع الهداة، وكذبه محكم القرآن.

قوله: «يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ...»، وليس هذا تهنة، بل هذا هو التشقية والعياذ بالله، لكنه قال ذلك على سبيل التهكم به، والتهكم بالإنسان وراذ حتى في القرآن؛ مثل قوله تعالى في صاحب الجحيم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، فهذا تهكم به، فأين العزة وأين الكرم وهو يُقال له: ذُقْ هذا العذاب؟ إذن هو ليس عزيزا ولا كريما، وإن كان بعض العلماء يقول: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]؛ يعني: في الدنيا؛ أي: فيما سبق، لكن الأصل أن الوصف يكون مطابقا للموصوف حين خطابه به، وهنا قال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

فصل

فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي تَكْفِيرِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
وَذِكْرِ انْقِسَامِهِمْ إِلَى أَهْلِ الْجَهْلِ وَالتَّفْرِيطِ وَالبِدْعَةِ وَالكُفْرَانِ

- ٤٣٨٦- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ
أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشِيعَةَ الْقُرْآنِ
- ٤٣٨٧- إِذْ خَالَفُوا رَأْيَالَهُ رَأْيَ يَنَا
قِضُّهُ؛ لِأَجْلِ النَّصِّ وَالْبُرْهَانِ
- ٤٣٨٨- وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ
وَوَفَاقَكُمْ فَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
- ٤٣٨٩- فَوَافِقُكُمْ وَخِلَافُكُمْ مِيزَانُ دِينِ
مِنِ اللَّهِ، لَا مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٤٣٩٠- مِيزَانُكُمْ مِيزَانُ بَاغِ جَاهِلٍ
وَالْعَوْلُ كُلُّ الْعَوْلِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٣٩١- أَهْوُونَ بِهِ مِيزَانَ جَوْرِ عَائِلٍ
بِيَدِ الْمُطْغَفِّ، وَيَلْ ذَا الْوَرَّانِ
- ٤٣٩٢- لَوْ كَانَ نَمَّ حَيًّا وَأَذْنَى مُسْكَةً
مِنْ دِينٍ أَوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيمَانٍ
- ٤٣٩٣- لَمْ تَجْعَلُوا آرَاءَكُمْ مِيزَانَ كُفْرٍ
رِ النَّاسِ بِالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ
- ٤٣٩٤- هَبِكُمْ تَأَوَّلْتُمْ وَسَاغَ لَكُمْ أَيُّكُمْ
فُرٌّ مَنْ يُخَالَفُكُمْ بِلَا بُرْهَانِ
- ٤٣٩٥- هَذِي الْوَقَاحَةُ وَالْجَرَاءَةُ وَالْجَهَا
لَهُ، وَيُحْكُمُ يَا فِرْقَةَ الطُّغْيَانِ
- ٤٣٩٦- اللَّهُ أَكْبَرُ ذَا عُقُوبَةٍ تَارِكِ الْـ
وَحَيْنٍ لِالْآرَاءِ وَالْهَدْيَانِ
- ٤٣٩٧- لَكِنَّا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ
فِيكُمْ؛ لِأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

هذا الفصل في الردِّ عليهم في تكفيرهم أهل العلم؛ لأنَّ أهل البدع والضلال ليس لهم سيرٌ ولا سلاحٌ إلاَّ التَّكْفِيرُ والتَّشْهِيرُ؛ كما حَصَلَ من الخوارج وغيرهم، حين خرجوا على الأُمَّة الإسلاميَّة بدعوى أنَّهم كُفَّارٌ، وأنَّ أقسامَ هؤلاء: إمَّا أهل جهلٍ وتفريطٍ، وإمَّا أهل بدعٍ وكفرانٍ.

٤٣٨٦- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشِيعَةَ الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «الْعَجَائِبُ» جمعٌ: «عجيب».

يعني: من الأمور التي تدعو إلى العجب أنَّكم كَفَرْتُمْ أهل الحديث وشيعة القرآن.

٤٣٨٧- إِذْ خَالَفُوا رَأْيَالَهُ رَأْيِي نِنَا قِضُهُ؛ لِأَجْلِ النَّصِّ وَالْبُرْهَانِ
قَوْلُهُ: «إِذْ خَالَفُوا رَأْيَالَهُ»؛ أي: خالفوا رأي المعطلة.

قَوْلُهُ: «لَهُ رَأْيِي نِنَا قِضُهُ»؛ يعني: أنتم تتناقضون فيما بينكم.

وقد خالفوه لأجل النَّصِّ والبرهان؛ يعني: هم خالفوا هذا الرَّأْيَ المتناقض لأجل النَّصِّ والبرهان.

٤٣٨٨- وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ وَوَفَّاقَكُمْ فَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ»؛ يعني: جعلتم التَّكْفِيرَ أن يخالفكم النَّاسُ.

قَوْلُهُ: «وَوَفَّاقَكُمْ»؛ يعني: وجعلتم وفاقكم.

يعني: جعلتم وفاقكم هو الإيمان وخلافكم هو الكفر، وعلى هذا فمن خالفكم فهو كافرٌ، ومن وافقكم فهو مؤمنٌ.

٤٣٨٩- فَوَافِقُكُمْ وَخِلَافُكُمْ مِيزَانُ دِينِ اللَّهِ، لَا مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

يعني أن ميزان الدين عندكم هو الموافقة والمخالفة، فمن وافقكم فهو مؤمنٌ، ومن خالفكم فهو كافرٌ، ولم تجعلوا الميزان من جاء بالبرهان والفرقان وهو الرسول عليه الصلاة والسلام؛ يعني: لم تردوا الأمر إلى الله ورسوله، ولكن جعلتموه الموافقة والمخالفة لكم.

٤٣٩٠- مِيزَانُكُمْ مِيزَانُ بَاغٍ جَاهِلٍ وَالْعَوْلُ كُلُّ الْعَوْلِ فِي الْمِيزَانِ

قوله: «مِيزَانُ بَاغٍ» أي: معتدٍ، «جَاهِلٍ» أي: غير عالمٍ، ومع ذلك فهو ميزانٌ عائلٌ؛ أي: مائلٌ عن الاستقامة.

٤٣٩١- أَهْوَنُ بِهِ مِيزَانُ جَوْرِ عَائِلٍ بِيَدِ الْمُطَفِّفِ، وَيَلْ ذَا الْوَزَانِ

إذا كان الميزان ميزان جورٍ، والوازن مطففاً فمعناه أنه ليس فيه عدالة إطلاقاً، فالميزان ميزان جورٍ وعولٍ، والوازن مطفّفٌ، فلا يمكن أن يكون هناك عدلٌ.

٤٣٩٢- لَوْ كَانَ تَمَّ حَيَاً وَأَدْنَى مُسْكَةً مِنْ دِينٍ أَوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيْمَانٍ

٤٣٩٣- لَمْ تَجْعَلُوا آرَاءَكُمْ مِيزَانَ كُفْرِ النَّاسِ بِالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

صحيحٌ، لو كان عندهم حياءٌ أو أدنى مسكّة من دينٍ أو علمٍ أو إيمانٍ، لم يجعلوا الآراء ميزان كفر الناس وإيمانهم، فيقولوا: من وافق آراءنا فهو مؤمنٌ، ومن خالفها فهو كافرٌ.

٤٣٩٤- هَبِكُمْ تَأَوَّلْتُمْ وَسَاغَ لَكُمْ أَيُّكُمْ فُرُّ مَنْ يُخَالَفُكُمْ بِلَا بُرْهَانَ

يعني: قدروا أنكم تأوَّلتم، والمتأوَّل مجتهدٌ، وسَاغَ لكم ما تأوَّلتموه وصار هو الحقُّ، وليس يكفر مَنْ يخالفكم بلا برهانٍ؛ إذَنْ هذا عدوانٌ منكم، بل من أكبرِ العدوان؛ لأننا لو كفرنا مَنْ خالفنا في الاجتهادِ لَزِمَ أن يكفِّرنا هو أيضًا باجتهادنا؛ لأنَّ اجتهادنا ليس أَوْلَى بالصَّوابِ من اجتهاده.

٤٣٩٥- هَذِي الْوَقَاحَةُ وَالْجِرَاءَةُ وَالْجَهَا لَةٌ، وَيُحْكُمُ يَا فِرْقَةَ الطُّغْيَانِ

الوقاحةُ ضدُّ حسنِ الخلقِ، والجرأةُ ضدُّ التَّأَنِّي والطَّمَأْنِينَةِ، والجهالةُ ضدُّها العلمُ.

قَوْلُهُ: «وَيُحْكُمُ»؛ أي: ويحْكُمُ لكم يا فرقة الطُّغْيَانِ.

٤٣٩٦- اللهُ أَكْبَرُ ذَا عُقُوبَةٍ تَارِكِ الْـ وَوَحِيْنٍ لِالْآرَاءِ وَالْهَدْيَانِ

يعني: أن هذا الذي جَرَى منهم -وهو تكفيرُهم المؤمنين إذا خالفوهم- سببه تركُ الوحيين «الكتاب والسُّنَّة» للآراء؛ أي: من أجلِ الآراءِ والهديانِ، فإذا ترك الإنسانُ القرآنَ والسُّنَّةَ فَإِنَّهُ يُبْتَلَى بمثل هذه البليَّةِ العظيمةِ، وهي تكفيرُ أهلِ الحقِّ والإيمانِ.

٤٣٩٧- لَكِنَّا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فِيكُمْ؛ لِأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمَنِ

هذا كقولِ عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مُقَاسِمَةِ أَهْلِ خَيْرٍ، لَمَّا جَمَعَهُمْ قال لهم: «وَالله لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَلَّا أَعْدَلَ

بَيْنَكُمْ»^(١)، وهكذا يجب على الإنسان ألا يحملَه البُغْضُ الشَّخْصِيَّ على الجورِ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓيْكُمْ ءَلَّا تَعَدِلُوْا﴾ [المائدة: ٨]، وهذا هو العدل؛ أن يحكم الإنسان بالعدل له ولغيره؛ خوفاً من الله عزَّ وجلَّ.

- ٤٣٩٨- فَاسْمَعْ إِذْنَ يَأْمُرُ بِهَا حُكْمِيهَا وَأَنْظُرْ إِذْنَ: هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ
 ٤٣٩٩- هُمْ عِنْدَنَا قِسْمَانِ: أَهْلُ جَهَالَةٍ وَذَوُو الْعِنَادِ، وَذَانِكَ الْقِسْمَانِ
 ٤٤٠٠- جَمْعٌ وَفَرَقٌ بَيْنَ نَوْعِيهِمْ، هُمَا فِي بَدْعَةٍ لَا شَكَّ يَجْتَمِعَانِ
 ٤٤٠١- وَذَوُو الْعِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَالْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ
 ٤٤٠٢- مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ بِأَلِ
 ٤٤٠٣- لَكِنْ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا
 ٤٤٠٤- لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِدْرَاكِهِمْ
 ٤٤٠٥- فَهُمْ الْأُلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيْقِهِمْ
 ٤٤٠٦- وَالْوَقْفُ عِنْدِي فِيهِمْ لَسْتُ الَّذِي
 ٤٤٠٧- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْبِطَانَةِ مِنْهُمْ
 ٤٤٠٨- لَكِنَّهُمْ مُسْتَوْجِبُونَ عِقَابَهُ

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٣٨/٩)، رقم (١٨١٦٨).

الشرح

٤٣٩٨- فَاسْمَعْ إِذَنْ يَا مُنْصِفًا حُكْمَيْهِمَا وَأَنْظُرْ إِذَنْ: هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ قَوْلُهُ: «حُكْمَيْهِمَا»؛ يعني: حكم الكتاب والسنة.

يقول رحمه الله: انظر هل يستوي حكم الكتاب والسنة مع حكم هؤلاء؟

٤٣٩٩- هُمْ عِنْدَنَا قِسْمَانِ: أَهْلُ جَهَالَةٍ وَذَوُو الْعِنَادِ،
الذين كفروا أهل السنة والجماعة قسمان: أهل جهالة وذوو العناد.
فالقسم الأول: هم أناس جهلة يكفرون تقليداً لمتبعيهم.

والقسم الثاني: أهل عنادٍ واستكبارٍ يكفرون، وهم يعلمون أنهم ليسوا على حق.

وهذا تقسيم جيد لأهل البدع.

٤٣٩٩- وَذَانِكَ الْقِسْمَانِ

٤٤٠٠- جَمْعٌ وَفَرَقٌ بَيْنَ نَوْعَيْهِمْ، هُمَا فِي بَدْعَةٍ لَا شَكَّ يَجْتَمِعَانِ

ذانك القسمان يجتمعان ويفترقان؛ فهما يجتمعان في أنهما ذوو بدعة سواء الجاهل أو المعاند، كل منهما مبتدع؛ فإن تكفير أهل الحق بدون أصل يرجع إليه هذا من فعل أهل البدع كالخوارج مثلاً، ولكن هناك فرقاً بكفر هؤلاء المكفرين لأهل الحق، إذن هم في جمع وفرق، أما الجمع فأنهم جميعاً أهل بدعة، وأما الفرق فيقول:

٤٤٠١- وَذَوُو الْعِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَالْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ

قَوْلُهُ: «وَذُوو الْعِيَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ» أي: المعاندون لا شكَّ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ؛
لأنَّهم تَبَيَّنَ لهم الحَقُّ، ولكن خالفوه وكفروا مَنْ قَالَ به، فهم كُفَّارٌ من وجهين:
الوجه الأول: مخالفة الحَقِّ.

الوجه الثاني: تكفير مَنْ قَالَ بالحَقِّ.

وهذا عدوانٌ وظلمٌ بلا شكَّ.

قَوْلُهُ: «وَالْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ» ذَكَرَ النَّوْعَ الْأَوَّلَ فَقَالَ:

٤٤٠٢- مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ بِالْأَسْبَابِ ذَاتِ الْيُسْرِ وَالْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ» يَقُولُ: الْجَاهِلُونَ نَوْعَانِ:

النَّوْعَ الْأَوَّلَ: مَنْ تَمَكَّنُوا مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ؛ أَي: أَنَا سَ يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَطْلُبُوا
الْعِلْمَ وَأَنْ يَبْحَثُوا وَيَسْأَلُوا، وَلَكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا.

قَوْلُهُ: «بِالْأَسْبَابِ ذَاتِ الْيُسْرِ وَالْإِمْكَانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ أَسْبَابَ الْوَصُولِ إِلَى
الْعِلْمِ مُيَسَّرَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]،
فَلَا تَوْجِدُ صَعُوبَةً لَوْ أَرَادُوا الْحَقَّ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَرِيدُوهُ.

٤٤٠٣- لَكِنْ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا وَاسْتَسَهَّلُوا التَّقْلِيدَ كَالْعُمِّيَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا»؛ أَي: مَالُوا إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ.

قَوْلُهُ: «وَاسْتَسَهَّلُوا التَّقْلِيدَ كَالْعُمِّيَانِ»، قَالُوا: مَا لَنَا وَلِلنَّاسِ؟ نُقَلِّدُ مَشَائِخَنَا،
وَلَا نَسْأَلُ وَلَا نَبْحَثُ، إِذَنْ عِنْدَهُمْ تَفْرِيطٌ؛ لِأَنَّهم يَتَمَكَّنُونَ مِنْ طَلْبِ الْعِلْمِ
وَالْأَسْبَابِ مُيَسَّرَةٌ، لَكِنْ أَخْلَدُوا إِلَى الْجَهْلِ وَاسْتَسَهَّلُوا التَّقْلِيدَ، قَالُوا: نُقَلِّدُ فَلَانَا
وَنَحْنُ فِي ذِمَّتِهِ.

٤٤٠٤- لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِدْرَاكِهِمْ لِلْحَقِّ تَهْوِينًا لِهَذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِدْرَاكِهِمْ لِلْحَقِّ»؛ يعني: ما بذلوا الذي يقدرون عليه ليدركوا الحقَّ «تهوينًا بهذا الشَّانِ»، فهؤلاء يقولُ المؤلفُ -رحمه الله تعالى- عنهم:

٤٤٠٥- فَهُمْ الْأَلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيْقِهِمْ وَالْكَفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «فَهُمُ الْأَلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيْقِهِمْ»؛ يعني: لا شكَّ أنَّ هؤلاء فسقةٌ.

إِذْ العوالمُ الذين في بلد البدع الآن أو في بلدٍ فيه شركٌ وهم مسلمون، هؤلاء العوالمُ -على كلامِ ابنِ القيمِ- فسقةٌ؛ لأنَّهم يمكنهم طلبُ العلمِ، ولكنهم أدخلوا إلى الجهلِ واستسهلوا التقليدَ، وقالوا: ما لنا وللبحثِ؟ الشَّيْخُ الفلانيُّ يقولُ: هذا جائزٌ، والشَّيْخُ الفلانيُّ على هذا الطَّرِيقِ، والشَّيْخُ الفلانيُّ يرانا ولم ينهنا! لسنا بملزومين، فعذا ذكروا أهل السنة قالوا: اترك هؤلاء! هؤلاء متشدِّدون! هؤلاء متزمتون! هؤلاء فيهم كذا! وهؤلاء فيهم كذا! لسنا ملزومين بهم! يقولُ ابنُ القيمِ: لا شكَّ في أنَّ هؤلاء فسقةٌ.

قَوْلُهُ: «وَالْكَفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ»؛ أي: في تفكيرهم قولان: هل يكفرون أو

لا؟

فَمَنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلاءِ كَالَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزُّخْرَف: ٢٢] يرى أنَّهم كُفَّارٌ.

والذي يقولُ: هؤلاءُ جُهَّالٌ يظنُّون أنَّ علماءهم أعلمُ من الآخرين، يقولُ: هؤلاءُ عندهم عذرٌ، فهم فسقةٌ.

وعلى هذا نأخذ الاتفاق على أن هؤلاء لا يُوصفون بالعدالة؛ لأنَّ حالهم دائرة بين الفسق والكفر، أمَّا أن يكونوا عدوًّا فلا.

٤٤٠٦- وَالْوَقْفُ عِنْدِي فِيهِمْ لَسْتُ الَّذِي بِالْكَفْرِ أَنْعَتَهُمْ وَلَا الْإِيمَانَ

يعني: يرى الوقف، فهو يتوقف هل هم فساق أم هم كفار؟ إن قلنا: «إثمهم فساق» كانوا من المؤمنين الفسقة، وإن قلنا: «كفار» خرجوا من دائرة الإسلام، وهو - رحمه الله تعالى - يرى التوقف؛ ولذا قال: «لست الذي بالكفر أنعتهم ولا الإيمان»؛ يعني: لا أقول: كفار، ولا أقول: مؤمنون.

وهل الوقف قول أو يُعتبر جهلاً؟

فيه خلاف، بعض العلماء يقول: إنَّ التوقف ليس بقول، ولكنه جهل، وبعض العلماء يقول: هو قول؛ يعني: أنه قال بما تعارضت فيه الأدلة، وفرق بين الذي يقول: (لا أدري) وهو عامي، وبين الذي بحث ولكن لم يتبين له أحد الأمرين من الأدلة، فيقول: (أنا متوقف)؛ ولهذا ينقل أصحاب الإمام أحمد - رحمه الله - عن الإمام أحمد في المسألة قولاً بالوقف، فيقولون: (وعنه)؛ يعني: عن الإمام أحمد (التوقف)، وهذا يدل على أنه قول، وهو عند التأمل كذلك؛ لأنَّ المجتهد إذا توقف فيعني ذلك أنه قد تعارضت عنده الأدلة، لأنه عنده علم، بخلاف العامي الذي تسأله فتقول: هل هذا حرام؟ فيقول: (والله لا أدري)، فهذا متوقف للجهل، أما العالم المجتهد فمتوقف للعلم.

فابن القيم - رحمه الله - يكون متوقفاً عن علم لا عن جهل؛ لأنَّ فيهم من الأوصاف ما يقتضي كفرهم، وفيهم من الأوصاف ما يقتضي أنهم فسقة وليسوا كفاراً.

٤٤٠٧- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْبِطَانَةِ مِنْهُمْ وَلَنَا ظَهَارَةٌ حُلَّةِ الْإِعْلَانِ

الله أعلم بالبطانة، هل هم معذرون أم لا؟ أمّا نحن فليس لنا إلا الظاهر، وظاهر حالهم الكفر من وجه، والعدو من وجه آخر؛ ومن ثم حصل التوقف.

٤٤٠٨- لَكِنَّهُمْ مُسْتَوْجِبُونَ عِقَابَهُ قَطْعًا لِأَجْلِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

يعني: هؤلاء مستحقون للعقوبة لبغيهم وعدوانهم على أهل السنة؛ حيث نعتوهم بالكفر تقليدًا لعلمائهم وذوي الأمر منهم.

٤٤٠٩- هَبُّكُمْ عُدْرَتُمْ بِالْجَهَالَةِ، إِنَّكُمْ لَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ

٤٤١٠- وَالطُّغْنُ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَهَادَةِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

٤٤١١- وَكَذَلِكَ اسْتِحْلَالُ قَتْلِ مُحَالِفِيكُمْ قَتْلَ ذِي الْإِشْرَاكِ وَالْكَفْرَانِ

٤٤١٢- إِنَّ الْخَوَارِجَ مَا أَحَلُّوا قَتْلَهُمْ إِلَّا لِمَا أَرْتَكِبُوا مِنَ الْعِصْيَانِ

٤٤١٣- وَسَمِعْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ فِيهِمْ، وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبْيَانِ

٤٤١٤- لَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَبْحَثْتُمْ قَتْلَهُمْ بِوِفَاقِ سُنتِهِ مَعَ الْقُرْآنِ

٤٤١٥- وَاللَّهُ مَا زَادُوا النَّقِيرَ عَلَيْهِمَا لَكِنْ بِتَقْرِيرٍ مَعَ الْإِيمَانِ

٤٤١٦- فَبِحَقِّ مَنْ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْإِنْصَافِ وَالْعِرْفَانِ

٤٤١٧- أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمِ الْخَوَارِجِ بِالذِّي قَالَ الرَّسُولُ فَأَوْضَحُوا بَيَانَ

٤٤١٨- هُمْ يَقْتُلُونَ الْعَابِدِي الرَّحْمَنِ، بَلْ يُدْعُونَ أَهْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

٤٤١٩- هَذَا وَلَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ، وَلَا عَزْلِ النَّصُوصِ الْحَقِّ بِالْبُرْهَانِ

الشرح

٤٤٠٩- هَبُّكُمْ عُدْرَتُمْ بِالْجَهَالَةِ، إِنَّكُمْ لَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ
قَوْلُهُ: «هَبُّ» بمعنى: قَدَّرَ أَنْ الْأَمْرَ كَذَا.

يعني: قَدَّرُوا أَنَّكُمْ عُدْرَتُمْ بِالْجَهَالَةِ فَلَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ.

٤٤١٠- وَالطُّغْنِ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَهَادَةِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

لَا تُعْذَرُونَ بِهَذَا؛ يعني: لو عذرناكم بالجهالة، وقلنا: لا حساب عليكم فيما بينكم وبين الله، لن نعذرکم بالعدوانِ علينا وَوَصَفْنَا بِالْكَفْرِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٤١١- وَكَذَلِكَ اسْتِحْلَالُ قَتْلِ مُخَالِفِيهِ كُمْ قَتْلَ ذِي الْإِشْرَاكِ وَالْكَفْرَانِ

يعني: أَنْكُمْ لَا تُعْذَرُونَ بِقَتْلِ مُخَالِفِيكُمْ؛ لِأَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْبِدْعِ يَقْتُلُونَ مَنْ يَخَالِفُهُمْ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ مَبَاحِو الدِّمِّ وَالْمَالِ فَيَقْتُلُونَهُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ لَا يُعْذَرُونَ بِهَذَا؛ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا جُهَّالًا.

٤٤١٢- إِنَّ الْخَوَارِجَ مَا أَحَلُّوا قَتْلَهُمْ إِلَّا لِمَا أَزْتَكَبُوا مِنَ الْعِصْيَانِ

فَالآنَ يَرِيدُ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنْ يُقَارِنَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ، فَالْخَوَارِجُ كَفَرُوا الْعِصَاةَ «أَهْلَ الْكِبَائِرِ»، وَيَقُولُونَ: فَاعِلُ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، فَالَّذِي يَسْرِقُ دَرَهْمًا كَالَّذِي يَعْبُدُ صِنًا عِنْدَ الْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّهُمْ يُكْفَرُونَ بِالْكِبَائِرِ، وَكُلُّ كَبِيرَةٍ فَهِيَ عِنْدَهُمْ مُكْفَرَةٌ، فَالْخَوَارِجُ مَا اسْتَحْلَلُوا قَتْلَ الْعِصَاةِ إِلَّا لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُمْ

كُفَّارًا خَارِجِينَ عَنِ دِينِ اللَّهِ.

٤٤١٣- وَسَمِعْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ فِيهِمْ، وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبْيَانِ

فماذا قال النبي ﷺ في الخوارج؟ إنه أمر بقتلهم، وقال: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١)، أعوذُ بالله، السَّهْمُ إِذَا ضَرَبَ الرَّمِيَّةَ يَضْرِبُهَا بِسُرْعَةٍ وَيَخْرُجُ، فَالْخَوَارِجُ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ لِأَنَّ إِيْمَانَهُمْ لَا يَجَاوِزُ حَنَا جَرَهُمْ، وَقَالَ: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَا جَرَهُمْ»^(٢)، وَقَالَ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)، وَشَدَّدَ فِيهِمْ.

فهؤلاء الخوارج كفروا العصاة، وأباحوا قتلهم، واستحلوا دماء المسلمين لكونهم عصوا الله عز وجل، أمّا هؤلاء المعتدون المبتدعة الذين أحلوا قتل أهل السنة والجماعة أحلوا قتلهم على طاعة الله.

٤٤١٤- لَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَبْحِثْتُمْ قَتْلَهُمْ بِوِفَاقِ سُنَّتِهِ مَعَ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «بِوِفَاقِ سُنَّتِهِ مَعَ الْقُرْآنِ» أَي: سُنَّةَ الرَّسُولِ ﷺ مَعَ الْقُرْآنِ. أَي: أَنْتُمْ أَبْحِثْتُمْ قَتْلَ مَنْ يَقُولُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٤٤١٥- وَاللَّهُ مَا زَادُوا النَّقِيرَ عَلَيَّهِمَا لَكِنْ بِتَقْرِيرٍ مَعَ الْإِيْمَانِ

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِمَا»؛ أَي: عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم:

كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

(٢) هذا جزء من الحديث السابق.

(٣) هذا جزء من الحديث السابق.

أي: ما زاد هؤلاء الذين حكمتهم بكفرهم وجواز قتلهم ما زادوا النقييرَ عليها؛ أي: على الكتابِ والسنةِ، ولم يتجاوزوهما، والنقييرُ يُضربُ مثلاً للقلّةِ والتحقيرِ، وفي القرآن: «قَطْمِيرٍ، وَنَقِيرٍ، وَفَتِيلٍ»، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، والنواةُ فيها ثلاثة أشياء: النقيير والفتيل والقَطْمِيرُ، كُلُّها في النواة:

١ - فالفتيلُ: العِرْقُ الذي يكونُ كالخيطِ في وسطِ النواةِ.

٢ - والنقييرُ: نقرةٌ في ظهرها، منها يُخرَجُ العِرْقُ إذا دُفِنَتْ في الأرضِ لينغرسَ في الطينِ وتخرجَ بإذنِ الله.

٣ - والقَطْمِيرُ: وهو الثوبُ الملفوفُ على النواةِ؛ أي: القشرة أو الغشاء، فيقول رحمه الله: إنهم ما زادوا نقيراً على الكتابِ والسنةِ.

وهنا أقسمَ ابنُ القيمِ - رحمه الله - أن أهلَ الإثباتِ ما زادوا على الكتابِ والسنةِ نقيراً، ولكن بتقريرٍ مع الإيمانِ، فهم قرّروا ما جاء بالكتابِ والسنةِ، وآمنوا به، ووضّحوه للناسِ، ولم يزيدوا عليه.

٤٤١٦- فَبِحَقِّ مَنْ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْتَّحْقِيقِ وَالْإِنْصَافِ وَالْعِرْفَانِ

معناه: من الذي خصّكم بالعلم والتّحقيق والإنصاف والعرفانِ وحرّمَ

هؤلاء؟

الجوابُ: لا أحدَ، بل بالعكس، هم الذين خصّهم الله بالعلم والتّحقيقِ

والإنصافِ والعرفانِ.

٤٤١٧- أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمِ الْخَوَارِجِ بِالَّذِي قَالَ الرَّسُولُ فَأَوْضِحُوا بَيَانَ قَوْلَهُ: «أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمِ الْخَوَارِجِ بِالَّذِي قَالَ الرَّسُولُ» ما الذي قال الرسول في الخوارج؟ قال: إِنَّهُمْ «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١)، فهل هم أحقُّ أم أنتم؟ هو يقول: أنتم أحقُّ منهم؛ لأنَّ الخوارجَ إِنَّمَا يُكْفِرُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَسْتَبِيحُونَ الدَّمَ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ، أَمَّا أَنْتُمْ فَتَكْفِرُونَ بِاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَبَيْنَكُمْ فَرْقٌ عَظِيمٌ.

قَوْلُهُ: «فَأَوْضِحُوا بَيَانَ» إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ بَيَانٌ فَأَوْضِحُوهُ، هَلْ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ أَمْ الْخَوَارِجُ؟

٤٤١٨- هُمْ يَقْتُلُونَ الْعَابِدِي الرَّحْمَنَ، بَلْ يُدْعُونَ أَهْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ يَعْنِي: أَنَّ الْخَوَارِجَ يَقْتُلُونَ عِبَادَ اللَّهِ، فَهَمَّ يَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُمْ عِنْدَهُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَقَوْلُهُ: «يُدْعُونَ»؛ يَعْنِي: بِاعْتِقَادِ الْخَوَارِجِ.

٤٤١٩- هَذَا وَلَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ، وَلَا عَزَلِ النَّصُوصِ الْحَقِّ بِالْبُرْهَانِ يَعْنِي: أَنَّ الْخَوَارِجَ لَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ، بَلْ يُثْبِتُونَ اللَّهَ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَعْزِلُونَ النَّصُوصَ عَنِ الْحَقِّ، بَلْ يُبْقُونَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

وَلَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الْخَوَارِجَ عَزَلُوا نَصُوصَ الرَّجَاءِ عَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا وَرَسُولُهُ، وَغَلَبُوا نَصُوصَ الْوَعِيدِ عَلَى نَصُوصِ الرَّجَاءِ، فَهَمَّ -بِلا شَكِّ- مَتَأَوَّلُونَ وَنَخَطُونَ فِي تَأْوِيلِهِمْ، وَمَحْرَفُونَ لِنَصُوصِ الرَّجَاءِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم: كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

لكن هل نقول: إن تحريفهم لنصوص الرجاء كتحريف هؤلاء لنصوص الصفات أو أشد؟

هذا هو محل النظر؛ فابن القيم -رحمه الله- يرى أن تحريف نصوص الصفات أشد وأعظم من تحريف نصوص الرجاء؛ لأن تحريف نصوص الرجاء غاية ما فيه أنه تحريف لثواب الله وجزائه فقط، بخلاف تحريف نصوص الصفات؛ فإنه تعطيل الله عز وجل من كماله.

وهنا مسألة: هل الخوارج كفار؟

فالخوارج سئل عنهم علي بن أبي طالب فقال: «إِنَّهُمْ مِنَ الْكُفْرِ قُرُوءًا»^(١)، وتوقف فيهم.

ومن العلماء من قال: إن الداعية لبدعته منهم يكون كافراً.

ومنهم من كفرهم مطلقاً.

فالعلماء مختلفون فيهم، ولا شك أن قتلهم واجب لدفع شرهم، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل، ولا يقال: إن قول الرسول ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢) دليل على كفرهم؛ لأن قوله ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ»؛ قد يعني أنهم يمرقون في شيء من أحكامه.

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٥٠/١٠)، رقم (١٨٦٥٦)، وابن أبي شيبة (٥٤٨/٧)، رقم (٣٧٨٤٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم:

كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

فصل

- ٤٤٢٠- وَالْآخَرُونَ فَأَهْلُ عَجَزٍ عَنِ بُلُو
 غِ الْحَقِّ مَعَ قَصْدٍ وَمَعَ إِيْمَانٍ
 ٤٤٢١- بِاللهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَلِقَائِهِ
 وَهُمْ إِذَا مَيَّزْتَهُمْ صَرَبَانِ
 ٤٤٢٢- قَوْمٌ دَهَاهُمْ حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِمَا
 قَالَتْهُ أَشْيَاخُ ذُووِ أَسْنَانِ
 ٤٤٢٣- وَدِيَانَةٍ فِي النَّاسِ لَمْ يَجِدُوا سِوَى
 أَقْوَالِهِمْ، فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانِ
 ٤٤٢٤- لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْهُدَى لَمْ يَرْتَضُوا
 بَدَلًا بِهِ مِنْ قَائِلِ الْبُهْتَانِ
 ٤٤٢٥- فَأَوْلَاءِ مَعْدُورُونَ إِذْ لَمْ يَظْلِمُوا
 وَيُكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ
 ٤٤٢٦- وَالْآخَرُونَ فَطَالِبُونَ الْحَقِّ لَمْ
 كُنْ صَدَّهُمْ عَنْ عِلْمِهِ شَيْئَانِ
 ٤٤٢٧- مَعَ بَخْنِهِمْ وَمُصَنَّفَاتٍ، قَصَدَهُمْ
 مِنْهَا وَصُورَهُمْ إِلَى الْعِرْفَانِ
 ٤٤٢٨- إِحْدَاهُمَا طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ سِوَى
 أَبْوَابِهَا مُتَسَوِّرِي الْجُدْرَانِ
 ٤٤٢٩- وَسُلُوكُ طُرُقٍ غَيْرِ مُوصِلَةٍ إِلَى
 دَرْكِ الْيَقِينِ وَمَطْلَعِ الْإِيْمَانِ
 ٤٤٣٠- فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ
 مِثْلَ اشْتِبَاهِ الطَّرِيقِ بِالْحَيْرَانِ
 ٤٤٣١- فَتَرَى أَفْضِلَهُمْ حَيَارَى كُلَّهُمْ
 فِي النَّيِّهِ يَقْرَعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ
 ٤٤٣٢- وَيَقُولُ: قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطَّرُقُ، لَا
 أَدْرِي الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِي
 ٤٤٣٣- بَلْ كُلُّهَا طُرُقٌ مَخُوفَاتٌ، بِهَا أَلْ
 آفَاتٌ حَاصِلَةٌ بِإِلَاحْسَبَانِ

- ٤٤٣٤- فَالْوَقْفُ غَايَتُهُ وَآخِرُ أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ
 ٤٤٣٥- أَوْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَلِقَائِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 ٤٤٣٦- فَأَوْلَاءِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْأَجْرَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا أَوْ وَاسِعِ الْغُفْرَانِ

الشرح

المؤلف - رحمه الله - سبق أنه قال: إِنَّ الْجُهَّالَ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسْمَيْنِ، وَتَكَلَّمَ
 عَنِ الْقَسْمِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَكَلَّمُ هُنَا عَنِ الْقَسْمِ الثَّانِي، فَقَالَ:

- ٤٤٢٠- وَالْآخَرُونَ فَأَهْلُ عَجْزٍ عَنِ بُلُوغِ الْحَقِّ مَعَ قَصْدٍ وَمَعَ إِيْمَانٍ
 الْقَسْمُ الثَّانِي مِنَ الْجُهَّالِ: نَوْعٌ عَجَزُوا عَنِ بُلُوغِ الْحَقِّ مَعَ أَنْ قَصَدَهُمْ حَسَنٌ
 وَإِيْمَانُهُمْ قَوِيٌّ، لَكِنْ عَجَزُوا عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ.

- ٤٤٢١- بِاللهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَلِقَائِهِ وَهُمْ إِذَا مَيَّزْتَهُمْ ضَرْبَانِ
 يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ جَهْلٌ وَلَكِنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ
 هُمْ أَيْضًا «ضَرْبَانِ»؛ أَي: نَوْعَانِ.

- ٤٤٢٢- قَوْمٌ دَهَأَهُمْ حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِمَا قَالَتْهُ أَشْيَاخُ ذَوُو أَسْنَانٍ
 قَوْلُهُ: «أَسْنَانٍ» جَمْعُ «سِنَّ»، وَليْسَ الْمُرَادُ بِهِ الْعِظْمَ، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ السَّنَوَاتُ؛
 أَي: أَشْيَاخُ كِبَارٍ.

يعني: أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ لَمَّا قَرَأُوا مَا قَالَتْهُ أَشْيَاخُ ذَوُو أَسْنَانٍ وَكَذَلِكَ:

- ٤٤٢٣- وَدِيَانَةٍ فِي النَّاسِ لَمْ يَجِدُوا سِوَى أَقْوَالِهِمْ، فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانٍ

قَوْلُهُ: «وَدِيَانَةٌ فِي النَّاسِ» أَيضًا الْأَشْيَاخُ ذُوو دِينٍ، فَعِنْدَهُمْ كِبَرٌ وَمَشِيخَةٌ وَدِينٌ.

قَوْلُهُ: «لَمْ يَجِدُوا سِوَى أَقْوَالِهِمْ، فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانٍ»؛ يَعْنِي: أَتَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ كَلَامِ أَشْيَاخِهِمْ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَحَدًا أَقْدَرَ عَلَى بَيَانِ الْحَقِّ مِنْ أَشْيَاخِهِمْ، فَرَضُوا بِهَا عِنْدَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ بِأَمَانٍ؛ يَعْنِي: أَتَّهُمْ رَضُوا بِهَا وَهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنَّهَا حَقٌّ، لَا يَخَافُونَ مِنْ أَنَّهَا بَاطِلٌ.

٤٤٢٤- لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْهُدَى لَمْ يَرْتَضُوا بَدَلًا بِهِ مِنْ قَائِلِ الْبُهْتَانِ
يعني: لو أتتهم علموا بالحق ما رضوا به بدلًا، «من قائل البهتان»؛ يعني: ما رضوا بقول صاحب البهتان بدلًا عن الحق.

٤٤٢٥- فَأَوْلَاءِ مَعْدُورُونَ إِذْ لَمْ يَظْلَمُوا وَيُكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ
قَوْلُهُ: «إِذْ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «إِنْ»، لَكِنْ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ «إِذْ» وَ«إِنْ»؟

الجواب: «إِذْ» تَكُونُ الْجُمْلَةُ مَعَهَا تَعْلِيلِيَّةً؛ يَعْنِي: فَهَؤُلَاءِ مَعْدُورُونَ؛ لِأَنََّّهُمْ لَمْ يَظْلَمُوا وَيُكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَمَّا عَلَى نَسْخَةِ «إِنْ» فَتَكُونُ شَرْطِيَّةً؛ يَعْنِي: أَنَّ هَؤُلَاءِ مَعْدُورُونَ بِشَرَطِ الْأَلَّا يَظْلَمُوا وَيُكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ، وَمُؤَدَّى النُّسَخَتَيْنِ وَاحِدٌ، سِوَاءً جَعَلْتَهُ شَرْطًا أَمْ جَعَلْتَهُ تَعْلِيلًا.

٤٤٢٦- وَالْآخَرُونَ فَطَالِبُونَ الْحَقِّ لَكِنْ صَدَّهُمْ عَنْ عِلْمِهِ شَيْئَانِ

٤٤٢٧- مَعَ بَحْثِهِمْ وَمُصَنَّفَاتٍ، قَضَدَهُمْ مِنْهَا وَصُولُهُمْ إِلَى الْعِرْفَانِ

٤٤٢٨- إِحْدَاهُمَا طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا مُتَسَوِّرِي الْجُدْرَانِ

٤٤٢٩- وَسُلُوكُ طُرُقٍ غَيْرِ مُوَصَّلَةٍ إِلَى دَرْكِ الْيَقِينِ وَمَطْلَعِ الْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «الْآخَرُونَ»؛ أَي: الضَّرْبِ الثَّانِي، فَطَالِبُونَ الْحَقِّ.

هؤلاء طالبون للحق، لكن لم يصلوا إلى علمه، صدَّهم عن علمه شيئان:
الشيء الأول: «طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا» بدلاً من أن يرجعوا إلى الكتاب
والسنة في طلب الحقائق، رجَّعوا إلى طُرُقٍ أُخْرَى غير مُوَصَّلَةٍ إِلَى الْحَقِّ، فتشابهت
عليهم؛ ولهذا قال:

٤٤٣٠- فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ اشْتِبَاهِ الطُّرُقِ بِالْحَيْرَانِ
لَأَنَّ الطُّرُقَ تَشْتَبَهَتْ بِهِمْ، وَإِلَّا فَهَمَّ حَسَنُ النَّيَّةِ، قَاصِدُونَ لِلْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ،
لَكِنْ أَتَوْا الْبُيُوتَ مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا.

٤٤٣١- فَتَرَى أَفَاضِلَهُمْ حَيَارَى كُلُّهُمْ فِي التَّيِّهِ يَقْرَعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ
يعني: الأفاضل من هؤلاء تجدهم متحيرين؛ لأنه حيل بينهم وبين الوصول
إلى الحق؛ حيث لم يطرقوا طُرُقَ الْحَقِّ، ولم يأتوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا، فتشابهت
عليهم، فصاروا حَيَارَى يَقْرَعُونَ «نَاجِدَ النَّدْمَانِ»، والنَّاجِدُ هُوَ أَقْصَى الْأَضْرَاسِ،
والعادة أن الإنسان إذا ندم يقرع سنه ندماً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ
عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أُتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]، فالندمان إمَّا أَنْ يَبْقَى
يقرع سنه، وإمَّا أَنْ يَعَضَّ يَدَيْهِ.

٤٤٣٢- وَيَقُولُ: قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطُّرُقُ، لَا أَدْرِي الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِي
الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ السُّلْطَانِي هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، طَرِيقُ الْأَثَمَةِ وَأَهْلِ الْهُدَى.

٤٤٣٣- بَلْ كُلُّهَا طُرُقٌ مَخُوفَاتٌ، بِهَا أَلْ
أَفَاتٌ حَاصِلَةٌ بِأَلْحُسْبَانِ

٤٤٣٤- فَالْوَقْفُ غَايَتُهُ وَآخِرُ أَمْرِهِ
مَنْ غَيْرُ شَكِّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ

٤٤٣٥- أَوْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ
وَلِقَائِهِ وَفِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

قَوْلُهُ: «الْوَقْفُ غَايَتُهُ» مثل أهل الكلام، يقولون: إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ هُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ، فَهَمَّ حَيَارَى حَتَّى أُنْمَتَهُمْ يُصَرِّحُونَ بِالْحَيْرَةِ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ:

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ
وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ

وَأَزْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا
وَعَايَةُ دُنْيَانَا أَدَى وَوَبَالٌ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمَرِنَا
سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قَيْلَ وَقَالُوا^(١)

وقال: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهَجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَالِيًّا وَلَا تَرْوِي غَلِيًّا، وَوَجَدْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»^(٢)، هَذَا يَقُولُهُ إِمَامٌ مِنْ أُنْمَتِهِمْ وَهُوَ فخرُ الدِّينِ^(٣) الرَّازِيُّ، وَهَذَا إِقْرَارٌ

(١) الأبيات لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، وهي في طبقات الشافعية للسبكي (٨/٩٦)، وعيون الأنباء (٢/٢٨).

(٢) شرح القصيدة النونية (٢/٢٣٥)، وانظر: شرح الطحاوية (ص:٢٢٧).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، البكري، فخر الدين، ولد في الرِّي سنة (٥٤٤هـ)، وكان بارعًا في العلوم، مجيدًا للغة الفارسية والعربية، وتوفي في هراة سنة (٦٠٦هـ)، وانظر: الأعلام للزركلي (٦/٣١٣).

بأنَّ جميعَ البحثِ في علمِ الكلامِ كُلِّه هدرٌ لا يفيدُ.

وقال بعضهم: «لقد خُضْتُ البحرَ الخِصَمَّ - يعني: فلم أجد شيئاً يشفيني -
وها أنا أموتُ على عقيدةِ أُمِّي»^(١)، وعقيدةُ أمِّه أنَّها لم تبحث في علمِ الكلامِ، فُهي
على الفِطْرةِ.

فهؤلاء أهلُ شكٍّ وحيْرةٍ؛ لأنَّهم لم يأتوا البيوتَ من أبوابها.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ أَوْ دِينِهِ...»؛ يعني: ليسَ عنده شكٌّ في الله،
أو في الكتابِ، أو في الرَّسولِ، أو في القيامةِ، لكنَّهُ مُتَحَيِّرٌ، نَسَأَلَ اللهَ العَافيةَ.

٤٤٣٦- فَأَوْلَاءِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْأَجْرَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا أَوْ وَاسِعِ الْغُفْرَانِ

لهم أربعُ حالاتٍ، يقولُ: «بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْأَجْرَيْنِ»؛ أي: إذا أصَابَ، «أَوْ
إِحْدَاهُمَا»؛ أي: الأجر الواحد إذا أخطأ، «أَوْ وَاسِعِ الْغُفْرَانِ»؛ أي: يغفرُ اللهُ لهم؛
لأنَّ هؤلاءِ قَصَدُوا وبحثوا، لكن لَمَّا لم يأتوا البيوتَ من أبوابها، ولم يَسْلُكُوا
الطَّرِيقَ التي تُوصِلُ إلى الحقِّ بقوِّ جاهِلين، لا يَعْرِفون شيئاً عن الحقِّ، فهؤلاءِ
تُرْجَى لهم المغفرةُ؛ لأنَّ معهم عَجْزاً وتردُّدًا، فهؤلاءِ لَمَّا صاروا يُطالعون ويَبْحَثون
صار عندهم شكٌّ وتردُّدٌ.

٤٤٣٧- فَاَنْظُرْ إِلَى أَحْكَامِنَا فِيهِمْ وَقَدْ جَحَدُوا النَّصُوصَ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٤٤٣٨- وَانظُرْ إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا لِأَجْلِ خِلَافِهِمْ، إِذْ قَادَهُ الْوَحْيَانِ

(١) قاله الإمام الجويني، وذكره ابن تيمية، انظر: الحموية لابن تيمية (ص: ٧)، وانظر: ابن أبي العز
الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط (٨).

- ٤٤٣٩- هَلْ يَسْتَوِي الْحُكَّامَانِ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ
عِنْدَ الرَّسُولِ وَعِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ
- ٤٤٤٠- الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولُهُ
بِالنَّصِّ يَثْبُتُ، لَا يَقُولُ فُلَانٍ
- ٤٤٤١- مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ
قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَاكَ ذُو الْكُفْرَانِ
- ٤٤٤٢- فَهَلُمْ وَيُحْكَمُ نُحَاكِمُكُمْ إِلَى الْ-
وَحْيَيْنِ مِنْ حَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
- ٤٤٤٣- وَهُنَاكَ يُعْلَمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْ-
كُفْرَانِ حَقًّا، أَوْ عَلَى الْإِيمَانِ
- ٤٤٤٤- فَلِيَهْنِكُمْ تَكْفِيرٌ مَنْ حَكَمْتَ بِإِسْمِ
سَلَامٍ وَإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ
- ٤٤٤٥- لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةَ مَنْ سِوَى الْ-
مَعْصُومِ، غَايَةُ نَوْعِ ذَا الْإِحْسَانِ
- ٤٤٤٦- خَطَأً يَصِيرُ الْأَجْرُ أَجْرًا وَاحِدًا
إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجْلِهِ الْكُفْلَانِ
- ٤٤٤٧- إِنْ كَانَ ذَاكَ مُكْفِّرًا يَا أُمَّةَ الْ-
عُدْوَانِ مَنْ هَذَا عَلَى الْإِيمَانِ
- ٤٤٤٨- قَدْ دَارَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ وَالنَّ-
تَكْفِيرِ بِالِدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانِ
- ٤٤٤٩- كَفَرْتُمْ وَاللَّهُ مَنْ شَهِدَ الرَّسُولَ
لُ بَأَنَّهُ حَقًّا عَلَى الْإِيمَانِ
- ٤٤٥٠- ثِنْتَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ وَخَصْلَةٌ
مِنْ عِنْدِكُمْ، أَفَأَنْتُمَا عَدْلَانِ

الشرح

٤٤٣٧- فَانظُرْ إِلَى أَحْكَامِنَا فِيهِمْ وَقَدْ
جَعَدُوا النَّصُوصَ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

ومع ذلك نعدرُ جاهلهم الحريص على طلب الحق، الذي لم يوفق لطلبه من الطرق الصحيحة.

٤٤٣٨- وَأَنْظُرْ إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا لِأَجْب - لِي خِلَافِهِمْ، إِذْ قَادَهُ الْوَحْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَنْظُرْ إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا» والذي حكموا فينا هو حكمهم علينا بالكفر.

قَوْلُهُ: «لِأَجْلِ خِلَافِهِمْ»؛ يعني: لأجل أننا خالفناهم صرنا كُفَّارًا في زعمهم.

قَوْلُهُ: «إِذْ قَادَهُ الْوَحْيَانِ»؛ أي: قاد خالفنا معهم الوحيان. يعني: نحن لم نخالفهم بأهوائنا، ولكن بقيادة الكتاب والسنة.

٤٤٣٩- هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ عِنْدَ الرَّسُولِ وَعِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ

الجواب: لا؛ لأننا نحن حكمنا فيهم بالعدل، وهم حكموا فينا بالجور والطغيان، ثم ذكر المؤلف - رحمه الله - قاعدة مفيدة مهمة، ما أحوج الناس إليها في هذا الزمان! إذ يقول:

٤٤٤٠- الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ بِالنَّصِّ يَثْبُتُ، لَا بِقَوْلِ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «الْكَفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ» نعم، هذه قاعدة عظيمة، أن الكفر حق لله، وحق للرسول، والذي يحكم بأن الشيء كفر أو غير كفر هو الله ورسوله، كما أن الذي يحكم بأن هذا حلالٌ وهذا حرامٌ هو الله ورسوله، فإذا كان الله يقول في القرآن: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، فكذلك نقول: لا تقولوا: هذا مؤمنٌ وهذا كافرٌ، لتفتروا على الله الكذب.

وقَوْلُهُ: «بِالنَّصِّ»؛ أي: بنص على الكفر واضح، وأي نص تجد به الكفر غير صريح فلا تحكم بالكفر، بل لا بد أن يكون نصًا صريحًا، حتى لو قاله من قاله لا تتبعه.

٤٤٤١- مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَلِكَ ذُو الْكُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ» أي: الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، «قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَلِكَ ذُو الْكُفْرَانِ»، وَمَنْ لَمْ يُكْفِّرَاهُ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ.

٤٤٤٢- فَهَلُمَّ وَيُحْكَمْ نُحَاكِمِكُمْ إِلَى الْوَحْيَيْنِ مِنْ خَيْرٍ وَمَنْ قُرَّانِ

٤٤٤٣- وَهُنَاكَ يُعَلِّمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْكُفْرَانِ حَقًّا، أَوْ عَلَى الْإِيمَانِ

٤٤٤٤- فَلْيَهْنِكُمْ تَكْفِيرٌ مِنْ حَكَمْتِ بِإِسْلَامٍ وَإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ

قَوْلُهُ: «فَلْيَهْنِكُمْ»؛ يَعْنِي: لَكُمْ الْهِنَاءُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّهْكُمِ بِهِمْ.

قَوْلُهُ: «تَكْفِيرٌ مِنْ حَكَمْتِ بِإِسْلَامٍ وَإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ» «النَّصَّانِ»: فاعِلُ «حَكَمْتِ»؛ يَعْنِي: مَنْ حَكَمْتَ لَهُ النَّصَّانِ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ تُكْفِرُونَهُ.

٤٤٤٥- لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةَ مَنْ سِوَى الْوَحْيَيْنِ غَايَةُ نَوْعِ ذَا الْإِحْسَانِ

يَعْنِي: غَايَةُ هَذَا الَّذِي حَكَمْتُمْ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ «كَغَايَةَ مَنْ سِوَى الْمَعْصُومِ، غَايَةُ نَوْعِ ذَا الْإِحْسَانِ».

٤٤٤٦- خَطَأً يَصِيرُ الْأَجْرُ أَجْرًا وَاحِدًا إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجَلِهِ الْكِفْلَانِ

قَوْلُهُ: «خَطَأً يَصِيرُ الْأَجْرُ أَجْرًا وَاحِدًا»، وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: «فَيَصِيرُ الْأَجْرَيْنِ أَجْرًا وَاحِدًا»، وَالْمَعْنَى عَلَى النَّسْخَتَيْنِ وَاحِدٌ؛ يَعْنِي: أَنَّ الْخَطَأَ إِذَا كَانَ مِنْ مَجْتَهِدٍ يَجْعَلُ لَهُ بَدَلَ الْأَجْرَيْنِ أَجْرًا وَاحِدًا.

قَوْلُهُ: «إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجَلِهِ الْكِفْلَانِ» وَإِنَّمَا يَفُوتُ مِنْ أَجَلِهِ الْكِفْلَانِ إِذَا أَخْطَأَ، فَالْمَجْتَهِدُ إِذَا مَصِيبٌ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنَّمَا مُحْطِيٌّ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ.

٤٤٤٧- إِنْ كَانَ ذَلِكَ مُكْفَرًا يَا أُمَّةَ الْـ عُدْوَانٍ مَنْ هَذَا عَلَى الْإِيمَانِ

يعني: إن كان الاجتهاد الذي يبذله الإنسان ثم يُخطئ فيه على أي تقدير كفرًا، فمن الذي على الإيمان؟ والاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ.

٤٤٤٨- قَدْ دَارَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ وَالتَّـ تَكْفِيرٍ بِالِدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «بَيْنَ الْأَجْرِ» وَذَلِكَ إِنْ أَخْطَأَ.

قَوْلُهُ: «الْأَجْرَيْنِ»؛ أَي: إِنْ أَصَابَ.

قَوْلُهُ: «والتَّكْفِيرِ» هذا ليس بصحيح، ليس هناك تكفير؛ ولهذا قال: «بِالدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانَ».

٤٤٤٩- كَفَرْتُمْ وَاللَّهِ مَنْ شَهِدَ الرَّسُولَ لُ بِأَنَّهُ حَقًّا عَلَى الْإِيمَانِ

وقد جاءت شهادة الرسول بأنه «حقًا على الإيمان» من أن إثبات الأجر له يدل على أنه مؤمن؛ إذ إن الكافر ليس له أجر ولو أصاب.

٤٤٥٠- ثِنْتَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ وَخَصْلَةٌ مِنْ عِنْدِكُمْ، أَفَأَنْتُمْ عَدْلَانِ

قَوْلُهُ: «ثِنْتَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ» وهما: الأجر أو الأجران.

قَوْلُهُ: «وَخَصْلَةٌ مِنْ عِنْدِكُمْ» وهي التَّكْفِيرُ.

قَوْلُهُ: «أَفَأَنْتُمْ عَدْلَانِ؟»؛ يعني: أنتم مع الرسول «عدلان»؛ يعني: بعضكم يعدل بعضًا فتحكمون كما يحكم الرسول، والاستفهام هنا للنفي والإنكار.

فصل

في تلاعب الكافرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان؟

- ٤٤٥١ - كَمْ ذَا التَّلَاعِبُ مِنْكُمْ بِالَّذِينَ وَالْ
إِيمَانٍ مِثْلَ تَلَاعِبِ الصَّبِيَانِ؟
- ٤٤٥٢ - خُسِفَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا خُسِفَتْ عُقُوبُ
لَكُمْ، فَلَا تَزْكُوا عَلَى الْقُرْآنِ
- ٤٤٥٣ - كَمْ ذَا تَقُولُوا: مُجْمَلٌ وَمُفْصَلٌ
وظواهرٌ عَزَلْتُ عَنِ الْإِيقَانِ
- ٤٤٥٤ - حَتَّى إِذَا رَأَى الرَّجَالِ أَتَاكُمْ
فَأَسْمَعُ لِمَا يُوحَى بِلَا بُرْهَانِ
- ٤٤٥٥ - مِثْلُ الْخَفَافِيشِ الَّتِي إِنْ جَاءَهَا
ضَوْءُ النَّهَارِ فِيهِ كُوى الْحِيطَانِ
- ٤٤٥٦ - عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ لَا تُطِيبُ
قِي هِدَايَةً فِيهَا إِلَى الطَّيْرَانِ
- ٤٤٥٧ - حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ
جَالَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانِ
- ٤٤٥٨ - فَتَرَى الْمَوْحِدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ
وَيَرَاهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَهَوَانِ
- ٤٤٥٩ - وَارْحَمْتَاهُ لِعَيْنِهِ وَلَاذُنِهِ
يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَانِ
- ٤٤٦٠ - إِنْ قَالَ حَقًّا كَفَرُوهُ، وَإِنْ يَقُولُ
لُوا بَاطِلًا نَسَبُوهُ لِلْإِيمَانِ
- ٤٤٦١ - حَتَّى إِذَا مَا رَدَّهُ عَادُوهُ مِنْ
لَعَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
- ٤٤٦٢ - قَالُوا لَهُ: (خَالَفْتَ أَقْوَالَ الشُّيُوعِ
خ) وَلَمْ يُبَالُوا الْخُلْفَ لِلْفُرْقَانِ
- ٤٤٦٣ - خَالَفْتَ أَقْوَالَ الشُّيُوعِ فَأَنْتُمْ
خَالَفْتُمْ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

٤٤٦٤- خَالَفْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ، وَإِنَّمَا خَالَفْتُمْ مِنْ جَرَّاهُ قَوْلَ فُلَانٍ
٤٤٦٥- يَا حَبَدًا ذَاكَ الْخِلَافُ، فَإِنَّهُ عَيْنُ الْوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله - في هذا الفصل أن هؤلاء الذين يكفرون أهل السنة يتلاعبون بالدين كتلاعب الصبيان؛ ولذا قال:

٤٤٥١- كَمْ ذَا التَّلَاعِبُ مِنْكُمْ بِالَّذِينَ وَالْإِيمَانَ مِثْلَ تَلَاعِبِ الصَّبِيَانِ؟

يعني: كما يتلاعب الصبيان بالكرة وغيرها فأنتم تتلاعبون بالدين، تقولون: هذا حق وهذا باطل، وهذا كفر، وهذا إيمان، بدون برهان.

٤٤٥٢- خُسِفَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا خُسِفَتْ عُقُوبُكُمْ، فَلَا تَزْكُوا عَلَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «خُسِفَتْ قُلُوبُكُمْ»؛ يعني: ذهب نورها وانطمس؛ كما يُخَسَفُ الْقَمَرُ.

٤٤٥٣- كَمْ ذَا تَقُولُوا: مُجْمَلٌ وَمُفْصَلٌ وَظَوَاهِرٌ عَزَلْتُمْ عَنِ الْإِيقَانِ

يعني: أنكم تردون الكتاب والسنة بمثل هذه الأقوال، تقولون: هذا مجمل، وهذا مفصل، وهذه ظواهر لا تدل على اليقين، وما أشبه ذلك، وهذا هو ما يذهبون إليه الآن، إذا رأوا دليلاً خالف عقولهم قالوا: هذا ظاهر، والظاهر لا يدل على اليقين، نقول: وإذا كان الظاهر لا يدل على اليقين فما الذي يدل على اليقين؟!!

٤٤٥٤- حَتَّى إِذَا رَأَى الرَّجَالِ أَتَاكُمْ فَاسْمَعْ لِمَا يُوحَى بِلَا بُرْهَانَ

يعني: إذا جاءتكم الآراء فإنكم تسمعون لها بدون أي دليل، الأدلة من الكتاب والسنة ترد، وآراء الرجال التي لا دليل لها تقبل!

٤٤٥٥- مِثْلُ الْخَفَافِيشِ الَّتِي إِذَا جَاءَهَا ضَوْءُ النَّهَارِ فِيهِ كَوَى الْحَيْطَانِ

الخفافيش نوعٌ من الطيور، لكنّه طيرٌ بلا ريشٍ، جناحه عبارةٌ عن لحمٍ متّصلٍ بعضه ببعضٍ، ولا يأتي إلّا في الظلام، فلا يأتي في النهار أبداً، ولا يأتي في الليل المدلّهم، بل يأتي في أوّل الليل وفي آخره، وهو غيرٌ موجودٍ في المدن الآن؛ لأنّ الأنوارَ بها في الليل كالأنوارِ في النهار، وهو يصيرُ في محلٍّ لا نورَ فيه؛ لأنّ النورَ يُعميه، إذا جاء «ضوءُ النهارِ ففي كوى الحيطان»، و(الكوى) جمع «كوة»؛ يعني: تكون في الفرج، تتعلّق بالسُّقوف وهكذا.

٤٤٥٦- عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ لَا تُطِيبُ سُقُ هِدَايَةَ فِيهَا إِلَى الطَّيْرَانِ

فهو يقول: إنهم إذا عرّضت عليهم الأدلّة من الكتاب والسنة عمّوا عنها، كما تعمى الخفافيش في ضوء الشمس، وإذا عرّضت عليهم أقوال البشر قبلوها وفرحوا بها.

٤٤٥٧- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ جَالَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ

هذا التشبيه المراد به التّقيح؛ يعني: أراد بتشبيهِهم بهذه الخفافيش تقيح حالهم.

٤٤٥٨- فَتَرَى الْمَوْحِدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ وَيَرَاهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَهَوَانٍ

إذا رآهم الموحدُ وسمع قولهم صار في محنة وهوانٍ، كما قال المتنبّي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوَّ لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدٌّ^(١)

هذا من نكده الدنيا على الحرِّ، فهو لاء القوم الذين يأتون إلى مجالس أهل السنة ويتكلمون معهم ويجادلونهم يؤذون أهل السنة؛ يؤذونهم برويتهم، ويؤذونهم بأقوالهم.

٤٤٥٩- وَارْحَمَتَاهُ لِعَيْنَيْهِ وَلَاذُنَيْهِ يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأذُنَانِ
قَوْلُهُ: «وَارْحَمَتَاهُ لِعَيْنَيْهِ وَلَاذُنَيْهِ» لعينه إذا رآهم، ولاذنه إذا سمعهم.

٤٤٦٠- إِنْ قَالَ حَقًّا كَفَرُوهُ، وَإِنْ يَقُو لُوبًا طِلًّا نَسَبُوهُ لِلْإِيمَانِ
إن قال هذا السنِّي حقًا قالوا: (هذا كافرٌ)، وإن قالوا هم باطلاً قالوا: (هذا هو الإيمان)، فباطلهم إيمانٌ، وحقُّ المُنْبِتِ كفرٌ.

٤٤٦١- حَتَّى إِذَا مَارَدَهُ عَادُوهُ مِنْ لَعَلِّ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
حتى إذا ردَّ الباطل الذي نسبوه للإيمان عادوه «مثل عداوة الشيطان للإنسان»، فالشيطان قال للإنسان: ﴿ أَكْفَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ [الحشر: ١٦]؛ أي: تبرأ منه وصار من أعدائه.

٤٤٦٢- قَالُوا لَهُ: (خَالَفْتَ أَقْوَالَ الشُّيُوعِ) (خ) وَلَمْ يُبَالُوا الْخُلْفَ لِلْفُرْقَانِ
يعني: أنكروا عليه أنه خالف أقوال الشيوخ، ولم يُبالوا أنهم خالفوا الفرقان الذي هو القرآن.

٤٤٦٣- خَالَفْتُ أَقْوَالَ الشُّيُوعِ فَأَنْتُمْ خَالَفْتُمْ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
ولا شك أن الثاني أعظم، لأنه يقول: أنا (خَالَفْتُ أَقْوَالَ الشُّيُوعِ)، أمّا أنتم (خَالَفْتُمْ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ)، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤٤٦٤- خَالَفْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ، وَإِنَّمَا خَالَفْتُمْ مِنْ جَرَّاهُ قَوْلَ فُلَانٍ

يعني: خالفتم أنتم قول الرسول، أما أنا فخالفت «مِنْ جَرَّاهُ»؛ أي: من أجله ﷺ قول فلان.

٤٤٦٥- يَا حَبَّذَا ذَاكَ الْخِلَافُ، فَإِنَّهُ عَيْنُ الْوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «يَا حَبَّذَا» هذه كلمة يُرَادُ بِهَا الثَّنَاءُ.

يعني: ما أحسنَ هذا الخِلافَ الذي سَلَكَتَهُ! لَأنَّهُ (عَيْنُ الْوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ)، فَأَنَا مُخَالَفٌ بِزَعْمِكُمْ، وَلَكِنِّي مُوَافِقٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٤٦٦- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَعْدَاءَ الرَّسُولِ لِعَلَيْهِ عَابُوا الْخُلْفَ بِالْبُهْتَانِ

٤٤٦٧- لِشُيُوخِهِمْ، وَلِمَا عَلَيْهِ قَدْ مَضَى أَسْلَافُهُمْ فِي سَالِفِ الْأَرْمَانِ

٤٤٦٨- مَا الْعَيْبُ إِلَّا فِي خِلَافِ النَّصِّ، لَا رَأْيَ الرَّجَالِ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانِ

٤٤٦٩- أَنْتُمْ تَعَيَّبُونَا بِهَذَا، وَهُوَ مِنْ تَوْفِيقِنَا، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

٤٤٧٠- فَلِيَهْنِكُمْ خُلْفُ النَّصُوصِ، وَيَهِنُنَا خُلْفُ الشُّيُوخِ، أَيَسْتَوِي الْخُلَفَانِ؟

٤٤٧١- وَاللَّهُ مَا تَسْوَى عُقُولَ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ نَصًّا صَحَّحَ ذَا تَبْيَانِ

٤٤٧٢- حَتَّى نَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ مُعَرَّضِينَ مِنْ مُؤَوَّلِينَ مُحَرِّفِي الْقُرْآنِ

٤٤٧٣- وَاللَّهُ إِنَّ النَّصَّ فِيمَا بَيْنَنَا لِأَجَلٍ مِنْ آرَاءِ كُلِّ فُلَانٍ

الشرح

٤٤٦٦- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَعْدَاءَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ عَابُوا الْخُلُفَاءَ بِالْبُهْتَانِ

٤٤٦٧- لِشُيُوخِهِمْ، وَلِمَا عَلَيْهِ قَدْ مَضَى أَسْلَافُهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

يعني: أن أعداء الرسول عابوا على النبي ﷺ الخلفاء لشيوخهم، لكن هذا العيب صدق أو بهتان؟ الجواب: بهتان، فالنبي ﷺ لا يُعَابُ بمخالفة شيوخهم لتوحيد الله عز وجل، هم يقولون: هذا خالف آباءنا، سفة عقولهم، أغوى شبابنا، وما أشبه ذلك، وهم أهل العيب، يقول المؤلف رحمه الله:

٤٤٦٨- مَا الْعَيْبُ إِلَّا فِي خِلَافِ النَّصِّ، لَا رَأْيَ الرَّجَالِ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانِ

العيب هو ما كان فيه خلاف النص؛ أي: إن العيب حقيقة مخالفة النص لا مخالفة الآراء.

٤٤٦٩- أَنْتُمْ تَعْيِبُونَا بِهَذَا، وَهُوَ مِنْ تَوْفِيقِنَا، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

وَصَدَقَ رَحْمَةُ اللَّهِ، فِي كَوْنِهِمْ يَعْيِبُونَ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِالنَّصِّ، أَمَّا نَحْنُ فَنَرَى أَنَّ هَذَا مِنَ التَّوْفِيقِ، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ.

٤٤٧٠- فَلْيَهْنِكُمْ خُلْفُ النُّصُوصِ، وَيَهْنِنَا خُلْفُ الشُّيُوخِ، أَيَسْتَوِي الْخُلَفَاءُ؟

قَوْلُهُ: «أَيَسْتَوِي الْخُلَفَاءُ؟» الْجَوَابُ: لَا.

نحن نهنا بمخالفة الشيوخ إذا كانوا على باطل، وأنتم ليهنكم خلف النصوص، وهذا لا شك أنه من التهكم بهم؛ إذ لا يستوي الخلفاء: فخلف الشيوخ مع مخالفة النص واجب، وخلف النصوص محرم.

٤٤٧١- وَاللَّهِ مَا تَسْوَى عُقُولَ جَمِيعِ أَهْلِ
لِ الْأَرْضِ نَصَّاحًا ذَاتِيَّانِ

٤٤٧٢- حَتَّى نَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ مُعَرِّضِينَ
مِنْ مُؤَوَّلِينَ مُحَرِّفِي الْقُرْآنِ

وهذا صحيح؛ يعني: لو أننا وزنا عقول جميع أهل الأرض بنص صَحَّ عن النبي -عليه الصلاة والسلام- ما ساوته هذه العقول حتى نقدّمها؛ يعني: لا يمكن أن نقدّمها؛ لأنها لا تسوى.

٤٤٧٣- وَاللَّهِ إِنَّ النَّصَّ فِيهَا بَيْنَنَا
لَأَجَلٌ مِنْ آرَاءِ كُلِّ فُلَانٍ

وصدق في يمينه، وبرّ فيها، فالنصّ فيما بيننا أجل من آراء كلِّ أحدٍ.

٤٤٧٤- وَاللَّهِ لَمْ يَنْقِمْ عَلَيْنَا مِنْكُمْ
أَبَدًا خِلَافَ النَّصِّ مِنْ إِنْسَانٍ

٤٤٧٥- إِلَّا خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ بِزَعْمِكُمْ
وَكَاذِبْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ

٤٤٧٦- كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ
فِي كُتُبِهِ حَقًّا بِلَا كِثْمَانِ

٤٤٧٧- هَذَا وَخَالَفْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ
سَلِّ خِلَافِكُمْ فِي الْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

٤٤٧٨- فَالْأَشْعَرِيُّ مُصَرِّحٌ بِالِاسْتِوَا
ءِ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ

٤٤٧٩- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْيَدِي
مِنْ وَوَجْهِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ

٤٤٨٠- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِأَنَّ لِرَبَّنَا
سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

٤٤٨١- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ النَّزْو
لِ لِرَبَّنَا نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي

٤٤٨٢- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْأَصَا
بِعِ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ

- ٤٤٨٣- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ يَوْمَ
مَ الْحَشْرِ يُبْصِرُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ
٤٤٨٤- جَهْرًا يَرَوْنَ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ
رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
٤٤٨٥- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْمَجِي
ءِ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِأَنْتُكَرَانِ
٤٤٨٦- وَمُصْرِحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُوَوِّلِ
لِلْإِسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي السُّلْطَانِ
٤٤٨٧- وَمُصْرِحٌ أَنَّ الْأَلَى قَالُوا بِذَا التُّ
تَأْوِيلِ أَهْلِ ضَلَالَةٍ بَيِّنِ
٤٤٨٨- وَمُصْرِحٌ أَنَّ الَّذِي قَدْ قَالَهُ
أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكَرَ الْقُرْآنِ
٤٤٨٩- هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ
وَبِهِ يَدِينُ اللَّهُ كُلَّ أَوَانِ

الشرح

- ٤٤٧٤- وَاللَّهِ لَمْ يَنْقِمِ عَلَيْنَا مِنْكُمْ
أَبَدًا خِلَافَ النَّصِّ مِنْ إِنْسَانِ
٤٤٧٥- إِلَّا خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ بِزَعْمِكُمْ
وَكَذَبْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «إِلَّا خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ»، وفي نسخة: «لَكِنْ خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ»،
والأولى أوضح.

يعني: أنكم لم تنقموا علينا منّا خلافَ النَّصِّ أبداً، وإنّها تنقمون خلافَ
الأشعريِّ بزعمكم؛ يعني: أنتم تقولون: إنكم خالفتم الأشعريِّ ولم تنقموا علينا
يوماً من الأيام أننا خالفنا النَّصَّ.

قَوْلُهُ: «وَكَذَبْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ» يريدُ «بِالْإِنْسَانِ» الأشعريِّ، كذبتم عليه
بأنّه يوافقكم ويخالفنا.

٤٤٧٦- كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي كُتُبِهِ حَقًّا بِلا كِتْمَانِ

يعني: أتهم كفروا مَنْ قَالَ مَا قَالَ الأشعريُّ فِي كُتُبِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ
الأشعريُّ تَابِعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي آخِرِ الْأَمْرِ.

ثُمَّ قَالَ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مُبَيِّنًا أَنَّنَا نَحْنُ نُوَافِقُ الْحَقَّ أَيُّمَا كَانَ سِوَاهُ
كَانَ مِنَ الْأَشْعَرِيِّ أَمْ مِنْ غَيْرِهِ، يَقُولُ:

٤٤٧٧- هَذَا وَخَالَفَنَاهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُ - لَ خِلَافِكُمْ فِي الْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ -

يعني: مثلما خالفتموه أنتم في الفوق للرحمن نحن خالفناه في القرآن؛ لأنه -
رحمه الله- يرى أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه؛ أي: الكلام النفسي، الذي
سبق أن ابن القيم - رحمه الله - ذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية ردَّ عليه من تسعين
وجهًا.

قَوْلُهُ: «مِثْلَ خِلَافِكُمْ لَهُ فِي الْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ» فَهُوَ يُؤْمِنُ بِفَوْقِيَّةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
تُنْكِرُونَهَا؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ وَلَا تَحْتَ الْعَالَمِ،
وَلَا يَمِينِ الْعَالَمِ وَلَا شِمَالِ الْعَالَمِ، وَلَا مَتَّصِلًا وَلَا مُنْفَصِلًا، وَلَا مَبَايِنًا وَلَا مُحَايِثًا،
إِذَنْ يَكُونُ لَا شَيْءَ، أَمَّا الْأَشْعَرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَقَالَ وَصَّرَحَ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ
سَمَاوَاتِهِ.

٤٤٧٨- فَالْأَشْعَرِيُّ مُصَرِّحٌ بِالِاسْتِوَاءِ ءِ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ

وَالْأَشَاعِرَةُ لَا يَقُولُونَ لَا بِهَذَا وَلَا بِهَذَا، لَا يُؤْمِنُونَ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى مَعْنَاهُ
الْحَقِيقِيِّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِعُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْأَشْعَرِيُّ الَّذِي يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لَهُ
مُؤْمِنٌ بِالِاسْتِوَاءِ وَالْعُلُوِّ.

٤٤٧٩- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ - مِنْ وَجْهِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ» الْأَشْعَرِيُّ مُصَرِّحٌ بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلِلَّهِ يَدَانِ اثْنَتَانِ، كِلْتَاهُمَا يَمِينٌ مِنْ حَيْثُ الْبَرَكَةِ، وَمِنْ حَيْثُ الْقُوَّةِ، وَمِنْ حَيْثُ الْبَسْطِ، وَلَكِنْ إِحْدَاهُمَا يَمِينٌ وَإِحْدَاهُمَا شِمَالٌ مِنْ حَيْثُ ذَاتِ الْيَدِ، وَبِهَذَا نَجْمُ بَيْنِ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بِإِثْبَاتِ الشِّمَالِ لِلَّهِ (١) عَزَّ وَجَلَّ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا أَنَّ «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» (٢).

وَقَدْ وَرَدَتْ الْيَدَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَذَلِكَ فِي السُّنَّةِ عَلَى أَوْجِهِ ثَلَاثَةٌ: الْجَمْعُ، وَالتَّشْنِيَةُ، وَالْإِفْرَادُ، أَمَّا الْجَمْعُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١]، وَأَمَّا الْإِفْرَادُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ﴾ [الملك: ١]، وَأَمَّا التَّشْنِيَةُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى يَخَاطَبُ إِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَوْجِهِ الثَّلَاثَةِ سَهْلٌ بَأَنَّ نَقُولَ: أَمَّا الْجَمْعُ فَإِنَّهَا جُمِعَتْ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّنَاسُبِ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، الْمُضَافُ إِلَيْهِ «نَا» الدَّالَّةُ عَلَى الْعِظَمَةِ، فَجُمِعَتْ «الْيَدُ» لِتَكُونَ مُنَاسِبَةً لـ«نَا» الَّتِي لِلْعِظَمَةِ.

وَأَمَّا التَّشْنِيَةُ فَلَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحَقِيقَةُ أَنَّ لِلَّهِ يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ، وَأَمَّا الْإِفْرَادُ فَإِنَّ الْمَفْرَدَ الْمُضَافَ لَا يَمْنَعُ التَّعَدُّدَ؛ لِأَنَّهُ يَعْمُ، وَبِهَذَا يَصِحُّ التَّعْبِيرُ بِالتَّشْنِيَةِ وَالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ.

(١) كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رَقْمُ (٢٧٨٨).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعَقُوبَةُ الْجَائِرِ، وَالْحَثُّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، رَقْمُ (١٨٢٧).

قَوْلُهُ: «وَوَجْهَ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ» الأشعريُّ - رحمه الله - أيضًا يؤمنُ بأنَّ اللهَ له وجهٌ، قال اللهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٧]، وأمَّا أتباعُ الأشعريِّ الذين هم الأشاعرةُ فلا يؤمنون بوجهِ الله، بل يُحَرِّفُونَهُ.

٤٤٨٠- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِأَنَّ لِرَبَّنَا سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

المُصَرِّحُ هو الأشعريُّ يُصَرِّحُ «أَنَّ لِرَبَّنَا عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ»، وهنا قال: «بِأَنَّ لِرَبَّنَا... عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ»، ابنُ القيمِ - رحمه الله تعالى - في هذه النُويَّةِ يرفعُ المثنيَّ - أحيانًا - في موضعِ النَّصْبِ، وفي موضعِ الجَرِّ، ويرفعُه؛ يعني: يجعلُه بالألفِ؛ إمَّا لضرورةِ الشُّعْرِ، وإمَّا على لغةٍ مَنْ يُلْزَمُ المثنيَّ الألفَ مطلقًا.

والذي يظهرُ لي - واللهُ أعلمُ - أنَّه لأجلِ الصُّرورةِ؛ لأنَّه مرَّ علينا قبل ذلك أنَّه عطفَ مثنيَّ بالألفِ على مثنيَّ بالياءِ، وهذا يدلُّ على أنَّه إنَّما يفعلُ ذلكَ للضرورةِ، وقد ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنَّ ضرورةَ الشُّعْرِ كما تُوجِبُ أحيانًا صرفَ ما لا ينصرفُ، كذلك تُوجِبُ تغييرَ الحرفِ؛ أي: تغييرَ ما يُعَرَّبُ بالحروفِ.

قَوْلُهُ: «عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ» وهذا الذي أجمع عليه أهلُ السُّنَّةِ أنَّ اللهَ عَيْنَيْنِ ناظِرَتَيْنِ ينظرُ بهما عزَّ وجلَّ، وقد وَرَدَتِ العينانِ بصفةِ الجمعِ، وبصفةِ الإفرادِ، وبصفةِ الجمعِ كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وبصفةِ الإفرادِ كقوله تعالى يخاطبُ موسى: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، فنقولُ في الجمعِ بينهما كما قلنا في الجمعِ بين اليدينِ؛ أنَّ الجمعَ للتَّعْظِيمِ والمناسبةِ، والتَّعْظِيمُ واضحٌ، والمناسبةُ؛ لأنَّها أُضِيفَتْ إلى ما يفيدُ العظمةَ، أمَّا الإفرادُ فلأنَّه مفردٌ مضافٌ فلا ينافي التَّعدُّدَ؛ إذ إنَّ المفردَ المضافَ يكونُ للعمومِ.

وهل وَرَدَت العِينان بصفة التَّثْنِيَّة؟ نقول: جاءت في السُّنَّة، لكن جاءت على

وجهين:

الوجه الأوَّل: أتمَّها وردت بلفظٍ صريحٍ وهو قوله: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ عَيْنَيِ الرَّحْمَنِ»^(١)، ولكنَّ في صحَّته نظرًا إِلَّا أَنَّهُ يَقْوِيهِ مَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا فِي وَصْفِ الدَّجَالِ: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(٢)؛ أي: أعور العين لا أعور البدن، من العَوْر وهو العيب؛ لأنَّه جاء مُصَرَّحًا به، وهذا يدلُّ قطعًا على أَنَّ الله عينين فقط؛ لأنَّه لو كان له أكثر من عينين لكانت الزيادةُ على العينين كما لا، وإذا كانت كما لا فلا بُدَّ أن تُذكَرَ، وإذا ذُكِرَتْ حَصَلَ الفرقُ أو التَّمْيِيزُ بين هذا الأَعْوَرِ الدَّجَالِ وبين رَبِّ العالمين عَزَّ وَجَلَّ، فيظهُرُ الفرقُ بالزيادة، أمَّا كونُ الرَّسُولِ ﷺ يجعلُ الفرقَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ فهذا يدلُّ قطعًا على أَنَّ الله عينين اثنتين لا زيادة، ووجهُ ذلك أَنَّهُ لو كان له أكثر من ثنتين لكان الرَّائِدُ كما لا، وإذا كان كما لا فَإِنَّهُ لا يمكنُ أن يُهْمَلَهُ الرَّسُولُ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- ويغفله، ولقال: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَهُ ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ أَوْ عَشْرٌ»، فَلَمَّا لم يذكره عَلِمَ أَنَّهُ لا يزيدُ على عينين، لكن التَّمْيِيزُ؛ لأنَّ عَيْنَيِ الدَّجَالِ عَوْرَاوَيْنِ بخلاف عَيْنَيِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا أيضًا أمرٌ قد أجمع عليه سلفُ الأُمَّةِ، فكلُّ مَنْ تكلمَ من أصحابِ كتبِ العقائدِ يذكرونها بالتَّثْنِيَّةِ، وقد ذكر الأشعريُّ -رحمه الله- في كتاب «الإبانة»

(١) أخرجه العقيلي (١/ ٧٠) ترجمة ٧٢ إبراهيم بن يزيد الخوزي، والبخاري كما في كشف الأستار (١/ ٢٦٨، رقم ٥٥٣). قال الهيثمي (٢/ ٨٠): فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذَكَّرُ فِي الْكِتَابِ مَرْمٍ إِذْ أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، رقم (٣٤٣٩)، مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٦٩).

أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ أَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ، وَذَكَرَهُ -أَيْضًا- غَيْرُهُ، وَهَذَا نَعَرَفُ أَنَّ مَا حَصَلَ مِنْ بَعْضِ الطَّلَبَةِ الصَّغَارِ مِنَ الذَّبْذِبَةِ حَوْلَ الْعَيْنِينَ لَا أَصَلَ لَهُ، وَهَمْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَى: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، لَوْ فَطِنُوا لَمَا ذَكَرْنَاهُ لَكَانَ الْأَمْرُ جَلِيًّا وَاضِحًا.

٤٤٨١- وَمَصْرَحٌ أَيْضًا بِإِبْثَاتِ النَّزْوِ لِـ لِرَبِّنَا نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي

مَنْ الْمَصْرَحُ؟ الْجَوَابُ: الْأَشْعَرِيُّ، فَالْأَشْعَرِيُّ مُصْرَحٌ بِإِبْثَاتِ نَزْوِ رَبِّنَا نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي، وَالرَّفِيعُ الدَّانِي؛ يَعْنِي: السَّمَاءُ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ رَفِيعٌ، وَبِالنِّسْبَةِ لِلسَّمَاوَاتِ دَانٍ.

٤٤٨٢- وَمَصْرَحٌ أَيْضًا بِإِبْثَاتِ الْأَصَا بَعِ مِثْلِ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «ذُو الْبُرْهَانَ»؛ أَي: الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فَالْأَشْعَرِيُّ مُصْرَحٌ بِأَنَّ اللَّهَ أَصَابِعٌ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»^(١).

الْأَشَاعِرَةُ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ الْأَشْعَرِيِّ أَنْكَرُوا الْأَصَابِعَ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ أَصَابِعٌ، نَقُولُ: مَنْ الَّذِي قَالَ هَذَا؟ الْجَوَابُ: أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللَّهِ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، قَالُوا: هَذَا يَمْنَعُهُ اللَّفْظُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ اللَّهِ فِي أَجْوَانِنَا؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: «هَذَا بَيْنَ أَصَابِعِي» مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَصَابِعَ مَسَّتْهُ، وَإِذَا مَسَّتِ الْقَلْبَ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ اللَّهِ فِي صَدُورِنَا، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، إِذَنْ فَلَا يُرَادُ بِالْحَدِيثِ ظَاهِرُهُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، رقم (٢٦٥٤).

فنعول لهم: إِنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَخَاطَبُ الْأُمَّةَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَخَاطَبَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الصَّرَاحَةِ وَهُوَ يَرِيدُ غَيْرَهَا إِلَّا يُبَيِّنُهَا وَلَمْ يُبَيِّنْ، وَقَوْلُكُمْ: إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مِمَّاسَةً، هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، فَالْبَيِّنَةُ لَا تَسْتَلْزِمُ الْمِمَّاسَةَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وَمَعَ ذَلِكَ هَلْ هُوَ مِمَّاسٌ لِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ الْجَوَابُ: لَا، غَيْرُ مِمَّاسٍ، فَالسَّمَاءُ بَعِيدَةٌ مِنْهُ وَالْأَرْضُ بَعِيدَةٌ مِنْهُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا النَّاسَ يَقُولُونَ: «الْمَدِينَةُ بَيْنَ دِمَشْقَ وَمَكَّةَ»، وَهَلْ هِيَ مُحَادَّةٌ لَهَا؟ الْجَوَابُ: لَا، إِذْ بَيْنَ الْمَدِينَةِ فِي الْمَكَانِ لَا تَسْتَلْزِمُ الْمِمَّاسَةَ أَبَدًا، وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْحَدِيثِ حَقِيقَتَهُ، وَأَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ كَمَا قَالُوا: إِنَّهَا كِنَايَةٌ عَنِ التَّدْبِيرِ وَالسُّلْطَانِ التَّامِّ.

٤٤٨٣ - وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى مَ الْحَشْرِ يُبْصِرُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ

٤٤٨٤ - جَهْرًا يَرُونَ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يَرَى الْقَمَرَانِ

يعني: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَى يَوْمَ الْحَشْرِ؛ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَائِلُ هَذَا هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(١)، وَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ»^(٢)، وَهَلْ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ «كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟!» هَذِهِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٢٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

الرُّؤْيَةُ يُخَاطَبُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْمًا يَفْهَمُونَ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ وَأَنَّهَا رُؤْيَةٌ حَقِيقَةٌ، وَلَكِنْ أَنْكَرَ الْأَشَاعِرَةُ رُؤْيَةَ اللَّهِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى، كَيْفَ يُرَى هَلْ هُوَ جِسْمٌ حَتَّى يُرَى؟! لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَى، وَيَقُولُونَ: دَلِيلُنَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] هَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، و«لَنْ»: نَافِيَةٌ لِلتَّأْيِيدِ؛ يَعْنِي: لَنْ تَرَانِي لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، كَيْفَ تَقُولُونَ أَنْتُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى!؟

نَقُولُ لَهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَا اسْتَدَلَّتُمْ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرَى؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَر لِقَالَ: «لَا تَرَاهُ»، فَلَمَّا نَفَى الْأَخْصَّ ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ دَلَّ عَلَى وُجُودِ الْأَعْمِّ وَهُوَ الرُّؤْيَةُ، وَأَنَّ هُنَاكَ رُؤْيَةً لَكِنْ بَدُونَ إِدْرَاكِ، قَالُوا: سَبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ يُمْكِنُ رُؤْيَةٌ بَدُونَ إِدْرَاكِ؟ نَقُولُ: يُمْكِنُ، أَنْتُمْ الْآنَ تَرُونَ الشَّمْسَ وَلَا تُدْرِكُونَهَا، مَعَ أَنَّ نَقُولُ: لَوْ سَلَّمْنَا جَدًّا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ رُؤْيَةٌ بَدُونَ إِدْرَاكِ فِي الْمَخْلُوقِ فَإِنَّ هَذَا فِي الْخَالِقِ مُمْكِنٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَإِذَا كُنَّا لَا نَحِيطُ عِلْمًا بِاللَّهِ وَنَحْنُ نَحِيطُ عِلْمًا بِالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي نَدْرِكُهَا فَإِنَّ هَذَا كَذَلِكَ.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ فَالْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَيْكُمْ أَيْضًا؛ لِأَنَّنا لَوْ جَعَلْنَا الرُّؤْيَةَ مُسْتَحِيلَةً فِي حَقِّ اللَّهِ وَهِيَ عِنْدَكُمْ مُسْتَحِيلَةٌ؛ لِأَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ نَقْصٌ عَلَى زَعْمِكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِذَا رُئِيَ اللَّهُ فَهُوَ جِسْمٌ، وَالْجِسْمُ نَقْصٌ.

نَقُولُ: لَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ مُسْتَحِيلَةً لَكُونَتْ نَقْصًا فِي حَقِّ اللَّهِ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَسْأَلَهَا رَسُولٌ مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ رَسُولٌ مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ: «يَا رَبِّ أَرْنِي عَجْزَكَ، أَوْ أَرْنِي ظَلَمَكَ»، فَإِذَا كَانَ مُوسَى سَأَلَ دَلَّ هَذَا عَلَى إِمْكَانِ الرُّؤْيَةِ، لَكِنَّهَا فِي الدُّنْيَا لَا تُمْكِنُ؛ لِعَدَمِ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى تَحْمُلِهَا؛

ولهذا قال الله له: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾؛ يعني: في الدنيا؛ لأنه لا يمكن أن يتحمّل الرؤية، ولكن انظر إلى الجبل، وهذا قياس، ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلما نظر إلى الجبل ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، اندك وصار ترابًا، ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فموسى عليه السلام انبهر من عظمة الرب عز وجل ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، إذن الآية فيها ما يدل على إمكان الرؤية بسؤال موسى له.

وأما قوهم: «إنَّ لَنْ» تقتضي التأييد» فقول يرده القرآن؛ لأن الله قال: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]، ومع ذلك أخبر الله عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] يتمنون الموت، وهو يقول: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، فأتى بـ«أبدًا».

إذن «لَنْ» في قوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ذلك في الدنيا، أمّا الآخرة فلها شأن آخر، فالذي ندين الله به أن الله عز وجل يرى يوم القيامة بالبصر، ولكننا لا نحيط به؛ لأن الله أعظم وأجل من أن تدركه الأبصار.

والرب عز وجل يراه أهل الإيمان رؤية رضا في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة، ويراه كذلك المنافقون في عرصات القيامة، ولكنهم بعد ذلك يُحْجَبُونَ، والحكمة من هذا زيادة الحسرة عليهم والعياذ بالله؛ ولأنهم آمنوا ثم كفروا، ويراه كذلك الكفار على قول بعض أهل العلم، ولكنه محتجب عنهم، وظاهر النصوص أن الكفار الحُلَصَّ لا يرونه؛ لقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

٤٤٨٥- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْمَحْيِ ۚ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِإِلَانُكَرَانَ

مَنِ الْمُصَرِّحُ؟ الجواب: أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - صرَّحَ بأنَّ اللهَ تعالى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَهَذَا الْإِتْيَانُ هُوَ إِتْيَانُ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَهُوَ يَأْتِي بِنَفْسِهِ، وَلَكِنْ هَلْ يَأْتِي عَلَى كَيْفِيَّةٍ مَعْلُومَةٍ لَنَا؟ الْجَوَابُ: لَا؛ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ غَيْبِيٌّ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ يَأْتِي، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ يَأْتِي عَلَى كَيْفِيَّةٍ مَعِيْنَةٍ، وَهَلْ لِإِتْيَانِهِ كَيْفِيَّةٌ؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، فَمَا مِنْ مَوْجُودٍ إِلَّا وَلَهُ كَيْفِيَّةٌ، وَلَكِنْ هِيَ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ لَنَا؛ وَهَذَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْإِسْتِوَاءِ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ»، أَمَّا الْإِسْتِوَاءُ فَهُوَ «غَيْرُ مَجْهُولٍ»؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ الْمَعْنَى.

٤٤٨٦- وَمُصَرِّحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوِّلٍ لِلِإِسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «مُصَرِّحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوِّلٍ لِلِإِسْتِوَاءِ بِالْقَهْرِ» مَنْ هُوَ هَؤُلَاءِ؟ هُمُ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ عَطَّلُوا الْأَفْعَالَ الْإِخْتِيَارِيَّةَ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَوِيَ اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتِوَاءً اسْتِقْرَارًا أَوْ عَلَوًّا؛ لِأَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جَسْمًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مَحْدُودًا؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ مَحْدُودٌ لَهُ قَوَائِمٌ؛ أَي: مَحْدَدٌ، فَإِذَا قُلْتَ: «إِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» جَعَلْتَ اللَّهَ مَحْدُودًا، إِذَنْ عُلِّلُوا هَذَا بِوَجْهَيْنِ: الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: إِذَا جَعَلْتَ الْإِسْتِوَاءَ حَقِيقَةً لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَسْمًا، وَالْأَجْسَامُ مَتَمَاثِلَةٌ عَلَى زَعْمِهِمْ.

الْوَجْهَ الثَّانِي: إِذَا جَعَلْتَ الْإِسْتِوَاءَ حَقِيقَةً صَارَ مَحْدُودًا عَلَى مَحْدُودٍ؛ يَعْنِي: يَلْزِمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَحْدُودًا، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحْدُهُ شَيْءٌ.

إِذَنْ مَا الْمَعْنَى عَلَى رَأْيِهِمْ؟ يَقُولُونَ: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ يَعْنِي: «أَسْتَوَى وَمَلَكَ وَقَهَرَ»، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ أَجْلِ هَذَا التَّأْوِيلِ ادَّعَى أَنَّ خَلَقَ الْعَرْشَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ مِنْ أَجْلِ أَلَّا يَقُولَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَ اللَّهُ لَمْ يَسْتَوِ عَلَى الْعَرْشِ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ فَمَنْ الَّذِي لَهُ الْعَرْشُ قَبْلَ ذَلِكَ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَفْسِيرَ الْإِسْتَوَاءِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ بَاطِلٌ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ: أَنَّهُ خِلَافٌ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَأَنَّهُ خِلَافٌ مَا تَقْتَضِيهِ اللَّغَةُ، وَأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَلِكٌ لغيرِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَيْهَا وَغَالِبٌ لَهَا وَقَاهِرٌ لَهَا وَمَالِكٌ لَهَا، بَلْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى أَحَبِّتَ مِنْ هَذَا عَلَى زَعْمِهِمْ، فَهُوَ يَسْتَلْزِمُ لَوَازِمَ بَاطِلَةٍ، فَهُوَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ مَا لَزِمَ مِنْهُ الْبَاطِلُ فَهُوَ بَاطِلٌ.

٤٤٨٧- وَمُصَرِّحٌ أَنَّ الْأَكْلَى قَالُوا بِإِذَا التَّ - تَأْوِيلِ أَهْلِ ضَلَالَةٍ بَيَّانٍ

وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ، وَأَيُّ ضَلَالٍ أُبْلَغُ مِنْ ضَلَالِ شَخْصٍ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَوِ عَلَى عَرْشِهِ»؛ أَي: لَمْ يَعْلُ عَلَيْهِ؟! وَنَحْنُ نَوْمُنُ بِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ؛ أَي: عَالٍ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ هَلْ هَذَا الْعَلُوُّ هُوَ الْعَلُوُّ الْعَامُّ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؟ الْجَوَابُ: لَا، هَذَا عِلْوٌ خَاصٌّ.

وَنَحْنُ نَضْرِبُ مَثَلًا وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى: لَوْ أَنَّ شَخْصًا نَصَبَ كُرْسِيًّا عَلَى السَّطْحِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ يَكُونُ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْكُرْسِيِّ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَالٍ عَلَى الْكُرْسِيِّ وَعَلَى السَّطْحِ، فَاسْتَوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ لَيْسَ هُوَ الْعَلُوُّ الشَّامِلُ لِكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ هُوَ عِلْوٌ خَاصٌّ يَخْتَصُّ بِالْعَرْشِ؛ وَلِهَذَا لَا يَصْلُحُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ أَنَّهُ عَالٍ عَلَيْهَا.

- ٤٤٨٨- وَمُصْرِحٌ أَنَّ الَّذِي قَدْ قَالَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكُرُ الْقُرْآنِ
 ٤٤٨٩- هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ وَبِهِ يَدِينُ اللَّهُ كُلُّ أَوَانٍ
 أبو الحسن الأشعريُّ يُصْرِّحُ أَنَّ قَوْلَهُ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكُرُ الْقُرْآنِ
 يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ، وَبِهِ يَدِينُ اللَّهُ كُلُّ أَوَانٍ.

- ٤٤٩٠- لَكِنَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ مَعْنَى يَقُومُ بِرَبَّنَا الرَّحْمَنِ
 ٤٤٩١- فِي الْقَوْلِ خَالَفْنَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي الْفَوْقِ وَالْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ
 ٤٤٩٢- لِمَ كَانَ نَفْسٌ خِلَافِنَا كُفْرًا وَكَأَنَّ خِلَافُكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْإِبْتِغَانِ
 ٤٤٩٣- هَذَا وَخَالَفْتُمْ لِنَصِّ حِينَ خَالَفْنَا لِرَأْيِ الْجَهْمِ ذِي الْبُهْتَانِ
 ٤٤٩٤- وَاللَّهُ مَا لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرَ تَكْفِيرٍ بِإِلَاعِلْمٍ وَلَا إِيقَانِ
 ٤٤٩٥- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لَكُمْ جَوَابًا غَيْرَ ذَا الشُّكُوفِ إِلَى السُّلْطَانِ
 ٤٤٩٦- فَهُوَ الْجَوَابُ لَدَيْكُمْ وَلِنَحْنُ مِنْكُمْ يَا أُوْلِي الْبُرْهَانِ
 ٤٤٩٧- وَاللَّهُ لَا لِلْأَشْعَرِيِّ تَبِعْتُمْ كَلًّا وَلَا لِلنَّصِّ بِالْإِحْسَانِ
 ٤٤٩٨- يَا قَوْمُ فَانْتَبِهُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَخَلُّوا لُؤْلُؤَ الْجَهْلِ وَالِدَّعْوَى بِإِلْبُرْهَانِ
 ٤٤٩٩- مَا فِي الرِّيَاسَةِ بِالْجَهَالَةِ غَيْرُ ضَحْكَةٍ عَاقِلٍ مِنْكُمْ مَدَى الْأَرْزَمَانِ
 ٤٥٠٠- لَا تَرْتَضُوا بِرِّيَاسَةِ الْبَقْرِ الَّتِي رُؤْسَاوَاهَا مِنْ جُمَّلَةِ الثَّيْرَانِ

الشرح

ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - مخالفة أبي الحسن لأهل الحديث في مسألة الكلام

فقال:

٤٤٩٠- لَكِنَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ مَعْنَى يَقُومُ بِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

يقول أبو الحسن الأشعري: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ مَسْمُوعٍ، بَلْ مَا يُسْمَعُ مِنْ كَلَامِهِ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِهِ، وَلَيْسَ كَلَامُهُ، كَلَامُهُ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، فَمَثَلًا الْآنَ: افْرِضْ أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ خُطْبَةً، تَقْدِرُ الْكَلَامَ فِي قَلْبِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ، ثُمَّ إِذَا تَكَلَّمْتَ عَبَّرْتَ عَمَّا فِي نَفْسِكَ.

فهو يقول رحمه الله وعفا عنه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُسْمَعُ أَوْ بِصَوْتٍ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ الْمَعْنَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ يَخْلُقُ أَصْوَاتًا وَحُرُوفًا يَسْمَعُهَا مَنْ يَخَاطَبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بِأَيْدِينَا لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى زَعْمِهِمْ، بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْهُ.

وهذا القول لا شك في بطلانه، وإذا تأملتُه حقيقةً وَجَدْتَ أَنَّهُ يُفَسِّرُ الْكَلَامَ بِالْإِرَادَةِ، وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ.

وَأَمَّا الْمُعْتَزَلَةُ فَيَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَكِنَّهُ خَلَقَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَيُنْكِرُونَ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ، بَلْ يَقُولُونَ: هَذَا كَلَامُ اللَّهِ لَكِنَّهُ مَخْلُوقٌ، أَمَّا هُمْ فَيَقُولُونَ: هَذَا عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ أَيْضًا؛ وَلِهَذَا كَانَ الْمُعْتَزَلَةُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ خَيْرًا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يُصَرِّحُونَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَيَتَّفِقُ الْمُعْتَزَلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ عَلَى أَنَّ مَا نَقَرُوهُ مَخْلُوقٌ.

٤٤٩١- فِي الْقَوْلِ خَالَفْنَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي الْفَوْقِ وَالْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ

يعني: نحن خالفناه في مسألة واحدة وهي القول، أما أنتم خالفتموه في الفوقية، وفي جميع الأوصاف، فكلُّ صفاتِ الله التي أقرها خالفتموها أنتم، أما نحن لم نخالفه إلا في مسألة واحدة.

٤٤٩٢- لِمَ كَانَ نَفْسُ خِلَافِنَا كُفْرًا وَكَأَنَّ خِلَافَكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ

وهذا صحيح، فهذا إنكار؛ يعني: نحن الآن خالفنا أبا الحسن في مسألة واحدة وهي مسألة الكلام، وفي الباقي وافقناه، وأنتم خالفتموه في كلِّ شيءٍ إلا الكلام، فلماذا كان خالفنا نحن كفراً وخلافكم أنتم إيماناً وهو مقتضى الإيمان، مع أنكم خالفتموه فيما هو مقتضى الإيمان؟!

٤٤٩٣- هَذَا وَخَالَفْتُمْ لِنَصِّ حِينَ خَالَفْنَا لِرَأْيِ الْجَهْمِ ذِي الْبُهْتَانِ

يعني: ونحن لم نخالف النَّصَّ، أنتم خالفتم النَّصَّ ونحن خالفنا رأيَ الجهم، فأينما أحقُّ بالكفر: مَنْ خَالَفَ النَّصَّ أَوْ مَنْ خَالَفَ الرَّأْيَ الْبَاطِلَ؟ الْجَوَابُ: مَنْ خَالَفَ النَّصَّ.

٤٤٩٤- وَاللَّهُ مَا لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرَ تَكْفِيرٍ بِإِعْلَامِ وَلَا إِيقَانِ

صحيح، ليس لهم جوابٌ إلا أن يرفعوا أصواتهم: أنتم كُفَرَاءُ، أنتم مُجَسِّمَةٌ، أنتم مشبهة، إلى آخر ما يقولون من القدح.

٤٤٩٥- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرَ ذَا الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ

قوله: «الشُّكْوَى» إمَّا عطفُ بيانٍ لـ «جَوَابٌ»، وإمَّا خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: «هُوَ الشُّكْوَى»، وليست «ذَا» مضافةً إلى «الشُّكْوَى»؛ لأنَّ «ذَا» اسمٌ

إشارة، واسم الإشارة لا يُضَافُ.

لَمَّا قَالَ: «لَيْسَ لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرُ هَذَا» استدرك فقال: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُ لَكُمْ، فَلَكُمْ جَوَابٌ آخَرُ غَيْرُ هَذَا الْجَوَابِ وَهُوَ الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ»؛ أي: تشكوننا إلى السُّلْطَانِ، وتُوشون بنا، وهذا يقعُ كثيرًا، يأتي به الإنسان للاستدراك، يقول: «فَلَانٌ فِيهِ كَذَا مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، بَلْ فِيهِ غَيْرُ هَذَا، فِيهِ كَذَا وَكَذَا»، إِذْ هَذَا الْكَلَامُ يُعْتَبَرُ توكِيدًا لما سبق وإضافة أمرٍ يُذَمُّونَ عليه.

والمعنى: لكم جوابٌ آخرُ غيرُ التَّكْفِيرِ وهو الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ، ولذلك تجدُّ الذين تسبَّبوا في تعذيبِ الإمامِ أحمدَ وغيره من أهلِ السُّنَّةِ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ الوِشَاةِ.

٤٤٩٦- فَهُوَ الْجَوَابُ لَدَيْكُمْ وَلَنَحْنُ مِنْ تَطَرُّوهُ مِنْكُمْ يَا أُولِي الْبُرْهَانِ

وهل الذي ليس له جوابٌ إِلَّا الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ هل عنده عِلْمٌ؟ الجوابُ: لا، يقولُ لخصمه: اسكت وإلَّا لأرفعنَّ أمرك إلى السُّلْطَانِ؟ هل هذا عنده عِلْمٌ؟ أبدًا، ليس عنده عِلْمٌ.

٤٤٩٧- وَاللَّهُ لَا لِلْأَشْعَرِيِّ تَبِعْتُمْ كَلًّا وَلَا لِلنَّصِّ بِالْإِحْسَانِ

إِذْ هُمْ أَخْطَؤُوا تَقْلِيدًا وَأَخْطَؤُوا اجْتِهَادًا، أَخْطَؤُوا تَقْلِيدًا حَيْثُ لَمْ يَتَّبِعُوا الْأَشْعَرِيَّ، وَأَخْطَؤُوا اجْتِهَادًا حَيْثُ لَمْ يَتَّبِعُوا النَّصَّ.

٤٤٩٨- يَا قَوْمُ فَانْتَبَهُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَخَلُّوا الْجَهْلَ وَالِدَعْوَى بِلا بُرْهَانِ

جزاه اللهُ خيرًا، فهو ينصحهم قائلًا: انتبهوا لأنفسكم ودعوا الجهل والدعوى

بلا برهان.

٤٤٩٩- مَا فِي الرَّيَاسَةِ بِالْجَهَالَةِ غَيْرُ ضَحٍّ كَةِ عَاقِلٍ مِنْكُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

ولا شك أن الرئاسة بالجهل ضحكة إلى يوم الدين؛ لأن الرئاسة إنما تنال بالشرف والعلم، أما الجهل فإنه لا خير في الرئاسة فيه، ومآله إلى الفشل.

٤٥٠٠- لَا تَرْتَضُوا بِرِّيَاسَةِ الْبَقْرِ الَّتِي رُؤَسَاؤُهَا مِنْ جُمَّلَةِ الثِّيَرَانِ

يعني: لا ترضوا لأنفسكم هذا الحظ أن تكونوا رؤساء لبقير، إذن إن رضيتم برئاسة البقر فأنتم ثيران. إذن الجهمية والمعتزلة ثيران، وأقول: الثيران خير منهم.

فصل

فِي أَنْ أَهْلَ الْحَدِيثِ هُمْ أَنْصَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَاصَّتُهُ،
وَلَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

- ٤٥٠١- يَا مُبْغِضًا أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشَاتِمًا أَبْشِرْ بِعَقْدِ وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ
- ٤٥٠٢- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
- ٤٥٠٣- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُولِ لِي هُمْ بِلا شَكٍّ وَلَا نُكْرَانِ
- ٤٥٠٤- هَلْ يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَوْ مُدْرِكٌ لِرَوَائِحِ الْإِيمَانِ
- ٤٥٠٥- شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ وَهِيَ شَهَادَةٌ مِنْ أَصْدِقِ الثَّقَلَيْنِ بِالْبُرْهَانِ
- ٤٥٠٦- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ خَزْرَجَ دِينِهِ وَالْأَوْسَ هُمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ
- ٤٥٠٧- مَا ذَنَبُهُمْ إِذْ خَالَفُوكَ لِقَوْلِهِ مَا خَالَفُوهُ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ
- ٤٥٠٨- لَوْ وَافَقُوكَ وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْتَكِيهِمْ هَدَىٰ أَنَّهُمْ حَقًّا أَوْلُوا الْإِيمَانَ
- ٤٥٠٩- لَمَّا تَحَيَّرْتُمْ إِلَى الْأَشْيَاخِ وَأَنْتَ حَازُوا إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٤٥١٠- نَسَبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ أَوْ حَالَةٍ أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانٍ
- ٤٥١١- هَذَا انْتِسَابُ أُولِي التَّفَرُّقِ نِسْبَةً مِنْ أَرْبَعٍ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّنِ
- ٤٥١٢- فَلِذَا غَضِبْتُمْ حَيْثُمَا انْتَسَبُوا إِلَيَّ خَيْرَ الرَّسُولِ بِنِسْبَةِ الْإِحْسَانِ

- ٤٥١٣- فَوَضَعْتُمْ لَهُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا تَسْتَقْبِحُونَ وَذَا مِنْ الْعُدْوَانِ
 ٤٥١٤- هُمْ يُشْهِدُونَكُمْ عَلَى بَطْلَانِنَا أَفْتَشُهُدُونَهُمْ عَلَى الْبَطْلَانِ
 ٤٥١٥- مَا ضَرَّهَمْ وَاللَّهِ بَغْضُكُمْ لَهُمْ إِذْ وَافَقُوا حَقًّا رَضَا الرَّحْمَنِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِي أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ هُمْ أَنْصَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، وهذا لا شك فيه؛ لأنهم آخذون به، متبعون له، ذابون عنه.

قَوْلُهُ: «وَلَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» هكذا جاء عن النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(١)، ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٠١- يَا مُبْغِضًا أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشَاتِمًا أَبْشِرْ بِعَقْدِ وَايَةِ الشَّيْطَانِ
 يعني: إن من يشتم أهل الحديث ويبغضهم فقد عقد الولاية مع الشيطان.

٤٥٠٢- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
 وهذا للتقرير يعني: أنه قد علم أن أهل الحديث هم أنصار دين الله والإيمان والقرآن.

٤٥٠٣- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُولِ لِي هُمْ بِإِلَّا شَكًّا وَلَا نَكْرَانِ
 وهذا أيضًا للتقرير؛ فإن أهل السنة هم الذين نصرُوا رسولَ الله ﷺ؛

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رسول الله ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، رقم (٧٦).

لأخذهم بها وذبيهم عنها.

٤٥٠٤- هَلْ يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَوْ مُدْرِكٌ لِرَوَائِحِ الْإِيمَانِ

الجواب: لا، فالاستفهام هنا بمعنى النفي، فالإنسان المؤمن لا يمكن أن يُبغض أنصار الرسول ﷺ سواء أنصاره في حياته أم بعد مماته.

٤٥٠٥- شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ وَهِيَ شَهَادَةٌ مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ بِالْبُرْهَانِ

شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّهُ لَا يُبْغِضُهُمْ مُؤْمِنٌ، وَهِيَ شَهَادَةٌ صَدَرَتْ مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٥٠٦- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنْ خَزَرَ جَ دِينِهِ وَالْأَوْسَ هُمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

الأنصار قبيلتان: الأوس والخزرج، لكن هل هذا يختص بتلك القبيلتين؟
الجواب: لا، أنصار الدين الأوس والخزرج في كل زمان وفي كل مكان، كل من نصر دين الله فإنه مثل الأنصار من الأوس والخزرج.

٤٥٠٧- مَا ذَنْبُهُمْ إِذْ خَالَفُوا لِقَوْلِهِ مَا خَالَفُوهُ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ

يعني: ما ذنب أهل الحديث حين خالفوا لقوله؟ أي: لقول الرسول ﷺ، هم ما خالفوا الرسول لأجل قول فلان، وأنت خالفت الرسول لأجل قول فلان، فهل الذنب ذنب أهل الحديث أو ذنب من أبغضهم؟ الجواب: ذنب من أبغضهم وعاداهم بلا شك.

٤٥٠٨- لَوْ وَافَقُوكَ وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْهَدُ أَنَّهُمْ حَقًّا أَوْلُوا الْإِيمَانَ

يعني: لو وافقوا الرسول ﷺ ووافقوك لشهدت بأنهم أهل الإيمان.

٤٥٠٩- لَمَّا تَحَيَّرْتُمْ إِلَى الْأَشْيَاخِ وَأَنْتُمْ حَازُوا إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

٤٥١٠- نُسِبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ أَوْ حَالَةٍ أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانٍ

يعني: أن هؤلاء المعطلة أخذوا بأقوال الشيوخ وتركوا ما قاله النبي ﷺ، أما المثبتة فأخذوا بما قال النبي ﷺ، وتركوا ما قال الشيوخ مما يخالف قول النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم.

٤٥١١- هَذَا انْتِسَابُ أُولِي التَّفَرُّقِ نِسْبَةً مِنْ أَرْبَعِ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّنِ

هذا انتساب أولي التفريق؛ يعني: الذين تفرقوا في دين الله، «نِسْبَةً مِنْ أَرْبَعِ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّنِ»، ما هذه النسبة من أربع؟

الظاهر -والله أعلم- أن النسب الأربع: موافقة الكتاب ومخالفته، وموافقة السنة ومخالفتها، فأهل الإثبات قد وافقوا في الكتاب والسنة، وأما أهل التعطيل فخالفوا في الكتاب والسنة؛ ولهذا قال: «دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ، أَوْ حَالَةٍ، أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانٍ»، لا شك أن الأربع الذي ذكر الآن: المقالة، والحالة، والقائل، والمكان، لكن الذي يظهر ما دامت المسألة موافقة ومخالفة أتمها موافقة الكتاب والسنة، ومخالفتها.

٤٥١٢- فَلِذَا غَضِبْتُمْ حَيْثُمَا انْتَسَبُوا إِلَى خَيْرِ الرَّسُولِ بِنِسْبَةِ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «حَيْثُمَا انْتَسَبُوا إِلَى خَيْرِ الرَّسُولِ»، وفي نسخة: «حَيْثُمَا».

والخطاب هنا لأهل التعطيل؛ يعني: أنكم غضبتم حيث انتسبوا إلى خير الرسول بنسبة الإحسان، ونسبة الإحسان في الخبر هي التصديق من غير زيادة ولا نقص.

٤٥١٣- فَوَضَعْتُمْ لَهُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا تَسْتَقْبِحُونَ وَذَا مِنْ الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَضَعْتُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ» اللَّقْبُ: قال أهل النَّحْوِ: كُلُّ مَا أَشْعَرَ بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ، وَمَثَلُوا لِذَلِكَ بِ«قُفَّةٍ»، و«زِينِ الْعَابِدِينَ»، ف«قُفَّةٌ» مَشْعَرٌ بِالذَّمِّ، «وَزِينِ الْعَابِدِينَ» بِالْمَدْحِ^(١).

فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ وَضَعُوا لِأَهْلِ الْإِثْبَاتِ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا يَسْتَقْبِحُونَ، كُلَّمَا اسْتَقْبَحُوا لِقَبًا وَضَعُوهُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِثْبَاتِ، فَقَالُوا: إِنَّهُمْ حَسَوِيَّةٌ، نَوَابِتٌ، غَثَاءٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

٤٥١٤- هُمْ يُشْهِدُونَكُمْ عَلَى بَطْلَانِهَا أَفْتُشْهِدُونَهُمْ عَلَى الْبَطْلَانِ

يعني: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يُشْهِدُونَ أَهْلَ التَّعْطِيلِ عَلَى بَطْلَانِ مَا لَقَّبُوهُمْ بِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تُشْهِدُونَهُمْ عَلَى الْبَطْلَانِ كَمَا شَهِدُوا هُمْ عَلَى بَطْلَانِ مَا لَقَّبْتُمُوهُمْ بِهِ؟ الْجَوَابُ: لَا، هُمْ يَرَوْنَ أَنَّ هُمْ عَلَى أَكْمَلِ شَيْءٍ، وَأَنَّ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَهْلُ الْعَدْلِ وَأَهْلُ التَّوْحِيدِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

٤٥١٥- مَا ضَرَّهَمْ وَاللَّهُ بِغُضُّكُمْ لَهُمْ إِذْ وَاَفَقُوا حَقًّا رِضَا الرَّحْمَنِ

صَحِيحٌ، الْإِنْسَانُ إِذَا وَاَفَقَ رِضَا الرَّحْمَنِ فَلَا يَهْمُهُ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِ النَّاسُ، الْمَهْمُ أَنْ تَلْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْ غَضِبَ النَّاسُ.

(١) انظر: شرح الكافية الشافية (١/٢٤٩).

- ٤٥١٦- يَا مَنْ يُعَادِيهِمْ لِأَجْلِ مَأْكَلٍ وَمَنَاصِبٍ وَرِيَّاسَةِ الْإِخْوَانِ
 ٤٥١٧- تَهْنِيكَ هَاتِيكَ الْعَدَاوَةُ كَمْ بِهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ
 ٤٥١٨- وَلَسَوْفَ نَجْنِي غِبَّهَا وَاللَّهِ عَنْ قُرْبٍ وَتَذَكَّرُ صِدْقَ ذِي الْإِيمَانِ
 ٤٥١٩- فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الْوَسَائِلُ وَأَنْتَهَتْ تِلْكَ الْمَأْكَلُ فِي سَرِيعِ زَمَانٍ
 ٤٥٢٠- فَهُنَاكَ تَقْرَعُ سِنَّ نَدْمَانٍ عَلَى النَّوْءِ تَفْرِيطٍ وَقَتِ السَّيْرِ وَالْإِمْكَانِ
 ٤٥٢١- وَهُنَاكَ تَعْلَمُ مَا بِضَاعَتِكَ الَّتِي حَصَلَتْهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 ٤٥٢٢- إِلَّا الْوَبَالَ عَلَيْكَ وَالْحَسْرَاتِ وَالْحُسْرَانَ عِنْدَ الْوَضْعِ فِي الْمِيزَانِ
 ٤٥٢٣- قِيلٌ وَقَالَ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ إِلَّا الْعِنَاءُ وَكَلُّ ذِي الْأَذْهَانِ
 ٤٥٢٤- وَاللَّهُ مَا يُجِدِي عَلَيْكَ هُنَاكَ إِلَّا لَإِذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ
 ٤٥٢٥- وَاللَّهُ مَا يُنْجِيكَ مِنْ سَجْنِ الْجَحِيمِ حِمِّ سَوَى الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 ٤٥٢٦- وَاللَّهُ لَيْسَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلُهُ وَسَوَاهُمُ مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ

الشرح

- ٤٥١٦- يَا مَنْ يُعَادِيهِمْ لِأَجْلِ مَأْكَلٍ وَمَنَاصِبٍ وَرِيَّاسَةِ الْإِخْوَانِ
 يعني: أن هؤلاء الذين عادوا أهل الإثبات لهم مآرب؛ إمّا المآكل، أو المناصب عند ذوي السُّلطان، أو رئاسة الإخوان بأن يكون رئيساً مُبَجَّلاً في قومه فيخشى إن تحوّل إلى الإثبات أن يعاديه قومه.

٤٥١٧- تَهْنِيكَ هَاتِيكَ الْعَدَاوَةَ كَمَا بِهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

لكن متى؟ قال:

٤٥١٨- وَلَسَوْفَ تَجْنِي غِبَّهَا وَاللَّهُ عَن قُرْبٍ وَتَذْكُرُ صِدْقَ ذِي الْإِبْتِهَانِ

وهذا يكون إذا مات ورأى أنه ليس على شيء، حينئذ يكون قد جنى غيباً ما ذهب إليه من تعطيل الله عز وجل عن أوصافه.

٤٥١٩- فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الْوَسَائِلُ وَانْتَهَتْ تِلْكَ الْمَاكِلُ فِي سَرِيحِ زَمَانٍ

٤٥٢٠- فَهَنَّاكَ تَقْرَعُ سِنَّ نَدْمَانٍ عَلَى التَّ تَقْرِيطِ وَقَتِ السَّيْرِ وَالْإِمْكَانِ

يعني: أنه إذا تقطعت الوسائل وانتهت الحياة فهناك تفرع سن الندم، ولكن بعد فوات الأوان.

٤٥٢١- وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَا بِضَاعَتِكَ الَّتِي حَصَلَتْهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

٤٥٢٢- إِلَّا الْوَبَالَ عَلَيْكَ وَالْحَسْرَاتِ وَالْحُسْرَانَ عِنْدَ الْوَضْعِ فِي الْمِيْزَانِ

٤٥٢٣- قِيلَ وَقَالَ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ إِلَّا الْعَنَاءُ وَكُلُّ ذِي الْأَذْهَانِ

قوله: «وكلُّ ذي الأذهان»؛ أي: تعب الأذهان، هذا الذي يحصلون، وقد مرر علينا مثل هذا كثيراً فلا حاجة للإطالة في شرحه.

٤٥٢٤- وَاللَّهُ مَا يُجِدِي عَلَيْكَ هُنَاكَ إِلَا لَأَذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

أقسم المؤلف بأنه لا يجدي عليه هناك إلا ما جاءت به الوحيان؛ يعني: الكتاب والسنة.

- ٤٥٢٥- وَاللَّهِ مَا يُنَجِّيكَ مِنْ سِجْنِ الْجَحِيـ
مِ سِوَى الْحَدِيثِ وَمُحَكِّمِ الْقُرْآنِ
٤٥٢٦- وَاللَّهِ لَيْسَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلُهُ
قَوْلُهُ: «أَهْلُهُ»؛ أَي: أَهْلُ الْحَدِيثِ.

فالنَّاسُ حَقِيقَةُ الَّذِينَ رَبِحُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ هُمُ أَهْلُ الْحَدِيثِ، أَمَّا سِوَاهُمْ
فَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْحَيَوَانَ.

- ٤٥٢٧- وَلَسَوْفَ تَذَكَّرُ بِرِّ ذِي الْإِيمَانِ عَن
قُرْبٍ وَتَقَرَّعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ
٤٥٢٨- رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ
أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ
٤٥٢٩- فَهُمْ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ مُثَلًّا
بِالْمَاءِ مَهْبِطُهُ عَلَى الْقِيَعَانِ
٤٥٣٠- لَا الْمَاءُ تُمْسِكُهُ وَلَا كَلْبُهَا
يَرْعَاهُ دُو كَبِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَ
٤٥٣١- هَذَا إِذَا لَمْ يُحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي
بِجُورِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانِ
٤٥٣٢- وَالْجَاهِلُونَ بَدَأُوا هَذَا هُمْ زُؤَا
نُ الزَّرْعِ إِي وَاللَّهُ شَرُّ زُؤَانِ
٤٥٣٣- وَهُمْ لَدَى غَرَسِ الْإِلَهِ كَمِثْلِ غَرِ
سِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَعَارِسِ الرُّمَّانِ
٤٥٣٤- يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ
أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانَ
٤٥٣٥- ذَا حَالِهِمْ مَعَ حَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ
صَارِ الرَّسُولِ فَوَارِسِ الْإِيمَانِ
٤٥٣٦- فَعَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ
وَاللَّهُ يُبْقِيهِ مَدَى الْأَزْمَانِ

الشرح

٤٥٢٧- وَلَسَوْفَ تَذَكَّرُ بِرِّ ذِي الْإِيمَانِ عَنْ قُرْبٍ وَتَقَرَّعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ وَكُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

٤٥٢٨- رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ قَوْلُهُ: «رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا» مَنْ؟ أَهْلُ الْإِثْبَاتِ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ؛ يَعْنِي: لَمْ يَرْفَعُوا بِهِ رَأْسًا، بَلْ حَطُّوه وَأَعْرَضُوا عَنْهُ.

٤٥٢٩- فَهُمْ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ مُثَلًّا بِأَمَاءٍ مَهْبَطُهُ عَلَى الْقِيَعَانِ يَرْعَاهُ ذُو كَبِدٍ مِنَ الْحَيَوَانِ ٤٥٣٠- لَا الْمَاءَ تُمْسِكُهُ وَلَا كَلَأُهَا قَوْلُهُ: «لَا الْمَاءَ تُمْسِكُهُ»، وَيَجُوزُ «لَا الْمَاءَ».

وقد مثل الرسول -عليه الصلاة والسلام- ما بعث به كمثل غيث أصاب أرضاً^(١)، ومن هذه الأراضي التي أصابها أرض قيعان لا تمسك ماءً ولا تبتئ كلاً؛ يعني: أنها تشرب الماء ولكنها لا تبتئ، فهذه لا نفع الناس بنباتها ولا نفع الناس بحفظ الماء، الأرض الثانية: كانت صفاء أمسكت الماء وانتفع الناس بشربه، الأرض الثالثة: شربت الماء وأبتئت الكلاً فنفعت الناس.

٤٥٣١- هَذَا إِذَا لَمْ يُحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي بِجَوَارِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانٍ فَإِذَا أُحْرِقَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَائِدَةٌ إِطْلَاقًا؛ لِأَنَّ الزَّرْعَ رَبَّمَا يَخْرُجُ، وَيَرَى صَاحِبُهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِيهِ مَا يَحْرِقُهُ مِنْ نَارٍ أَوْ دُخَانٍ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم (٢٢٨٢).

٤٥٣٢- وَالْجَاهِلُونَ بَدَا وَهَذَا هُمْ زُؤَا نُ الزَّرْعِ إِي وَاللَّهُ شَرُّ زُؤَانِ
قَوْلُهُ: «زُؤَانُ الزَّرْعِ» هُوَ بَدْرٌ يَخَالِطُ الزَّرْعَ فَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ وَيُفْسِدُهُ، وَسَيَاتِنَا
أَيْضًا الدُّلْبُ.

٤٥٣٣- وَهُمْ لَدَى غَرْسِ الْإِلَهِ كَمِثْلِ غَرْسِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَغَارِسِ الرُّمَّانِ

٤٥٣٤- يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانَ

يعني: هؤلاء المعطلَّة بين غرسِ الرَّحْمَنِ وهم المثبتة مثل غرسِ الدُّلْبِ بين
الرُّمَّانِ، والدُّلْبُ -حسب ما وَصَفَهُ ابْنُ الْقَيْمِ- شَجَرٌ كَبِيرٌ الْحَجْمِ، وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ
فِيهِ، وَهُوَ يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، فَلَا يَأْتِي الزَّرْعَ مِنَ الْمَاءِ إِلَّا الشَّيْءُ
الْقَلِيلُ، وَأَمَّا مَا فَوْقَ فَيَقُولُ: «مَعَ تَضْيِيقِهِ أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانَ»؛ يَعْنِي: يُضَيِّقُ
مِنْ خَارِجِ الْأَرْضِ وَيَمْتَصُّ الْمَاءَ مِنْ دَاخِلِ الْأَرْضِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ قِنْوَانٌ؛ أَي:
لَيْسَ لَهُ ثَمَرٌ.

٤٥٣٥- ذَا حَالَهُمْ مَعَ حَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ صَارَ الرَّسُولِ فَوَارِسِ الْإِيمَانِ

إِذَنْ حَالَهُمْ مَعَ حَالِ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُضَيِّقُونَ الْمَكَانَ وَيَأْكُلُونَ مَا كَانَ، يَأْكُلُونَ
مَا كَانَ بِالْعُرُوقِ الَّتِي فِي الْأَسْفَلِ، وَيُضَيِّقُونَ الْمَكَانَ فَوْقَ ظَاهِرِ الْأَرْضِ.

٤٥٣٦- فَعَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ حَيَّةٌ وَاللَّهُ يُبْقِيهِ مَدَى الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «فَعَلَيْهِ» يَحْتَمِلُ أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى «أَنْصَارِ» وَهِيَ جَمْعٌ بِاعْتِبَارِ
الْجِنْسِ؛ أَي: فَعَلَى أَنْصَارِ الرَّسُولِ فَوَارِسِ الْإِيمَانِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَحِيَّةً، وَاللَّهُ مُبْقِيهِ
مَدَى الْأَزْمَانِ.

وكأنَّ الهَرَّاسَ - رحمه الله - كأنه يريد أن يقول: الضَّمِيرُ في «فَعَلَيْهِ» عائِدٌ على شيخ الإسلام^(١)، لكن لما لم نجد له ذِكْرًا ينبغي أن نقول: «فَعَلَيْهِ»؛ أي: على هذا الأنصارِ، ويكون هذا الجمعُ باعتبارِ الجنسِ.

- ٤٥٣٧- لَوْلَاهُ مَا سُقِيَ الْغِرَّاسُ فَسَوْقُ ذَا
كَ الْمَاءِ لِلدُّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
- ٤٥٣٨- فَالْغَرَسُ دُلبٌ كُلُّهُ وَهُوَ الَّذِي
يُسْقَى وَيُحْفَظُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِ
- ٤٥٣٩- فَالْغَرَسُ فِي تِلْكَ الْحَضَارَةِ شَارِبٌ
فَضَلَ الْمِيَاهِ مَصَارُهُ الْبُسْتَانِ
- ٤٥٤٠- لَكِنَّمَا الْبَلْوَى مِنَ الْحَطَّابِ قُطْ
طَاعِ الْغِرَّاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ
- ٤٥٤١- بِالْفُؤْسِ يَضْرِبُ فِي أَصُولِ الْغَرَسِ كَي
يَجْتَنِّهَا وَيَظُنُّ ذَا إِحْسَانِ
- ٤٥٤٢- وَيَظَلُّ يَخْلِفُ كَاذِبًا لَمْ أَعْتَمِدْ
فِي ذَا سِوَى التَّشْيِيتِ لِلْعِيدَانِ
- ٤٥٤٣- يَا خَيَّيَّةَ الْبُسْتَانِ مِنْ حُطَّابِهِ
مَا بَعَدَ ذَا الْحَطَّابِ مِنْ بُسْتَانِ
- ٤٥٤٤- فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى الْبُسْتَانِ فَهِيَ
وَمَوْكَلٌ بِالْقَطْعِ كُلِّ أَوَانِ
- ٤٥٤٥- فَالْجَاهِلُونَ شِرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْأُ
عُلَمَاءُ سَادَتِهِمْ أُوْلُو الْإِحْسَانِ
- ٤٥٤٦- وَالْجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَا
لِ وَشَيْعَةِ الْكُفْرَانِ وَالشَّيْطَانِ
- ٤٥٤٧- وَشِرَارُهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ هُمْ شَرُّ خَلْ
قِ اللَّهِ آفَةٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

(١) انظر: شرح القصيدة التوثيقية للهَرَّاسِ رحمه الله (٢/٣٠٠).

الشرح

٤٥٣٧- لَوْلَاهُ مَا سُقِيَ الْغِرَاسُ فَسَوْقُ ذَا كَ الْمَاءِ لِلدُّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

يعني: لولا أنصار الرسول -عليه الصلاة والسلام- فوارس الإيوان ما سُقِيَ الغراس.

٤٥٣٨- فَالْغَرَسُ دُلبٌ كُلهُ وَهُوَ الَّذِي يُسقى وَيُحْفَظُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِ

يقول: إن الأوضاع انقلبت، فصار الدُّبُّ هذا الشَّجَرُ الكبيرُ الذي يمتصُّ الماءَ والذي لا خيرَ فيه صار هو غراس وقتهم.

٤٥٣٩- فَالْغَرَسُ فِي تِلْكَ الْحَضَارَةِ شَارِبٌ فَضَلَ الْمِيَاهِ مَصَارُهُ الْبُسْتَانَ

قَوْلُهُ: «مَصَارُهُ الْبُسْتَانَ»، وفي نسخة: «مَصَاوُهُ الْبُسْتَانَ».

٤٥٤٠- لَكِنَّمَا الْبَلْوَى مِنَ الْحَطَّابِ قُطْ طَاعِ الْغِرَاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا الْبَلْوَى مِنَ الْحَطَّابِ...» يقول: إنَّ هناك بلوى أخرى غير مسألة الدُّبِّ، وهي هذا الذي يقطع الشَّجَرَ ويهدم الجدار.

قَوْلُهُ: «الْحَطَّابِ قَطَّاعِ الْغِرَاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ» ويعني بذلك: هؤلاء المعطلة

الذين قَصَّوْا على هذه النُّصُوصِ بالقطعِ وهدم الحيطانِ حتَّى لم يكن بستانٌ محوطٌ ولا ذو أشجار.

٤٥٤١- بِالْفُؤْسِ يَضْرِبُ فِي أَصُولِ الْغَرَسِ كَيَّيَجْتَنُّهَا وَيَظُنُّ ذَا إِحْسَانِ

يعني: هذا الحطَّابُ يضربُ بالفوسِ، والفؤس جمعُ «فأسٍ»، فهو يضربُ أصولَها حتَّى يجتنُّها ولا يبقى فيها أصلٌ ولا فرعٌ.

٤٥٤٢- وَيَظَلُّ يَخْلِفُ كَاذِبًا لَمْ أَعْتَمِدْ فِي ذَا سِوَى التَّيْبِتِ لِلْعِيدَانِ
يعني: يظلُّ هذا الذي يقطعها من أصلها وعرقها يخلفُ أنه ما أراد إلا أن
يُثَبَّتَ العيدان؛ يعني: يحفر لها حتى تثبت وترسخ، وهو في الحقيقة يحفر لها من
أجل أن يقطعها.

٤٥٤٣- يَا خَيِّبَةَ الْبُسْتَانِ مِنْ حُطَّابِهِ مَا بَعْدَ ذَا الْحَطَّابِ مِنْ بُسْتَانِ
وهذا صحيح، هذا الحطَّابُ هل بعده بستانٌ وهو يجتثُ الغرسَ من أصله؟
الجواب: أبدًا.

٤٥٤٤- فِي قَلْبِهِ غُلٌّ عَلَى الْبُسْتَانِ فَهْوَ — وَمَوْكَلٌ بِالْقَطْعِ كُلِّ أَوَانِ
وهكذا أهل البدع في قلوبهم غُلٌّ على السُّنَّةِ ذاتِ الثَّارِ والأشجارِ الليانعةِ،
ففي قلوبهم غُلٌّ، يريدون أن يجتثوها من أصلها وهم يدعون أنهم إنما يريدون
الإصلاح.

٤٥٤٥- فَالْجَاهِلُونَ شِرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْ
الجاهلون شرارُ أهلِ الحقِّ، لماذا؟

لأنَّ الجاهلَ عَامِيٌّ وَإِنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَقَّ لَكِنْ لَا يَعْرِفُهُ، وَسَادَتُهُمُ الْعُلَمَاءُ هُمْ
أُولُو الْإِحْسَانِ؛ أَي: إِنَّهُمْ يَدْعُونَ أَنْ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ هُمْ أَهْلُ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ
الَّذِينَ يَلْقَنُونَهُمْ هَذِهِ الْبَدْعَ هُمْ السَّادَةُ أَهْلُ الْإِحْسَانِ وَيَقُولُونَ: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

٤٥٤٦- وَالْجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَالِ وَالشَّيْطَانِ

٤٥٤٧- وَشِرَارُهُمْ عُلَمَاءُهُمْ هُمْ شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ آفَةُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

يعني: إِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ الْجَاهِلِينَ هُمْ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَالَةِ وَشِرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَأَمَّا عُلَمَاءُهُمْ فَهَمَّ شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ آفَةُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

والمؤلف - رحمه الله - أتى بهذا الفصل، وهو كُله تصويرٌ وتخيُّلٌ لشيءٍ محسوسٍ ليُمَثَّلَ به لشيءٍ معقولٍ، ولا شكَّ أَنَّ عُلَمَاءَ الضَّلَالِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْهُدَايَةِ كَالزَّرْعِ النَّابِتِ بَيْنَ زَرْعِ الْحِنْطَةِ، وَهُوَ مِنَ الزُّرُوعِ الْحَبِيثَةِ الَّتِي تُفْسِدُ الْأَرْضَ وَتُضَيِّقُ عَلَى سَيْقَانِ الزُّرُوعِ الْمَفِيدَةِ.

فصل

فِي تَعْيِينِ الْهَجْرَةِ مِنَ الْأَرَءِ وَالْبِدْعِ إِلَى سُنَّتِهِ كَمَا كَانَتْ فَرْضًا مِنَ الْأَمْصَارِ إِلَى بَلَدَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

- ٤٥٤٨- يَا قَوْمُ فَرَضُ الْهَجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ وَاللَّهُ لَمَّ يُنْسَخْ إِلَى ذَا الْآنِ
- ٤٥٤٩- فَالْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْإِخْلَاصِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ
- ٤٥٥٠- حَتَّى يَكُونَ الْقَصْدُ وَجَهَ اللَّهِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ
- ٤٥٥١- وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا لِسِوَاهُ شَيْءٌ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ
- ٤٥٥٢- وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ اللَّذَانِ هُمَا لِكُلِّ لِي وَلا يَأْتِي وَغَدَاوَةٌ أَضْلَانِ
- ٤٥٥٣- اللَّهُ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقْفَانِ
- ٤٥٥٤- وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالتَّحْيِكُمْ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانِ
- ٤٥٥٥- وَكِلَاهُمَا الْإِحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّلَ الرِّحْمَنُ مِنْ سَعْيٍ بِلا إِحْسَانِ
- ٤٥٥٦- وَالْهَجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
- ٤٥٥٧- أَتَرُونَ هَذِي هَجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا وَاللَّهُ بَلْ هِيَ هَجْرَةُ الْإِيمَانِ
- ٤٥٥٨- قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي دَرْكِ الْأُصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانِ
- ٤٥٥٩- أَبَدًا إِلَيْهِ حُكْمُهَا لا غَيْرِهِ فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَانِ

الشرح

قوله: «فَصَلُّ فِي تَعْيْنِ الْهَجْرَةِ مِنَ الْأَرَاءِ وَالْبِدَعِ إِلَى سُنَّتِهِ»؛ يعني: سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، وهذا العنوان جيدٌ، وأمَّا قوله: «كَمَا كَانَتْ فَرَضًا مِنَ الْأَمْصَارِ إِلَى بَلَدَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» فهذا ليس على إطلاقه؛ لأنَّ الهجرة إلى المدينة إنَّما كانت على أهلِ مَكَّةَ قبل الفتح، وأمَّا بعد الفتح فقال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»؛ يعني: من مَكَّةَ، وكذلك لم يُفْرَضْ على أهلِ الطَّائِفِ بعد فتحها أن يُهاجروا منها إلى المدينة، فهذا الإطلاق فيه نظرٌ.

٤٥٤٨- يَا قَوْمُ فَرَضُ الْهَجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ وَاللَّهُ لَمَّ يُنْسَخْ إِلَى ذَا الْآنِ

أَقْسَمَ - رحمه الله تعالى - أنَّ الهجرة لم تُنسخ؛ أي: لم يُنسخ وجوبها، بل يجب على الإنسان أن يهاجر، وأمَّا قول النَّبِيِّ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ»^(١)، فالمراد لا هجرة من مَكَّةَ؛ لأنَّ السَّائِلَ كان يسأله وهو بمَكَّةَ وإلا فالهجرة باقيةٌ - باتِّفاق المسلمين - إلى يوم القيامة لاسيما من البدعة إلى السُّنَّة، فها هما الهجرتان المذكورتان في قوله: «فَرَضُ الْهَجْرَتَيْنِ»؟ الجواب: الهجرة الأولى: إلى الرَّحْمَنِ، والهجرة الثانية: إلى الرَّسُولِ؛ ولذا قال:

٤٥٤٩- فَالْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِأَلْ- إِخْلَاصٍ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

ثُمَّ فَسَّرَ هَذَا الْإِخْلَاصَ بِقَوْلِهِ:

٤٥٥٠- حَتَّى يَكُونَ الْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِأَلْ- أَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإحصار وجزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، رقم (١٧٣٧)، ومسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلوها وشجرها ولقطنها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٣).

والنَّاسُ يتفاوتون في هذه الهجرة تفاوتًا كبيرًا؛ منهم مَنْ هجرته خالصةٌ، ومنهم مَنْ هجرته مَشُوبَةٌ؛ فَمَنْ قال قولًا يُرَائِي فيه فهجرته مَشُوبَةٌ، وَمَنْ قال قولًا لا يريدُ به إلا الدُّنْيَا فقط فهجرته مُحَطَّمَةٌ، فالنَّاسُ يختلفون في هذه الهجرة إلى الله بالإخلاصِ.

وَقَوْلُهُ: «بِالْأَقْوَالِ» كَالذِّكْرِ، وَ«بِالْأَفْعَالِ» كَالصَّلَاةِ، وَ«بِالْإِيمَانِ» كَاعْتِقَادِ الْقَلْبِ، فَالنَّاسُ يختلفون في هذا اختلافًا كبيرًا.

٤٥٥١- وَيَكُونُ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا لِسِوَاهُ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ «كُلُّ الدِّينِ»؛ أَي: كُلُّ مَا يَتَعَبَّدُ بِهِ الْإِنْسَانُ يَكُونُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لِسِوَاهُ فِيهِ شَيْءٌ.

٤٥٥٢- وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ اللَّذَانِ هُمَا لِكُلِّ لِي وَلايَةٍ وَعَدَاوَةٍ أَصْلَانِ
يعني: ويكونُ الحبُّ والبغضُ أيضًا، خالصًا لله، والحبُّ والبغضُ هما أصلانِ للولاية والعداوة، فبالحُبِّ تكونُ الولايةُ، وبالْبُغْضِ تكونُ العداوةُ، لا يمكنُ أن تكونَ العداوةُ مع الحُبِّ أبدًا، ولا أن تكونَ الولايةُ مع البغضِ، فالحُبُّ أصلُ والولايةُ فرعٌ؛ يعني: مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا تَوَلَّاهُ، وَالبُغْضُ أصلُ والعداوةُ فرعٌ، يعني: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا عَادَاهُ، فَأَنْتِ إِذَا أَحْبَبْتِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَحِينَئِذٍ تَكُونُ وَلايَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ، وَوِلايَتِكَ أَنْتِ لِلَّهِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَحِينَئِذٍ تَكُونُ عَدَاوَةً لِلَّهِ لَكَ وَعَدَاوَتُكَ أَنْتِ لِلَّهِ؛ وَهَذَا كَانَ الْكُفْرَ حَلًّا بِبُغْضِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ عَدَاوَتِهِ.

إِذْنُ الْأَصْلِ لِلْوِلايَةِ هُوَ الْحُبُّ، وَالْأَصْلُ لِلْعَدَاوَةِ هُوَ الْبُغْضُ، وَالْحُبُّ وَالبُغْضُ فِي الْقَلْبِ، وَالْوِلايَةُ وَالْعَدَاوَةُ فِي الظَّاهِرِ.

٤٥٥٣- اللَّهُ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءُ وَالْ— مَنَعُ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقْفَانِ

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِمَا يَقْفَانِ» «عَلَيْهِمَا»؛ أي: على العطاء والمنع، «يَقْفَانِ»؛ أي: الحب والبغض والعداوة والولاية، يقول: «لِلَّهِ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءُ وَالْمَنَعُ» الإِعْطَاءُ مِنَ اللَّهِ؛ وَالْمَنَعُ مِنَ اللَّهِ، يَعْنِي: هُوَ الَّذِي يَهَبُ الْحُبَّ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْوِلَايَةَ، وَالْبَغْضُ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْعِدَاوَةُ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الْحُبَّ وَالْوِلَايَةَ فَقَدْ أَعْطَاهُ، وَمَنْ مَنَعَهُ حُرْمَ مِنَ الْحُبِّ وَالْوِلَايَةِ، «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ»^(١).

٤٥٥٤- وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالنَّ— تَحْكِيمُ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «هَذَا» الْإِخْلَاصُ؛ فَإِنَّهُ شَطْرُ الدِّينِ، وَالنَّصْفُ الثَّانِي: أَتْبَاعُ الرَّسُولِ؛ وَهَذَا قَالَ: «وَالتَّحْكِيمُ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانِي»، فَالتَّحْكِيمُ لِلْمُخْتَارِ؛ أَي: لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ يَعْنِي: نَجْعَلُهُ هُوَ الْحَكَمَ بَيْنَنَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَنزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ، وَالتَّحْكِيمُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٥٥٥- وَكِلَاهُمَا الْإِحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّلَ الرُّ— رَحْمَنٌ مِنْ سَعْيٍ بِإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «كِلَاهُمَا»؛ أَي: الْإِخْلَاصُ وَالتَّابِعَةُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفة، رقم (٥٩٣).

الإخلاص والمتابعة هما الإحسان؛ قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] مَنْ هُوَ الْأَحْسَنُ عَمَلًا؟

الجواب: هو مَنْ كَانَ أَخْلَصَ لِلَّهِ وَأَتَبَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٥٥٦- وَالْهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِأَلِ إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
الهجرة الثانية: هجرة إلى المبعوث محمد ﷺ بالإسلام والإيمان والإحسان، لكن كيف تهاجر إليه؟ تهاجر إليه باتباعه، تسلك طريقه الذي مشى إليه، لا تتجاوزة، ولا تقصر عنه؛ ولهذا ينبغي للإنسان حين فعل العبادة أن يستحضر هذين الأمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤٥٥٧- أَتَرُونَ هَذِي هِجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا وَاللَّهِ بَلْ هِيَ هِجْرَةُ الْإِيمَانِ

يعني: هذه ليست هجرة أبدان، ولكنها هجرة إيمان وهجرة قلوب، يهاجر القلب إلى الله فيكون دائماً واقفاً بين يديه وفي رحابه، بأن يلتفت إلى الله دائماً، يجعل دائماً ذكر الله في قلبه قائماً وقاعداً فاعلاً وتاركاً، فالإنسان الموفق يكون دائماً في يقظة، والمخدول - نسأل الله العافية - يكون دائماً في غفلة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا نُطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]؛ ولهذا إذا رأيت من نفسك أنك لا تعمل، تمضي عليك الأيام وأنت ما عملت شيئاً فاتهم نفسك، فإن قلبك يكون غافلاً عن ذكر الله؛ لأن من أقبل على الله بآرك له في وقته وفي عمله، وكانت ساعاته كلها معمورة بما فيه الخير.

ولا شك أن ذكر الله باللسان يُعِينُ عَلَى ذِكْرِهِ بِالْقَلْبِ، وكثرة قراءة القرآن وكثرة العبادة يجرُّ بعضها بعضاً، ومصاحبة الأخيار، وأشياء كثيرة، كل ذلك يُعِينُ عَلَى ذِكْرِهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ.

يهاجرُ إلى الرَّسُولِ فيكونُ دائماً متبَعاً له وكأنَّه أمامه ينظرُ إليه فيسلك ما يسلكه، هذه الهجرةُ الحقيقيَّةُ، وهجرةُ الأبدانِ فرَعٌ عن هذه الهجرة؛ لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١)، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لذلك.

٤٥٥٨- قَطَعَ الْمَسَافَةَ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي دَرَكِ الْأُصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانَ
٤٥٥٩- أَبَدًا إِلَيْهِ حُكْمَهَا لَا غَيْرِهِ فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَّانِ

قَوْلُهُ: «قَطَعَ الْمَسَافَةَ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ...» هل يمكنُ أن تقطَعَ المسافةَ بالقلوبِ إلى الله؟ الجوابُ: نعم، يكونُ قلبُك يحومُ حولَ العرشِ دائماً، ولا يجولُ حولَ الفَرْشِ؛ والفَرْشِ: أي: الأرض؛ لأنَّ كونك تجولُ حولَ الأرضِ معناه أنَّك أَهْبَطْتَ نَفْسَكَ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

فالحاصلُ أنَّ المؤلفَ يقولُ: قطعُ المسافةِ بالقلوبِ إليه في دَرَكِ الْأُصُولِ، وأما قطعُ المسافةِ بالقلوبِ إلى الرَّسُولِ فذلك بأن تحومَ حولَ سُنَّتِهِ وتنبذَ كُلَّ ما خَالَفَ سُنَّتَهُ، تجعله ورائك وتجعلُ أمامك محمّداً صلى اللهُ عليه وسلم.

قَوْلُهُ: «إِلَيْهِ حُكْمَهَا لَا غَيْرِهِ»؛ أي: لا إلى غيره؛ لأنَّ الحكمَ لله ورسوله.

قَوْلُهُ: «فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَّانِ»، والنَّصَّانِ هما الكتابُ والسُّنَّةُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، رقم (١٩٠٧).

- ٤٥٦٠- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى مَنْ حُصَّ بِالْحِرْمَانِ وَالْخِذْلَانِ
 ٤٥٦١- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى كَسْلَانٍ مَنُحُوبِ الْفُؤَادِ جَبَانَ
 ٤٥٦٢- يَا هِجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ سَبَقَ الشُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ
 ٤٥٦٣- سَارُوا أَحْتَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسِيرُهُ سَيْرُ الدَّلَالِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
 ٤٥٦٤- هَذَا وَتَنْظُرُهُ أَمَامَ الرَّكْبِ كَالْعَلَمِ الْعَظِيمِ يُشَافُ فِي الْقِيَعَانِ
 ٤٥٦٥- رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النُّصُوصِ صِرَ رُؤُوسُهَا شَابَتْ مِنَ النَّيْرَانِ
 ٤٥٦٦- نَارٌ هِيَ النُّورُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 ٤٥٦٧- مَكْحُولَتَانِ بِمِرْوَدِ الْوَحْيَيْنِ لَا بِمَرَائِدِ الْآرَاءِ وَالْهَدْيَانِ
 ٤٥٦٨- فَلِذَلِكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ لَا عَنُ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيَّامَانِ

الشرح

٤٥٦٠- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى مَنْ حُصَّ بِالْحِرْمَانِ وَالْخِذْلَانِ
 يعني: أنه يتأسف على هذه الهجرة؛ أي: الهجرة إلى الله ورسوله، فإنه طالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى مَنْ حُصَّ بِالْحِرْمَانِ وَالْخِذْلَانِ، وَأَمَّا مَنْ مَنْ اللهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ وَالنَّصْرِ وَالْعِزِّ فَلَيْسَتْ عَلَيْهِ طَوِيلَةً.

٤٥٦١- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى كَسْلَانٍ مَنُحُوبِ الْفُؤَادِ جَبَانَ
 قَوْلُهُ: «مَنُحُوبٍ»؛ أي: ضعيف القلب.

فضعيفُ القلبِ، الجبانُ، الكسلانُ، هذا تطوُّلٌ عليه الهجرةُ، ويعجزُ عن الوصولِ إلى مكانِ هذه الهجرةِ.

٤٥٦٢- يَا هِجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ سَبَقَ السُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ

الظَّاهِرُ أَنَّ «سَبَقَ السُّعَاةَ» يَعْنِي: أَنَّهُ عَلَى فِرَاشِهِ لَكِنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُحْكِمُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَيَسْبِقُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ، فَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ يَسْبِقُ الْعَامِلَ الْجَادَّ فِي عَمَلِهِ.

٤٥٦٣- سَارُوا أَحْتَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسَيْرُهُ سَيْرُ الدَّلَالِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ

سَيْرُ الدَّلَالِ سَيْرٌ بَطِيءٌ، وَالدَّمْلَانُ سَيْرٌ سَرِيعٌ، وَهَذَا يَسِيرُ سَيْرَ الدَّلَالِ فَكَيْفَ يُعَانِقُ مَنْ يَسِيرُ سَيْرَ الدَّمْلَانِ السَّرِيعِ؟! وَمَعَ هَذَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٦٤- هَذَا وَتَنْظَرُهُ أَمَامَ الرَّكْبِ كَالْعَلَمِ الْعَظِيمِ يُشَافُ فِي الْقِيَعَانِ

يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الَّذِي سَارَ سَيْرَ الدَّلَالِ تَنْظَرُهُ مِثْلَ الْعَلَمِ فِي الْقِيَعَانِ، وَالْقِيَعَانُ جَمْعُ «قَاعٍ»، وَهُوَ الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمَسْتَوِيَّةُ.

٤٥٦٥- رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النَّصْوِ صِرَ رُؤُوسَهَا شَابَتْ مِنَ النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «رُفِعَتْ لَهُ» «لَهُ»؛ أَي: إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَسِيرُ سَيْرَ الدَّلَالِ يَرِيدُ الْهِجْرَةَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَوْلُهُ: «شَابَتْ مِنَ النَّيْرَانِ» «شَابَتْ»؛ أَي: مِنَ الشَّيْبِ، وَالنَّيْرَانُ جَمْعُ «نَارٍ».

الْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الْأَعْلَامَ وَاضِحَةٌ لِكثْرَةِ النَّيْرَانِ عَلَى رُؤُوسِهَا.

٤٥٦٦- نَارٌ هِيَ النَّوْرُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهْ عَيْنَانِ

٤٥٦٧- مَكْحُولَتَانِ بِمِرْوَدِ الْوَحْيَيْنِ لَا بِمِرَاوِدِ الْأَرَاءِ وَالْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «نَارٌ هِيَ النُّورُ الْمُبِينُ»؛ يعني: هي نَارٌ، ولكنها في الحقيقة نورٌ مبينٌ.

يقول رحمه الله: إن أعلام السنّة لا يراها إلا مَنْ له عينان مكحولتان بمراود السنّة لا بمراود الهديان والقول اللغو، وهو يشير إلى ما عليه السلف الصالح رحمهم الله، وما عليه هؤلاء المعطلّة.

٤٥٦٨- فَلِذَاكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ لَا عَنَ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيَّامَانِ

وهذا هو التوفيق من الله عزّ وجلّ أن يفتح الله على الإنسان نور العلم والإيمان حتى يسير خلفه، ومن الخذلان أن يُغلق عليه هذا حتى لا يفهم ولا يعلم.

٤٥٦٩- يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ أَغْلَامَ طَيِّبَةَ رُؤْيَا بَعِيَانِ

٤٥٧٠- وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ الْكِرَامِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ

٤٥٧١- أَصْحَابُ بَدْرِ وَالْأُلَى قَدْ بَايَعُوا أَزْكَى الرِّبَا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ

٤٥٧٢- وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأُلَى سَبَقُوا كَذَا الْآنَصَارُ أَهْلُ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ

٤٥٧٣- وَالْتَابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا لِكُنْ رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَابْتِلِي

٤٥٧٤- بَلْ غَرَّكُمْ ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ

٤٥٧٥- وَقَنَعْتُمْ بِقَطَارَةِ الْأَذْهَانِ وَنَبَذْتُمْ عَسَلَ النُّصُوصِ وَرَاءَكُمْ

٤٥٧٦- وَنَبَذْتُمْ عَسَلَ النُّصُوصِ وَرَاءَكُمْ

٤٥٧٧- وَتَرَكْتُمْ الْوَحِيَّيْنِ زُهْدًا فِيهِمَا وَرَغِبْتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ
٤٥٧٨- وَعَزَلْتُمْ النَّصِيْنَ عَمَّا وُلِيََا لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُدْوَانٍ

الشرح

٤٥٦٩- يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ أَعْلَامَ طَيِّبَةَ رُؤْيَا بَعْضِ
قَوْلُهُ: «يَا قَوْمُ»، مثل هذه العبارة يجوز فيها: «يَا قَوْمُ»، ويجوز فيها «يَا قَوْمُ»
بكسر الميم مراعاة للياء المحذوفة، وبضمها على سبيل القطع عن الإضافة.

قَوْلُهُ: «طَيِّبَةَ»، أي: المدينة، ولا ينبغي أن تُسَمَّى «يَثْرَبَ» كما يفعل بعض
الكتاب المعاصرين تبعاً للنصارى المنصرين، بل إنها هي طَيِّبَةُ كما قال النبي عليه
والصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّاهَا طَيِّبَةَ»^(١)، وصدق النبي عليه
الصلاة والسلام، وأما قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ يَثْرَبَ لَا مَقَامَ لَكَرٍ﴾ [الأحزاب: ١٣] فهذا
حكاية قول المنافقين، وليس إقراراً له.

٤٥٧٠- وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ الْكِرَامُ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «رَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ» اللوَاء هو ما يُرْفَعُ علماً عند قيادة الجيوش ليكون
مُتَّبَعًا.

قَوْلُهُ: «وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ الْكِرَامُ» فيه إشكال؛ لأنه ليس في المدينة إلا رسولٌ
واحدٌ وهو محمدٌ ﷺ، والجوابُ عنه أن يُقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ جاء بها جاءت به
الرُّسُلُ قبله، فهو كالرُّسُلِ جميعاً في المعنى، يقول الشاعر:

(١) أخرجه أحمد (٨٩/٥، رقم ٢١١٠٧).

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمَرْتُ عَنِّي^(١)

قَوْلُهُ: «وَعَسَكَرُ الْقُرْآنِ» مَنْ هُمْ عَسَكَرُ الْقُرْآنِ؟ قَالَ:

٤٥٧١- أَصْحَابُ بَدْرٍ وَالْأَلَى قَدْ بَايَعُوا أَزْكَى الرِّبَةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «أَصْحَابُ بَدْرٍ» أَصْحَابُ بَدْرٍ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي بَدْرٍ، وَكَانُوا ثَلَاثِمِئَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَخَصَّهِمُ اللَّهُ بِخُصِيصَةٍ حَيْثُ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(٢).

قَوْلُهُ: «الْأَلَى قَدْ بَايَعُوا» «الْأَلَى» بِمَعْنَى الَّذِينَ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (جَمْعُ «الَّذِي» «الَّذِينَ...»)^(٣).

فَجَمْعُ «الَّذِي»: «الَّذِينَ» وَالَّذِينَ.

قَوْلُهُ: «أَزْكَى الرِّبَةِ»؛ يَعْنِي: مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي هَذِهِ الْمَبَايَعَةِ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، أَحَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِضَاهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(٤)؛ يَعْنِي: الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ

(١) البيت لابن دُرَيْدٍ، كَمَا فِي شَرْحِ دِيوَانَ الْمُتَنَبِّيِّ لِلْعَكْبَرِيِّ (١/ ٣٨٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ الْجَاسُوسِ، رَقْمُ (٢٨٤٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ فَضَائِلِ

الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رَقْمُ (٢٤٩٤).

(٣) شَرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ (١/ ١٤١).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رَقْمُ (٢٤٩٦).

لا يدخلون لا دخولًا مؤقتًا ولا مؤبدًا، فهم بايعوا النبي ﷺ على ألا يفروا حين شاع في الناس أن عثمان قد قُتل، وكان عثمان قد ندبه النبي ﷺ إلى أهل مكة للمفاوضة، فبايع الناس، وعثمان رضي الله عنه لم يحضر، ولكن النبي ﷺ بايع عنه بنفسه فقال: «هذه يد عثمان»، فبايع يده بيده الأخرى عن عثمان رضي الله عنه^(١).

هؤلاء الذين بايعوا عددهم ألف وأربعمائة رجل، كلهم بايعوا تحت الشجرة، وبقيت هذه الشجرة حتى ذُكر لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الموحد المخلص أن أناسًا يذهبون إليها فأمر بقطعها^(٢)، فاجتثت من أصلها، والحمد لله الذي وفق هذا الخليفة لهذا العمل، والله لو بقيت لكانت مثل اللات والعزى لاسيما في هذا الوقت، لكن الحمد لله الذي وفق هذا الخليفة الراشد لهذا، وانظر إلى إخلاص هذا الرجل في توحيدِه لِمَا قَبَلَ الحجر الأسود وخاف أن يكون فتنة قال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»^(٣)، كل هذا إبعاد للناس عن التعلق بالأحجار والأشجار، فجزاه الله عن أمة محمد خيرًا.

وعمر رضي الله عنه فعل هذا وهو ولي الأمر، فيجب على ولاية الأمور من المسلمين أن يقطعوا كل وسائل الشرك، أما عامة الناس فقد يكون في هذا من الضرر ما يربو على قطعه، ربما يقطعون مثلًا شجرة أو يهدمون صنمًا، فيعاد الصنم أو الشجرة على أحسن مما سبق، وهؤلاء يُقضى عليهم وعلى دعوتهم.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه، رقم (٣٤٩٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/١٥٠، رقم ٧٥٤٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧).

٤٥٧٢- وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأُلَى سَبَقُوا كَذَا الْ أَنْصَارُ أَهْلُ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأُلَى سَبَقُوا» قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفِرُوا لِمَن سَبَقَ فِي الدَّارِ الْأُولَى سَبَقُوا﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ أي: الذين هاجروا من مكة أفضل بلاد الله وأحب البلاد إليهم، هاجروا إلى الله ورسوله تاركين أموالهم وديارهم وعيالهم، هاجروا إلى الله ورسوله فكان لهم سبق الهجرة.

قَوْلُهُ: «كَذَا الْأَنْصَارُ أَهْلُ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ» الأنصارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الذين ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]؛ أي: من قبل المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩]؛ يعني: لا يجدون في صدورهم شيئاً من البغضاء أو الضغينة ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ الضمير يعود على المهاجرين؛ يعني: لا يجدون في صدورهم شيئاً على المهاجرين حين فضلهم الله - سبحانه وتعالى - بما فضلهم به مع أنهم هم الذين قدموا إليهم.

٤٥٧٣- وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا لِكَ هَدِيهِمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

يعني: لو أن الإنسان هاجر لوجد هذه الأعلام الطيبة النيرة.

٤٥٧٤- لَكِن رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِي وَابْتَلِيْتُمْ سُمُّ بِالْحُظُوظِ وَنُضْرَةِ الْإِخْوَانِ

وهذه محنة - والعياذُ بالله - من الله عزَّ وجلَّ أن يُعْرِضَ الإنسانُ عن الكتابِ والسُّنَّةِ، وأن يأخذَ برأيِ فلانٍ وفلانٍ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ يَوْتَلَتْنِي لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وهذا مثلٌ ينطبقُ تماماً على المقلِّدين الذين يقدمون أقوالَ الشُّيوخِ على قولِ الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

٤٥٧٥- بَلْ عَرَّكُمْ ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ قَوْلُهُ: «ذَاكَ الْغُرُورُ» الْغُرُورُ هُوَ الشَّيْطَانُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

قَوْلُهُ: «وَسَوَّلَتْ لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ»؛ يَعْنِي: زَيَّنَتْ لَكُمْ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ فَتَبِعْتُمُوهُ.

٤٥٧٦- وَنَبَذْتُمْ عَسَلَ النَّصُوصِ وَرَاءَكُمْ وَقَنَّعْتُمْ بِقُطَارَةِ الْأَذْهَانِ ذَلِكَ الْعَسَلُ الصَّافِي الْكَثِيرُ نَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ، وَأَخَذْتُمْ بِالْقُطَارَةِ الضَّعِيفَةِ الْمَلَوَّةِ بِالْأَوْسَاحِ، وَهِيَ قُطَارَةُ الْأَذْهَانِ.

٤٥٧٧- وَتَرَكْتُمُ الْوَحْيَيْنِ زُهْدًا فِيهِمَا وَرَغِبْتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ سَبَّحَانَ اللَّهِ! تَرَكَوا شَيْئَيْنِ وَأَخَذُوا أَشْيَاءَ، كُلُّ مَا ذَكَرَ لَهُمْ مِنْ رَأْيٍ تَبِعُوهُ، وَتَرَكَوا الْوَحْيَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٥٧٨- وَعَزَلْتُمُ النَّصِيْنِ عَمَّا وُلِّيَا لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُدْوَانٍ يَقُولُ: يَجِبُ الرُّجُوعُ فِي التَّحَاكُمِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَنزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا تَنَازَعَ الرَّجُلَانِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا يَذْهَبَانِ إِلَى الْحَاكِمِ، فَكَذَلِكَ إِذَا تَنَازَعْنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ نَرُدُّهُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، هَؤُلَاءِ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- عَزَلُوا النَّصِيْنِ عَمَّا وُلِّيَا لِلْحُكْمِ فِيهِ، وَقَدْ وُلَّى اللَّهُ النَّصِيْنِ الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ عَزَلُوهُمَا عَزَلَ ذِي عُدْوَانٍ.

- ٤٥٧٩- وَرَعَمْتُمْ أَنْ لَيْسَ بِحُكْمٍ بَيْنَنَا
إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
- ٤٥٨٠- فَهَمَّا بِحُكْمِ الْحَقِّ أَوْلَىٰ مِنْهُمَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ
- ٤٥٨١- حَتَّىٰ إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ
أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٥٨٢- وَإِذَا انْجَلَىٰ هَذَا الْغُبَارُ وَصَارَ مِنْ
سِدَانِ السَّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ
- ٤٥٨٣- وَبَدَتْ عَلَىٰ تِلْكَ الْوُجُوهِ سِمَاتُهَا
وَسَمَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ الدِّيَانِ
- ٤٥٨٤- مُبِيضَةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةِ
وَالسُّودُ مِثْلَ الْفَحْمِ لِلنَّيْرَانِ
- ٤٥٨٥- فَهَنَّاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ
وَهُنَّاكَ يُقْرَعُ نَاجِدُ النَّدْمَانِ
- ٤٥٨٦- وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي
مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ
- ٤٥٨٧- وَهَنَّاكَ يَعْلَمُ مُؤَثِّرُ الْأَرْءِ وَالشُّ
سَطْحَاتِ وَالْهَدْيَانِ وَالْبُطْلَانِ
- ٤٥٨٨- أَيُّ الْبَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي
مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الْفَانِي

الشرح

٤٥٧٩- وَرَعَمْتُمْ أَنْ لَيْسَ بِحُكْمٍ بَيْنَنَا
إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ

يخاطبُ أهلَ التَّعْطِيلِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ يُحْكِمُونَ الْعَقْلَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ،
ويقولون: ما خَالَفَ الْعَقْلَ فَإِنَّهُ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ، فيرجعون إلى الْعَقْلِ مع أَنَّ الصِّفَاتِ
تُتَلَقَّى مِنَ السَّمْعِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لا مِنَ الْعُقُولِ.

٤٥٨٠- فَهَمَّا بِحُكْمِ الْحَقِّ أَوْلَىٰ مِنْهُمَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

قَوْلُهُ: «فَهَمَّا»؛ أَي: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أَوْ الْوَحْيَانِ.

قَوْلُهُ: «بِحُكْمِ الْحَقِّ» وهو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «أَوْلَى مِنْهُمَا»؛ أي: من العقولِ ومنطقِ اليونانِ.

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ»؛ أي: تنزيهاً لك يا ذَا السُّبْحَانِ، يا ذَا

التَّنْزِيهِ.

المعنى: أن هؤلاء المعطلة يقولون: لا يحكم بين الناس في باب الصفات إلا العقولُ ومنطقُ اليونانِ، ولكن ابن القيم يقول: الحقُّ أن الأولى بالحكم النِّصَانُ: «الكتابُ والسنة»، والذي جعلها أولى بالحق هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٥٨١- حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْمِيزَانِ

وذلك يكون يوم القيامة.

٤٥٨٢- وَإِذَا انْجَلَى هَذَا الْغَبَارُ وَصَارَ مِثْلَ سِدَانِ السَّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «مِثْلَ السَّبَاقِ»؛ أي: منتهى السباق.

يعني مثلاً: لو أردنا أن نتسابق إلى أمدٍ إلى غاية، إذا كان هناك غبارٌ فإننا لا نُشَاهِدُ الغاية؛ لأنها بعيدةٌ ومحجوبةٌ بالغبَارِ، فإذا انجلى الغبارُ صرنا نرى هذه الغاية؛ ولهذا يقول:

٤٥٨٣- وَبَدَتْ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ سِمَاتُهَا وَسَمَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ الدِّيَانَ

قَوْلُهُ: «عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ»؛ أي: على وجوه الخلق.

قَوْلُهُ: «سِمَاتُهَا»؛ أي: علاماتها.

قَوْلُهُ: «وَسَمَ الْمَلِكِ»؛ أي: تعليم المليك، فالذي يضع العلامة هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الدِّيَانِ» الذي يجزي عباده بما يعملون، فكما تدينُ تُدَانُ.

٤٥٨٤- مُبَيِّضَةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةٍ وَالسُّودُ مِثْلَ الفَحْمِ لِلنِّيرَانِ

الوجهُ يومَ القيامةِ تكونُ هكذا؛ قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ووجهُ المؤمنين -اللَّهُمَّ اجعلنا جميعاً منهم- تكونُ بيضاءً، ووجهُ الكافرين تكونُ سوداءً -والعياذُ بالله- مِثْلَ الفَحْمِ لِلنِّيرَانِ.

٤٥٨٥- فَهَنَّاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ وَهُنَّاكَ يُقْرَعُ نَاجِدُ النَّدْمَانِ

هناك يَعْلَمُ الرَّاكِبُ ما الذي تحته؟ هل هو مركوبٌ أو هل هو راحلةٌ تؤدِّي إلى الغرضِ أو ليس كذلك؟

٤٥٨٦- وَهُنَّاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ

قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُثْمَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

٤٥٨٧- وَهُنَّاكَ يَعْلَمُ مُؤَثِّرُ الْأَرْأِ وَالشُّبِّ شَطْحَاتِ وَالْهَدْيَانِ وَالْبُطْلَانِ

٤٥٨٨- أَيُّ البَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الْفَآئِي

وهذا صحيحٌ، يعلمُ مَنْ يُؤَثِّرُ الْأَرْأِ وَالشُّبِّ وَالشَّطْحَاتِ وَالْهَدْيَانِ وَالْبُطْلَانِ على كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسوله يعلمُ: أَيُّ البَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ؟ أَضَاعَ مِنَ البَضَائِعِ ما فيه الرِّبْحُ واختار ما فيه الخسارة؛ ولهذا قال: «وَمَا الَّذِي مِنْهَا تَعَوَّضَ» ولم يتعَوَّضْ إِلَّا ما فيه الخسارة والنَّدَمُ فِي الزَّمَانِ الْفَآئِي؛ يعني: زمان الدنيا، فَإِنَّهُ أَضَاعَ ما فيه الرِّبْحُ إلى ما فيه الخسرانُ.

- ٤٥٨٩- سُبْحَانَ رَبِّ الْخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٥٩٠- لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِهِ حَيْرَانِ
- ٤٥٩١- لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِالْغَضْلِ الْعَظِيمِ خُلَاصَةَ الْإِنْسَانِ
- ٤٥٩٢- وَسَوَاهُمْ لَا يُضْلِحُونَ لِصَالِحِ كَالشُّوكِ فَهُوَ عِمَارَةُ النَّيْرَانِ
- ٤٥٩٣- وَعِمَارَةُ الْجَنَّاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
- ٤٥٩٤- فَسَلِ الْهِدَايَةَ مِنْ أَرْمَةِ أَمْرِنَا بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الدَّلِيلِ الْعَايِنِ
- ٤٥٩٥- وَسَلِ الْعِيَادَ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَانِ نِ بَهْلِكَ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ
- ٤٥٩٦- شَرُّ النَّفُوسِ وَسَيِّئُ الْأَعْمَالِ مَا وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ
- ٤٥٩٧- وَلَقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّذُ مِنْهُمَا فِي خُطْبَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٤٥٩٨- لَوْ كَانَ يَذْرِي الْعَبْدَ أَنْ مُصَابَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الشَّرَّانِ
- ٤٥٩٩- جَعَلَ التَّعَوُّذُ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ
- ٤٦٠٠- وَسَلِ الْعِيَادَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالْهَوَى فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ
- ٤٦٠١- وَهُمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طُرُقِ الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْبَجَانِ
- ٤٦٠٢- فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً وَالكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِ كَانِ
- ٤٦٠٣- وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ هَذَيْنِ فَاسْأَلْ سَاكِنِي النَّيْرَانِ
- ٤٦٠٤- وَاللَّهُ لَوْ جَرَّدَتْ نَفْسَكَ مِنْهُمَا لَأَتَتْ إِلَيْكَ وَفُودُ كُلِّ تَهَانِ

الشرح

٤٥٨٩- سُبْحَانَ رَبِّ الْحَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمِيزَانِ

يعني: يُسَبِّحُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الذي يقسمُ الفضلَ بين النَّاسِ، ويعدُّ بينهم في الميزانِ، فهذا فضلُه، وهذا عدلُه، مَنْ هداه فبفضلِه، وَمَنْ أضلَّه فبعدلِه، قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف:٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [الرُّحْرَف:٧٦]، ولكن مَنْ تَفَضَّلَ عليه فهده فهذا فضلُه يؤتِيه مَنْ يشاءُ، نسألُ اللهُ أنْ يؤتِيَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

٤٥٩٠- لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِهٍ حَيْرَانِ

وذلك كما قال تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأَنْعَام:١٤٩]، وكما قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السَّجْدَة:١٣]، ولكنه عَزَّ وَجَلَّ حكيمٌ، له الحكمةُ في أنه يهدي مَنْ يشاءُ، ويضلُّ مَنْ يشاءُ.

٤٥٩١- لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِالْ— فَضْلِ الْعَظِيمِ خُلَاصَةَ الْإِنْسَانِ

يختصُّ الخلاصةُ من الإنسانِ، فإذا كان اللهُ تعالى يقولُ: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأَنْعَام:١٢٤]، فهو كذلك أعلمُ حيثُ يجعلُ أثرَ هذه الرِّسالةِ، هل هذا أهلٌ لأن يكونَ من أتباعِ الرُّسْلِ أو ليس أهلاً؟ اللهُ أعلمُ، فَمَنْ آتاه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من آثارِ هذه الرِّسالةِ من العلمِ والإيمانِ والهدى فليشِرْ بالخيرِ، فإنَّ اللهُ لم يضعه فيه إلا وهو يعلمُ أنه أهلٌ، وَمَنْ حُرِّمَ فلا يبيسُ، وليلجأُ إلى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وليسأله الخيرَ والثباتَ.

٤٥٩٢- وَسَوَاهُمْ لَا يُضْلِحُونَ لِصَالِحٍ كَالشُّوكِ فَهُوَ عِمَارَةُ النَّيْرَانِ

الشُّوكُ لَا يُتَنَفَّعُ بِهِ، وَلَكِنْ تُوقَدُ بِهِ النَّارُ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا خِلَاصَةَ الْإِنْسَانِ هُمْ كَالشُّوكِ.

٤٥٩٣- وَعِمَارَةُ الْجَنَّاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

سَاكِنُو الْجَنَّاتِ وَعَامُرُوهَا هُمْ أَهْلُ الْهُدَى، أَمَّا الشُّوكُ فَهُوَ لِلنَّيْرَانِ.

٤٥٩٤- فَسَلِ الْهِدَايَةَ مِنْ أَرْمَةِ أَمْرِنَا بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةُ الدَّلِيلِ الْعَانِي

هَذَا تَوْجِيهٌُ مِنَ الْمُؤَلَّفِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَنَصِيحَةٌ أَنْ تَسْأَلَ الْهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ «مَنْ أَرْمَةٌ أَمْرِنَا بِيَدَيْهِ»، وَأَرْمَةٌ جَمْعُ «زِمَامٍ»؛ فَأَمُورُنَا زِمَامُهَا بِيَدِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا﴾ [هود:٥٦]، فَإِذَنْ إِلَى مَنْ نَلْجَأُ؟ الْجَوَابُ: إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْأَلْ مَنْ أَرْمَةٌ الْأُمُورِ بِيَدَيْهِ، اسْأَلْهُ الْهِدَايَةَ مَسْأَلَةَ الدَّلِيلِ الْعَانِي، لَا مَسْأَلَةَ الْمُتَكَبِّرِ الْمُدَلِّ عَلَى رَبِّهِ بِعَمَلِهِ، بَلْ مَسْأَلَةَ الدَّلِيلِ الْعَانِي؛ يَعْنِي: الْأَسِيرَ.

٤٥٩٥- وَسَلِ الْعِيَاذَ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَانِ نِ بَهْلِكَ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ

يَعْنِي: اسْأَلِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اسْأَلْهُ الْعِيَاذَ؛ يَعْنِي: أَنْ يُعِيدَكَ مِنَ اثْنَتَيْنِ «هُمَا بَهْلِكَ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ»، فَأَرْشَدَنَا -رَحِمَهُ اللَّهُ- إِلَى سُؤْلِ الْهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ وَالتَّعَوُّذِ بِهِ مِنْ هَاتَيْنِ الْخِصْلَتَيْنِ وَهُمَا:

٤٥٩٦- شَرُّ النَّفُوسِ وَسَيِّئُ الْأَعْمَالِ مَا وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ

يَعْنِي: اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ النَّفُوسِ وَسَيِّئِ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّهُمَا هُمَا الْكَفِيلَتَانِ بِهَلَاكِ النَّاسِ.

٤٥٩٧- وَلَقَدْ آتَىٰ هَذَا التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا فِي خُطْبَةِ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ

وذلك في قوله ﷺ في خطبة الحاجة: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»^(١)؛ لأنَّ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ بالسُّوءِ تقوِّدُك إلى كُلِّ هلاكٍ، والأعمال السيِّئة تمنعُك من كُلِّ خيرٍ، فإذا كانت الأعمال السيِّئة تمنعُك من الخير والنَّفْسُ تقوِّدُك إلى الشَّرِّ هلك الإنسان.

٤٥٩٨- لَوْ كَانَ يَدْرِي العَبْدُ أَنَّ مُصَابَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الشَّرَّانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ الشَّرَّانِ»، وفي نسخةٍ أخرى: «هُمَا الشَّرَّانِ»، والوجهان جائزان من النَّاحِيَةِ النَّحْوِيَّةِ، لكن ما هما؟ الجوابُ: شرُّ نفسه وسيئات أعماله.

يقولُ: لو كان يعلمُ ذلك لـ «جَعَلَ التَّعَوُّدَ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ»؛ ولذا قال:

٤٥٩٩- جَعَلَ التَّعَوُّدَ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الأَكْفَانِ

قَوْلُهُ: «جَعَلَ التَّعَوُّدَ...» هذا جوابُ «لَوْ».

قَوْلُهُ: «دَيْدَانَهُ»؛ يعني: الشَّيْءَ المُلَازِمَ له.

قَوْلُهُ: «حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الأَكْفَانِ»؛ أي: حَتَّى يَمُوتَ.

٤٦٠٠- وَسَلِ العِيَادَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالهَوَىٰ فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ

نعوذُ بالله من التَّكْبِيرِ والهَوَىٰ، سل العِيَادَ مِنَ التَّكْبِيرِ، والكِبْرُ كما حدَّه النَّبِيُّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- هو: «بَطَرُ الحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»^(٢)؛ أي: رَدُّ الحَقِّ واحتقارُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، رقم (٩١).

النَّاسِ، فَإِذَا أُبْتَلِيَ الْإِنْسَانُ بِهَذَا مَعَ الْهَوَى فَابْنُ الْقِيَمِ يَقُولُ: «هُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ»، قُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكِبْرِ وَالْهَوَى».

٤٦٠١- وَهُمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طَرُقٍ خَيْرٍ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَأُ

يعني: إِذَا وَلَجَ الْكِبْرُ وَالْهَوَى فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ صَدَّاهُ عَنْ كُلِّ طَرُقِ الْخَيْرِ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبُرِ وَالْهَوَى.

٤٦٠٢- فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً وَالْكَبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِكَانِ

يعني: أَحْيَانًا يَمْنَعُهُ الْهَوَى، وَأَحْيَانًا يَمْنَعُهُ الْكِبْرُ، وَأَحْيَانًا يَمْنَعُهُ الْهَوَى وَالْكَبْرُ جَمِيعًا.

٤٦٠٣- وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ هَدَيْنَ فَاسْأَلِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ هَدَيْنَ» وَهُمَا: الْكِبْرُ وَالْهَوَى، «فَاسْأَلِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ»، نَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَعِيدَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّكْبُرِ وَالْهَوَى.

٤٦٠٤- وَاللَّهُ لَوْ جَرَّدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمَا لَأَثَمْتُ إِلَيْكَ وَفُودُ كُلِّ تَهَانٍ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ كَمَا رَأَيْتُمْ يُكْتَبُ الْقَسَمَ فِي هَذَا الْفَصْلِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَقْتَضِيهِ؛ إِذْ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدِينَ مَتَمَرِّدُونَ وَسَائِرُونَ فِي عِنَادِهِمْ، فَرُبَّمَا يَغْتَرُّ بِهِمْ مَنْ يَغْتَرُّ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَ يُقْسِمُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لِإِثْبَاتِ أَنَّ هَؤُلَاءِ عَلَى ضَلَالٍ، وَأَنَّ مَا لَهُمْ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- نَارُ جَهَنَّمَ، فَكَانَ قَسَمُهُ وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ إِيَّاهُ فِي مَحَلِّهِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ يَنْبَغِي أَنْ يُقْسَمَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يُسْتَقْسَمِ الْإِنْسَانُ.

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين

- ٤٦٠٥- وَالْفَرْقُ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَظَاهِرٌ جِدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
- ٤٦٠٦- فَرْقٌ مُبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يَخْتَفِي إِيضًا حُهُ إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ
- ٤٦٠٧- فَالرُّسُلُ جَاءُوا نَا بِإِبْتَاتِ الْعُلُوِّ وَلِرَبِّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
- ٤٦٠٨- وَكَذَا أَتُونَا بِالصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الرِّحْمَنِ نَفْصِيًّا بِكُلِّ بَيَانِ
- ٤٦٠٩- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
- ٤٦١٠- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَلَمْ مَرَّتِي يَوْمَ لِقَائِهِ بَعِيَانِ
- ٤٦١١- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ الْفَعَّالُ حَقًّا قَا كَلَّ يَوْمِ رَبِّنَا فِي شَانِ

الشرح

قوله: «الفرق المبين»؛ يعني: البين، أو المبين؛ يعني: المظهر؛ وذلك لأن «أبان» تجوز أن تكون لازمة وتجاوز أن تكون متعدية، يُقال: «أبان الحق»؛ يعني: أظهره، وهي في هذه الحال متعدية، ويُقال: «أبان الصبح»؛ أي: ظهر، وهي في هذه الحال لازمة، فالفرق بين مبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين؛ ولهذا قال:

- ٤٦٠٥- وَالْفَرْقُ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَظَاهِرٌ جِدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

قَوْلُهُ: «جِدًّا»: مصدرٌ عاملُه محذوفٌ؛ أي: أُجِدُّ الأمرَ جِدًّا، والجِدُّ ضدُّ الهزل.
قَوْلُهُ: «لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ» قال: «لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ»؛ لأنه - رحمه الله -
سَيُلْقِي الفرقَ، وكان المتوقعُ أن يقولَ: «لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ»، لكن لما كان
سَيُلْقِي الفرقَ طلبَ منا أن نستمعَ فقال: «لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ».

٤٦٠٦- فَرَقٌ مُبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يُخْتَفَى إِيْضًا حُهُ إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ
ثُمَّ بَيَّنَّ وَجَهَ الْفَرَقِ فَقَالَ:

٤٦٠٧- فَالرُّسُلُ جَاؤُونَا بِإِبْتِاطِ الْعُلُوِّ وَلِرَبِّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ
قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، الرُّسُلُ كُلُّهُمْ مجتمعون
على أن الله تعالى فوق كلِّ شيءٍ، والمعطلُّون يقولون: لا، وانقسموا في ذلك في ضدِّ
ما جاءت به الرُّسُلُ انقسموا إلى قسمين:

قسم قال: إنَّه بذاته في كُلِّ مكانٍ؛ في المساجدِ، في البيوتِ، في الحشوشِ، في
كُلِّ مكانٍ والعياذُ بالله.

قسم قال: إنَّه ليس له مكانٌ، لا فوق العالمِ ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله،
ولا أمامه ولا خلفه، ولا داخل العالمِ ولا خارجه، ولا متَّصلاً ولا منفصلاً،
ولا مباينٌ ولا محايثٌ، وأتوا من هذا بالعجبِ العجَابِ.

أمَّا الرُّسُلُ فقالوا: إنَّه فوق كلِّ شيءٍ؛ ولهذا قال: «مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ».

٤٦٠٨- وَكَذَا أَتَوْنَا بِالصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الرُّزْمَانَ تَفْصِيلاً بِكُلِّ بَيَانٍ

نعم أتوا بالصِّفَاتِ مُفَصَّلَةً، وأحياناً مُجْمَلَةً، ففي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ
الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] هذا مُجْمَلٌ، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ... ﴿[الحشر: ٢٢]، مُفَصَّلٌ.

٤٦٠٩- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

كُلُّهُمْ يَقُولُ: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، وَكَلَّمُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ، كَلَّمَهُ
مُوسَى، كَلَّمَهُ آدَمُ، كَلَّمَهُ مُحَمَّدٌ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٤٦١٠- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْـ مَرَّيِّي يَوْمَ لِقَائِهِ بَعِيَانِ

يعني: أَنَّهُ يُرَى بِالْعَيْنِ، يَوْمَ نَلِقَاهُ عَزَّ وَجَلَّ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ نَلْقَاهُ وَهُوَ رَاضٍ
عَنَّا، فَهُوَ يُرَى بَعِيَانِ، يَرَاهُ النَّاسُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ أَفْصَحُ الْخَلْقِ وَأَنْصَحُ الْخَلْقِ
وَأَهْدَى الْخَلْقِ بَيَّنَّ أَنَّهُ يُرَى كَمَا يُرَى الْقَمَرُ، وَيُرَى كَمَا تُرَى الشَّمْسُ صَحْوًا لَيْسَ
دُونَهَا سَحَابٌ، وَالتَّشْبِيهُ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرَّيِّيِّ بِالْمَرَّيِّيِّ، وَهَلْ أَيْبُنُ مِنْ قَوْلِ
الرَّسُولِ ﷺ حِينَهَا نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً؟ يَعْنِي: الْبَدْرَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا
تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»^(١).

٤٦١١- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ الْفَعَّالُ حَقًّا كَلَّ يَوْمَ رَبَّنَا فِي شَانِ

اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾
[الرَّحْمَن: ٢٩]، فَهُوَ يُعْنِي وَيُفْقِرُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُنشِئُ وَيُعْدِمُ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنِ،
وَمَا أَكْثَرَ الْأَيَّامَ، مَنْ يُحْصِيهَا؟ الْجَوَابُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا أَكْثَرَ الْحَوَادِثَ فِي الْأَيَّامِ،
كُلُّ هَذِهِ الْحَوَادِثِ بِأَمْرِ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ، يُحْدِثُهَا كَمَا يَشَاءُ حَيْثُ تَقْتَضِيهَا حِكْمَتُهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٢٩)، ومسلم:
كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم
(٦٣٣).

- ٤٦١٢- وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالنَّفْيِ وَالتَّ
تَعْطِيلِ بَلْ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ
- ٤٦١٣- لِلْمُثْبِتِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
وَنِدَاءَهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ
- ٤٦١٤- شَهِدُوا بِإِيْمَانِ الْمُقَرَّرِ بِأَنَّهُ
فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ
- ٤٦١٥- وَشَهِدْتُمْ أَنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي
قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
- ٤٦١٦- وَأَتَى بِ«أَيْنَ اللَّهُ» إِقْرَارًا وَنُطْبُ
قًا قُلْتُمْ هَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ
- ٤٦١٧- فَسُؤَالِنَا بِ«الْأَيْنَ» مِثْلُ سُؤَالِنَا
مَا الْكَوْنُ عِنْدَكُمْ هُمَا شَيْئَانِ
- ٤٦١٨- وَكَذَا اتُّوْنَا بِالْبَيَانِ فَقُلْتُمْ
بِاللُّغْزِ أَيْنَ اللُّغْزُ مِنْ نَبِيَانِ
- ٤٦١٩- إِذْ كَانَ مَدْلُولُ الْكَلَامِ وَوَضْعُهُ
لَمْ يَقْصِدُوهُ بِنُطْقِهِمْ بِلِسَانِ
- ٤٦٢٠- وَالْقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ
مَا اللُّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا ذَانِ
- ٤٦٢١- يَا قَوْمُ رُسُلُ اللَّهِ أَعْرَفُ مِنْكُمْ
وَأَتَمُّ نُصْحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ

الشرح

- ٤٦١٢- وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالنَّفْيِ وَالتَّ
تَعْطِيلِ بَلْ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ
- ٤٦١٣- لِلْمُثْبِتِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
وَنِدَاءَهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ
- قَوْلُهُ: «بَلْ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ لِلْمُثْبِتِينَ صِفَاتِهِ» «لِلْمُثْبِتِينَ» متعلقة بقوله: «شَهَادَةٌ».

أتت الرُّسُلُ بإثباتِ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ وَالْكَلامِ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاتَيْتُمُونَا بِالنَّفْيِ؛ وَلِذَا قَالَ: «وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالنَّفْيِ» فَقُلْتُمْ: لَا يَتَكَلَّمُ، وَليْسَ

فوق العرش، وليس له صفة، ففرق بين هذا وهذا، فهم -والعياذ بالله- جنوا في حق الله، وحق كلامه، وحق رسوله، وحق أتباعه، ليتهم عطلوا وسكتوا.

فهم لم يقتصروا على النفي والتعطيل، بل اعتدوا على المثبتين بأنهم كفار، فصار منهم عدوان عظيم ويلزم من قولهم أن الرسل كفار؛ لأنهم مثبتون، وهم يقولون: من أثبت فقد جَسَم، ومن جَسَم فقد كَفَرَ، هذا اللازم قد يُنكرونها مكابرة، ويقولون: نحن لا نكفر الرسل، معاذ الله، نقول: إذا كنتم تقولون: «من قال: إن لله وجهًا فهو كافر» فما معنى هذا؟! هل هذا إلاً تكفير الرسل؟!

٤٦١٤- شَهِدُوا بِإِيْمَانِ الْمَقْرَرِ بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ

يعني: أن الرسل شهدوا بإيمان المقر بأنه فوق السماء مبين الأكوان.

٤٦١٥- وَشَهِدْتُمْ أَنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

وهذا فرق، فالرسل يشهدون بأن من أقر بعلو الله فهو مؤمن، وأنتم تشهدون بأن من أقر بعلو الله فهو كافر، إذن ناقضتم الرسل تمامًا.

٤٦١٦- وَآتَى بِ«أَيْنَ اللَّهُ» إِفْرَارًا وَنُطًّا قَا قُلْتُمْ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ

من الذي قال: «أين الله؟» الجواب: الرسول ﷺ قال للجارية التي أعتقها معاوية بن الحكم قال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»^(١)، فشهد لها بالإيمان حين أقرت بأن ربها هو الذي في السماء، ويذكر أنه قال لحصين أبي عمران بن حصين: «كم إليها تعبد؟» قال: سبعة: ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال: «من تعد لرغبتك

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ^(١)، فَأَقْرَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٤٦١٧- فَسُؤَالِنَا بِ«الْأَيْنَ» مِثْلُ سُؤَالِنَا مَا الْكَوْنُ عِنْدَكُمْ هُمَا شَيْئَانِ

يعني: أن السؤال بـ«الأيْن» إنما يكون عن الكون؛ يعني: أين هو كائن؟ أين هو موجود؟ فهو سؤال عن المكان، فإذا قيل: أين فلان؟ فما الجواب؟ الجواب: في بيته، في المسجد، في السوق، لكن لو قيل: «أين فلان؟» قال: غداً، فهذا لا يصح، وكذلك لو أجبنا السائل الذي سألك «أين فلان؟» فقلت: فلان لحم وعصب وعظام، لقال عنك إنك مجنون، أسألك أين هو؟ تُجيبني عن حقيقته وماهيته، فـ«الأيْن» إنما يُسأل بها عن المكان بلا شك، والنبي عليه الصلاة والسلام - أفصح الخلق وأعلمهم بمدلولات اللغة العربية لما قال: أين؟ لم يسأل: ما الله؟ ولم يسأل: ما سلطانه أين هو؟ بل يسأل عن الله نفسه أين هو؟ والجارية أجابت: «في السماء»، وهذا واضح جداً.

٤٦١٨- وَكَذَا اتَّوْنَا بِالْبَيَانِ فَقُلْتُمْ بِاللُّغْزِ أَيْنَ اللُّغْزُ مِنْ تَبْيَانِ

قَوْلُهُ: «اللُّغْزُ»؛ أَي: التَّعْمِيَةُ وَالْإِخْفَاءُ.

والرُّسُلُ اتَّوْنَا بِالْبَيَانِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ، أَمَّا اللُّغْزُ فَلَمْ يَأْتُوا بِهِ؛ وَلِهَذَا فَلَوْ قَالَ لَكُمْ قَائِلٌ: رَجُلٌ صَلَّى صَلَاةً فَرِيضَةً وَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَشَهَّدَ فِيهَا سِتَّ مَرَّاتٍ مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ؟ صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ فِيهَا سِتَّةُ تَشَهُدَاتٍ! هَذَا لُغْزٌ؛ لِأَنَّهُ يُعَمِّي عَلَيْنَا.

والجوابُ على هذا اللُّغْزِ أَنَّ هَذَا الْمُصَلِّيَ دَخَلَ مَعَ الْإِمَامِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَجَلَسَ لِلتَّشَهُدِ الْأَوَّلِ لِلْإِمَامِ وَلَا يُحْسَبُ لَهُ هُوَ، وَتَشَهَّدَ مَعَ الْإِمَامِ

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، رقم (٣٤٨٣)،

وقال: هذا حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

التَّشَهُدَ الثَّانِي، وكان الإمام ساهياً سهواً يكونُ سجودُه بعد السَّلَامِ، والمشهورُ من المذهبِ أنَّ المأمومَ يتابعُ الإمامَ في السُّجودِ بعد السَّلَامِ وأنَّ السُّجودَ بعد السَّلَامِ يجبُ فيه التَّشَهُدُ، فهذا تابعُ الإمامِ وتَشَهُدٌ، فهذه ثلاثةٌ، ثُمَّ قَامَ إلى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فجلسَ للتَّشَهُدِ الأوَّلِ في حقِّه، ولكنه سَلَّمَ قبل تمامِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ ذكر فقام فأتى بالرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ وتَشَهُدٌ، وكان محلُّ السُّجودِ عنده بعد السَّلَامِ؛ لأنَّه سَلَّمَ قبل إتمامِها، فسجدَ بعد السَّلَامِ وتَشَهُدٌ، فهذه ستَّةُ تشَهُداتٍ.

المهمُّ أنَّ اللُّغزَ معناه التَّعميةُ بأن يأتي الإنسانُ بشيءٍ يُعمِّي على غيره؛ ولهذا يقولون: إنَّه لا يجوزُ أن تُؤكَلَ الأترجَّةُ بعد العصرِ، وهذا لغزٌ أيضاً.

٤٦١٩- إِذْ كَانَ مَدْلُولُ الْكَلَامِ وَوَضَعُهُ لَمْ يَقْصِدُوهُ بِنُطْقِهِمْ بِلِسَانِ

يعني: أنَّ العِلَّةَ في أنَّ الرُّسُلَ أتوا باللُّغزِ أنَّ مدلولَ الكلامِ لم يُقصدَ وَوَضَعَ الكلامِ -؛ أي: الألفاظِ- لم تُقصدَ أيضاً فإذا قيل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، فقول: المرادُ «جاءَ أمرُ ربِّك» صارَ اللَّفْظُ لم يُقصدَ؛ لأنَّ اللَّفْظَ الذي أماننا «جاءَ رَبُّكَ»، هم يقولون: هذا غيرُ مقصودٍ، إذنَّ ما المقصودُ؟ قالوا: «جاءَ أمرُ ربِّك»، فالمعنى الذي يظهرُ من قولِهِ: «جاءَ رَبُّكَ» غيرُ مقصودٍ عندهم.

إذنَّ فاللَّفْظُ بحسبِ وضعِهِ غيرُ مقصودٍ، ومدلولُ اللَّفْظِ عندهم غيرُ مقصودٍ أيضاً، مقصودُ اللَّفْظِ في قولِهِ: «جاءَ رَبُّكَ» أنَّ الجائِيَ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ، وهذا أيضاً مدلولُ الخطابِ وَوَضَعًا؛ أي: لغةً، وهم نفوا هذا وهذا.

٤٦٢٠- وَالْقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ مَا اللَّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إِلاَّ اذَانَ

قَوْلُهُ: «وَالْقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ» ماذا قصدوا بقولِهِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ على

زعم هؤلاء المؤولة؟ قصدوا به: «جاء أمر ربك»، نقول: بل الذي يفهم من ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أنه هو الذي جاء بنفسه.

قوله: «مَا اللَّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا ذَانِ» «إِلَّا ذَانِ» المشار إليه مخالفة الوضع باللسان العربي، وقصد غير المفهوم منه، هذا هو اللغز.

٤٦٢١- يَا قَوْمِ رُسُلُ اللَّهِ أَعْرَفُ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ نُصْحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ

ذكر ثلاثة أشياء من مقومات اللفظ: «أَعْرَفُ مِنْكُمْ» و«أَعْرَفُ» بمعنى «أَعْلَمُ» وأعرف بمدلول الخطاب، الثانية والثالثة: «وَأَنْتُمْ نُصْحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ» «بَيَانِ»؛ يعني: فصاحة، فهذه ثلاثة أشياء من مقومات الكلام: العلم، والنصح، والبيان، وكلها اجتمعت في كلام الرسل، وهناك أمر رابع أيضًا وهو الصدق، فهم أصدق الناس خبرًا، فإذا اجتمعت هذه المقومات صار الكلام على أتم وجه.

٤٦٢٢- أَتَرَوْهُمْ قَدْ أَلْغَزُوا التَّوْحِيدَ إِذْ بَيَّنَّمُوهُ يَا أُولِي الْعُرْفَانِ

٤٦٢٣- أَتَرَوْهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا التَّشْبِيهَ وَهُوَ وَلَدَيْكُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

٤٦٢٤- وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا قَدْ قُلْتُمْ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

٤٦٢٥- وَلَايَ شَيْءٍ صَرَّحُوا بِخِلَافِهِ تَصْرِيحَ تَفْصِيلِ بِلَا كِتْمَانِ

٤٦٢٦- وَلَايَ شَيْءٍ بِالْغَوَا فِي الْوَصْفِ بِالْإِثْبَاتِ دُونَ النَّفْيِ كُلِّ زَمَانِ

٤٦٢٧- وَلَايَ شَيْءٍ أَنْتُمْ بِالْغَنَمِ فِي النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْقَفْزَانِ

٤٦٢٨- فَجَعَلْتُمْ نَفْيَ الصِّفَاتِ مُفْصَلًا تَفْصِيلَ نَفْيِ الْعَيْبِ وَالتَّقْصَانِ

- ٤٦٢٩- وَجَعَلْتُمْ الْإِنْبَاتَ أَمْرًا مُجْمَلًا
 ٤٦٣٠- أَتْرَاهُمْ عَجَزُوا عَنِ التَّبْيَانِ وَاسْمِ
 ٤٦٣١- أَتَرُونَ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ وَأُمَّةَ النَّ
 ٤٦٣٢- وَوَقَّاحَ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الْ
 ٤٦٣٣- مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمُعْتَزِلٍ وَمَنْ
 ٤٦٣٤- بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالنَّبِ
 ٤٦٣٥- فَسَلُّوهُمْ بِسُؤَالِ كُتُبِهِمُ الَّتِي
 ٤٦٣٦- وَسَلُّوهُمْ هَلْ رَبُّكُمْ فِي أَرْضِهِ
 ٤٦٣٧- أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ فَلَا
 ٤٦٣٨- فَالْعِلْمُ وَالتَّبْيَانُ وَالتَّنْضُحُ الَّذِي
 ٤٦٣٩- لَكِنَّمَا الْإِلْغَاؤُ وَالتَّلْبِيسُ وَالْ
- عَكْسَ الَّذِي قَالُوهُ بِالْبُرْهَانِ
 تَوَلَّيْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى التَّبْيَانِ
 تَعْطِيلِ وَالْعَبَّادِ لِلنَّيِّرَانِ
 مَذْمُومٍ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيْمَانِ
 وَالْأَهْمَامِ مِنْ حِزْبِ جَنْكِزْ خَانَ
 تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
 جَاؤُوا بِهَا عَنْ عِلْمِ هَذَا الشَّانِ
 أَوْ فِي السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
 هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجُ الْأَكْوَانِ
 فِيهِمْ يُبَيِّنُ الْحَقَّ كُلَّ بَيَانِ
 كِتْمَانٍ فِعْلٌ مُعَلَّمٌ الشَّيْطَانِ

الشرح

- ٤٦٢٢- أَتَرَوْنَهُمْ قَدْ أَلْغَزُوا التَّوْحِيدَ إِذِ
 وَهَذَا سَخْرِيَّةٌ عَظِيمَةٌ بِهَوْلَاءِ؛ يَعْنِي: أَتَظُنُّونَ أَنَّ الرُّسُلَ وَأَتَبَاعَهُمْ قَدْ أَلْغَزُوا
 فِي التَّوْحِيدِ، وَأَنْتُمْ بَيِّنْتُمُوهُ يَا أَوْلِي الْعِرْفَانِ؛ يَعْنِي: يَا أَصْحَابَ الْمَعْرِفَةِ؟! وَهَذَا
 تَهْكُّمٌ بِهِمْ وَاسْتَهْزَاءٌ.

٤٦٢٣- أْتَرُونَهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا التَّشْبِيهَ وَهَـ **وَلَدَيْكُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ**

أظهروا التشبيه بماذا؟

الجواب: بإثبات الصفات؛ لأن هؤلاء المعطلة يقولون: كُلُّ مَنْ أَثَبَّتْ صِفَةً لِلَّهِ فَهُوَ مُشَبَّهٌ وَهُوَ عَابِدٌ وَثْنٍ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جِسْمًا كَالْأَوْثَانِ؛ وَهَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ: «وَهُوَ لَدَيْكُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ»؛ يَعْنِي: وَالْإِثْبَاتُ لَدَيْكُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ؛ لِأَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَنْ أَثَبَّتْ صِفَةً فَهُوَ مُجَسَّمٌ؛ أَي: جَاعِلٌ لِلَّهِ جِسْمًا كَالْوَثْنِ الَّذِي يُعْبَدُ.

٤٦٢٤- **وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا قَدْ قُلْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ**

يعني: ما الذي منعهم أن يقولوا كما تقولون مع أنهم ملزمون بالبلاغ، ولو كان الحق كما قلتم لكانوا هم الذين يبينونه لأنتم.

٤٦٢٥- **وَلَايَ شَيْءٍ صَرَّحُوا بِخِلَافِهِ تَصْرِيحَ تَفْصِيلٍ بِلَا كِتْمَانٍ**

يعني: ما الذي حملهم على أن يصرحوا بخلاف ما تزعمون أنه الحق؟

٤٦٢٦- **وَلَايَ شَيْءٍ بِالْعُوقَا فِي الْوَصْفِ بِالْإِثْبَاتِ دُونَ النَّفْيِ كُلِّ زَمَانٍ**

قوله: «بِالْعُوقَا فِي الْوَصْفِ بِالْإِثْبَاتِ»؛ يَعْنِي: أَتَوْا فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَجْهِ الْأَكْثَرِيَّةِ؛ وَهَذَا لَوْ تَأَمَّلْتَ النُّصُوصَ وَجَدْتَ أَكْثَرَ مَا فِيهَا فِي الْإِثْبَاتِ التَّفْصِيلِ وَفِي النَّفْيِ الْإِجْمَالَ عَكْسَ طَرِيقَةٍ هَؤُلَاءِ.

٤٦٢٧- **وَلَايَ شَيْءٍ أَنْتُمْ بِالْغَنَمِ فِي النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْقُفْزَانِ**

هذا عكس ما جاءت به الرسل، الرسل أتوا بإثبات المفصل غالباً، ونفي

المُجْمَلِ، وهؤلاء بالعكس؛ ولهذا لا تكادُ تجد نفيًا مُفَصَّلًا في صفاتِ الله إِلَّا لسببٍ، إمَّا أن تكونَ صفةً عيبٍ ادَّعَاها المُفْتَرِي مثل: دعوى اليهود والنَّصَارَى والمُشْرِكِينَ بأنَّ له ولدًا فقال: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، أو نفيَ صفةٍ يتوهمها واهمُّ من فعلٍ شيءٍ كبيرٍ عظيمٍ مثل: خلقِ السَّمَاوَاتِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ لِأَنَّهُ رَبًّا يَقُولُ قَائِلٌ: خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ تُلْحِقُ الْفَاعِلَ تَعَبًا، فقال تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، وفي الوقتِ نفسِه قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ رَدُّ لما قاله المُفْتَرُونَ وهم اليهودُ -لعنةُ الله عليهم- حيث قالوا: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ آخِرُهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَعَبَ فَاسْتَرَحَ يَوْمَ السَّبْتِ، ولم يكن خلقٌ في يومِ السَّبْتِ، هذا على زعمِ اليهودِ.

قَوْلُهُ: «الْقُفْرَانِ» الظَّاهِرُ أَنَّهَا جَمْعُ «قَفِيزٍ»، والقَفِيزُ أكبرُ من الصَّاعِ بكثيرٍ، يعني: أنتم كأتكم كلتم بالميال الأوفى بالنسبة للنفي.

٤٦٢٨- فَجَعَلْتُمْ نَفِيَّ الصِّفَاتِ مُفَصَّلًا تَفْصِيلَ نَفْيِ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ

٤٦٢٩- وَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ أَمْرًا مُجْمَلًا عَكْسَ الَّذِي قَالُوهُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: أن أهل التَّعْطِيلِ سلكوا طريقًا مخالفًا لطريقِ القرآنِ والسُّنَّةِ ففَصَّلُوا في النَّفْيِ وَأَجْمَلُوا في الْإِثْبَاتِ، ولهذا تجدُ في كتبهم أن الله ليس بجوهرٍ، ولا عَرَضٍ، ولا كذا، ولا كذا، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أصمٌّ، ولا أعمى، ولا أحرَسَ، وما أشبه ذلك، لا تكادُ تجدُ فيهم صفةً ثبوتيةً، وأمَّا طريقُ الكتابِ والسُّنَّةِ فهو التَّفْصِيلُ في الْإِثْبَاتِ وَالْإِجْمَالُ في النَّفْيِ.

٤٦٣٠- أَتْرَاهُمْ عَجَزُوا عَنِ التَّبْيَانِ وَاسْمٌ - تَوَلَّيْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى التَّبْيَانِ
 هذا الاستفهام للنفي والإنكار؛ يعني: لا تظنهم أنهم عجزوا عن التبيان
 وأنكم أنتم استوليتم عليه.

٤٦٣١- أَتَرُونَ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ وَأُمَّةَ التَّعْطِيلِ وَالْعُبَادِ لِلنَّيِّرَانِ
 قَوْلُهُ: «أَتَرُونَ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ» الفرحُ صغارُ الطَّيْرِ، ومعلومٌ لنا جميعاً أنَّ الفرحَ
 مَهِينٌ ضَعِيفٌ لا يَقْوَى أَنْ يُحْلَسَ نَفْسَهُ، فيقول: «أَفْرَاحَ الْيَهُودِ»؛ يعني بذلك: أَهْلَ
 التَّعْطِيلِ؛ لأنَّ الجعدَ بنَ درهمٍ يُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنِ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الَّذِي
 ثَبَّتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ^(١)، ومن هنا أُخِذَتِ مَقَالَةُ أَهْلِ
 التَّعْطِيلِ مِنَ الْيَهُودِ، وَلا شَكَّ أَنَّ الْيَهُودَ مَعْرُوفُونَ بِسَبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالُوا:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وَقَالُوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فوصفوه
 بالفقرِ والإعدامِ وبالبخلِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ عَجَزَ وَاسْتَرَحَ يَوْمَ السَّبِّ، فوصفوه
 بالعجزِ، فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ كَانُوا أَفْرَاحًا لِلْيَهُودِ؛ لِأَنَّ الْجَعْدَ بْنَ دَرَهْمٍ - عَلَى مَا يُقَالُ -
 أَخَذَ مَقَالَتَهُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ.

قَوْلُهُ: «وَالْعُبَادِ لِلنَّيِّرَانِ»؛ أَي: الْمَجُوسِ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ وَأُمَّةَ التَّعْطِيلِ «وَالْعُبَادِ»؛ يَعْنِي: وَأَفْرَاحَ الْعُبَادِ
 لِلنَّيِّرَانِ؛ يَعْنِي: الْمَجُوسِ، كَيْفَ كَانَ أَخَذَ هَذِهِ الْمَقَالََةَ مِنَ الْمَجُوسِ؟ يُقَالُ: إِنَّ الْجَعْدَ
 ابْنَ دَرَهْمٍ كَانَ فِي حَرَّانَ، وَكَانَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّابِئَةِ وَالْمَجُوسِ فَأَخَذَ مِنْهُمْ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، رقم (٥٤٣٢)، ومسلم: كتاب
 السلام، باب السحر، رقم (٢١٨٩).

٤٦٣٢- وَقَاحَ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الـ مَذْمُومٍ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيمَانِ

يعني: وكذلك الوقاح من أرباب الكلام الباطل؛ أي: أصحاب الكلام المذموم عند أئمة الإيمان.

فَعِلْمُ الْكَلَامِ عِنْدَ الْأُمَّةِ مَذْمُومٌ حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْكَلَامَ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ»^(١)، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَيَطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جِرَاءٌ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ عِلْمِ الْكَلَامِ»^(٢).

ثُمَّ بَيَّنَّ هَؤُلَاءِ فَقَالَ:

٤٦٣٣- مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمُعْتَزِلٍ وَمَنْ وَالَاهُمَا مِنْ حِزْبِ جَنْكِرْخَانَ

قَوْلُهُ: «مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ» نِسْبَةٌ إِلَى الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ.

قَوْلُهُ: «مُعْتَزِلٍ» نِسْبَةٌ إِلَى عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ وَوَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، فَإِنَّ وَاصِلَ ابْنَ عَطَاءٍ اعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَجَعَلَ يَقَرُّرُ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ وَالَاهُمَا مِنْ حِزْبِ جَنْكِرْخَانَ»؛ يَعْنِي: التَّتَارَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ عَطَّلُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ صِفَاتِهِ.

٤٦٣٤- بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالتَّـ تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «بِاللَّهِ أَعْلَمُ» هَذَا مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «أَتْرُونَ»؛ يَعْنِي: «أَتْرُونَ هَؤُلَاءِ بِاللَّهِ

(١) أخرجه أبو إسحاق الهروي، في ذم الكلام وأهله (٥/٧١، رقم ٨٥٩).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١٧/١).

أَعْلَمَ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ... إلخ»، وهذا الاستفهام للإنكار؛ يعني: لا تظنُّوهم أعلمَ من هؤلاء..

٤٦٣٥- فَسَلُّوهُمْ بِسُؤَالِ كُتُبِهِمُ الَّتِي جَاءُوا بِهَا عَنْ عِلْمِ هَذَا الشَّانِ قَوْلُهُ: «سَلُّوهُمْ» كيف نسألهم وقد ماتوا؟ يقول: «بِسُؤَالِ كُتُبِهِمْ»؛ لأنَّ الكتابَ يُعَبَّرُ عَمَّا فِي نَفْسِ الكَاتِبِ.

والمرادُ بالرُّسُلِ باعتبارِ الجنسِ؛ أي: من جميع الرُّسُلِ الذين من جملتهم موسى الذي أُنزِلَتْ عليه التَّوراةُ، وعيسى الذي أُنزِلَ عليه الإنجيلُ، ومحمدٌ الذي أُنزِلَ عليه القرآنُ.

٤٦٣٦- وَسَلُّوهُمْ هَلْ رَبُّكُمْ فِي أَرْضِهِ أَوْ فِي السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
٤٦٣٧- أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ فَلَا هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجُ الْأَكْوَانِ

هم ينقسمون في هذا إلى قسمين: منهم مَنْ يَجِيبُ بِالْأَوَّلِ، ومنهم مَنْ يَجِيبُ بِالثَّانِي:

الجوابُ الأوَّلُ: أَنَّ اللهَ فِي أَرْضِهِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، وهؤلاء هم الحلوليَّةُ الذين قالوا: إِنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

الجوابُ الثَّانِي: قولُهُم: «أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ»، فَلَا هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجُ الْأَكْوَانِ» هؤلاء المعطلَّةُ النَّفَاةُ الذين قالوا: إِنَّ اللهَ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مَتَّصِلٌ وَلَا مَنْفَصِلٌ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا مَبَايِنٌ وَلَا مَحَايِثٌ.

ونحن نقول: إِنَّ اللهَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ؛ أي: فيها جميعًا، أَوْ فِي السَّمَاءِ وَحْدَهَا، أَوْ فِي الْأَرْضِ وَحْدَهَا، أَوْ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ

ولا في السَّماء؛ يعني: ليس في واحدةٍ منهما، فالأقسامُ أربعةٌ: في الأرضِ وحدَها وهذا ما عَلِمْنَا أَحَدًا قال به، وفي السَّماءِ وحدَها قال بذلك أهلُ السُّنَّةِ، وفي السَّماءِ والأرضِ قال بذلك الحلولِيُّ، لا في السَّماءِ ولا في الأرضِ قاله المعطلَّةُ النُّفَاةُ.

وقولُ الاتِّحاديَّةِ أَقْبَحُ؛ لأنَّهم يقولون: الرَّبُّ والخَلْقُ شيءٌ واحدٌ.

٤٦٣٨- فَالْعِلْمُ وَالتَّبَيُّانُ وَالتَّنْصِيحُ الَّذِي فِيهِمْ يُبَيِّنُ الْحَقَّ كُلَّ بَيَّانٍ

٤٦٣٩- لَكِنَّمَا الْإِلْغَاظُ وَالتَّلْبِيسُ وَالْكِتْمَانُ فِعْلٌ مُعَلِّمٌ الشَّيْطَانَ

العلمُ والتَّبَيُّانُ والتَّنْصِيحُ هذا كُلُّهُ لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ بَيَّنَّوْا لِلنَّاسِ غَايَةَ الْبَيَّانِ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَعِنْدَهُمُ الْإِلْغَاظُ وَالتَّلْبِيسُ وَالكِتْمَانُ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَلَقَّوْنَ عِلْمَهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَيَأْتُونَ بِهَا كَالْإِلْغَاظِ لَا تُفْهَمُ، فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتُّكْرَانِ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْلِيَاءَ لِلشَّيْطَانِ.

فصل

في شكوى أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما إلى الرحمن

- ٤٦٤٠- يَا رَبِّ هُمْ يَشْكُونَنَا أَبَدًا بِيْنَفٍ
 ٤٦٤١- وَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ
 ٤٦٤٢- فَيَرَوْنَهُ الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ فِي قَوَا
 ٤٦٤٣- وَيَرَوْنَهُ الْإِبْتَاتَ لِلْأَوْصَافِ فِي
 ٤٦٤٤- فَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسِينَ لَوْ
 ٤٦٤٥- يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ لَا حِيَّتُمْ
 ٤٦٤٦- لَكِنَّا نَشْكُوهُمْ وَصَنِعِهِمْ
 ٤٦٤٧- فَاسْمَعْ شِكَايَتَنَا وَأَشْكِ مُحَقَّنَا
 ٤٦٤٨- رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الْهُدَى وَالْطُّفْ بِهِ
 ٤٦٤٩- وَارْحَمْهُ وَارْحَمْ سَعِيَهُ الْمَسْكِينِ قَدْ
 هُمْ وَظَلَمِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ
 لِيُظَنُّهُمْ هُمْ نَاصِرِي الْإِيمَانِ
 لِبِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ وَقُرْآنِ
 أَمْرٍ شَنِيعٍ ظَاهِرِ التُّكْرَانِ
 كُشِفَالَهُ بَادَاهُمْ بِطِعَانِ
 أَبَدًا وَحِيَّتُمْ بِكُلِّ هَوَانِ
 أَبَدًا إِلَيْكَ فَأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
 وَالْمُبْطَلِ ارْزُدْهُ عَنِ الْبُطْلَانِ
 حَتَّى تُرِيَهُ الْحَقَّ ذَا تَبْيَانِ
 ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَاهَ فِي الْقِيَعَانِ

الشرح

بَيَّنَّ الْمَوْلُفُ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي هَذَا الْفَصْلِ أَنَّ الشُّكَايَةَ تَقَعُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، لَكِنْ مَنِ الْمُسْتَكِي إِلَيْهِ؟ هُنَا يَخْتَلَفُ، يَقُولُ:

٤٦٤٠- يَا رَبِّ هُمْ يَشْكُونَنَا أَبَدًا بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَقَدِ اسْتَضَاءُوا لِنُورِهِمْ وَظَلَمَهُمْ إِلَى السُّلْطَانِ
يعني: إذا رأوا منّا أحدًا شكّوه إلى السُّلْطَانِ، فحبسه وضربه كما جرى ذلك
للأئمة وأتباعهم.

٤٦٤١- وَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُظَنُّهُمْ هُمْ نَاصِرِي الْإِيمَانِ

٤٦٤٢- فَيُرَوْنَهُ الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ فِي قَوَا

٤٦٤٣- وَيُرَوْنَهُ الْإِثْبَاتَ لِلْأَوْصَافِ فِي

٤٦٤٤- فَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسِينَ لَوْ

هؤلاء يشكون أهل السنة والجماعة إلى السُّلْطَانِ مثلما صنع ابن أبي دؤاد
في شكايته الإمام أحمد إلى المأمون ومن بعده، ومن تلبس هؤلاء أنهم «يُرَوْنَهُ
الْبِدْعَ فِي قَوَالِبِ سُنَّةٍ» هذا تلبس، فالذي يُظْهِرُ لك البدعة في قالبِ السُّنَّةِ
مُلبَّسٌ، ويُرَوْنَهُ الْإِثْبَاتَ أَمْرًا عَظِيمًا مُنْكَرًا، وهذا تلبس آخر، فصاروا يلبسون
من وجهين هما:

الوجه الأول: تحسينُ البدع حيث يجعلونها في قوالبِ سُنَنِ.

الوجه الثاني: تشويهُ السُّنَنِ وَالْإِثْبَاتِ حَتَّى يجعلونه في قالبِ الكفرانِ.

لو كُشِفَا لِلسُّلْطَانِ وَبَيَّنَّا لَهُ لِبَادَاهِمَ بِالطَّعَانِ؛ أَي: بِالْقَتْلِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ
لَبَّسُوا عَلَيْهِ؛ وَلِذَا قَالَ: «لَوْ كُشِفَا لَهُ بَادَاهِمُ بِطَّعَانٍ».

٤٦٤٥- يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ لَا حَيِّتُمْ أَبَدًا وَحَيِّتُمْ بِكُلِّ هَوَانٍ

كيف يقول: «لَا حَيِّتُمْ»، ويقول: «وَحَيِّتُمْ؟»؛ يعني: لَا حَيِّتُمْ تَحِيَّةَ إِكْرَامٍ،

وحيثم تحية هوان، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَرِهَ اللَّهُ رَمْيَ﴾
[الأنفال: ١٧].

٤٦٤٦- لَكِنَّا نَشْكُوهُمْ وَصَنِعِهِمْ أَبَدًا إِلَيْكَ فَأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
وَصَدَقَ رَحْمَهُ اللَّهُ؛ فذو السُّلْطَانِ الأعظم القدير هو الله، فنحن نشكوهم
إليه، ولكن انظر للفرق بين شكائيتنا وشكائيتهم.

٤٦٤٧- فَاسْمَعْ شِكَايَتَنَا وَأَشْكُ مُحِقْنَا وَالْمُبْطِلَ ارْزُدَّهُ عَنِ الْبُطْلَانِ
قَوْلُهُ: «الْمُبْطِلُ» نقول: «الْمُبْطِلُ» أو الْمُبْطِلُ؟ هذا من بابِ الاشتغالِ،
والقاعدةُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْاسْمُ الْمَقْدَّمُ مَتَلَوًّا بِأَمْرٍ فَالْأَرْجَحُ النَّصْبُ، تقول: «زَيْدًا
أَضْرِبْهُ» وتقول: «زَيْدٌ أَضْرِبْهُ» والأحسن: «زَيْدًا» لقوة طلبِ العاملِ؛ لَأَنَّهُ فَعَلُ
طَلَبٍ.

أهل السنة يدعون لأهل البدع بالهداية إلى السنة، وأن الله يرحمهم، وأهل
البدع بالعكس يدعون بأن يهلك الله أهل السنة ويقضي عليهم ويدحرهم، وهذا
هو الظلم والعدوان، فهم يشكوننا إلى السُّلْطَانِ لِيَتَّقَمَ مِنَّا، ونحن لم نقل: اللَّهُمَّ
عَذِّبْهُمْ، اللَّهُمَّ انتقم منهم، بل نقول: اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ، وكان الإمامُ أحمدُ يعذِّبُهُ
المأمونُ تعذيبًا بليغًا وهو يدعو له، ويقول: «لو أعلمُ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً لَصَرَفْتُهَا
لِلسُّلْطَانِ»^(١)، خلافا لما يفعله بعض الناس اليوم الذين يدعون أَنَّهُمْ أَهْلُ غَيْرَةٍ،
يدعون على وليِّ الأمر وهو ما أساء إليهم، وتجدهم يدعون عليه وهم مخطئون على
أنفسهم وعلى وليِّ الأمر وعلى المسلمين عموما، إذا كانوا صادقين في نصيح الله

(١) أخرجه البرهاري في شرح السنة عن الفضيل بن عياض (ص: ١١٣)، وعزاه شيخ الإسلام ابن
تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٩١) إلى الفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما.

ورسوله فليدعوا له؛ لأنه إذا صلح صلحت الرعيّة؛ لأنّ الأمر مشكّل، هذا بيده القوّة وبيده السّلطة، فإذا دعوت عليه زاد في شرّه، وإذا دعوت له فالله على كلّ شيء قدير، فقد يفتح الله عليه.

نحن ندعو لأهل البدع، وهم يشكون إلى السّلطان ليكون علينا؛ ولهذا يقول: «والمبطل ازدده عن البطلان».

وقوله: «والمبطل ازدده عن البطلان» يعني: ما دعا على المبطلين أن يهلكهم الله وما أشبه ذلك، بل قال: «ازدده عن البطلان»، وهذا هو الخير؛ لأنّ الله تعالى إذا ردّ أهل الباطل إلى الحقّ قويّ بهم أهل الحقّ، وازداد عدد المحقّين، وحصل الخير للجميع، هؤلاء انكفوا عن باطلهم، وهؤلاء ازدادوا بهم عددًا وقوّة، وما أحسن أن يرجع أهل الباطل إلى الحقّ، ثمّ يبيّنوا الباطل، فتجد أنّ الله يهدي على هذا الذي رجع من الباطل إلى الحقّ ويبيّن بطلان ما كان عليه تجد أنّ الله ينصر به أقوامًا كثيرين من باطلهم.

ونبشركم بخير أن بعض إخواننا الذين في بعض المراكز الإسلامية في البلاد الكافرة يذكرون أنّه يرجع إلى الحقّ من الشباب الذين عندهم شهادات عالية من الدكتوراه أو غيرها؛ لأنّهم وجدوا أنّ ما هم عليه من الباطل يخالف الفطر السليمة ويخالف ما تطلبه طبيعة الإنسان، فيسلمون ويبيّنون للناس أنّ ما كانوا عليه فهو باطل، حدّثنا بذلك الذين يأتون من المراكز، أحدهم كان نصرانيًا وأبوه قسّ كبير وهو معه شهادات عالية، رجّع إلى الحقّ وبيّن الباطل، وهو نصراني، والثاني: يهودي متوغّل في اليهوديّة، فعرف الحقّ ورجع إلى الحقّ وبيّن بطلان مذهبه.

المهمُّ أَنَّهُ ينبغي لنا أن ندعوَ لأهلِ الباطلِ أن يردَّهم اللهُ عن باطلِهِم إلى الحقِّ؛ ليستفيدوا هم بأنفسِهِم ويفيدوا غيرَهُم، هذا هو العدلُ الذي مَشَى عليه المؤلِّفُ، عكس ما يفعله بعضُ الجُهاَلِ إذا رأوا مَنْ تَمَادَى في الباطلِ قاموا يدعون عليه، فإذا قِيلَ لهم: ادعوا اللهُ لهم بالهدايةِ، قالوا: نسألُ اللهُ ألا يهديه، كأنَّهُم يستبعدون قدرةَ اللهُ على هدايته، واللهُ تعالى قادرٌ على أن يهديه، أرايتم أن من زعماءِ المسلمين في صدرِ الإسلامِ مَنْ كان من زعماءِ الكفرِ و الشُّركِ؟!!

٤٦٤٨- رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الْهُدَى وَالطُّفِّ بِهِ حَتَّى تُرِيَهُ الْحَقَّ ذَا تَبَيَّانِ

٤٦٤٩- وَارْحَمَهُ وَارْحَمِ سَعِيَهُ الْمُسْكِينِ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَاهَ فِي الْقِيَعَانِ

أعوذُ بالله، إذا تاه الإنسانُ في القيعانِ متى يأتي؟ القيعانُ ليس فيها جوادٌ ولا فيها خطوطٌ، يرجعُ إلى أقصى الطَّرِيقِ، ثُمَّ يرجعُ إلى أوَّلِهِ؛ لَأَنَّهُ يَتَّبِعُهُ، فهؤلاء مثل الذين تاهوا في القيعانِ.

٤٦٥٠- يَا رَبِّ قَدْ عَمَّ الْمُصَابُ بِهَذِهِ الْآرَاءِ وَالشُّطْحَاتِ وَالْبُهْتَانِ

٤٦٥١- هَجَرُوا لَهَا الْوَحْيَيْنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْأَنْارِ لَمْ يَعْبُوا بِذَا الْهَجْرَانِ

٤٦٥٢- قَالُوا وَتَلَّكَ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُعْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْبُرْهَانِ

٤٦٥٣- فَالْعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِي الظَّوَاهِرِ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ

٤٦٥٤- ثُمَّ ادَّعَى كُلُّ بَأْسِ الْعَقْلِ مَا قَدْ قُلْتُهُ دُونَ الْفَرِيقِ الثَّانِي

٤٦٥٥- يَا رَبِّ قَدْ حَارَ الْعِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ يَزِنُونَ وَحَيْكَ فَأَتِ بِالْمِيزَانِ

- ٤٦٥٦- وَبِعْتَلٍ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ قَدْ جَاءَ بِالمَعْقُولِ وَالبُرْهَانِ
 ٤٦٥٧- يَا رَبِّ أَرْشِدْنَا إِلَى مَعْقُولٍ مَنْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنا خَصَمَانِ
 ٤٦٥٨- جَاؤُوا بِبُشْبَهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا مَعْقُولَةٌ بَدَائِئِهِ الأَذْهَانِ
 ٤٦٥٩- كُلُّ يُنَاقِضُ بَعْضَهُ بَعْضًا وَمَا فِي الحَقِّ مَعْقُولَانِ مُخْتَلِفَانِ
 ٤٦٦٠- وَقَضُوا بِهَا كَذِبًا عَلَيْكَ وَجُرْأَةً مِنْهُمْ وَمَا التَّفْتُوا إِلَى القُرْآنِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله - شاكيًا إلى الربِّ العظيم جلَّ وعلا:

٤٦٥٠- يَا رَبِّ قَدْ عَمَّ المَصَابُ بِهَذِهِ الأَرَاءِ وَالشَّطْحَاتِ وَالبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ عَمَّ المَصَابُ»؛ يعني: اتسع وصار مصيبًا لكلِّ أحدٍ.

قَوْلُهُ: «بِهَذِهِ الأَرَاءِ»؛ يعني: الآراء المخالفة للشريعة وهي آراء أهل التعطيل.

قَوْلُهُ: «وَالشَّطْحَاتِ وَالبُهْتَانِ» الشَّطْحَاتِ: البعد عن الحقِّ، «والبُهْتَانِ»:

الكذب.

٤٦٥١- هَجَرُوا لَهَا الوَحِيَّينَ وَالفِطْرَاتِ وَالأَثَارِ لَمْ يَعْبُوا بِذَا الهِجْرَانِ

هجروا بهذه الآراء الوحيين؛ يعني: الكتاب والسنة، و«الفِطْرَاتِ» معروفة،

وهي ما فطر الله الخلق عليه، و«الأَثَارِ»؛ أي: آثار السلف كالصحابة والتابعين،

«لَمْ يَعْبُوا بِذَا الهِجْرَانِ»؛ أي: ما همهم أن يهجروا هذه الأربعة: الوحيين:

«الكتاب والسنة»، والثالث: الفطرة، والرابع: الآثار.

٤٦٥٢- قَالُوا وَتِلْكَ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْبُرْهَانِ
قَوْلُهُ: «تِلْكَ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْآثَارُ.

فهذه ظواهر لفظية لا تغني شيئاً لمن طلب البرهان والدليل.

٤٦٥٣- فَالْعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِي الظَّوَاهِرِ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ
لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ ظَوَاهِرَ لَفْظِيَّةٍ لَا تُغْنِي شَيْئًا وَجَبَ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْعَقْلِ عَلَى زَعْمِهِمْ.

٤٦٥٤- ثُمَّ ادَّعَى كُلُّ بَأْنِ الْعَقْلِ مَا قَدْ قُلْتَهُ دُونَ الْفَرِيقِ الثَّانِي
لَمَّا قَالُوا: نَرْجِعُ إِلَى الْعَقْلِ، وَكَانُوا عَشْرَةَ، فَقَالَ: الْأَوَّلُ: الْعَقْلُ مَا قُلْتَهُ،
وَقَالَ الثَّانِي: الْعَقْلُ مَا قُلْتَهُ، وَقَالَ الثَّلَاثُ: الْعَقْلُ مَا قُلْتَهُ، وَقَالَ الرَّابِعُ: الْعَقْلُ مَا
قُلْتَهُ، إِلَى الْعَاشِرِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَقُولُ: الْعَقْلُ مَا قُلْتَهُ، كَمَا صَارَتِ الْعُقُولُ؟ الْجَوَابُ:
صَارَتْ عَشْرَةَ، كُلُّهَا مُتَبَايِنَةٌ؛ وَهَذَا تَجِدُهُمْ أَكْثَرَ النَّاسِ نِزَاعًا وَاخْتِلَافًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ
يَقُولُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٤٦٥٥- يَا رَبِّ قَدْ حَارَ الْعِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ يَزِينُونَ وَحَيْكَ فَاتٍ بِالْمِيزَانِ
هَذَا يُرَدُّ بِهِ عَلَى مَنْ حَكَّمَ الْعُقُولَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ، يَقُولُ: لَوْ رَجَعْنَا إِلَى
الْعَقْلِ فَبَأَيِّ عَقْلٍ نَزُنُّ مَا يَجِبُ لِلَّهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ؟ هَلْ بِعَقْلِ زَيْدٍ، أَمْ بِعَقْلِ عُبَيْدٍ،
أَمْ بِعَقْلِ خَالِدٍ، أَمْ بِعَقْلِ بَكْرِ، بِعَقْلِ مَنْ؟ إِنْ قُلْنَا: بِعَقْلِ الْأَوَّلِ، قَالَ الثَّانِي: لَا، وَإِنْ
قُلْنَا: بِعَقْلِ الثَّانِي، قَالَ الْأَوَّلُ وَالثَّلَاثُ: لَا، وَإِنْ قُلْنَا بِعَقْلِ الرَّابِعِ، قَالَ الْأَوَّلُ
وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ: لَا، وَهَكَذَا، إِذَنْ لَا رَجُوعَ لِلْعُقُولِ، الرَّجُوعُ لَمَّا جَاءَ فِي الْوَحْيَيْنِ
مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَهَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

٤٦٥٦- وَبِعْقَلٍ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ قَدْ جَاءَ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِعْقَلٍ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ»؛ يعني: بعقلٍ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ بما تستحقُّه من صفاتٍ وأفعالٍ، فَمَنْ هو صاحبُ العقلِ الذي يقضي عليك؟

قَوْلُهُ: «فَكُلُّهُمْ قَدْ جَاءَ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ بِالْمَعْقُولِ؛ أي: على حسبِ قولهم، «وَالْبُرْهَانِ»: الْحُجَّةُ، ولكنه ليس لهم حُجَّةٌ، فكلُّ حُجَجِهِمْ شَبَهَاتٌ وليست بِحُجَجٍ.

٤٦٥٧- يَا رَبِّ أَرَشِدْنَا إِلَى مَعْقُولٍ مَنْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنَا خَصْمَانِ

يسألُ المولِّفُ رَبَّهُ أن يرشده إلى عقلٍ مَنْ يكونُ التَّحَاكُمُ عنده، وهذا على سبيلِ التَّنْزِيلِ من المولِّفِ رحمه الله، وإلَّا فقد أَرَشِدْنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن نأخذَ بما قال اللهُ وقال الرَّسُولُ، فهذا هو الحاكمُ بين الخلقِ، لكن هذا على سبيلِ التَّنْزِيلِ، يُشْبِهُ المباهلةَ بأن يتقابلَ الخصمانِ، ويدعو كُلُّ واحدٍ منهما على المُبْطِلِ منها.

٤٦٥٨- جَاؤُوا بِشُبُهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا مَعْقُولَةٌ بِنَدَائِهِ الْأَذْهَانِ

جَاؤُوا بِشُبُهَاتٍ يَدَّعُونَ أَنَّهَا حُجَجٌ وَبَيِّنَاتٌ، وَأَنَّهَا مَعْقُولَةٌ، وَأَنَّ البديهةَ تدلُّ عليها، فلا تحتاجُ إلى نظريٍّ وتعبيٍّ.

٤٦٥٩- كُلُّ يُنَاقِضُ بَعْضَهُ بَعْضًا وَمَا فِي الْحَقِّ مَعْقُولَانِ مُحْتَلِفَانِ

قَوْلُهُ: «كُلُّ يُنَاقِضُ بَعْضَهُ بَعْضًا»؛ يعني أن هؤلاء الذين قالوا: «إنَّ المرجعَ إلى العقلِ في بابِ الصِّفَاتِ» كُلُّ يُنَاقِضُ الْآخَرَ، يقولُ أحدهم: هذه الصِّفَةُ واجبةٌ لله، ويقولُ الثاني: هذه مستحيلةٌ على الله، ويقولُ الثالثُ: هذه جائزةٌ على الله، بل إنَّ الإنسانَ الواحدَ منهم يتناقضُ؛ فتجده في بعضٍ كتبه يُقَرُّ هذه الصِّفَةَ ويرى أَنَّهَا

واجبةً لله، وفي بعض كتبه ينكر هذه الصِّفة، ويقول: هذه ممتنعةٌ على الله، ومستحيلةٌ عليه؛ لأنَّهم إنَّما يعتمدون على شُبُهاتٍ لا على حقائق.

قَوْلُهُ: «وَمَا فِي الْحَقِّ مَعْقُولَانِ مُخْتَلِفَانِ»؛ يعني: أنَّ الحقَّ لا تختلفُ فيه العقولُ لأنَّها تتفقُ عليه؛ فإذا اختلفت العقولُ في شيءٍ دَلَّ على أنَّه باطلٌ؛ لأنَّ العقولَ السَّليمةَ لا تختلفُ في الحقِّ.

٤٦٦٠- وَقَضُوا بِهَا كَذِبًا عَلَيْكَ وَجُرْأَةً مِنْهُمْ وَمَا التَّفْتُّوا إِلَى الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «وَقَضُوا بِهَا»؛ أي: بالعقول.

يقولون: كُلُّ ما جاء في القرآنِ ممَّا يخالفُ العقولَ فإنَّه يجبُ فيه أحدُ أمرين: إمَّا التَّأويلُ وإمَّا التَّفويضُ، وهذه قاعدةٌ خبيثةٌ، التَّأويلُ معناه التَّحريفُ، أو التَّفويضُ بأن تقول: لا أدري، فصارت قاعدتهم مَبْنِيَّةٌ إمَّا على العدوَانِ وإمَّا على الجهلِ، أمَّا العدوَانُ فإذا أوَّلوا الصِّفةَ عن معناها الحقيقيِّ، وأمَّا والجهلِ إذا قالوا: والله لا ندري بل فَوْضُ.

وقد قال شيخُ الإسلام - رحمه الله - عن قولِ أهلِ التَّفويضِ: «إنَّه من شرِّ أقوالِ أهلِ البدعِ والإلحادِ»^(١)، مع أنَّك تجدُ كثيرًا في كتبِ المتأخِّرين مَنْ يقولُ: إنَّ التَّفويضَ مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ، وهذا قولٌ خطأ؛ لأنَّ التَّفويضَ تفويضان: تفويضُ المعنى، وتفويضُ الحقيقةِ والكيفيَّةِ، فالأوَّلُ لا يقولُ به السَّلفُ ولا أهلُ السُّنَّةِ، أعني به: تفويضُ المعنى؛ لأنَّهم يقولون: المعنى معلومٌ، والثَّاني يقولون به، فمَنْ أطلقَ التَّفويضَ على أهلِ السُّنَّةِ فقد أخطأ عليهم، ولم يفهم مذهبهم حقيقةً.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

- ٤٦٦١- يَا رَبِّ قَدْ أَوْهَى النَّفَاةُ حَبَائِلَ الْـ قُرْآنِ وَالْآثَارِ وَالْإِيمَانَ
 ٤٦٦٢- يَا رَبِّ قَدْ قَلَبَ النَّفَاةُ الدِّينَ وَالْـ إِيْمَانَ ظَهْرًا مِنْهُ فَوْقَ بَطَانِ
 ٤٦٦٣- يَا رَبِّ قَدْ بَغَتِ النَّفَاةُ وَأَجْلَبُوا بِالْحَيْلِ وَالرَّجْلِ الْحَقِيرِ الشَّانِ
 ٤٦٦٤- نَصَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْغَوَائِلَ لِلْأَلَى أَخَذُوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلَانِ
 ٤٦٦٥- وَدَعَوْا عِبَادَكَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ فَمَنْ يَعْصِيهِمْ سَامُوهُ شَرَّ هَوَانِ
 ٤٦٦٦- وَقَضُوا عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ بِضَلَالِهِمْ بِاللَّعْنِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْكَفْرَانِ
 ٤٦٦٧- وَقَضُوا عَلَى أَتْبَاعِ وَحْيِكَ بِالَّذِي هُمْ أَهْلُهُ لَا عَسْكَرَ الْفُرْقَانِ
 ٤٦٦٨- وَقَضُوا بِعِزْلِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَحَبْ سِهِمْ وَنَفْيِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ
 ٤٦٦٩- وَتَلَاعَبُوا بِالدِّينِ مِثْلَ تَلَاعِبِ الْـ حُمْرِ اللَّيْلِ نَفَرَتْ بِلا أَرْسَانِ
 ٤٦٧٠- حَتَّى كَانَتْهُمْ تَوَاصُوا بَيْنَهُمْ يُوصِي بِذَلِكَ أَوَّلُ لِلثَّانِي

الشرح

- ٤٦٦١- يَا رَبِّ قَدْ أَوْهَى النَّفَاةُ حَبَائِلَ الْـ قُرْآنِ وَالْآثَارِ وَالْإِيمَانَ
 قَوْلُهُ: «أَوْهَى»؛ أَي: أضعَفَ.

فهم أضعفوا حبائل القرآن والآثار والإيمان بما فعلوه من التحريف في آيات الله وفي أحاديث رسول ﷺ حتى أوهنوا الإيمان في قلوب الناس، فهؤلاء النفاة لا يؤمنون بأن الله استوى على العرش حقيقة، إذن نقص الإيمان، لأن الله أخبر عن نفسه أنه استوى على العرش حقيقة، فإذا لم تؤمن به وقلت: معنى

«استوى»: «استولى» ضعف إيمانك؛ لأنك أخلكت بعقيدة، فهؤلاء النفاة أوهوا حبال القرآن والآثار والإيمان.

٤٦٦٢- يَا رَبِّ قَدْ قَلَبَ النَّفَاةُ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ ظَهْرًا مِنْهُ فَوْقَ بَطْنِ

يعني: قلبوا الدين ظهرًا على بطن، وهذا واضح، لكن كيف ذلك؟ لأنهم صرفوا ظواهر النصوص عن معناها الظاهر، وجعلوا لها معنى باطنًا، فمثلاً قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، معناها الظاهر: أن الله يدين حقيقتين مبسوطتين، هم قالوا: لا، هناك معنى آخر غير الظاهر، المعنى الباطن المراد عندهم وهو: القدرة أو القوة، فهم قلبوا ظهور النصوص إلى بواطن لا يريدوها الله ولا رسوله.

٤٦٦٣- يَا رَبِّ قَدْ بَغَتِ النَّفَاةُ وَأَجْلَبُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ الْحَقِيرِ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «بَغَتِ»؛ أي: تعدت.

قَوْلُهُ: «وَأَجْلَبُوا بِالْخَيْلِ» هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

٤٦٦٤- نَصَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْغَوَائِلَ لِلْأُلَى أَخَذُوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «نَصَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْغَوَائِلَ» «الغوائل» جمع: غائلة، وذلك بشكايتهم إلى السلاطين والأمراء، ولا يخفى علينا جميعًا ما حدث لإمام أهل السنة الإمام أحمد - رحمه الله - أيام المحنة حيث جعلوا يجرّونه على البغلة ويضربونه بالسياط حتى يُغمى عليه في الأسواق، ولا يخفى أيضًا ما جرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ حيث كانوا يركبونه على عربة مكشوفة ويطوفون به ويُشهرّون به، وفي

النهاية سجنوه حتى مات في السجن، ولما سجنوه صار أصحابه يأتون إليه ليأخذوا من علمه، فمنعوا أصحابه عنه، ثم صار يكتب وينشر، فمنعوا الكتابة عنه، ثم صار يكتب على جدران الحبس؛ لأجل أن ينشر علمه الذي في قلبه، وآخر الأمر مات مسجوناً رحمه الله.

فالمهم أن هؤلاء النفاة -والعياذ بالله- ما تركوا الناس بلا شر ولا عدوان، بل فعلوا بهم كل الأفعال التي يستطيعون بالوشاية فيها.

٤٦٦٥- وَدَعَوْا عِبَادَكَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ فَمَنْ يَعْصِيهِمْ سَاءَ مَوْهُ شَرٌّ هَوَانٍ

يعني: هؤلاء النفاة دعوا الناس إلى طاعتهم، وقالوا: اسلكوا مسلكنا، فمن عصاهم ساموه شر هوان؛ إما بأيديهم، وإما بألسنتهم، وإما بتسليط الولاة عليهم انتقاماً منهم، نسأل الله العافية.

٤٦٦٦- وَقَضَوْا عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ بِضَلَالِهِمْ بِاللَّعْنِ وَالتَّضْلِيلِ وَالكُفْرَانِ

يقولون مثلاً: لعنة الله على فلان؛ لأنه يقول: إن الله يدين حقيقتين، ما تقولون في هذا الضال الذي يُنبتُ لله جارحة؟ ما تقولون في هذا الكافر الذي جعل الله جسماً؟ وما أشبه ذلك، العامي إذا سمع مثل هذا الكلام لا سيما من شيخ مُعمَّمٍ واسع الكُفِّ، ماذا يقول؟ يقول: صحيح، هؤلاء ضلال، هؤلاء كفار، هؤلاء مستحقون للعن، ولهذا وصفهم المؤلفُ وصفاً تاماً وقال:

٤٦٦٧- وَقَضَوْا عَلَى أَتْبَاعِ وَحِيكَ بِالَّذِي هُمْ أَهْلُهُ لَا عَسْكَرَ الْفُرْقَانِ

ماذا قضوا على أتباع الوحي؟ الجواب: بالتضليل والكفران، وهم أحقُّ بالكفر والضلال، هذا معنى كلام المؤلف، هم أحقُّ، وليس عسكر القرآن أحقُّ.

٤٦٦٨- وَقَضُوا بِعَزْلِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَحَبَسِهِمْ وَنَفْيِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ

كُلُّ هَذَا يُصَدَّرُ مِنْهُ أَحْكَامًا إِلَى الْوَلَاةِ، يَقُولُ: هَذَا مُفْسِدٌ أَحْبَسَهُ، هَذَا سَاعٍ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا اقْتَلَهُ، هَذَا لَا يُمْكِنُ بَقَاؤُهُ فِي هَذَا الْبَلَدِ أَنْفَهُ، وَهَكَذَا، وَنَحْنُ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- فِي عَافِيَةٍ مِنْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ فِي زَمَانِ الْمُؤَلَّفِ وَمَا قَبْلَهُ مَوْجُودٌ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْمُبَالَغَةِ.

٤٦٦٩- وَتَلَاعَبُوا بِالذِّينِ مِثْلَ تَلَاعَبِ الْحُمُرِ الَّتِي نَفَرَتْ بِلَا أَرْسَانٍ

هَلْ رَأَيْتُمْ الْحُمُرَ وَهِيَ نَافِرَةٌ بِلَا أَرْسَانٍ؟ نَعَمْ، رَأَيْنَاهَا تَرْقِصُ وَتَتَسَابَقُ لَكِنْ عَلَى غَيْرِ هَدْيٍ، وَلَا سِيَّمَا الصَّغَارُ مِنْهَا، وَهَذِهِ الصَّغَارُ إِذَا رَأَيْتَ لِعَبَّهَا تَعَجَّبْتَ مِنْهَا. فَهُوَ يَقُولُ: إِنَّهُمْ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْحُمُرِ الَّتِي نَفَرَتْ بِلَا أَرْسَانٍ، لَا يُمْسِكُهَا أَحَدٌ.

٤٦٧٠- حَتَّى كَانَتْهُمْ تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ يُوصِي بِذَلِكَ أَوَّلَ لِلثَّانِي

هَذَا الْبَيْتُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۗ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الذريات: ٥٢-٥٣]، كُلُّ الْأُمَّمِ الَّتِي سَبَقَتْ تَقُولُ لِرَسُولِهِمْ: سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ، وَهَلْ قِيلَ لِلرَّسُولِ هَكَذَا؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ، قِيلَ لَهُ هَكَذَا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۗ﴾؛ يَعْنِي: هَلْ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ الْجَوَابُ: لَا، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾، فَهَمُ تَوَافَقَتْ أَقْوَامُهُمْ لِتَوَافُقِ إِرَادَاتِهِمْ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمْ هُوَ الطُّغْيَانُ.

٤٦٧١- هَجَرُوا كَلَامَكَ هَجْرًا مُبْتَدِعٍ لِمَنْ قَدَّانَ بِالْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ

٤٦٧٢- فَكَانَهُ فِيمَا لَدَيْهِمْ مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زَنْدِيقِ أَحْيَى كُفْرَانَ

- ٤٦٧٣- أَوْ مَسْجِدٍ بِجَوَارِ قَوْمٍ هَمَّهُمْ
 فِي الْفِسْقِ لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
 ٤٦٧٤- وَخَوَاصُّهُمْ لَمْ يَقْرُؤُوهُ تَدْبِيرًا
 بَلْ لِلتَّبَرُّكِ لَا لِفَهْمِ مَعَانِ
 ٤٦٧٥- وَعَوَامُّهُمْ فِي الشُّبُعِ أَوْ فِي خْتَمَةِ
 أَوْ تُرْبَةٍ عِوَضًا لِذِي الْأَثْمَانِ
 ٤٦٧٦- هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ أَوْ
 صَوْنِيَّةُ الْأَنْغَامِ وَالْأَلْحَانِ
 ٤٦٧٧- يَا رَبِّ قَدْ قَالُوا بِأَنَّ مَصَاحِفَ الْ
 إِسْلَامِ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ
 ٤٦٧٨- إِلَّا الْمِدَادَ وَهَذِهِ الْأُورَاقَ وَالْ
 جِلْدَ الَّذِي قَدْ سُئِلَ مِنْ حَيَوَانِ
 ٤٦٧٩- وَالْكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتُ بِقَائِلٍ
 أَصْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ
 ٤٦٨٠- إِنْ ذَاكَ إِذَا قَوْلُ مَخْلُوقٍ وَهَلْ
 هُوَ جَبْرِيْلُ أَوْ الرَّسُولُ فَذَانِ
 ٤٦٨١- قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالَتْهُمَا
 أَشْيَاخُهُمْ يَا مِحْنَةَ الْقُرْآنِ
 ٤٦٨٢- لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ
 إِلَّا الْمِدَادَ وَكَاغِدَ الْإِنْسَانِ
 ٤٦٨٣- يَا رَبِّ زَالَتْ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ مِنْ
 تِلْكَ الْقُلُوبِ وَحُرْمَةُ الْإِيمَانِ
 ٤٦٨٤- وَجَرَى عَلَى الْأَفْوَاهِ مِنْهُمْ قَوْلُهُمْ
 مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنِ
 ٤٦٨٥- مَا بَيْنَنَا إِلَّا الْحِكَايَةُ عَنْهُ وَالتَّ
 تَعْبِيرُ ذَاكَ عِبَارَةٌ بِلِسَانِ

الشرح

- ٤٦٧١- هَجَرُوا كَلَامَكَ هَجْرًا مُبْتَدِعٍ لِمَنْ
 قَدْ دَانَ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
 يعني: هجروا كلام الله كهجر المبتدع لمن دان بالآثار والقرآن، وهجر

المبتدع لِمَنْ قال بالآثارِ والقرآنِ هجرٌ لا يمكنُ أن يزولَ؛ لأنَّه يهجرُه عن دينٍ، فالمبتدعُ يهجرُ مَنْ دَانَ بالآثارِ، ورُبَّمَا يرى أَنَّهُ أشدُّ على الإسلامِ من اليهودِ والنَّصارى، هم هجروا كلامَ الله وذهبوا في البدعِ، فهجروه كهجرِ المبتدعِ لصاحبِ السُّنَّةِ.

٤٦٧٢- فَكَانَهُ فِيمَا لَدَيْهِمْ مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زَنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانَ
نعوذُ بالله، المصحفُ في بيت الزنديقِ الكافرِ هل يُنتفعُ به؟ الجوابُ: أبدًا، لا يُنتفعُ به، هؤلاء أيضًا لم ينتفعوا بالوحي.

٤٦٧٣- أَوْ مَسْجِدٌ بِجَوَارِ قَوْمٍ هُمُّهُمْ فِي الْفِسْقِ لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
مسجدٌ بجوارِ قومِ فسقةٍ ليس لهم هُمٌّ إِلَّا شَرَبَ الْخُمُورِ وَعَزَفَ الْقِيَانَ والزَّنا، وغير ذلك من المحرَّماتِ، هل ينتفعون بهذا المسجدِ؟ الجوابُ: لا.

٤٦٧٤- وَخَوَاصُّهُمْ لَمْ يَقْرَؤُوهُ تَدْبِيرًا بَلْ لِلتَّبَرُّكِ لَا لِفَهْمِ مَعَانِ
انتبهِ لهذه النقطةِ التي وقع فيها كثيرٌ من النَّاسِ اليوم، كثيرٌ من النَّاسِ اليوم لا يقرؤون القرآنَ قراءةً تدبيريًا ولكن قراءةً تبرُّكٍ وانتظارٍ للأجرِ، وهذا وإن كان طيبًا، لكنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، هذه الفائدةُ من إنزالِ القرآنِ، وهذه الحكمةُ من إنزالِهِ، هؤلاء يقرؤونه تبرُّكًا.

٤٦٧٥- وَعَوَامُّهُمْ فِي الشُّبُعِ أَوْ فِي خَتَمَةٍ أَوْ تُرْبَةٍ عِوَضًا لِذِي الْأَثْمَانِ
قوله: «في الشُّبُعِ»، وفي نسخةٍ: «الشُّبُعِ».

على كُـلِّ حَالٍ الظَّاهِرُ ما ذهب إليه الهَرَّاسُ ^(١) رحمه الله تعالى، وأنَّ الصَّوَابَ: «وَعَوَامُهُمْ فِي الشُّبُعِ»؛ يعني في: الشُّبُعِ؛ يعني: لا يقرؤونه إِلَّا من أَجْلِ أن يُشَبِّعُوا بطَوْنِهِمْ، وهذا يوجد كثيرًا، لو فرضنا أن شخصًا رَبَّ غَدَاءً وَعِشَاءً لمن يقرأ القرآنَ، تجدُ العوامَّ يقرؤون القرآنَ كثيرًا، كُـلِّ يوم يأتون لهذا البيتِ يقرؤون القرآنَ من أَجْلِ الغَدَاءِ أو العِشَاءِ، كذلك يقرؤون ختمَةً، وهذه معروفةٌ في بعضِ البلادِ الإسلاميَّةِ، الإنسانُ يقرأ ختمَةً للميتِ ما قرأها لله، بل قرأها للعِوَضِ الذي يأخذه على هذه الختمَةِ، «أَوْ فِي تَرْبَةِ»؛ أي: عند القبورِ، يُؤَجَّرُ القارئُ للقراءةِ عند القبرِ، هؤلاء هم العوامُّ.

٤٦٧٦- هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ أَوْ صَوْتِيَّةُ الْأَنْغَامِ وَالْأَلْحَانِ

هذا إشارةٌ إلى هؤلاء الذين يعتنُّون بألفاظِ القرآنِ وتجويده ونغماته الصَّوتِيَّةِ، لكن ليس عندهم معنى، تجدهم في المعنى لا يلتفتون إليه، فتجدهم يُقيمون حروفه ولا يُقيمون معناه، لكن في التَّجْوِيدِ يشتدُّون به حتى إنَّ الواحدَ منهم إذا أراد أن يقرأ يتكَلَّفُ ويحمرُّ وجهه من شدَّةِ ما يُعَالِجُ من أَجْلِ أن يُطَبِّقَ قواعدَ التَّجْوِيدِ، مع أن تطبيقَ قواعدِ التَّجْوِيدِ ليس بواجبٍ؛ إذ إنَّ التَّجْوِيدَ غاية ما فيه أَنَّهُ من بابِ تحسِينِ اللَّفْظِ فقط، وقد مَضَى أَكْثَرُ من أربعةِ عَشَرَ قرنًا، وكُلُّ أناسٍ يأتون يُدخلون تحسِينًا آخَرَ غيرِ الأوَّلِينَ، حتَّى وصلت الحالُ إلى ما وصلت، والعجبُ مَنْ يقولُ: «كُلُّ مَنْ لم يقرأ بالتَّجْوِيدِ فهو آثمٌ».

ولو أخذنا بهذا القولِ لكان عامَّةُ المسلمين تسعون بالمئةٍ منهم آثمين، إذا كان القرآنُ نزلَ على سبعةِ أحرفٍ؛ أي: سبع لغاتٍ في الأوَّلِ، ثُمَّ جاء على حرفٍ

(١) انظر: شرح التَّوْبِيَّةِ لهَرَّاسٍ رحمه الله (٣١٩/٢).

واحد، كُلُّ ذلك تيسيراً على العباد، فكيف نُؤثِّمُ تسعين بالمئة من المسلمين؛ لأنَّهم لم يُطبِّقوا التَّجويدَ؟!.

إذا أراد الإنسان أن يقول قولاً يجب أن ينظر ماذا يلزم على هذا القول قبل أن يتكلَّم به، فالصَّحيح أن التَّجويد إذا لم يصل إلى حدِّ العنتِ والمشقة فهو من الأمور المستحبة فقط؛ لأنَّه من باب تزوين القرآن، أمَّا أن يُقال: إنَّه واجب وإنَّ مَنْ لم يقرأ به آثمٌ، فلا.

هنا يقول ابن القيم - رحمه الله -: «هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ»؛ يعني: يُجيدون القرآن وأحرفه، «أَوْ صَوْتِيَّةُ الْأَنْعَامِ وَالْأَلْحَانِ»؛ يعني: يأتون بالقرآن بالصَّوتِ والنَّغَمَاتِ الجميلة لكنَّهم لا يفهمون، تجد الواحد منهم يقرأ القرآن وكأنَّه تلحينٌ غناء؛ لا لأنَّه كلامُ ربِّ العالمين، بل لأجل أن يطربوا به من حولهم.

٤٦٧٧- يَا رَبِّ قَدْ قَالُوا بِأَنَّ مَصَاحِفَ الْإِسْلَامِ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ

٤٦٧٨- إِلَّا الْمِدَادَ وَهَذِهِ الْأُورَاقَ وَالْجِلْدَ الَّذِي قَدْ سُئِلَ مِنْ حَيَوَانَ

٤٦٧٩- وَالْكُلَّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتُ بِقَائِلٍ أَصْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ

يعني: أن هؤلاء المعطلَّة يقولون: إنَّ المصاحفَ ما فيها من القرآن إلا المدادُ وهذه الأوراقُ والجلدُ الذي قد سُئِلَ من حيوانٍ، والكلُّ مخلوقٌ، فيقولون: إنَّ ما بين دفتي المصحفِ مخلوقٌ، لماذا؟ لأنَّه مدادٌ؛ أي: حبرٌ، مكتوبٌ بقلمٍ على أوراقٍ، والقلمُ والمدادُ والأوراقُ والجلدُ الذي هو من الحيوانِ مخلوقٌ فيقولون: هذا الذي بيننا من القرآن هو هذا المدادُ.

ويقولون: إنَّ الله لم يقل القرآن، لم يتكلَّم به، وإنَّما هو شيءٌ مخلوقٌ، أو عبارةٌ

عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، وليس هو كلام الله، ورتب على هذا القول -والعياذ بالله- ما سيذكره المؤلف رحمه الله.

٤٦٨٠- إِنْ ذَاكَ إِلا قَوْلٌ مَخْلُوقٍ وَهَلْ هُوَ جَبْرِيٌّ أَوْ الرَّسُولُ فَذَانِ

٤٦٨١- قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالَتْهُمَا أَشْيَاخُهُمْ يَا مِحْنَةَ الْقُرْآنِ

يقولون: إن القرآن مخلوق وهو قول جبريل على رأي، أو قول محمد على رأي.

ومن المعلوم أن الله في القرآن الكريم أضاف القرآن مرة إلى قول الرسول ﷺ، ومرة إلى قول جبريل؛ مما يدل على أنه ليس قول محمد ولا قول جبريل على وجه الحقيقة، وإنما هو قول غيرهما؛ وذلك لأن القول الواحد لا يمكن أن يكون مقولاً لقائليين أبداً، فقال الله تعالى في سورة «الحاقة»: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا بُصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا بُصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا نُؤْمِنُونَ ﴿ [الحاقة: ٣٨-٤١]، فالمراد بالرسول هنا محمد ﷺ؛ لأنه قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾، وقال الله تعالى في سورة «التكوير»: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ [التكوير: ١٩-٢٠] والمراد بالرسول جبريل، فأضاف القرآن إلى هذا وهذا، إذن ليس قول هذا ولا هذا؛ لأن المقول الواحد لا يكون لقائليين، فمن القائل؟ الله سبحانه وتعالى، لكن أضيف إلى جبريل باعتباره مبلّغاً له لرسول الله ﷺ، وإلى رسول الله باعتباره مبلّغاً له إلى الأمة.

هؤلاء المعطلة الذين أنكروا كلام الله يقولون: إنه يُصاف إلى جبريل على أنه هو الذي ابتدأه أو إلى الرسول على أنه هو الذي ابتدأه، وإذا أُضيف إلى هذا أو هذا صار مخلوقاً؛ لأن كلام المخلوق مخلوق.

٤٦٨٢- لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ إِلَّا الْمِدَادَ وَكَاغِدَ الْإِنْسَانَ

يعني: لو أن أحداً أتى بالمصحف وداسه بقدّمه لقالوا: لا يكفر؛ لأنه ما داس كلام الله، وإنما داس المداد والورق، ودوس المداد والورق لا شيء فيه، فانظر كيف يؤدي هذا القول الباطل إلى هذا اللّازم الباطل! أنا أعتقد لو أن أحداً داس المصحف أمام العوام لمزقوه قبل أن يرفع قدمه من المصحف، ولا يمكن أن يقولوا: إن هذا الرجل لم يدس إلا الكاغد والمداد، أبداً، لكن هذا اللّازم باطل، وإذا بطل اللّازم بطل الملزوم.

٤٦٨٣- يَا رَبِّ زَالَتْ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ وَحُرْمَةُ الْإِيمَانِ

يعني: أن هؤلاء لزم على قولهم زوال حُرمة القرآن وحُرمة الإيمان، وهو واضح.

٤٦٨٤- وَجَرَى عَلَى الْأَفْوَاهِ مِنْهُمْ قَوْلُهُمْ مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنٍ

وهذا شيء عجيب فظيغ، إلى حد أنهم يقولون بأفواههم: «ما بيننا قرآن لله عز وجل».

٤٦٨٥- مَا بَيْنَنَا إِلَّا الْحِكَايَةُ عَنْهُ وَالتَّ

المعطلة الذين ينكرون كلام الله انقسموا ثلاثة أقسام هي:

قسم قال: إنه مخلوق.

قسم آخر قال: إنه غير مخلوق، لكن ما في المصحف عبارة عنه.

قسم ثالث قال: ليس بمخلوق، وما في المصحف حكاية عنه.

فالعبارَةُ للأشاعرة، والحكايةُ للكَلَابِيَّةِ، والقولُ الأوَّلُ قولُ المعتزلةِ الذين يقولون: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ لا يُنسَبُ إلى الله على أَنَّهُ صفةٌ من صفاته، بل يُنسَبُ إليه على أَنَّهُ خَلَقَ من مخلوقاته كما نُسِبَتِ النَّاقَةُ والبيتُ إلى الله.

وهذا القرآنُ عند المعتزلةِ مخلوقٌ لكنَّه كلامُ الله، وعند الأشاعرةِ مخلوقٌ وليس كلامُ الله، بل هو عبارةٌ عنه، وعند الكَلَابِيَّةِ مخلوقٌ وليس كلامُ الله بل هو حكايةٌ عنه، وبهذا نعرفُ أنَّ المعتزلةَ من هذه النَّاحِيَةِ خَيْرٌ من الأشاعرةِ ومن الكَلَابِيَّةِ.

والفرقُ بين العبارةِ والحكايةِ أنَّ العبارةَ معناها أنَّ اللهَ خَلَقَ هذا لَتُعَبَّرَ عَمَّا في نفسه، والحكايةُ؛ يعني: كأنَّه شيءٌ ما وَصَلَ إلى ما في نفسِ الله عزَّ وجلَّ، ولكنَّه حُكِّيَ كما يُقَالُ: «فلانٌ يَحْكِي فلاناً»؛ يعني: يُضاهيه، كأنَّ هذا المسموعَ يَحْكِي ما في نفسِ الله عزَّ وجلَّ، والفرقُ بينهما دقيقٌ جدًّا، لكن القولُ بالعبارةِ؛ أبعَدُ عن كونه كلامَ الله من القولِ بأنَّه حكايةٌ، الحكايةُ أقربُ، لكن كُلُّها أقوالٌ باطلةٌ.

- ٤٦٨٦- هَذَا وَمَا التَّالُونَ عَمَّا لَابِهِ إِذْ هُمْ قَدِ اسْتَغْنَوْا بِقَوْلِ فُلَانٍ
- ٤٦٨٧- إِنْ كَانَ قَدْ جَازَ الْحَنَاجِرَ مِنْهُمْ فَبَقَدْرٍ مَا عَقَلُوا مِنَ الْقُرْآنِ
- ٤٦٨٨- وَالْبَاحِثُونَ فَقَدَّمُوا رَأْيَ الرَّجَا لِ عَلَيْهِ تَضَرِيحًا بِلا كِتْمَانِ
- ٤٦٨٩- عَزَلُوهُ إِذْ وَلَّوْا سِوَاهُ وَكَانَ ذَاكَ الْعَزْلُ قَائِدَهُمْ إِلَى الْخِذْلَانِ
- ٤٦٩٠- قَالُوا وَلَمْ يَحْضُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِينٌ مَنْ فَهَوَ مَعْرُوزٌ عَنِ الْإِيقَانِ
- ٤٦٩١- إِنَّ الْيَقِينَ قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ مِيزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ

- ٤٦٩٢- هَذَا دَلِيلُ الرَّفْعِ مِنْهُ وَهَذِهِ
 ٤٦٩٣- يَا رَبِّ مَنْ أَهْلُوهُ حَقًّا كَيْ يَرَى
 ٤٦٩٤- أَهْلُوهُ مَنْ لَا يَرْضَى مِنْهُ بِيَدِ
 ٤٦٩٥- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ إِلَى الْ
 ٤٦٩٦- هُوَ مُوصِلٌ لَهُمْ إِلَى دَرَكِ اليَقِينِ
 ٤٦٩٧- يَا رَبِّ نَحْنُ العَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ
 أَعْلَامُهُ فِي آخِرِ الْأَزْمَانِ
 أَقْدَامُهُمْ مِّنَّا عَلَى الْأَذْقَانِ
 لَا فَهْوَ كَافِيهِمْ بِلا نُقْصَانِ
 إِيْمَانٍ وَالِإِيْقَانِ وَالْعِرْفَانِ
 مِنْ حَقِيْقَةً وَقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ
 يَا قَلَّةَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ

الشرح

- ٤٦٨٦- هَذَا وَمَا التَّالُونَ عَمَّا لَابِهِ إِذْ هُمْ قَدْ اسْتَعْنَوْا بِقَوْلِ فُلَانٍ
 يعني: هؤلاء الذين يتلون الكتاب ويصفونه بأنه مخلوق لِيَتَّهَمُوا قَوْلَهُمْ اقتصروا على
 هذا، بل إنهم لا يعملون به، وإنما يعملون بقولِ فلانٍ وفلانٍ، فَجَنَوْا عَلَيْهِ جَنَائِتَيْنِ:
 الأولى: في أصله، والثانية: في تطبيقه.

- ٤٦٨٧- إِنْ كَانَ قَدْ جَاوَزَ الْحَنَاجِرَ مِنْهُمْ فَبِقَدْرِ مَا عَقَلُوا مِنَ الْقُرْآنِ
 يعني: إن كان القرآن قد جاوزَ حناجرهم فإنما يجاوزُ حناجرهم من القرآنِ
 ما عقلوا منه فقط؛ لأنَّ الحكمَ يدورُ مع عِلَّتِهِ، أمَّا العملُ فلا، فإنه لا يصحُّ، فهم
 يُشْبِهُونَ الخَوَارِجَ مِنْ بَعْضِ الوجوه، بل تقدَّم في كلامِ ابنِ القِيِّمِ -رحمه الله- أنَّهم
 أشدُّ من الخوارج؛ لأنَّ الخوارجَ إنَّما يُكْفَرُونَ بالمعاصي، وأهلُ التَّعْطِيلِ يكفُّرون
 بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، يقولون: إنَّ المثبِّتةَ كُلَّهم كُفَّارٌ، وتقدَّم أيضًا في هذا الفصلِ أنَّهم

يستحلُّون دماءهم وقتلهم، فيقول ابن القيم: الخوارج أهنُّ منهم؛ لأنَّ الخوارج لا يكفرون إلاَّ أهل المعاصي، وأنتم تكفرون أهل التَّوحيد والإيمان، وثانيًا: الخوارج إنَّما قد خرجوا على مَنْ عَصَى اللهَ، فهم خارجون على المعاصي نفسها، يريدون أن تزول من الأرض، أمَّا أنتم فقد خرجتم على السُّنة، تريدون أن تمحوا السُّنة من الأرض، نسأل الله العافية.

٤٦٨٨- وَالْبَاحِثُونَ فَقَدَّمُوا رَأْيَ الرَّجَا لٍ عَلَيْهِ تَصْرِيحًا بِلَا كِتْمَانٍ
أهل البحث منهم صرَّحوا بأن آراء الرجال مُقدَّمة على القرآن.

٤٦٨٩- عَزَلُوهُ إِذْ وَلَّوْا سِوَاهُ وَكَانَ ذَا كَ الْعَزْلُ قَائِدَهُمْ إِلَى الْخِذْلَانِ
عزلوا القرآن لَمَّا وَلَّوْا غيرَه، فما هو الذي وَلَّوْا؟ الجواب: وَلَّوْا آراء الرجال والعقول؛ لأنَّ أهل التعطيل يرجعون في إثبات الصفات ونفيها إلى العقل، فيقولون: ما أثبتَّه العقل أثبتناه، وما لا فلا، ولو كان في الكتاب والسُّنة، وما لم يقتضِ العقل إثباته ولا نفيه فمنهم مَنْ تَوَقَّفَ فيه، وأكثرهم نَفَوْهُ، فالذين توقَّفوا فيه قالوا: لأنَّه لا دليل هناك، والواجب الوقفُ، والذين نَفَوْهُ قالوا: لا بُدَّ من دليل إيجابٍ من العقل يُثبِتُ هذا الشَّيء؛ إذن ابن القيم وشيخ الإسلام قبله ما كذبا عليهم، هذا هو الواقع، فهذه عقيدتهم، فالمسألة خطيرةٌ جدًّا.

٤٦٩٠- قَالُوا وَلَمْ يَحْضُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِيْنٌ — نَنْ فَهَوَ مَعْرُزُولٌ عَنِ الْإِيْقَانِ
يقولون: القرآن دلالتُه ظنيَّةٌ ليست قطعيَّةً، والعقائد لا تثبت بالظنِّ، ودلالةُ العقول التي يدعون أنَّها عقولٌ عندهم قطعيَّةٌ، والعجب أنَّهم يقولون: إنَّ دلالةُ العقول قطعيَّةٌ مع أنَّهم يختلفون فيها اختلافًا كثيرًا، فهل اليقينُ يمكننا فيه

الاختلاف؟ الجواب: اليقين ليس فيه اختلاف، إذا قيل: هذه شمعة فهي شمعة، ولا اختلاف في ذلك، فدلالة القرآن عندهم ظنية، ودلالة العقول التي هم فيها مضطربون اضطراباً عظيماً هي قطعية، سبحان الله! كذب وافتراء والعياذ بالله ولكن: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

٤٦٩١- إِنْ الْيَقِينَ قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ مِيزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ

قوله: «إِنَّ الْيَقِينَ قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ» هذا اليقين، فاليقين هو القواطع العقلية.

قوله: «مِيزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ» الميزان عندهم منطق اليونان الذي هو علم المنطق، يقول شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه: «الرَّدُّ عَلَى الْمُنْطِقِيِّينَ»: «كُنْتُ أَظُنُّ دَائِمًا أَنَّ الْمُنْطِقَ الْيُونَانِيَّ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّكِيُّ»^(١)، إذَنْ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، فَالذَّكِيُّ يَسْتَعْنِي بِذَكَائِهِ عَنْهُ، وَالْبَلِيدُ لَوْ يَرُدُّهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَا اسْتَفَادَ مِنْهُ، إِذَنْ فَهُوَ مُضِيعَةٌ وَقْتٍ.

٤٦٩٢- هَذَا دَلِيلُ الرَّفْعِ مِنْهُ وَهَذِهِ أَعْلَامُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

يقول: إِنَّ إِعْرَاضَ النَّاسِ عَنِ الْقُرْآنِ مِنْ عِلَامَاتِ رَفْعِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُرْفَعُ هَذَا الْقُرْآنُ - نَسَأَلَ اللَّهُ أَلَا يَدْرِكُنَا هَذَا الزَّمَانُ - يُرْفَعُ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَمِنَ الصُّدُورِ احْتِرَامًا لَهُ وَتَعْظِيمًا لَهُ؛ حَيْثُ يُعْرِضُ النَّاسُ عَنْهُ إِعْرَاضًا كَلْبِيًّا، وَهَذَا فِي عَهْدِ ابْنِ الْقَيْمِ وَهُوَ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ، فَكَيْفَ بَعْدُنَا نَحْنُ الْآنَ؟! فَأَيَّاتُ رَفْعِ الْقُرْآنِ الْآنَ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُسَلِّطُ عَلَى الْكَعْبَةِ رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ، رَجُلٌ لَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ وَهُوَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ، أَفْحَجَّ قَصِيرٌ يُسَلِّطُ عَلَيْهَا، فَيَقُومُ عَلَيْهَا

(١) انظر: الرد على المنطقيين (ص: ٣).

ينقضها حجراً حجراً حتى يُلقِيها في البحر ولا يأتيه شيء^(١)، مع أن الله حماها من أصحاب الفيل مع قوتهم، بل دُمُّوا عن آخرهم، وحماها الله منهم؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم أنه سيأتي الزمن الذي يُعظَّم فيه هذا البيت، لكن في آخر الزمان تُنتهك الكعبة ويكون تعظيمها تعظيماً ظاهرياً، أما باطناً فحدث ولا حرج، وآيات هدم الكعبة الآن قد تكون ظاهرة، كُلِّما كثر الفسق والفجور في مكة فهذا من علامات قرب هدمها، نسأل الله السلامة؛ لأن الله عز وجل يعارُ لبيته أن يكون عنده مَنْ لا يحترمه ولا يعظّمه إلا بالظاهر، والظاهر ليس فيه فائدة، فعمارة المسجد الحرام تكون بطاعة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

فالحاصل أن ابن القيم - رحمه الله - يقول: إن علامات رفع القرآن هو إعراض الناس عنه.

٤٦٩٣- يَا رَبِّ مَنْ أَهْلُوهُ حَقًّا كَيْ يَرَى أقدامَهُمْ مِّنَّا عَلَى الْأَذْقَانِ

يسأل الله فيقول: مَنْ أهل القرآن حقاً حتى يرى أقدامهم منّا على الأذقان؛ يعني: إذا كُنّا أهلهم فستكون أقدامنا على أذقانهم، والأذقان جمع «ذقن» وهي جمْعُ اللّحية؛ أي: إننا سنعلوا عليهم ونغلبهم إذا كُنّا أهلهم.

٤٦٩٤- أَهْلُوهُ مَنْ لَا يَرْتَضِي مِنْهُ بَدِيدٌ لَّا فَهُوَ كَافِيهِمْ بِلا نَقْصَانِ

هؤلاء أهل القرآن الذين لا يَرْضُونَ به بديلاً لا في الأمور العقديّة ولا في

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَمَلَ اللَّهُ الْكُفْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ [الملك: ٩٧]، رقم (١٥١٤)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (٢٩٠٩).

الأمر التعبدية ولا في الأمور العملية، فالذين يُحْكَمُونَ القوانينَ الوضعيةً، قانون فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا أو غيرها، هؤلاء رضوا بديلاً عن القرآن، ما هو البديل؟ الجواب: هذه القوانين؛ لأنَّ القرآنَ كتابٌ هادٍ في العقيدة وفي السلوك وفي العبادة وفي المعاملات، في كُلِّ شيءٍ، فَمَنْ خرج عنه ورَضِيَ عنه بديلاً فقد أخذ بحظٍّ وافٍ بحسب إعراضه عن القرآن.

٤٦٩٥- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ وَالْعِرْفَانِ
اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

٤٦٩٦- هُوَ مُوصِلٌ لَهُمْ إِلَى دَرَكِ الْيَقِينِ - مِنْ حَقِيقَةٍ وَقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ
ولذلك كُلَّمَا قَوِيَ إِيمَانُ الْإِنْسَانِ بِالْقُرْآنِ فَتَحَ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَدَلَّتِهِ مِنَ الْيَقِينِ مَا لَا يَجِدُهُ فِي أَيِّ كِتَابٍ آخَرَ؛ ولهذا أَنَا أَحْتُكِمُ وَنَفْسِي عَلَى الْحِرْصِ التَّامِّ عَلَى الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا بِهِ، وَجَرَّبْتُ نَفْسَكَ، ارْجِعْ لِلْقُرْآنِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، وَانظُرْ مَاذَا يَحْصُلُ لِقَلْبِكَ مِنَ الْإِيمَانِ وَانْشِرَاحِ الصِّدْرِ وَنُورِ الْقَلْبِ وَنُورِ الْوَجْهِ، هَذَا شَيْءٌ مُجَرَّبٌ، وَبِقَدْرِ إِعْرَاضِكَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سَتَتَخَلَّفُ عَنْكَ هَذِهِ الثَّمَرَةُ الْعَظِيمَةُ الْجَلِيلَةُ.

٤٦٩٧- يَا رَبِّ نَحْنُ الْعَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ يَا قَلَّةَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
قَوْلُهُ: «يَا رَبِّ نَحْنُ الْعَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ»؛ يعني: إِنَّا عَاجِزُونَ مَعَ أَنَّنَا نَحْبُكَ، فَهِيَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ؛ يعني: نَحْنُ الْعَاجِزُونَ مَعَ مَحَبَّتِنَا لَكَ، وَليْسَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: «بِحُبِّهِمْ» يَعُودُ إِلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ، لَا؛ إِذْ أَنَّنَا لَا نَحْبُ أَهْلَ التَّعْطِيلِ، لَكِنْ يَقُولُ: نَحْنُ الْعَاجِزُونَ مَعَ مَحَبَّتِهِمْ لَكَ يَا رَبُّ.

فصل

في أذان أهل السنة الأعلام بصريحتها جهراً على رؤوس منابر الإسلام

- ٤٦٩٨- يَا قَوْمٌ قَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ فَاذِّنْ
تَبَهُوا فَإِنِّي مُعَلِّنٌ بِأَذَانِ
- ٤٦٩٩- لَا بِالْمُلْحَنِ وَالْمُبَدَّلِ ذَاكَ بَلْ
تَأْذِينَ حَقٍّ وَاضِحٍ التَّبْيَانِ
- ٤٧٠٠- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا إِجَابْتُهُ عَلَى
كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضُ عَلَى الْأَعْيَانِ
- ٤٧٠١- اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ أَلْ
عَرَبِيٌّ مَخْلُوقًا مِنَ الْأَكْوَانِ
- ٤٧٠٢- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ
مَلَكِيٌّ أَنْشَأَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ
- ٤٧٠٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ
بَشَرِيٌّ أَنْشَأَهُ لَنَا بِلِسَانِ
- ٤٧٠٤- هَذِي مَقَالَاتٌ لَكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ
تَشْبِيهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى إِيْمَانِ
- ٤٧٠٥- شَبَّهْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي
عَدَمِ الْكَلَامِ وَذَاكَ لِلْأَوْثَانِ
- ٤٧٠٦- مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَلْ
لِهَةِ وَذَا الْبُرْهَانَ فِي الْفُرْقَانِ
- ٤٧٠٧- فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَعَ طَهَ وَنَا
لِيَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْقُرْآنِ

الشرح

قوله: «فصل في أذان أهل السنة الأعلام بصريحتها»؛ أي: بصريح السنة،
«جهراً على رؤوس منابر الإسلام»، وهذا واجب على أهل السنة أن يعلنوا السنة

صريحة في كل مكان ولا سيما في الأماكن التي تحفى فيها السنة.

٤٦٩٨- يَا قَوْمٌ قَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ فَإِنَّ تَبَهُوا فَإِنِّي مُعْلِنٌ بِأَذَانٍ

وخصَّ صلاةَ الفجرِ لسببَيْنِ:

السَّببُ الأوَّلُ: أنَّهَا تَأْتِي بَعْدَ النَّوْمِ.

السَّببُ الثَّانِي: أَنَّهَا يَلُوحُ النَّهَارُ وَيَتَبَيَّنُ الْإِسْفَارُ.

قَوْلُهُ: «مُعْلِنٌ بِأَذَانٍ»؛ أَي: مُوَافِقٌ لِلشَّرِيعَةِ.

٤٦٩٩- لَا بِالْمُلْحَنِ وَالْمُبَدَّلِ ذَلِكَ بَلْ تَأْذِينَ حَقٍّ وَاضِحٍ التَّبَيَّانِ

قَوْلُهُ: «لَا بِالْمُلْحَنِ»؛ يَعْنِي: الْمُطْرَبُ بِهِ، «وَلَا الْمُبَدَّلِ» الْمُعَيَّرُ، «بَلْ تَأْذِينَ حَقٍّ

وَاضِحٍ التَّبَيَّانِ»، فَهُوَ مُعْلِنٌ بِأَذَانٍ مُوَافِقٌ لِلشَّرِيعَةِ.

٤٧٠٠- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا إِجَابَتُهُ عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَ عَلَى الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى هَذَا الْأَذَانِ الَّذِي يُؤَدِّنُ بِهِ الْمُؤَلِّفُ وَهُوَ

الْأَذَانُ بِالسُّنَّةِ وَالْإِعْلَانُ بِهَا، إِجَابَتُهُ فَرَضَ عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ، ثُمَّ بَدَأَ بِالْأَذَانِ فَقَالَ:

٤٧٠١- اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ أَلْ- عَرَبِيٌّ مَخْلُوقًا مِنَ الْأَكْوَانِ

كَمَا قَالَ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ وَالْكَلَّابِيَّةُ، فَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ

يَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ كَمَا خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّرَيَّا وَغَيْرَهَا، وَعَلَى هَذَا

فَهُوَ مَخْلُوقٌ عَلَى صُورَةٍ مَعْيَنَةٍ، نَقُوشٌ لَيْسَ فِيهَا أَمْرٌ وَلَا فِيهَا نَهْيٌ.

انْتَبَهُوا لِحَظَرِ هَذَا الْقَوْلِ، فَالكَثِيرُ مِنَ الطَّلِبَةِ لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا؟

يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَنَّهُ إِنْ كُتِبَ فَهُوَ نَقْشٌ مَنقُوشٌ، عَلَامَةٌ السُّكُونِ دَائِرَةٌ، وَعَلَامَةُ الضَّمَّةِ

دائرةً من على اليمين، وهلمَّ جرًّا، إن سُمِعَ فهو مجردُ أصواتٍ مخلوقةٍ كما يُسْمَعُ الرَّعْدُ، زجرةً، إذَنْ لا يوجد أمرٌ ولا نهيٌ؛ فـ«أَقِم» مثل: «يستفتح» كُلُّهَا نقوشٌ فقط، هذا يترتَّبُ على القولِ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فما كان مسموعًا فهو كأصواتِ الرَّعْدِ، ليس له معانٍ، وما كان مكتوبًا فهو كالنقوشِ على الأبوابِ والجدرانِ، تحذلقِ الأشعريَّةُ وأتوا بالعجبِ العُجابِ، قالوا: كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ لكنَّه المعنى القَائِمُ بنفسِه، وما سَمِعَه جبريلُ فهي أصواتٌ خَلَقَهَا اللهُ لتعبِّرَ عَمَّا في نفسِه.

إذَنْ اتَّفَقَ المعتزلةُ والأشعريَّةُ على أنَّ ما نقرؤه في هذا المصحفِ مخلوقٌ، لكن الأشعريَّةُ قالوا: هو عبارةٌ عن كلامِ الله، والمعتزلةُ قالوا: هو كلامُ الله، فصاروا أشجعَ من الأشعريَّةِ، قالوا: نقولُ: كلامُ الله ولا نبالي، أمَّا «عبارةٌ عن كلامِ الله» فهذا لا يستقيم؛ ولهذا قال بعضُ حُدَّاقِ الأشعريَّةِ: ليس بيننا وبين المعتزلةِ فرقٌ، فإنَّنا متَّفَقون على أنَّ ما بين دفتي المصحفِ مخلوقٌ.

والحمدُ لله الذي عافانا ممَّا ابتلاهم به ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، الأشعريَّةُ يقولون: الأمرُ والنَّهيُّ والخبرُ والاستخبارُ والنداءُ والزَّجرُ كُلُّهَا معنى واحد، لا تختلفُ إلَّا في الصُّورةِ، وهذا كلامٌ غيرُ معقولٍ، لكن هكذا مَنْ أضلَّهُ اللهُ -والعياذُ بالله- يقولُ أقوالًا لا يُصدِّقها العقلُ فضلًا عن النَّقلِ والشَّرعِ.

٤٧٠٢- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ- مَلَكِيٌّ أَنْشَأَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ

٤٧٠٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ- بَشَرِيٌّ أَنْشَأَهُ لَنَا بِلِسَانِ

هو لاء يقولون: إنَّ الصَّوتَ صوتُ جبريلَ، واللهُ عزَّ وجلَّ ليس له صوتٌ، ويقولُ آخرون: بل هو صوتُ محمَّدٍ، والرَّسولُ المَلَكِيُّ هو جبريلُ عليه السَّلَامُ،

وقد أضافه الله إليه في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]، وأمَّا الرَّسُولُ البشريُّ فهو مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وقد أضافه الله إليه في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، فاللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ كَلَامُ جَبْرِيلَ أَوْ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ كَلَامُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٧٠٤- هَذِي مَقَالَاتٌ لَكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ - تَشْبِيهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى إِيمَانٍ
قَوْلُهُ: «يَا أُمَّةَ التَّشْبِيهِ»؛ يعني: الذين فُرُوا - على زعمهم - من التشبيه
فَعَطَّلُوا صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٧٠٥- شَبَّهْتُمُ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي عَدَمِ الْكَلَامِ وَذَلِكَ لِلْأَوْثَانِ
قَوْلُهُ: «شَبَّهْتُمُ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي عَدَمِ الْكَلَامِ» فقلتم: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ.
قَوْلُهُ: «وَذَلِكَ لِلْأَوْثَانِ» الأوثانُ هي جُماداتٌ لَا تَتَكَلَّمُ، أَمَّا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ
فإنَّهُ مُرِيدٌ مُتَكَلِّمٌ.

٤٧٠٦- مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَ - لِهَةِ وَذَا الْبُرْهَانِ فِي الْفُرْقَانِ
يعني: كونها لا تتكلم دليل على أنها ليست بألهة؛ لأنها لو كانت آلهة لنطقت،
وذلك في ثلاثة مواضع من القرآن، ذَكَرَهَا فَقَالَ:

٤٧٠٧- فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَعَ طَهَ وَثَا لِيْهَا فَلَا تَعْدِلُ عَنِ الْقُرْآنِ
الموضع الأول: في سورة «الأعراف» في قوله تعالى: ﴿وَأَنخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾
[الأعراف: ١٤٨]، فَاسْتَدَلَّ بِعَدَمِ تَكْلِيمِهِ عَلَى عَدَمِ صِلَاحِيَّتِهِ لِلْأَلُوْهِيَّةِ.

الموضع الثاني: في سورة «طه» في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٨-٨٩].

الموضع الثالث: في سورة «الأنبياء»، في قوله تعالى على لسان إبراهيم: قال إبراهيم: ﴿فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فاستدلّ بعدم نطقهم على أنّهم لا يصلحون أن يكونوا آلهة، فهذه ثلاثة مواضع.

إذن استدللّ الله عزّ وجلّ على أنّ الأصنام لا تصلح أن تكون آلهة بعدم الكلام، وهم يقولون: إنّ الله لا ينطق ولا يمكن أن ينطق، بل كلامه مخلوق، فشبهوه بالأصنام.

- | | | |
|-------|---|---|
| ٤٧٠٨- | أَفْصَحَ أَنَّ الْجَاهِلِينَ لِكُونِهِ | مُتَّكِلًا بِحَقِيقَةٍ وَبَيَانٍ |
| ٤٧٠٩- | هُمُ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعًا | بِالْجَاهِلَاتِ عَظِيمَةَ النُّقْصَانِ |
| ٤٧١٠- | لَا تَقْدِفُوا بِالذَّاءِ مِنْكُمْ شِيعَةَ الرُّ | رَحْمَنِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ |
| ٤٧١١- | إِنَّ الَّذِي نَزَلَ الْأَمِينَ بِهِ عَلَى | قَلْبِ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ |
| ٤٧١٢- | هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيدٌ | عَمَّا إِذْ هُمَا أَخْوَانِ مُصْطَحِبَانِ |
| ٤٧١٣- | لَا تَقْطَعُوا رَجْمًا تَوَلَّى وَضَلَّهَا الرُّ | رَحْمَنٌ تَنْسَلِحُوا مِنَ الْإِيمَانِ |
| ٤٧١٤- | وَلَقَدْ شَفَانَا قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي | قَالَ الصَّوَابَ وَجَاءَ بِالْإِحْسَانِ |
| ٤٧١٥- | (إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ | بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ |

٤٧١٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَحُرُوفُهُ وَمَدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

الشرح

٤٧٠٨- أَفْصَحَ أَنَّ الْجَاهِدِينَ لِكَوْنِهِ مُتَكَلِّمًا بِحَقِيقَةٍ وَبَيَانَ

٤٧٠٩- هُمْ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعًا بِالْجَاهِدَاتِ عَظِيمَةِ النُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «أَفْصَحَ أَنَّ الْجَاهِدِينَ...»؛ أي: أَفْصَحَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ؟ وَفِي نَسْخَةٍ: «أَفْصَحَ» وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ.

قَوْلُهُ: «بِحَقِيقَةٍ وَبَيَانَ»: مُتَعَلِّقٌ بِ«صَحَّ»؛ يَعْنِي: صَحَّ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ وَالبَيَانِ أَنَّهُمْ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ، فَهَمَّ فِي الْحَقِيقَةِ قَالُوا: لَا نَقُولُ: يَتَكَلَّمُ لئَلَّا نَشْبِّهَهُ بِالْحَوَادِثِ، فَنَقُولُ: أَنْتُمْ الْآنَ شَبَّهْتُمُوهُ بِالْجَاهِدَاتِ، بِالْأَصْنَامِ، بِالْأَوْثَانِ، وَعَطَّلْتُمُوهُ عَنِ كَمَالِهِ بِالْكَلَامِ.

يقول رحمه الله: أَفْصَحَ بَعْدَ هَذَا البَيَانِ الواضِحِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْكَلَامِ هُمْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ؟ وَجَوَابُ الاستِفْهَامِ: نَعَمْ، صَحَّ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَهُمْ أَهْلُ التَّشْبِيهِ، شَبَّهُوهُ بِمَاذَا؟ الْجَوَابُ: «بِالْجَاهِدَاتِ عَظِيمَةِ النُّقْصَانِ»، وَالجَاهِدَاتُ هِيَ الَّتِي لَا تَتَكَلَّمُ، فَهَمَّ عَطَّلُوا اللَّهَ عَنِ الْكَلَامِ، وَشَبَّهُوا اللَّهَ بِالْجَاهِدَاتِ، وَجَمَعُوا بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ.

٤٧١٠- لَا تَقْذِفُوا بِالِدَّاءِ مِنْكُمْ شَيْعَةَ الرُّوحِ رَحْمَنِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

هَمَّ الْآنَ يَقْذِفُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالتَّشْبِيهِ، يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ، فَيَقُولُ: لَا تَقْذِفُوا أَهْلَ السُّنَّةِ بِدَائِكُمْ، أَنْتُمْ الْمَشْبَّهَةُ؛ لِأَنَّكُمْ شَبَّهْتُمُوهُ بِالْجَاهِدَاتِ.

٤٧١١- إِنَّ الَّذِي نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ عَلَى قَلْبِ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

٤٧١٢- هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا - عَمَّا إِذْ هُمَا أَخْوَانٍ مُصْطَحِبَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْأَمِينُ...» والذي نَزَلَ به الأمينُ على قلبِ محمدٍ ﷺ هو القرآنُ.

قَوْلُهُ: «...هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا» أراد بذلك الرَّدَّ على الأشاعرة الذين قالوا: إنَّ القرآنَ هو المعنى، وأمَّا اللَّفْظُ فليس كلامَ الله، وإنَّما هو عبارةٌ عن كلامِ الله عزَّ وجلَّ، فكلامُ الله هو المعنى، أمَّا نحن فنؤمنُ بأنَّ كلامَ الله هو اللَّفْظُ والمعنى.

٤٧١٣- لَا تَقْطَعُوا رَحِمًا تَوَلَّى وَضَلَّهَا الرُّحْمَنُ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ

الرَّحِمُ هو الارتباطُ بين اللَّفْظِ والمعنى، أنتم فرقتم بينهما، فقلتم: اللَّفْظُ لفظُ المَلِكِ أو لفظُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، والمعنى: قولُ الله، وهذا لا يصحُّ.

٤٧١٤- وَلَقَدْ شَفَانَا قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي قَالَ الصَّوَابَ وَجَاءَ بِالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «شَفَانَا»؛ أي: أزالَ عِلَّتَنَا وأبرأنا من المرضِ.

قَوْلُهُ: «قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي قَالَ الصَّوَابَ» وهو القحطانيُّ^(١) - رحمه الله - في «النُّونِيَّةِ الْقحْطَانِيَّةِ»، وهي معروفةٌ مشهورةٌ، يقولُ رحمه الله:

٤٧١٥- (إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ

(١) هو محمد بن صالح بن محمد بن سعد بن نزار بن عمرو بن ثعلبة أبو عبد الله القحطاني المعافري الأندلسي الفقيه المالكي، توفي سنة (٥٣٨٣هـ)، انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام للذهبي (٥٤٨/٨).

٤٧١٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَحُرُوفُهُ وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ^(١)

وهذا التفصيل هو مذهب أهل السنة والجماعة، فالذي في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ والشُّبَّانِ، وكانت المصاحف سابقاً تُكْتَبُ بأنامل الأشياخ الكبارِ والشُّبَّانِ الصَّغارِ.

وهنا إذا قال قائل: هل القرآن المكتوب في هذا الكتاب مخلوق أو لا؟ نُفَصِّلُ فنقول: أمَّا المكتوبُ فليس بمخلوقٍ، وأمَّا المِدَادُ «الحرير» والرَّقُّ وهو ما يُكْتَبُ عليه من جلدٍ أو ورقٍ أو غيرهما فهما مخلوقان، وكذلك اليدُ التي كَتَبَتْ مخلوقةٌ، كذلك مثلاً لو قرأ قارئ فقال: ما تقول في هذه القراءة: مخلوقةٌ أو غيرُ مخلوقة؟ أقول: أمَّا المقروءُ فغيرُ مخلوقٍ، وأمَّا القارئُ وصوته وآلةُ الصَّوتِ من اللسانِ والشَّفَتَيْنِ فهذا مخلوقٌ، وبهذا التفصيل تزولُ به الشُّبهاتُ.

إذْنا عندنا مكتوبٌ، ومقروءٌ، ومكتوبٌ به، ومكتوبٌ فيه، وقارئٌ، كُلُّ هذه يجبُ أن تُفَرَّقَ بينها، المكتوبُ والمقروءُ غيرُ مخلوقٍ، فهو قولُ الله عزَّ وجلَّ، والمكتوبُ به -وهو القلمُ والمِدَادُ- مخلوقٌ، والمكتوبُ فيه -وهو الرَّقُّ والورقُ- مخلوقٌ، والكاتبُ والقارئُ مخلوقٌ، والصَّوتُ صوتُ القارئِ مخلوقٌ، واللفظُ لفظُ القارئِ مخلوقٌ، والمفوظُ به غيرُ مخلوقٍ، والمسموعُ غيرُ مخلوقٍ.

فإن قال قائل: إنَّ الإمامَ أحمدَ -رحمه الله تعالى- يقول: «مَنْ قال: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ فهو جهميٌّ، وَمَنْ قال: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ»^(٢)، فأنكر القولين جميعاً؟

(١) انظر: النونية (ص: ٥٣).

(٢) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين الشافعي (٢/ ٥٧٠).

نقول: إِنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ -رحمه الله- بَيَّنَّ أَنَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: «لفظي بالقرآن مخلوق» يعني به القرآن، كما جاء في رواية أخرى عنه، قال: «مَنْ قَالَ: لفظي بالقرآن مخلوق -يعني به القرآن- فهو جهميٌّ»، هذا مذهبُ الجهميَّةِ، وأمَّا مَنْ قَالَ: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ؛ لأنَّ السَّلَفَ لم يقولوا هكذا، وكان الإِمَامُ أَحْمَدُ -رحمه الله- حريصًا على ما جاء عن السَّلَفِ لا يتعداه ولا يتجاوزُه.

إِذَنْ مَنْ قَالَ: «لفظي بالقرآن مخلوق» نقول: أخطأ، وَمَنْ قَالَ: «غيرُ مخلوقٍ» أخطأ، بل يُفْصَلُ، فَإِنْ أَرَادَ بِاللَّفْظِ الْمَفْظُوظَ بِهِ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَإِنْ أَرَادَ بِاللَّفْظِ التَّلْفُظَ الَّذِي هُوَ فِعْلُ اللَّافِظِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

- | | |
|--|--|
| ٤٧١٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى | لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ |
| ٤٧١٨- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَعَارِجِ مَنْ إِلَيْ- | هِ تَعْرُجُ الْأَمْلاكُ كُلُّ أَوَانٍ |
| ٤٧١٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلَالَهُ | أَمْلاكُهُ مِنْ فَوْقَهُمْ بَيَّانٍ |
| ٤٧٢٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ غَدَا لِسَرِيرِهِ | أَطُّ بِهِ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ |
| ٤٧٢١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَنَا قَوْلُهُ | مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ |
| ٤٧٢٢- نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ | رَبِّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ |
| ٤٧٢٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ الْعِبَا | دِ فَلَا تَضَعُ فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ |
| ٤٧٢٤- مِنْ كُلِّ وَجْهِ تِلْكَ نَائِبَةٌ لَهُ | لَا تَهْضُمُوهَا يَا أُولِي الْبُهْتَانِ |
| ٤٧٢٥- قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْ | قِ الْعَرْشِ بِالْبُرْهَانِ وَالْقُرْآنِ |

- ٤٧٢٦- فَبَدَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ثُمَّ اسْتَوَىٰ بِالذَّاتِ فَأَفْهَمَ ذَانِ
 ٤٧٢٧- فَضْمِيرٌ فِعْلٍ الْإِسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذَّ ذَاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ بِلا فُرْقَانِ
 ٤٧٢٨- هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقُ هُوَ مُسْتَوٍ بِالذَّاتِ هَذِي كُلُّهَا بِوِزَانِ

الشرح

- ٤٧١٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَكِنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَى الْأَكْوَانِ
 قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ» هذا من الأذان الذي أعلاه.

يُقَالُ: «استولى على كُـلِّ الْأَكْوَانِ»، و«استوى على العرشِ خَاصَّةً»، ثُمَّ نَقَوْلُ
 أَيضًا: «استولى على الْأَكْوَانِ أَزْلًا وَأَبَدًا» وليس بعد أن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،
 إِذْ نَ هُوَ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ خَاصَّةً، وَاسْتَوَىٰ عَلَى الْأَكْوَانِ كُلُّهَا، فَكُلُّ مَنْ سَوَىٰ
 اللَّهُ فَاللَّهُ تَعَالَىٰ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ مَالِكٌ لَهُ، قَاهِرٌ لَهُ، مُدَبِّرٌ لَهُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
 الَّذِينَ فَسَّرُوا «استوى» بـ«استولى» لم يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْفَرْشِ، فَاسْفَلُ الدُّنْيَا
 وَأَعْلَى الْكُونِ عِنْدَهُمْ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ، كُـلُّهُ اسْتَوَىٰ عَلَيْهِ اللَّهُ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

- ٤٧١٨- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَعَارِجِ مَنْ إِلَيْهِ هِ تَعْرُجُ الْأَمْلاَكُ كُلُّ أَوَانِ

وذلك كما قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾
 مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿المعارج: ١- ٣﴾، وقولُهُ: ﴿ذِي﴾: صِفَةٌ لِلَّهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ كَوْنَهُ ذَا
 الْمَعَارِجِ فَقَالَ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ﴿المعارج: ٤﴾.

- ٤٧١٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلَالَهُ أَمْلاَكُهُ مِنْ فَوْقَهُمْ بَيَّانِ

كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ﴿النحل: ٥٠﴾، وهذا فيه إثباتُ العلوِّ.

٤٧٢٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَدَا لِسَرِيرِهِ أَطُّ بِهِ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ

قَوْلُهُ: «سَرِيرِهِ»؛ أَي: عَرَشِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ لَهُ أَطِيطًا كَأَطِيطِ الرَّحْلِ^(١)، وَالْأَطِيطُ هُوَ مَا يُسْمَعُ مِنْ صَرِيرِ الرَّحْلِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَمَلٌ، فَالْبَعِيرُ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَمَلٌ ثَقِيلٌ تَجِدُ أَنَّ رَحْلَهُ يَكُونُ لَهُ صَرِيرٌ، وَالرَّحْلُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ، يُرَكَّبُ عَلَيْهِ وَيُشَدُّ عَلَيْهِ الْمَتَاعُ، فَتَسْمَعُ لَهُ أَطِيطًا، وَنَحْنُ نُوْمُنُ بِهَذَا، وَلَكِنَّا لَا نُشَبِّهُ.

٤٧٢١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَتَانَا قَوْلُهُ مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ

قَوْلُهُ: «مَنْ أَتَانَا قَوْلُهُ»؛ يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

قَوْلُهُ: «مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ» كَيْفَ قَالَ: «سِتِّ ثَمَانٍ» مَعَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ سَبْعٌ وَليست سِتًّا؟ الْجَوَابُ: قَالَ: «ثَمَانٍ» بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْعَرْشَ هُوَ الثَّمَانُ، أَمَّا قَوْلُهُ: «سِتِّ» فَهَذَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا^(٢)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٤٧٢٢- نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ رَبِّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَا الرَّحْمَنُ

الْأَمِينُ هُوَ جَبْرِيْلُ، وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ أَمِينٌ وَبِأَنَّهُ قَوِيٌّ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التَّكْوِيْر: ١٩-٢٠]، وَقَالَ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩﴾﴾ [الشُّعْرَاء: ١٩٣]، وَبِالْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ يَحْصُلُ الْكَمَالُ، قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَيْسَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ [الفَصَص: ٢٦].

٤٧٢٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ الْعِبَا دِفْلَا تَضَعُ فَوْقَيْةَ الرَّحْمَنِ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ»، رَقْمٌ (٢٣١٢).

(٢) انْظُرْ: شَرْحُ الْبَيْتَيْنِ (٤١٢، ٥٢٣) مِنَ الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ.

٤٧٢٤- مِنْ كُلِّ وَجْهِ تِلْكَ ثَابِتَةٌ لَهُ لَا تَهْضُمُوهَا يَا أُولِي الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «يَا أُولِي الْبُهْتَانِ»، وفي نسخة: «يَا أُولِي الْعُدْوَانِ».

قَوْلُهُ: «فَلَا تُضْعُ» يجوزُ أن تكونَ «فَلَا تُضْعُ»، فيصحُّ هذا وهذا.

قَوْلُهُ: «مِنْ كُلِّ وَجْهِ تِلْكَ ثَابِتَةٌ لَهُ»؛ يعني: العلوُّ وال فوقية؛ لأنَّ هؤلاء هضموا الفوقية، وقالوا: إنَّها ليست فوقية الذاتِ وإنَّها هي فوقية الصِّفةِ.

٤٧٢٥- قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ بِالْبُرْهَانِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ»؛ يعني أنَّ علوَّ الله علوُّ قهْرٍ وعلوُّ قدرٍ وعلوُّ ذاتٍ؛ ولهذا قال: «وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ» هذا علوُّ الذاتِ فوق العرشِ بالبرهانِ والقرآنِ.

فالله تعالى ثَبَّتَ له الفوقيةُ بجميع المعاني، فوقيةُ الذاتِ بمعنى أنَّه فوق كُلِّ شيءٍ، وفوقيةُ القدرِ بمعنى أنَّه أشرفُ من كُلِّ شيءٍ، وفوقيةُ القهْرِ بمعنى أنَّه غالبُ كُلِّ شيءٍ.

٤٧٢٦- فَبَدَائِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ثُمَّ اسْتَوَى بِالذَّاتِ فَافْهَمَ ذَانَ

هذا إشارةٌ إلى قاعدةٍ مفيدةٍ وهي: كُلُّ ما أضافه اللهُ لنفسِه فالمرادُ لذاتِه، فهنا قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهو تعالى خَلَقَ بذاتِه، واستوى بذاتِه، كُلُّ الأفعالِ تعودُ على الذاتِ، فإذا كانت تعودُ على الذاتِ فلماذا نُفَرِّقُ ونقول: إنَّه لم يستوِ بذاتِه بل علا بقدرِه؛ ونقول: خَلَقَ بذاتِه؟!!

قَوْلُهُ: «فَافْهَمَ ذَانَ» بناءً على مَنْ يُلْزَمُ المثنى الألفَ ولو كان منصوبًا أو مجرورًا.

٤٧٢٧- فَضْمِيرُ فِعْلِ الْإِسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذُّ ذَاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ بِهَا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «فَضْمِيرُ فِعْلِ الْإِسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذَّاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ» ضَمِيرُ فِعْلِ الْإِسْتِوَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يَعُودُ لِلذَّاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ بِهَا فُرْقَانِ، لَكِنْ أَيْنَ الذَّاتُ الَّتِي ذُكِرَتْ؟ الْجَوَابُ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الأعراف: ٥٤] هُوَ نَفْسُهُ الرَّبُّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ أَي: الرَّبُّ الَّذِي خَلَقَ.

قَوْلُهُ: «بِهَا فُرْقَانِ»؛ أَي: بِهَا فُرْقَانِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْإِسْتِوَاءِ، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ بِذَاتِهِ، هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، لَا أَخَذَهَا، وَاسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أَيْضًا بِذَاتِهِ.

فَالْقَاعِدَةُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ لِنَفْسِهِ حَقِيقَةٌ، لَكِنْ لَا تَتَوَهَّمُ مِنْهُ مَعْنَى بَاطِلًا، فَإِنْ خَفَتْ إِنْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنَّ يَتَوَهَّمُ الْمَخَاطَبُ وَهَمًّا بَاطِلًا فَدَعِهِ، فَلَا تَشْوِشْ عَلَى غَيْرِكَ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي «مَخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ»، وَأَكْثَرَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ لَهُ حَقِيقَةٌ بِذَاتِهِ.

٤٧٢٨- هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقُ هُوَ مُسْتَوٍ بِالذَّاتِ هَذِي كُلُّهَا بِوِرَانِ

هُوَ رَبُّنَا ذَاتُهُ، وَهُوَ الْخَالِقُ ذَاتُهُ، وَهُوَ الْمُسْتَوِي ذَاتُهُ، كُلُّهَا بِوِرَانِ، فَكُلُّ الضَّمَائِرِ الثَّلَاثَةِ تَعُودُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

- ٤٧٢٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الْـ
 مَعْلُومٍ بِالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ
 ٤٧٣٠- فَعَلُوهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ
 قَالَهُ أَكْبَرُ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ
 ٤٧٣١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطَّبَا
 قِ رَسُولُهُ فَدَنَا مِنَ الدِّيَانِ
 ٤٧٣٢- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعَدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً
 لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ
 ٤٧٣٣- وَدَنَا مِنَ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ
 ٤٧٣٤- وَاللَّهُ قَدْ أَحْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ
 فِي ذَلِكَ الْمِعْرَاجِ بِالْمِيزَانِ
 ٤٧٣٥- قُلْتُمْ خَيْالًا أَوْ أَكَاذِبًا أَوْ أَلْـ
 مِعْرَاجٌ لَمْ يَخْضُلْ إِلَى الرَّحْمَنِ
 ٤٧٣٦- إِذْ كَانَ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
 رَبُّ إِلَيْهِ مُتْتَهَى الْإِنْسَانِ
 ٤٧٣٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَشَارَ رَسُولُهُ
 حَقًّا إِلَيْهِ بِإِصْبَعٍ وَبِنَانِ
 ٤٧٣٨- فِي مَجْمَعِ الْحَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ
 دُونَ الْمُعَرَّفِ مَوْقِفِ الْغُفْرَانِ
 ٤٧٣٩- مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بِإِصْبَعٍ
 قَطَعَتْ فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله- في أذانه وإعلانه للسنة:

- ٤٧٢٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الْـ
 مَعْلُومٍ بِالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ
 ٤٧٣٠- فَعَلُوهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ
 قَالَهُ أَكْبَرُ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

قوله: «بِالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ»، وفي نسخة: «بِالْفِطْرَاتِ وَالْإِيمَانِ».

قَوْلُهُ: «ذُو الْعُلُوِّ الْمَطْلُوقِ»؛ أي: الكامل من كُلِّ وجهٍ، فله علوُّ الذَّاتِ، وعلوُّ الصِّفَةِ، وعلوُّ القدرِ والقهرِ.

٤٧٣١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطُّبَا قِ رَسُولُهُ فَدَنَا مِنَ الدِّيَانِ

٤٧٣٢- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعَدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ

٤٧٣٣- وَدَنَا مِنَ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ

هذا فيه دليلٌ على علوِّ الله أيضًا، فرسولنا -صلواتُ الله وسلامه عليه-

أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وَعُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى؛ لِأَنَّ

الْمِعْرَاجَ هُوَ مَا يُعْرَجُ بِهِ، وَدَنَا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَاطَبَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «النَّجْمِ»: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرْقٍ ﴿٦﴾ [النَّجْم: ٥-٦]؛ أَي: هَيْئَةً حَسَنَةً، ﴿فَأَسْتَوَى﴾

[النَّجْم: ٦]؛ أَي: عَلَا، ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾﴾ ثُمَّ دَنَا فَنَدَّى ﴿[النَّجْم: ٧-٨]؛ يَعْنِي:

جَبْرِيلُ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النَّجْم: ٩]، ﴿فَأَوْحَى﴾ [النَّجْم: ١٠]؛ أَي: جَبْرِيلُ ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ [النَّجْم: ١٠]؛ أَي: عَبْدِ اللَّهِ ﴿مَا أَوْحَى﴾.

إِذْنُ الصَّوَابِ فِي الْآيَةِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ يَعُودُ إِلَى جَبْرِيلَ؛

لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَتَدَلَّى، بَلْ جَبْرِيلُ كَانَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا مِنَ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي وَقْتِ الْوَحْيِ حَتَّى كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِ اللَّهِ مَا

أَوْحَى، لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الرَّسُولَ قَرَّبَ مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ صَعَدَ إِلَى مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَوَصَلَ إِلَى مَكَانٍ سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ أَقْلَامِ الْقَضَاءِ تَكْتَبُ، وَهَذَا الْمَكَانُ لَمْ

يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ فِيمَا نَعْلَمُ.

هذه كُلُّهَا آيَاتُ المعراجِ، وليس هذا موضعَ قصديها وإلا ففيها عبرٌ، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ فيها: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧]، ويقولُ: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١].

سبحان الله! الإنسان لو يرى أدنى أدنى شيءٍ من هذه الآياتِ زَاغَ بصره، وقام يلتفتُ يميناً وشمالاً: ما هذا؟ لكنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ما زَاغَ بصره وما طَغَى، ما تجاوز لكمالِ أدبه وحسنِ خلقه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وثباتِ جَأْشِهِ، كذلكِ الفؤاد ما قال: هذه خيالاتٌ، هذه أوهامٌ، هذه أحلامٌ، أبداً، ما كذب ما رأى، بل ما رآه فهو حقيقةٌ اطمأنَّ إليه القلبُ وبصر به وعرف به، هؤلاء يُنكرون المعراجِ يقولون: اللهُ عزَّ وجلَّ ليس في السماءِ، أين المعراجُ؟ لا شيءٌ، ولهذا يقولُ إليهم: «لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ».

٤٧٢٤- وَاللَّهُ قَدْ أَحْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ فِي ذَلِكَ الْمِعْرَاجِ بِالْمِيزَانِ

يشيرُ إلى أن هؤلاء القومَ أنكروا عروجَ الرسولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- إلى الله؛ لأنَّهم يُنكرون علوَّ الله، فإذا أنكروا علوَّ الله لَزِمَ من ذلك إنكارُ مَنْ يعلو إلى الله، أو إنكارُ علوِّ مَنْ يعلو إلى الله.

٤٧٢٥- قُلْتُمْ خَيَالًا أَوْ أَكَاذِبًا أَوْ أَلْمِ مِعْرَاجٍ لَمْ يَحْضُلْ إِلَى الرَّحْمَنِ

هذه ثلاثة أقوالٍ:

الأوَّلُ: «قُلْتُمْ خَيَالًا»، ومن ذلك قولُ مَنْ قال: «إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُعْرَجْ بِهِ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا رَأَى فِي الْمَنَامِ».

الثَّانِي: «قُلْتُمْ أَكَاذِبًا» وذلك؛ لأنَّ من قاعدتهم أنَّ العقيدة لا تثبتُ بأخبارِ الآحادِ مع أنَّ المعراجَ متواترٌ والقرآنُ قد دَلَّ عليه في سورة «النَّجم».

الثالث: قلت: إِنَّ الرَّسُولَ لم يعرُجْ إلى الرَّحْمَنِ، وَإِنَّمَا عَرَجَ إلى السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا الرَّحْمَنُ فليس فوق السَّمَاوَاتِ، فالعروجُ ليس إلى الله، بل عروجٌ إلى ما فوق السَّمَاوَاتِ، لكن ليس إلى الله.

فهذه ثلاثة أقوالٍ قالوها من أجل إنكارِ علوِّ الله عزَّ وجلَّ، نسأل الله العافية.

٤٧٣٦- إِذْ كَانَ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى رَبًّا إِلَيْهِ مُنْتَهَى الْإِنْسَانِ قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ»؛ يعني: إِذْ كَانَ الْأَمْرُ.

وإذا لم يكن فوق السَّمَاوَاتِ رَبًّا فعروجُ الرَّسُولِ إلى غيرِ الله، ويكونُ قد طلع يتفرَّجُ على السَّمَاوَاتِ وعلى ما فيها، ثُمَّ رَجَعَ.

٤٧٣٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَشَارَ رَسُولُهُ حَقًّا إِلَيْهِ بِإِصْبَعٍ وَبَنَانٍ هَذَا أَيْضًا مِنَ الْأَدَلَّةِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَشَارَ إِلَى اللَّهِ بِالْإِصْبَعِ وَالْبَنَانِ (١).

قَوْلُهُ: «إِصْبَعٍ» يقولون: فيها عشرُ لغاتٍ، و«أَنْمَلَةٌ» فيها تسعُ لغاتٍ، وَضُبِطَتْ هَذِهِ اللَّغَاتُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، يَعْنِي: تِسْعَ عَشْرَةَ لُغَةً فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، قَالَ فِيهِ النَّازِمُ:

وَهَمَزَ أَنْمَلَةٌ ثَلَاثُ وَتَالِثَةُ الثُّ تِسْعُ فِي إِصْبَعٍ وَاخْتِمَ بِأَصْبُوعٍ (٢)

(١) كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَجِّ، وَفِيهِ: نَشَهُدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَابِيَّةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنَكِّتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ حِجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، رَقْمُ (١٢١٨).

(٢) البيت في تاج العروس، مادة: نمل، وعزاه للعز القسطلاني.

وعندنا في لغة السِّيَّاراتِ «إصْبَاع» للبطاريَّة، لكن الظَّاهر أنَّها ليست لغةً، فهذه عشرُ لغاتٍ في إِصْبَع، وتسعُ لغاتٍ في أَنْمَلَةٌ.

قَوْلُهُ: «هَمْزَ أَنْمَلَةٍ ثَلَاثٌ»؛ أي: بالحركاتِ الثَّلَاثِ؛ الفتحِ والكسرِ والضمِّ، الثَّلَاثُ من «أَنْمَلَةٌ» وهي الميمُ أيضًا فيها حركاتُ ثلاثٌ، وثلاثةٌ في ثلاثيةٍ بتسعٍ، «وَاخْتِمَ بِأُصْبُوعٍ» تكونُ عشرةً، تقولُ: إِصْبَعُ إِصْبَعُ أُصْبَعُ، وهكذا، فلا يغلطُ الإنسانُ في أيِّ وجهٍ يقرؤها به.

٤٧٣٨- في مَجْمَعِ الْحَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ دُونَ الْمُعَرَّفِ مَوْقِفِ الْغُفْرَانِ
وهذا لما نزل الرَّسُولُ ﷺ وادي عُرْنَةَ، خطب النَّاسَ في وادي عُرْنَةَ، ووادي عُرْنَةَ ليس هو الْمُعَرَّفُ، الْمُعَرَّفُ هو عرفةٌ لكنَّه قريبٌ منه؛ ولهذا قال: «بِمَوْقِفِ دُونَ الْمُعَرَّفِ»، وقوله: «مَوْقِفِ الْغُفْرَانِ» هذا نعتٌ لـ«الْمُعَرَّفِ» لا للموقِفِ الذي خطب فيه الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم.

المهمُّ أنَّه نزل هناك وخطب في النَّاسِ خطبةً عظيمةً بليغةً قبل الصَّلَاةِ، وقال للنَّاسِ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيُنَكِّتُهَا لِلنَّاسِ^(١)، «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»؛ يعني: عليهم، قالها -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ثلاثَ مرَّاتٍ.

٤٧٣٩- مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَسَارَ بِإِصْبَعِ قُطِعَتْ فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ
هؤلاء المنكرون للعلوِّ يقولون: مَنْ رَفَعَ إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مَشِيرًا إِلَى عَلْوِ اللَّهِ وَجَبَ قَطْعُهَا، وعلى هذا فيجبُ قَطْعُ إِصْبَعِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

رَفَعَهَا مَشِيرًا إِلَى عُلُوِّ اللَّهِ؛ وَهَذَا أَنَا أَرَى شَخْصِيًّا أَنَّ الَّذِي يُنْكِرُ عُلُوَّ اللَّهِ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مَكْذُوبٌ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ تَكْذِيبًا صَرِيحًا، فَإِنْ لَمْ يَكْفُرْ هَذَا فَمَنْ الَّذِي يَكْفُرُ؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! أَدَلَّةٌ عَظِيمَةٌ كُلُّهَا قَاطِعَةٌ أَشَدُّ مِنَ الشَّمْسِ ظَهورًا، ثُمَّ تُنْكِرُ، نَعَمْ؛ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ جَاهِلًا تَابِعًا لِأَثْمَةِ الضَّلَالِ وَلَا يَدْرِي عَنِ الْحَقِّ فَهَذَا يُعْذَرُ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَحَادِيثٌ، لَكِنْ إِذَا تَبَيَّنَ الْحَقُّ فَلَا عِذْرَ لِأَحَدٍ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ»؛ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى اللَّهِ، فَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَشَارَ إِلَى السَّمَاءِ، وَمَنْ قَالَ: «مَنْ رَفَعَ إصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ قُطِعَتْ إصْبَعُهُ» يَجْتَمِعَانِ، وَمَا ظَنُّكَ بِأَحَدٍ يَكُونُ خَصْمَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ إِنَّهُ لَمَهْزُومٌ وَإِنَّهُ لِمَخْصُومٌ.

انْتَبِهُوا لِلخِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْبِدْعِ، فَلَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ، بَلْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَخَاصِمُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٣٠-٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الْمَمْتَحَنَةُ: ٣]؛ أَي: نَحَاكُمُهُمْ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَجْعَلَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ سَبِيلًا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٤١]، كَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرُ الْكَافِرِينَ مِمَّنْ هُمْ عَلَى بَاطِلٍ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ حَقًّا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ.

- ٤٧٤٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ وَشَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ شَأْنٍ
- ٤٧٤١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْكَرْسِيُّ ذَا الْأَرْكَانِ
- ٤٧٤٢- وَكَذَلِكَ الْكَرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطُّبَا قِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ بِالْبُرْهَانِ

- ٤٧٤٣- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الْإِنْسَانِ
- ٤٧٤٤- لَا تَحْضُرُوهُ فِي مَكَانٍ إِذْ تَقُو
- ٤٧٤٥- نَزَّهْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ عَنْ عَرْشِهِ
- ٤٧٤٦- لَا تُعْدِمُوهُ بِقَوْلِكُمْ لَا دَاخِلٌ
- ٤٧٤٧- اللَّهُ أَكْبَرُ هَتَكْتَ أَسْتَارِكُمْ
- ٤٧٤٨- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِهِ وَعَنْ
- ٤٧٤٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالْ
- لُؤَارُبْنَا حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ
- وَحَصْرُ نَمُوهُ فِي مَكَانٍ ثَانٍ
- فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ
- وَبَدَتْ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
- مِثْلٍ وَعَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانِ
- أَوْصَافُ كَامِلَةٌ بِلَا نُقْصَانِ

الشرح

- ٤٧٤٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ وَشَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ شَأْنٍ
- وهذا تفسيرُ أعلم الخلقِ بكتابِ الله، قال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(١)، والظَّاهِرُ؛ أي: العَالِي، فإذا كان هذا تفسيرَ مُحَمَّدٍ ﷺ فكيف يُنكِرُ؟! ولكن قال الكافرون للرَّسولِ ﷺ: ﴿هَذَا سَجْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ﴾ [ص: ٤-٥]، فوصفوا الرَّسولَ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- بالسَّحْرِ والكذِبِ، ووصفوا التَّوْحِيدَ بالشَّيْءِ الْعُجَابِ، والعُجَابُ أبلغ من العَجَبِ، وأبلغ من العَجِيبِ، فهم قالوا: كيف يجعلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟!

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

٤٧٤١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْكَرْسِيُّ ذَا الْأَرْكَانِ
إِذَنْ فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْكَرْسِيِّ.

٤٧٤٢- وَكَذَلِكَ الْكَرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطَّبَاءَ قَ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ بِالْبُرْهَانِ
البرهان هو قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إِذَنْ
عندنا ثلاثة أشياء: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسِعَهَا الْكَرْسِيُّ، وَالْكَرْسِيُّ وَسِعَهُ الْعَرْشُ،
إِذَنْ الْعَرْشُ أَكْبَرُ الثَّلَاثَةِ، وَلَا يَقْدَرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

والمؤلف - رحمه الله - ذكر ما دلت عليه الآثار؛ إذ إنَّ العرش أكبر من
الكرسي، والكرسي أكبر من السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَمَا كَوْنُ الْكَرْسِيِّ أَكْبَرَ مِنَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَأَمَا كَوْنُ الْعَرْشِ أَوْسَعَ مِنَ الْكَرْسِيِّ فَهَذَا قَدْ جَاءَتْ بِهِ
الآثَارُ، ف«السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ» كحلقَةِ الدَّرْعِ، فَهِيَ سِيرَةٌ مِثْلُ الْأَنْمَلَةِ بَلْ أَقْلُ،
نِسْبَةٌ هَذِهِ الْحَلْقَةِ إِلَى فَلَاحَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، «وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكَرْسِيِّ
كَفَضْلِ الْفَلَاحَةِ عَلَى الْحَلْقَةِ»^(١)، سُبْحَانَ اللَّهِ! مَخْلُوقَاتٌ عَظِيمَةٌ، هَذَا وَهُوَ مَخْلُوقٌ،
فَكَيْفَ بِالْخَالِقِ!؟

الآن لا يمكن أن يتصور الإنسان عظم الكرسى ولا عظم العرش، فكيف
بالخالق جلَّ وعلا؟! والله تعالى فوق ذلك كله ليس محصوراً بمكان، هو فوق كلِّ
شيءٍ، فما فوق المخلوقاتِ عدمٌ فضاءً، لا يوجدُ شيءٌ، ليس ثمَّ إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ،
فلا يحيطُ به شيءٌ من مخلوقاته، ولا هو حالٌّ في شيءٍ من مخلوقاته.

(١) أخرجه ابن حبان (٧٧/٢)، رقم (٣٦١).

٤٧٤٣- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الْإِنْسَانِ قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ»، وفي نسخة: «وَالرَّبُّ».

إذا كانت خواطرننا لا تخفى على ربنا فما بالك بأقوالنا وأفعالنا؟ الجواب: تكون أولى بالعلم.

٤٧٤٤- لَا تَحْضُرُوهُ فِي مَكَانٍ إِذْ تَقُو لُوَارِبْتَا حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ وهذا أحد أقوال أهل التعطيل الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان؛ في المسجد، في الحجرة، في البيت، في السوق، في الحش، في الأقدار، في الأنتان، في الأوساخ، في كل مكان، قاتلهم الله!

ولا ريب أن من اعتقد في ربه هذا أنه كافرٌ كُفْرًا يخرج به من الملة؛ لأنه مُكذِّبٌ للنصوص الصريحة الواضحة في علو الله عز وجل، ثم إنه قد تنقص الله غاية التنقص والعياد بالله، أن جعله في مكان الحشوش، لو خاطب ملكًا من الملوك في الدنيا قال: أنت في الحش، ماذا يقول؟ الجواب: يُعِدُّهُ.

٤٧٤٥- نَزَّهْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ عَنْ عَرْشِهِ وَحَصَرْتُمُوهُ فِي مَكَانٍ ثَانٍ قالوا: ليس على العرش، لكنه في الحش، ليس فوق العرش، لكنه داخل الحش، أعود بالله! فهم نزّهوه عن العرش الذي هو أعلى المخلوقات وأعظمها، لكنهم تنقصوه بقولهم: «في كل مكان».

٤٧٤٦- لَا تُعْدِمُوهُ بِقَوْلِكُمْ لَا دَاخِلٌ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ قَوْلُهُ: «لَا تُعْدِمُوهُ»؛ يعني: لا تجعلوه معدومًا بقولكم: «لا داخلٌ فينا ولا هو خارجُ الأكوان».

وهذا رأيي آخر لأهل التّعطيل، يقولون: ليس الله داخل العالم ولا خارجة، وقصة ابن فورك مع محمود بن سبكتكين - رحمه الله تعالى - مشهورة، فقد ناظره وقال: إذا كنت تقول في ربك هذا فأين الله؟! فقد وصفت ربك بالعدم المحض والعياذ بالله، والطائفة الأولى تقول: «في كل مكان»، وكلاهما ضالّة، ونحن نقول: ربنا فوق السماوات، ولا يخفى عليه شيء من أعمالنا، وليس داخل العالم، بل هو فوق العالم.

٤٧٤٧- الله أكبر هتكت أستاركم وبَدَتْ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
قَوْلُهُ: «هَتَكَتْ»؛ يعني: مُزَّقَتْ.

الأستار التي تسترون بها وتقولون: نحن أهل التنزيه لله، هتكت - والله الحمد - بما أبانه أهل السنة من الحق.

٤٧٤٨- وَاللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِهِ وَعَنْ مِثْلِ وَعَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانِ
ذكر أيضا طائفتين متضادتين ضالّتين مبتدعتين «الله أكبر جلّ عن شبهه وعن مثل» خلافاً لمن قال بالتمثيل، «وجلّ عن تعطيل ذي كفران» خلافاً لمن نفى الصفات.

فالمشبهة والممثلة قالوا: إن الله - سبحانه وتعالى - مماثل لخلقه، فوجه الله كوجوه الخلق، عينه كذلك، يده كذلك، مثله بالخلق، والمعطلة عطّله فقالوا: ليس له يد ولا رجل ولا وجه ولا شيء.

واعلم أن كل ممثل معطل وكل معطل ممثل، شأوا وأم أبوا؛ فكل ممثل معطل من ثلاثة وجوه:

أَوَّلًا: لِأَنَّ الْمَثْلَ عَطَّلَ كُلَّ نَصٍّ أَثْبَتَ بِهِ الصِّفَةَ؛ إِذْ إِنَّ النَّصَّ الَّذِي ثَبَّتَ بِهِ الصِّفَةَ لَا يَدُلُّ عَلَى التَّمثِيلِ أَبَدًا.

ثَانِيًا: أَنَّهُ عَطَّلَ اللَّهُ مِنْ كَمَالِهِ الْوَاجِبَ.

ثَالِثًا: أَنَّهُ عَطَّلَ كُلَّ نَصٍّ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْمِثَالَةِ لِلخَلْقِ.

وَالْمَعْطَلُّ مِثْلٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَطَّلَ اللَّهُ، وَقَالَ: اللَّهُ لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ، وَلَا يَنْزُلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ، فَإِنَّمَا بَنَى هَذَا التَّعْطِيلَ عَلَى اعْتِقَادِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَفْعَلْ لَمَثَلٌ، فَيَكُونُ مِثْلٌ أَوَّلًا، ثُمَّ عَطَّلَ ثَانِيًا، ثُمَّ إِذَا نَفَى جَمِيعَ الصِّفَاتِ فَقَدْ مَثَلَ أَيْضًا، مِثْلٌ بِالشَّيْءِ الْمَعْدُومِ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ إِلَّا وَلَهُ صِفَةٌ، فَإِذَا نَفَى عَنْهُ الصِّفَةَ، فَلَيْسَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، اللَّهُمَّ عَافِنَا.

فَالنَّاسُ طَرَفَانِ وَوَسْطٌ، أَهْلُ التَّمثِيلِ أَثْبَتُوا مَعَ التَّمثِيلِ، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ نَفَوْا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَثْبَتُوا بَدُونَ تَمثِيلٍ.

٤٧٤٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالْأَوْصَافُ كَامِلَةٌ بِإِلَّا نُقْصَانِ

لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ انْتَفَى عَنْهُ الشُّبُهَةُ وَالْمِثْلُ بَيَّنَّ أَنَّهُ إِذَا انْتَفَى عَنْهُ الشُّبُهَةُ وَالْمِثْلُ لِكَمَالِ أَوْصَافِهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَلْحَقُهُ أَحَدٌ فِي كَمَالِ أَوْصَافِهِ وَتَمَامِهَا.

٤٧٥٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ وَلَدٍ وَصَا جِبَةٍ وَعَنْ كُفٍّ وَعَنْ أَخْدَانِ

٤٧٥١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْجَمَا دِ كَقَوْلِ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

٤٧٥٢- هُمْ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ وَلَيْتَهُمْ قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانِ

- ٤٧٥٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْعِبَا دِ فَذَانَ تَشْبِيهَانِ مُمْتَنِعَانِ
- ٤٧٥٤- وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاحِدٌ صَمَدٌ وَكُلُّ لُ الشَّانِ فِي صَمَدِيَّةِ الرَّحْمَنِ
- ٤٧٥٥- نَفَتِ الْوِلَادَةَ وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ وَالْ كُفَاءَ الَّذِي هُوَ لِزِمِ الْإِنْسَانِ
- ٤٧٥٦- وَكَذَلِكَ أَثْبَتَتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا اللَّهُ سَالِمَةً مِنَ التَّقْصَانِ
- ٤٧٥٧- وَإِلَيْهِ يَضُمُّ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَا صَمَدٌ سِوَاهُ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
- ٤٧٥٨- لَا شَيْءٌ يُشْبِهُهُ تَعَالَى كَيْفَ يُشْبِهُ خَلْقَهُ مَا ذَاكَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٤٧٥٩- لَكِنْ بُبُوتُ صِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوُّهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانِ
- ٤٧٦٠- لَا تَجْعَلُوا الْإِبْطَاتِ تَشْبِيهًا لَهُ يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ وَالطُّغْيَانِ
- ٤٧٦١- كَمْ تَرْتَقُونَ بِسُلْمِ التَّنْزِيهِ لِلتَّ تَعْطِيلِ تَرْوِيحًا عَلَى الْعُمَيَّانِ
- ٤٧٦٢- فَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ كَصِفَاتِنَا جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ
- ٤٧٦٣- هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ لَا إِبْطَاتُ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ فَمَا هُمَا سَيَّانِ

الشرح

- ٤٧٥٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ وَلَدٍ وَصَا حِبَّةٍ وَعَنْ كُفَاءٍ وَعَنْ أَخْدَانِ
- قَوْلُهُ: «جَلَّ عَنْ وَلَدٍ»؛ أَي: تَنَزَّهَ وَعَظَّمَ عَنِ الْوَلَدِ، لَا ذَكَرَ وَلَا أُنْثَى، وَقَدْ قَالَتِ الْيَهُودُ: عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْزَهُ عَنِ هَذَا كُلِّهِ.

قَوْلُهُ: «وَعَنْ كُفَاءٍ»؛ أَي: مَكَافِيٍّ لَهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

قَوْلُهُ: «وَعَنْ أَخْدَانَ»؛ أَي: مُصَاحِبٍ.

٤٧٥١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْجَمَا دِ كَقَوْلِ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

٤٧٥٢- هُمْ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ وَلَيْتَهُمْ قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْجَمَادِ» اللهُ أَكْبَرُ! أَيضًا جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْجَمَادِ، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ، فَقَالُوا: لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ، وَلَا بَصَرٌ، وَلَا كَلَامٌ، وَلَا فِعْلٌ، وَلَا اسْتِوَاءٌ، وَلَا نَزْوَلٌ، فَشَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ.

قَوْلُهُ: «وَلَيْتَهُمْ قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانٍ»؛ يَعْنِي: لَيْتَهُمْ شَبَّهُوهُ بِمَنْ يَتَكَلَّمُ كَالْإِنْسَانِ مِثْلًا الَّذِي فَضَّلَهُ اللهُ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقٍ تَفْضِيلًا.

وَتَمَنَّى الْمُؤَلَّفِ هُنَا لَيْسَ يَرِيدُ بِهِ تَمَنِّيَ الْكَمَالِ، بَلْ هَذَا الَّذِي تَمَنَّاهُ خَيْرٌ مِنَ الْأَوَّلِ فَقَطْ؛ يَعْنِي: لَيْتَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَى أَنْ قَالُوا: إِنَّهُ مِثْلُ الْإِنْسَانِ فَقَطْ، بَلْ قَالُوا: إِنَّهُ مِثْلُ الْجَمَادِ.

٤٧٥٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْعِبَادِ دِفْدَانِ تَشْبِيهَانِ مُمْنَعَانِ

مَا هُمَا؟ تَشْبِيهُهُ بِالْجَمَادِ، وَتَشْبِيهُهُ بِالْعِبَادِ الْأَحْيَاءِ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذَا وَعَنْ هَذَا.

٤٧٥٤- وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاحِدٌ صَمَدٌ وَكُلُّ لُ الشَّانِ فِي صَمَدِيَّةِ الرَّحْمَنِ

اللهُ أَكْبَرُ، وَاحِدٌ صَمَدٌ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ① اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، وَفِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فَهُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ، وَكُلُّ الشَّانِ فِي صَمَدِيَّةِ الرَّحْمَنِ؛ لِأَنَّ الصَّمَدِيَّةَ تَعْنِي: كَمَا لَ غِنَاهُ عَنْ خَلْقِهِ، وَافْتِقَارَ خَلْقِهِ إِلَيْهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ الشَّانِ فِيهَا.

٤٧٥٥- نَفَتِ الْوِلَادَةَ وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ وَالْ كُفَاءَ الَّذِي هُوَ لَازِمُ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «نَفَتِ الْوِلَادَةَ»؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهَا.

قَوْلُهُ: «وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ»؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ لَهُ أَبٌ لَكَانَ مَحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَاللَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ.

قَوْلُهُ: «وَالْكَفَاءَ»؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَكُونُ مِثْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الَّذِي هُوَ لَازِمُ الْإِنْسَانِ» الْإِنْسَانُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وِلَادَةٍ أَوْ أَبُوَّةٍ أَوْ أُمُوَّةٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ كَفَاءٍ، كُلُّ النَّاسِ لَهُمْ أَكْفَاءٌ.

٤٧٥٦- وَكَذَلِكَ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ بِجَمِيعِهَا اللَّهُ سَالِمَةً مِنَ النُّقْصَانِ
هَذَا غِنَاهُ، وَأَمَّا افْتِقَارُ غَيْرِهِ إِلَيْهِ فَقَالَ:

٤٧٥٧- وَإِلَيْهِ يَضُمُّ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَا صَمَدٌ سِوَاهُ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
إِذَنْ الصَّمَدِيَّةُ هِيَ كَمَا لُغْنَى اللَّهِ وَافْتِقَارُ جَمِيعِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ.

٤٧٥٨- لَا شَيْءٌ يُشَبِّهُهُ تَعَالَى كَيْفَ يُشْبِهُ خَلْقَهُ مَا ذَاكَ فِي الْإِمْكَانِ
يَعْنِي: أَنَّ مِشَابَهَةَ اللَّهِ لَخَلْقِهِ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ لَا يُمْكِنُ.

٤٧٥٩- لَكِنْ ثُبُوتُ صِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوُّهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ
قَوْلُهُ: «وَعُلُوُّهُ حَقًّا»، وَيَجُوزُ: «وَعُلُوُّهُ» عَطْفًا عَلَى «ثُبُوتِ».

الْمَعْنَى: أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشَبِّهُهُ أَحَدٌ مَعَ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ وَعُلُوُّهُ عَلَى خَلْقِهِ

وَكَلَامِهِ.

٤٧٦٠- لَا تَجْعَلُوا الْإِثْبَاتَ تَشْبِيهًا لَهُ يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ وَالطُّغْيَانِ

قَوْلُهُ: «يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ»، وفي نسخة: «يَا فِرْقَةَ التَّشْبِيهِ»، والأوَّلُ أَصْحُ.

هؤلاء الذين عطلوا الله زعموا أن كلَّ مَنْ أثبتَ لله صفةً فهو مُشَبَّهٌ، ثُمَّ قالوا: وبناءً على ذلك لا يجوزُ أن نثبتَ لله صفةً؛ لأننا لو أثبتنا لله صفةً لوقعنا في التشبيه، فيلبسون على العامة، ويقولون مثلاً إذا سمعوا رجلاً يقول: إنَّ لله يدين، صرخوا وقالوا: أعودُ بالله شَبَّهْتَ، أَلْحَدْتَ، كَفَرْتَ، عَبَدْتَ صنماً، يصرخُ في وجهه، وإذا سمعَ العوامُّ ذلك يقولون: صدق سيِّدنا، ويصفقون وراءهم، ولذلك يلبسون على العوامِّ بهذا.

إذَنْ هم يُسَمُّونَ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ بِالْمُشَبَّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ وَالْحَشْوِيَّةِ، وما أشبه ذلك من ألقابِ السُّوءِ، وقد سبقهم آباؤهم في هذا حيث شبَّهوا الرَّسُولَ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بأنَّه ساحرٌ مجنونٌ شاعرٌ كاهنٌ.

٤٧٦١- كَمْ تَرْتَقُونَ بِسَلْمِ التَّنْزِيهِ لِلتَّعْطِيلِ تَعْطِيلِ تَرْوِيحًا عَلَى الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «كَمْ تَرْتَقُونَ بِسَلْمِ التَّنْزِيهِ لِلتَّعْطِيلِ» «اللام» بمعنى «إلى».

يعني: كم ترتقون بسلم التنزيه إلى التعطيل، تعطلون الله تدعون أنكم تنزهونه ترويحاً على العميان.

٤٧٦٢- فَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ كَصِفَاتِنَا جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

نعم، هو عزَّ وجلَّ أكبرُ من أن تكونَ صفاتُه كصفاتِنَا.

٤٧٦٣- هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ لَا إِثْبَاتٌ أَوْ صَافِ الكَمَالِ فَمَا هُمَا سَيِّانٍ

قَوْلُهُ: «هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ»؛ يعني: أن نجعل صفاتِ الله كصفاتنا.

قَوْلُهُ: «لَا إِثْبَاتٌ أَوْ صَافِ الكَمَالِ فَمَا هُمَا سَيِّانٍ» صدق رحمه الله، لا يستوي

مَنْ أَثَبَّتَ لله صفاتِ الكَمَالِ وَمَنْ أَثَبَّتَ لله صفاتٍ تماثلُ صفاتِ المخلوقين.

إِذْ هَذَا الفِصْلُ كُلُّهُ أَذَانٌ؛ ولهذا كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَالَ: «اللهُ

أَكْبَرُ».

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

- ٤٧٦٤- وَاعْلَمَ بِأَنَّ الشَّرْكَ وَالتَّعْطِيلَ مُدًّا
 ٤٧٦٥- أَبَدًا فَكُلُّ مُعْطَلٍ هُوَ مُشْرِكٌ
 ٤٧٦٦- فَالْعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْـ
 ٤٧٦٧- وَإِلَيْهِ يَضُمُّدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا
 ٤٧٦٨- فَإِذَا انْتَفَتِ أَوْصَافُهُ وَفِعَالُهُ
 ٤٧٦٩- فَزَرَ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ وَكَانَ ذَا
 ٤٧٧٠- فَمُعْطَلٌ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مُعْطَلٌ التُّـ
 ٤٧٧١- قَدْ عَطَّلَا بِلِسَانِ كُلِّ الرُّسُلِ مِنْ
 ٤٧٧٢- وَالنَّاسِ فِي هَذَا ثَلَاثُ طَوَائِفٍ
 ٤٧٧٣- إِحْدَى الطَّوَائِفِ مُشْرِكٌ بِالْهِـ
 ٤٧٧٤- هَذَا وَثَانِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ ذَا
 ٤٧٧٥- هُوَ جَاحِدٌ لِلرَّبِّ يَدْعُو غَيْرَهُ
 كَانَا هُمَا لَا شَكَّ مُضْطَحِبَانِ
 حَتْمًا وَهَذَا وَاضِحُ التَّبَيَّانِ
 بَلْوَى وَيُغْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ
 وَإِلَيْهِ يُفْرَعُ طَالِبًا لِأَمَانِ
 وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
 مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ
 تَوْحِيدِ حَقًّا ذَانِ تَعْطِيلَانِ
 نُوحٍ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
 مَارَابِعَ أَبَدًا بِذِي إِمْكَانِ
 فَإِذَا دَعَا دَعَا إِلَيْهَا ثَانِ
 لَكَ جَاحِدٌ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمَنِ
 شَرِّكََا وَتَعْطِيلًا لَهُ قَدَمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصُلِّ فِي تَلَازِمِ التَّعْطِيلِ وَالشُّرْكِ» التَّلَازُمُ؛ أَي: جَعَلَ الشَّيْءَ لَازِمًا لِلشَّيْءِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الدَّلَالَاتِ إِمَّا تَضْمَنُ أَوْ مَطَابِقَةٌ أَوْ التَّزَامُ، وَالشَّيْءُ إِمَّا مُسْتَقِلٌّ وَإِمَّا لَازِمٌ، وَاللَّازِمُ تَابِعٌ لِلْمَلْزُومِ، يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ:

٤٧٦٤- وَاعْلَمَ بِأَنَّ الشُّرْكَ وَالتَّعْطِيلَ مُذْ كَانَا هُمَا لَا شَكَّ مُصْطَحِبَانِ
يعني: اعلم بأنَّ الشُّرْكَ وَالتَّعْطِيلَ مُصْطَحِبَانِ؛ يعني: يَصْحَبُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

٤٧٦٥- أَبَدًا فَكُلُّ مُعْطَلٍ هُوَ مُشْرِكٌ حَتْمًا وَهَذَا وَاضِحُ التَّبْيَانِ
فَالْمُعْطَلُ مُشْرِكٌ، وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «حَتْمًا وَأَنَّ هَذَا وَاضِحُ التَّبْيَانِ»، ثُمَّ شَرَعَ بَيِّنُهُ فَقَالَ:

٤٧٦٦- فَالْعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْبَلْوَى وَيُعْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْبَلْوَى»؛ يعني: يَزِيلُ الضَّرَّ.
قَوْلُهُ: «وَيُعْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ»؛ يعني: يَجْلِبُ النِّفْعَ.
فَكُلُّ إِنْسَانٍ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ الشَّرَّ وَيَجْلِبُ لَهُ الْخَيْرَ.

٤٧٦٧- وَإِلَيْهِ يَضْمُدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا وَإِلَيْهِ يُفْرَعُ طَالِبًا لِأَمَانِ
قَوْلُهُ: «يَضْمُدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا»؛ يعني: يَمِيلُ وَيُنِيبُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا.
قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ يُفْرَعُ طَالِبًا لِأَمَانِ» طَالِبًا لِأَمَانٍ عِنْدَ الْخَوْفِ، فَكُلُّ الْعِبَادِ يَفْرَعُونَ إِلَى اللهِ فِي طَلْبِ الْغِنَى، وَفِي إِزَالَةِ الْفَقْرِ، فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا.

٤٧٦٨- فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ وَفِعَالُهُ وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

٤٧٦٩- فَرَزَعَ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ وَكَانَ ذَا مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ... فَرَزَعَ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ» هذا وجه التلازم، إذا انتفت أوصافُ الله ولم يكن سميعًا ولا بصيرًا ولا غنيًا ولا حميدًا ولا غير ذلك من الصِّفَاتِ، فإلى مَنْ يَفْزَعُونَ؟ الجوابُ: إلى غيرِ الله، يَفْزَعُونَ إلى مَنْ يَحَقُّ لَهُمُ الْمَطْلَبُ، ويكشفُ عنهم السُّوءَ ويَجْلِبُ لَهُمُ الْخَيْرَ، فيذهبون إلى غيرِ الله ويُعَلِّقُونَ آمالَهُم بِغَيْرِهِ، وحينئذٍ يكونون مشركين، فمن لازمِ اعتقادِ انتفاءِ الصِّفَاتِ عن الله فَرَزَعَ الْخَلْقِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وحينئذٍ يكونون مشركين.

قَوْلُهُ: «وَكَانَ ذَا مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ»؛ يعني: بسببِ التَّعْطِيلِ والنُّكْرَانِ.

٤٧٧٠- فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مُعْطَلُ التَّوْحِيدِ حَقًّا ذَانِ تَعْطِيلَانِ

قَوْلُهُ: «فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مُعْطَلُ التَّوْحِيدِ» معطلُّ الأوصافِ لا شكَّ أَنَّهُ مُعْطَلُ التَّوْحِيدِ، وممثلُّ الأوصافِ معطلُّ للتَّوْحِيدِ، فالذي يقولُ: «إِنَّ عَيْسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَالرَّبِّ» مشرِكٌ، والذي يقولُ: «إِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ كَصِفَاتِ غَيْرِهِ» مشرِكٌ، المعطلُّ هو مشرِكٌ أيضًا.

قَوْلُهُ: «ذَانِ تَعْطِيلَانِ» ما هما؟ الجوابُ: تعطيلُ الأوصافِ وتعطيلُ التَّوْحِيدِ.

٤٧٧١- قَدْ عَطَّلَا بِلِسَانِ كُلِّ الرُّسُلِ مِنْ نُوحٍ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

يعني: هذا التَّعْطِيلُ كان من عهدِ نوحٍ إلى عهدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ونوحٌ أوَّلُ الرُّسُلِ، ومحمدٌ خاتمُهُم.

٤٧٧٢- وَالنَّاسُ فِي هَذَا ثَلَاثُ طَوَائِفٍ مَا رَابِعٌ أَبَدًا بِذِي إِمْكَانٍ

٤٧٧٣- إِحْدَى الطَّوَائِفِ مُشْرِكٌ بِالْهَيْهَةِ فَإِذَا دَعَاهُ دَعَا إِلَهًا ثَانٍ

يدعون اللات والعزى ومناة وهبل، ولكل قوم صنم يدعوونه، ولا يدعون الله.

٤٧٧٤- هَذَا وَثَانِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ ذَا لَكَ جَا حِدٌ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمَنِ

هذا قد جحد الله رب العالمين وصار يدعو غيره، توجد الآن أمم لا تعرف الله، وإنما تعرف زعماءها فتدعو زعماءها، البوذيون يعبدون «بوذا»، ولا يعرفون الله إطلاقاً، هؤلاء جاحدون يعبدون غير الله، وهي ثاني الأقسام.

٤٧٧٥- هُوَ جَا حِدٌ لِلرَّبِّ يَدْعُو غَيْرَهُ شَرْكًا وَتَعْطِيلًا لَهُ قَدَمَانِ

يعني: أن الشرك والتعطيل له بمنزلة القدمين يسير عليها والعباد بالله، وبشئت القدمان، فهذا الثاني، فالأول: مشرك يدعو إلهين، والثاني: جاحد يدعو إلهًا واحدًا، فهو يدعو غير الله.

٤٧٧٦- هَذَا وَثَالِثُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حَيْثُ رُ الْخَلْقِ ذَاكَ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ

٤٧٧٧- يَدْعُو الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا يَدْعُو سِوَا هُ قَطُّ فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَكْوَانِ

٤٧٧٨- يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ وَالرَّهَبَاتِ وَالْحَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

٤٧٧٩- تَوْحِيدُهُ نَوْعَانِ عِلْمِيٌّ وَقَضِيٌّ سِدِّيٌّ كَمَا قَدْ جُرِّدَ النَّوْعَانِ

٤٧٨٠- فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ تَالٍ لِنَصِّهِ رِ اللَّهِ قُلْ يَا أَيُّهَا بَيَّانِ

- ٤٧٨١- وَلِذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِسُنَّةِ فَجَرِنَا وَكَذَاكَ سُنَّةٌ مَغْرِبٍ طَرْفَانِ
 ٤٧٨٢- لِيَكُونَ مُفْتَتِحَ النَّهَارِ وَخَتْمُهُ تَجْرِيدَكَ التَّوْحِيدَ لِلدِّيَانِ
 ٤٧٨٣- وَكَذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِخَاتَمِ وَثَرِنَا حَتْمًا لِسَمِيِّ اللَّيْلِ بِالْأَذَانِ
 ٤٧٨٤- وَكَذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِرُكْعَتَيْ الطَّوَا فِي وَذَاكَ تَحْقِيقُ لِهَذَا الشَّانِ
 ٤٧٨٥- فَهَمَّا إِذْنُ أَخْوَانِ مُصْطَحِبَانِ لَا يَتَفَارَقَانِ وَلَيْسَ يَنْفَصِلَانِ
 ٤٧٨٦- فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذُو شِرْكَ كَذَا ذُو الشَّرْكِ فَهُوَ مُعْطَلُ الرَّحْمَنِ
 ٤٧٨٧- أَوْ بَعْضِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ فَحَقُّ قُذَا وَلَا تُسْرِعْ إِلَى التُّكْرَانِ

الشرح

- ٤٧٧٦- هَذَا وَثَالِثُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حَيْثُ رُ الْخَلْقِ ذَاكَ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ
 ٤٧٧٧- يَدْعُو الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا يَدْعُو سِوَا هُ قَطُّ فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَكْوَانِ
 قَوْلُهُ: «فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَكْوَانِ»، وفي نسخة: «فِي الْأَشْيَاءِ وَالْأَكْوَانِ».
 ٤٧٧٨- يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ وَالرَّهْبَاتِ وَالْحَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
 قَوْلُهُ: «يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ»؛ يعني: يدعوه فيما يرغبه من الخير.
 قَوْلُهُ: «وَفِي الرَّهْبَاتِ»؛ أي: فيما يرهب منه من الشرِّ.
 قَوْلُهُ: «وَالْحَالَاتِ»؛ يعني: في جميع الأحوالِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ، هذا
 الثَّالِثُ.

فصار النَّاسُ ثلاثةَ أقسامٍ أو ثلاثَ طوائفَ: مَنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ، وَمَنْ يُوْحَدُ غَيْرَهُ، وَمَنْ يُوْحَدُ اللَّهَ، وَهَنَّاكَ قَسْمٌ رَابِعٌ لَكِنَّهُ لَا عِبَادَةَ لَهُ أَصْلًا، وَهُوَ الْمَلْحَدُ الَّذِي لَا يَعْبُدُ أَحَدًا، لَكِنْ مَرَادُ الْمُؤَلَّفِ مَنْ يَعْبُدُ شَيْئًا، فَالَّذِينَ لَهُمْ مَعْبُودٌ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ هَذِهِ الطَّوَائِفِ الثَّلَاثِ: مَنْ يُوْحَدُ اللَّهَ، مَنْ يُوْحَدُ غَيْرَهُ، مَنْ يَشْرِكُ بِهِ، ثُمَّ انْتَقَلَ الْمُؤَلَّفُ اسْتِطْرَادًا إِلَى التَّوْحِيدِ فَقَالَ:

٤٧٧٩- تَوْحِيدُهُ نَوْعَانِ عِلْمِيٌّ وَقَضِيٌّ سِدِّيٌّ كَمَا قَدْ جُرِّدَ النَّوْعَانِ

٤٧٨٠- فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ تَالٍ لِنَصْرِ رِ اللَّهِ قُلْ يَا أَيُّهَا بَيِّنَانِ

قَوْلُهُ: «تَوْحِيدُهُ نَوْعَانِ»؛ يَعْنِي: تَوْحِيدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَوْعَانِ.

يَعْنِي: تَوْحِيدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمِيٌّ؛ وَهُوَ تَوْحِيدُهُ بِأَوْصَافِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَقَضِيٌّ؛ وَهُوَ تَوْحِيدُهُ بِالْإِرَادَةِ؛ يَعْنِي: بِالْعِبَادَةِ فَلَا تَقْصِدُ غَيْرَهُ، فَمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ هَذَا يُسَمَّى تَوْحِيدًا عِلْمِيًّا اعْتِقَادِيًّا، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَقَصْدِنَاهُ بِهِ فَهُوَ قَضِيٌّ.

قَوْلُهُ: «فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ» وَهِيَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وَسَمَّيْتُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُخَلِّصُ قَارِئَهَا مِنَ الشَّرِكِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ أَخْلَصَهَا لِنَفْسِهِ، فَلَيْسَ فِيهَا سِوَى مَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

قَوْلُهُ: «مَعَ تَالٍ لِنَصْرِ اللَّهِ قُلْ يَا أَيُّهَا بَيِّنَانِ»؛ يَعْنِي: مَعَ السُّورَةِ الَّتِي تَتْلُو ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وَهِيَ سُورَةُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢]؛ وَلِذَا فَالصَّحِيحُ: «مَعَ مَتَلَّوْا لِنَصْرِ اللَّهِ».

المهمُّ أَنَّ الْمُؤَلَّفَ بَيَّنَّهَا بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا﴾ [الكافرون: ١]؛ لِأَنَّ التَّالِيَّ: لِلنَّصْرِ سُورَةُ: ﴿تَبَّتْ﴾ [المسد: ١]، وَلَيْسَتْ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا﴾ [الكافرون: ١]، لَكِنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بَيَّنَّ

أَنَّ التَّالِيَّ بِالْعَكْسِ، حِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ بَدَأَ الْقُرْآنَ مِنْ آخِرِهِ، فَإِذَا بَدَأَ الْقُرْآنَ مِنْ آخِرِهِ صَارَ الَّذِي يَتْلُو سُورَةَ «النَّصْرِ»: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

وسورة: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] فيها التَّوْحِيدُ الْقَصْدِيُّ الْعَمَلِيُّ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢]، فهذا توحيدُ القصد؛ أي: لا أعبُدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فلا أقصدُ بعبادتي إِلَّا اللَّهَ، ففي هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ نوعا التَّوْحِيدِ.

٤٧٨١- وَلِذٰلِكَ قَدْ شَرَعَا بِسُنَّةِ فَجْرِنَا وَكَذٰلِكَ سُنَّةٌ مَّغْرِبٍ طَرْفَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ شَرَعَا بِسُنَّةِ فَجْرِنَا» شَرَعَا؛ أَي: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؛ يعني: شَرَعَتْ قِرَاءَتُهُمَا فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ^(١)، وَهَلْ يُسَنُّ قِرَاءَةَ غَيْرِهِمَا؟ نَعَمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] التي في سورة «البقرة» في الركعة الأولى، و﴿قُلْ يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] في سورة «آل عمران» في الثَّانِيَةِ^(٢)، إِذْ ذُنَّ سُنَّتَانِ.

قَوْلُهُ: «وَكَذٰلِكَ سُنَّةٌ مَّغْرِبٍ»؛ يعني: يُشْرَعُ أَيضًا فِي سُنَّةِ الْمَغْرِبِ أَنْ تَقْرَأَ فِي

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، رقم (٧٢٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، رقم (٧٢٧).

الرَّكْعَةُ الْأُولَى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ [الكافرون: ١]، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) [الإخلاص: ١].

وَقَوْلُهُ: «طَرَفَانِ» الْأُولَى فِي طَرَفِ النَّهَارِ، وَالثَّانِيَةُ فِي طَرَفِ النَّهَارِ أَيْضًا؛ أَي: آخِرُهُ.

٤٧٨٢- لِيَكُونَ مُفْتَتِحُ النَّهَارِ وَخَتْمُهُ تَجْرِيدُكَ التَّوْحِيدَ لِلدِّيَانِ

٤٧٨٣- وَكَذَلِكَ قَدْ شَرِعًا بِخَاتَمِ وَثَرِنَا خَتْمًا لِسَعْيِ اللَّيْلِ بِالْأَذَانِ

قَوْلُهُ: «خَتْمًا لِسَعْيِ اللَّيْلِ»؛ يَعْنِي: لِعَمَلِ اللَّيْلِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَثَرًا»^(٢)، إِذَنْ خُتِمَتِ صَلَاةُ النَّهَارِ وَهُوَ سُنَّةُ الْمَغْرِبِ بِيَمَانِ، وَأَوَّلُ النَّهَارِ سُنَّةُ الْفَجْرِ بِيَمَانِ، وَآخِرُ اللَّيْلِ الْوَتْرُ، يُقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ [الكافرون: ١]، وَفِي الثَّلَاثَةِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣) [الإخلاص: ١].

٤٧٨٤- وَكَذَلِكَ قَدْ شَرِعًا بِرَكَعَتِي الطَّوَا فِ وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِهَذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَدْ شَرِعًا بِرَكَعَتِي الطَّوَا»؛ يَعْنِي: رَكَعَتَا الطَّوَا فِ يُقْرَأُ فِيهِمَا ب: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ [الكافرون: ١] و: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

قَوْلُهُ: «وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِهَذَا الشَّانِ»؛ أَي: لِلتَّوْحِيدِ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَالْقِرَاءَةُ فِيهِمَا، رَقْمٌ (٤٣١)، وَالنَّسَائِيُّ: كِتَابُ الْإِفْتِتَاحِ، بَابُ الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، رَقْمٌ (٩٩٢)، وَابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، بَابُ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، رَقْمٌ (٨٣٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْوَتْرِ، بَابُ لِيَجْعَلَ آخِرَ صَلَاتِهِ وَتَرًا، رَقْمٌ (٩٩٨)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ صَلَاةِ اللَّيْلِ مَثْنِي مَثْنِي، رَقْمٌ (٧٥١).

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْوَتْرِ، بَابُ مَا جَاءَ مَا يُقْرَأُ فِي الْوَتْرِ، رَقْمٌ (٤٦٢)، وَالنَّسَائِيُّ: كِتَابُ قِيَامِ اللَّيْلِ، بَابُ ذِكْرِ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبْرِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فِي الْوَتْرِ، رَقْمٌ (١٧٠٠).

إِذَنْ فَسُورَةٌ: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ أَهْلُهَا﴾ [الكافرون: ١] وسورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تُسَنُّ فِي أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ السُّنَنِ: سُنَّةُ الْفَجْرِ، وَسُنَّةُ الْمَغْرِبِ، وَسُنَّةُ الْوَتْرِ، وَسُنَّةُ الطَّوَافِ، وَفِي رَكَعَتِي الطَّوَافِ الْإِخْلَاصُ وَاضِحٌ؛ لِأَنَّكَ تَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا ذَا بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي أَعْلَنَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ التَّوْحِيدَ.

٤٧٨٥- فَهَمَّا إِذَنْ أَخْوَانِ مُصْطَحِبَانِ لَا يَتَفَارَقَانِ وَلَيْسَ يَنْفَصِلَانِ

سورتا الإخلاص دائماً مصطحبتان؛ لأنَّ الأولى فيها التَّوْحِيدُ الْقَصْدِيُّ، وَالثَّانِيَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فِيهَا التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبْرِيُّ.

٤٧٨٦- فَمُعْطَلٌ الْأَوْصَافِ ذُو شِرْكٍَ كَذَا ذُو الشُّرْكِ فَهُوَ مُعْطَلُ الرَّحْمَنِ

المشرك في العبادة الذي تَضَمَّنَتْهُ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ أَهْلُهَا﴾ [الكافرون: ١] مشرِكٌ، وَالْمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ الرَّحْمَنِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا سُورَةُ الْإِخْلَاصِ هُوَ أَيْضًا مُشْرِكٌ، فَمُعْطَلٌ الْأَوْصَافِ مُشْرِكٌ بِالتَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ، وَالْعَابِدُ لِغَيْرِ اللَّهِ مُشْرِكٌ بِالتَّوْحِيدِ الْقَصْدِيِّ.

٤٧٨٧- أَوْ بَعْضِ الْأَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ فَحَقٌّ قِيٌّ ذَا وَلَا تُسْرِعْ إِلَى النُّكْرَانِ

أي: لَا تَسْتَعْجَلْ فِي رَدِّ الشَّيْءِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، لَا تَسْتَعْجَلْ فِي رَدِّهِ، بَلْ تَأَنَّ، وَانظُرْ مَا وَجْهَهُ هَذَا الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ قَائِلٌ مِثْلًا: كَيْفَ يَكُونُ تَعْطِيلُ وَشِرْكَ؟! لَكِنْ إِذَا تَأَمَّلَ وَجَدَ أَتَمَّهُمَا قَرِينَانِ.

إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ يُحِطْ عَلَيْهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِزْمَانِ

خِلاصَةُ الْفَصْلِ ظَاهِرَةٌ أَنَّ التَّعْطِيلَ يَلْزَمُ مِنْهُ الْإِشْرَاقُ، فَالتَّعْطِيلُ وَالْإِشْرَاقُ مُتَلَازِمَانِ؛ فَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَهُوَ مُعْطَلٌ لِتَوْحِيدِهِ، وَمَنْ عَطَّلَ أَوْصَافَهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ.

فصل

في بيان أن المعطل شر من المشرك

- ٤٧٨٨- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ أَخِي الْأِشْرَاقِ بِأَلْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
٤٧٨٩- إِنَّ الْمُعْطَلَ جَاحِدٌ لِلذَّاتِ أَوْ هَهُ كَمِ بِنَاكَ الْقَدْحِ مِنْ نُقْصَانِ
٤٧٩٠- مُتَضَمَّنَانِ الْقَدْحِ فِي نَفْسِ الْأَلْوِ زُلْفَى مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
٤٧٩١- وَالشَّرْكَ فَهُوَ تَوَسَّلَ مَقْصُودُهُ الزُّ بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرِ وَمِنْ أَوْثَانِ
٤٧٩٢- بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ سِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ
٤٧٩٣- فَالشَّرْكَ تَعْظِيمٌ بِجَهْلٍ مِنْ قِيَا نِ تَوَسُّطِ الشُّفَعَاءِ وَالْأَعْوَانِ
٤٧٩٤- ظَنُّوا بِأَنَّ الْبَابَ لَا يُغْشَى بِدُو نِ فَسَادُهُ بِبِدْيَةِ الْإِنْسَانِ
٤٧٩٥- وَدَهَاهُمْ ذَاكَ الْقِيَاسُ الْمُسْتَبِيهِ كُلُّ الْوُجُوهِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
٤٧٩٦- الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ عِلْمٍ بِأَحْوَالِ الدُّعَا بِأَذَانِ
٤٧٩٧- إِنَّ الْمُلُوكَ لِعَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانِ
٤٧٩٨- كَلَّا وَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى الَّذِي لِقَضَا حَوَائِجِ كُلِّ مَا إِنْسَانِ
٤٧٩٩- كَلَّا وَمَا تِلْكَ الْإِرَادَةُ فِيهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ هُمْ أَوْلُو النُّقْصَانِ
٤٨٠٠- كَلَّا وَلَا وَسِعُوا الْخَلِيقَةَ رَحْمَةً

٤٨٠١- فَلِذَلِكَ اِحْتَاَجُوا إِلَى تِلْكَ الْوَسَا ئِطِ حَاجَةً مِنْهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصُلِّ فِي بَيَانِ أَنْ الْمُعْطَلَّ شَرٌّ مِنَ الْمُشْرِكِ» «الْمُعْطَلُّ»؛ أَي: لِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ: «شَرٌّ مِنَ الْمُشْرِكِ»؛ أَي: أَشَرُّ مِنْهُ.

٤٧٨٨- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ أَخِي الْإِشْرَاكِ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ»؛ يَعْنِي: بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ وَدَلَالَةِ السَّمْعِ. يُقَرِّرُ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ الْمُعْطَلَّ شَرٌّ مِنَ الْمُشْرِكِ، ثُمَّ شَرَحَ وَجَهَ ذَلِكَ فَقَالَ:

٤٧٨٩- إِنَّ الْمُعْطَلَّ جَا حِدٌ لِلذَّاتِ أَوْ لِكَمَالِهَا هَذَا تَعْطِيلَانِ

الْمُعْطَلُّ جَا حِدٌ لِذَاتِ اللَّهِ أَوْ جَا حِدٌ لِلصِّفَاتِ الَّتِي بِهَا كَمَالُ الذَّاتِ؛ لِأَنَّ مِنَ الْمَعْطَلَّةِ مَنْ يَنْكُرُ ذَاتَ اللَّهِ مِثْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَلَا أَنَّهُ مَعْدُومٌ، أَوْ جَا حِدٌ لِكَمَالِهَا؛ كَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَكِنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِصِفَاتِهِ، هَذَا تَعْطِيلَانِ.

٤٧٩٠- مُتَّصِمَانِ الْقَدْحِ فِي نَفْسِ الْأَلْوِ هَهُ كَمِ بِذَاكَ الْقَدْحِ مِنْ نُقْصَانِ

إِذْنِ التَّعْطِيلِ قَدْحٌ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ نَفْسِهَا، قَدْحٌ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسِهِ، فَالَّذِينَ يُنْكِرُونَ اللَّهَ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مَتَّصِلًا وَلَا مَنْفَصِلًا، وَلَا مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ فِعْلٌ وَلَيْسَ لَهُ نَزْوُلٌ، وَلَيْسَ لَهُ اسْتِوَاءٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، كُلُّهُمْ مُتَنَقِّصٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٧٩١- وَالشُّرْكُ فَهُوَ تَوَسَّلَ مَقْصُودُهُ الزُّلْفَى مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

٤٧٩٢- بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرِ وَمِنْ أَوْثَانِ

وأما المشرك فهو مُثَبِّتٌ لِلذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، لَكِنَّهُ عَبْدٌ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ لِيَتَقَرَّبَ بِعِبَادَةِ هَذَا الْغَيْرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢٣]، وَهَذَا صَرِيحٌ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ مَتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكِمَالِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا أَوْلِيَاءَ يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذَنْ هُمْ يُقَرِّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ الرَّازِقُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ، يُقَرِّونَ بِهَذَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَشْرِكُوا إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ تُقَرَّبَهُمْ هَذِهِ الْأَوْثَانُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِ»؛ يَعْنِي: يَعْبُدُونَ الْمَخْلُوقَ لِيُقَرَّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ كَمَا يُكْرِمُ الْإِنْسَانُ خَادِمَ الْمَلِكِ لِيُقَرَّبَهُ مِنَ الْمَلِكِ، فَيُعْطِيهِ الْبَوَابَ دَرَاهِمَ أَوْ كَسُوءَةً أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لِيَدْخُلَهُ عَلَى الْمَلِكِ.

٤٧٩٣- فَالشُّرْكُ تَعْظِيمٌ بِجَهْلٍ مِنْ قِيَا سِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ

الشُّرْكُ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ، لَكِنَّهُ تَعْظِيمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْجَهْلِ، كَيْفَ هَذَا الْجَهْلُ؟ قَالَ: «مِنْ قِيَا سِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ»، قَاسُوا اللَّهَ عَلَى الْخَلْقِ فَقَالُوا: كَمَا أَنَّ مَلُوكَ الدُّنْيَا لَا نَصْلَ إِلَيْهِمْ إِلَّا بِوَسَائِطَ فَكَذَلِكَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لَا نَصْلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِوَسَائِطَ.

٤٧٩٤- ظَنُّوا بِأَنَّ الْبَابَ لَا يُغْشَى بِدُونِ تَوَسُّطِ الشُّفَعَاءِ وَالْأَعْوَانِ

هَذَا ظَنُّهُمْ.

٤٧٩٥- وَدَهَاہُمْ ذَاكَ الْقِيَاسَ الْمُسْتَبَيِّ - مِنْ فَسَادِهِ بَدِيہَةِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَدَهَاہُمْ ذَاكَ الْقِيَاسَ» دَهَاہُمْ؛ يعني: أصابهم بدهاية.

والمعنى: أن هذا القياس قياس مع الفارق العظيم، وفساده واضح بين بالبدية، لا يحتاج إلى تفكير ولا إلى عمق؛ وذلك لظهور الفرق بين الرب عز وجل وبين السلطان من أمير أو خليفة، أو ما أشبه ذلك، ووجه ذلك قال:

٤٧٩٦- الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

وَصَدَقَ رَحْمَهُ اللَّهُ؛ فالفرق بين الله وبين ملوك الدنيا من كل وجه، لو أراد الإنسان أن يعدّها لعدّها أو جهّا كثيرةً بين الله وبين ملوك الدنيا، يقول الشاعر:

لَا تَسْأَلَنَّ بَنِيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهٖ وَبَنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ^(١)

فرق عظيم، فبنو آدم إذا سألتهم ولو شيئاً يسيراً غضبوا وملّوا، فهذا يمكن في أول مرة أن يلاقيك بوجه لا بأس به، والثانية يسود وجهه، والثالثة يصيح بك، والرابعة ربّما يضربك إذا أمكن، لكنّ الله عز وجل يحبّ الملحنين في الدعاء، كلّما ألححت عليه أحبّك، فالفرق من كلّ الوجوه.

٤٧٩٧- إِنَّ الْمُلُوكَ لِعَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ عِلْمٌ بِأَحْوَالِ الدُّعَا بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمُلُوكَ» بكسر همزة «إِنَّ»، وعلى قراءة الفتح: «أَنَّ الْمُلُوكَ»؛ أي: «الفرق أنّ الملوك»، وهذا صحيح لولا اللّام، واللّام إذا جاءت في خبر «إِنَّ» يجب

(١) البيت في المستطرف (ص: ٣٣٠) بلا نسبة.

أَنْ تُكْسَرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ١]، لَوْلَا اللَّامُ لَوَجِبَ الْفَتْحُ فَكَانَتْ: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ».

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمَلُوكَ لِعَاجِزُونَ...» وَهَذَا صَحِيحٌ، فَالْمَلِكُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَ الَّذِي وَرَاءَ الْبَابِ إِلَّا بِوَسْطَةِ الْحَاجِبِ، فَالْمَلُوكُ لَا يُحِيطُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَهَمَّ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِحَاطَةِ، وَلَا يَعْلَمُونَ عَنِ أَحْوَالِ النَّاسِ؛ وَلِذَا فَإِنَّ الشَّفِيعَ يَأْتِي إِلَى الْمَلِكِ وَيَقُولُ: «إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانٍ فِيهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تُوجِبُ الْعَطْفَ عَلَيْهِ»، وَالرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا سَيَذْكَرُ الْمُؤَلَّفُ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ هَذَا؛ إِذَنْ لَا حَاجَةَ لِلشَّفِيعِ، هَذَا وَجْهٌ، الْوَجْهَ الثَّانِي ذَكَرَهُ فَقَالَ:

٤٧٩٨- كَلَّا وَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانٍ
وهذا صحيحٌ، ليسوا قادرين على ما يحتاجه الإنسان كل زمانٍ.

إِذَنْ لَا بُدَّ مِنْ شَفْعَاءَ وَلَا بُدَّ مِنْ خَدَمٍ يُعِينُونَهُمْ عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، فَمَثَلًا: يَأْتِي إِنْسَانٌ يَشْفَعُ عِنْدَ الْمَلِكِ يَقُولُ: فُلَانٌ فِيهِ كَذَا وَكَذَا، فُلَانٌ فِيهِ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا أَكْفِيكَ، إِذَنْ هُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى مَنْ يُعِينُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ إِيْصَالِ الْحَوَائِجِ إِلَى أَهْلِهَا، أَمَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ بِعَاجِزٍ.

٤٧٩٩- كَلَّا وَمَا تِلْكَ الْإِرَادَةُ فِيهِمْ لِقَضَا حَوَائِجِ كُلِّ مَا إِنْسَانٍ
قَوْلُهُ: «كُلُّ مَا إِنْسَانٍ» «مَا» هُنَا زَائِدَةٌ؛ لِأَنَّكَ لَوْ حَذَفْتَهَا لَأَسْتَقَامَ الْكَلَامُ.

يَعْنِي: حَتَّى لَوْ فُرِضَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ فَإِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ إِرَادَةٌ، فَقَدْ لَا يُرِيدُونَ، قَدْ يَكُونُ الْمَلِكُ ذُو السُّلْطَانِ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُعْطِيَكَ حَاجَتَكَ وَلَكِنَّهُ

لا يريد، فقد يكون له هوى فيقضي حاجة هذا ولا يقضي حاجة هذا، أمّا الربُّ عزَّ وجلَّ فإنه منزّه عن هذا؛ لأنَّ أفعاله كلّها عدلٌ وحكمةٌ، وهذا أيضًا فرقٌ ثالثٌ.

٤٨٠٠- كَلَّا وَلَا وَسِعُوا الْخَلِيقَةَ رَحْمَةً
 مِنْ كُلِّ وَجْهِ هُمْ أَوْلُو النَّقْصَانِ
 هذا من الفروق أيضًا؛ الربُّ عزَّ وجلَّ رحيمٌ، رحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، هؤلاء وإن قُدِّرَ فيهم رحمةٌ فإنَّ رحمتهم لا تَسَعُ الخلائق؛ فهذا يحتاجون إلى مَنْ يُدَكِّرُهُمْ ويصوِّرُ الشَّيْءَ أمامهم بصورةٍ تقتضي العطفَ والرَّحمةَ والحنانَ.

٤٨٠١- فَلِذَلِكَ احتاجوا إِلَى تِلْكَ الوَسَا
 نِطِحَ حَاجَةً مِنْهُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
 وهذا فرقٌ ظاهرٌ، هذا فرقٌ واضحٌ جدًّا، فدووا السُّلطانِ في الدُّنيا كُلَّهُمْ نقصٌ يحتاجون إلى ما يكملهم، والربُّ عزَّ وجلَّ كاملٌ من كُلِّ وَجْهِ لا يحتاج إلى مَنْ يكمله.

٤٨٠٢- أَمَّا الَّذِي هُوَ عَالِمٌ لِلْغَيْبِ مُقَدَّرٌ عَلَى مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ
 ٤٨٠٣- وَتَخَافُهُ الشُّفَعَاءُ لَيْسَ يُرِيدُ مِنْهُمْ حَاجَةً جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 ٤٨٠٤- بَلْ كُلُّ حَاجَاتٍ لَهُمْ فِإِلَيْهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ
 ٤٨٠٥- وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ الَّذِي فِي ذَلِكَ يَأْذَنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي
 ٤٨٠٦- لِمَنْ ارْتَضَى مِنْ يَوْحُدِهِ وَلَمْ يُشْرِكْ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 ٤٨٠٧- سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهُوَ مَشْفُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانِ

- ٤٨٠٨- فَلِذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كَرَامَةً لَهُمْ وَرَحْمَةً صَاحِبِ الْعِصْيَانِ
 ٤٨٠٩- فَالْكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَمَرَجَعُهُ إِلَيْهِ هِ وَحَدَهُ مَا مِنْ إِلَهٍ ثَانِ
 ٤٨١٠- غَلِطَ الْأَلَى جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوَا هِ إِلَيْهِ دُونَ الْإِذْنِ مِنْ رَحْمَنِ
 ٤٨١١- هَذِي شَفَاعَةٌ كُلُّ ذِي شِرْكٍَ فَلَا تَعْقِدْ عَلَيْهَا يَا أَخَا الْإِيمَانِ
 ٤٨١٢- وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَبْطَلَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله- في بيان توحيد الألوهية والفرق بين ما ادّعاه المشركون من كونهم يقولون: إننا نعبد هؤلاء ليكونوا شفعاء كالسلطان له شفعاء يشفعون للناس، يتوسطون لهم عند الملك، يقول: الفرق ظاهر؛ لأن أولئك الملوك والسلاطين قاصرون، يحتاجون إلى من يبيّهم وإلى من يعينهم، وإلى من يعلمهم بأحوال الناس، وأما الله عز وجل فيقول:

- ٤٨٠٢- أَمَّا الَّذِي هُوَ عَالِمٌ لِلْغَيْبِ مُقْتَدِرٌ عَلَى مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ
 ٤٨٠٣- وَتَخَافُهُ الشُّفَعَاءُ لَيْسَ يُرِيدُ مِنْهُمْ حَاجَةً جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

يعني: فإنه لا يحتاج إلى الشفعاء والوسطاء، بل حاجات العباد منهم إلى الله مباشرة بلا وسطاء، وهذا من كمال رحمته -سبحانه وتعالى- بعباده أن تكون حاجة العباد من العباد إليه مباشرة بدون واسطة، لو كان ثمّة واسطة فمن يأتي بهذه الواسطة؟ ومتى ندرك هذه الواسطة؟ ومتى ترضى هذه الواسطة أن ترفع الدعاء؟ ولكنها من العبد إلى ربه مباشرة، بينما الشفعاء في ملوك الدنيا قد لا يخافون

الملوك، رَبِّيًا يَكُونُ شَفِيعٌ وَهُوَ لَا يَبَالِي بِهَذَا الْمَلِكِ أَوْ هَذَا السُّلْطَانِ، أَمَّا الشُّفَعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ فَكُلُّهُمْ مَحْتَاجٌ إِلَى اللَّهِ، وَكُلُّهُمْ يَخَافُونَهُ.

٤٨٠٤- بَلْ كُلُّ حَاجَاتٍ لَهُمْ فَإِلَيْهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ

كُلُّ الْحَاجَاتِ لَهُمْ إِلَى اللَّهِ لَا لِسِوَاهِ، فَهَم مَحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ، وَأَمَّا الْوُزَرَاءُ وَالشُّفَعَاءُ لِلْمَلِكِ الدُّنْيَا فَهَؤُلَاءِ -أَعْنِي: مَلُوكَ الدُّنْيَا- مَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ.

٤٨٠٥- وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ الَّذِي فِي ذَاكَ يَأْذَنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا»؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَرُ: ٤٤].

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي فِي ذَاكَ يَأْذَنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي» هَذَا وَجْهُ كَوْنِ كُلِّ الشَّفَاعَاتِ لَهُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ الشَّفَاعَةُ إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى أَعْلَى الْخَلْقِ مَقَامًا وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ لَا يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

٤٨٠٦- لِمَنْ ارْتَضَى مِمَّنْ يُوحِّدُهُ وَلَمْ يُشْرِكْ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فَالشَّفَاعَةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ شَرْطَيْنِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: رِضَا اللَّهِ عَنِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ، وَعَلَى هَذَا فَلِأَصْنَامٍ لَا تَشْفَعُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْهَا وَلَا يَرْضَاهَا، فَالشَّافِعُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا مَرْضِيًّا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْذَنَ لِكَافِرٍ أَنْ يَشْفَعَ لِأَحَدٍ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْكُفْرُ مَانِعًا فِي الْمَشْفُوعِ لَهُ فَفِي الشَّافِعِ مِنْ بَابِ أَوْلَى، وَالْمَشْرُوكُونَ لَا تَصَحُّ لَهُمُ الشَّفَاعَةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْهُمْ.

فلا نعلمُ أحدًا من المشركين أنه سُفِعَ له وقُبِلَتْ شفاعتهُ إلا واحدًا وهو أبو طالب، فإنَّ الله - سبحانه وتعالى - قَبِلَ شفاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فيه، لا لآلِه عَمَّه ولكن لآلِه أُسْدَى خَيْرًا إلى الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ونَصَرَه ودافع عنه، فجزاه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن أذِنَ لرسوله - صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم - أن يشفعَ له، ولكنَّ هذه الشَّفاعةَ لم تنقِذْه من النَّارِ، بل خُفِّفَ عنه حتَّى كان في ضَحْضَاحٍ مِنْ نارٍ عَلَيْهِ نَعْلَانٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ^(١)، والعياذُ بالله، وإلا فمن المعلوم أن المشركين لا يمكنُ أن يأذنَ اللهُ بالشَّفاعةِ فيهم؛ كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

الشَّرْطُ الثَّانِي: أن يأذنَ في الشَّفاعةِ، فإن لم يأذن فلا شفاعَةَ، ودليلُ هذا قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، فلا بُدَّ من رضا الله عن الشَّافعِ والمشفوعِ له، ولا بُدَّ من إذنه، ثُمَّ قال:

٤٨٠٧- سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهُوَ مَشَى - فُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانٍ

يعني: أن الشَّافعَ سبقت شفاعتهُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فاللهُ مشفوعٌ إليه؛ يعني: وشافعٌ؛ أي: أذنُ في الشَّفاعةِ؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وهذا الذي يظهرُ لي من البيتِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم (٣٨٨٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ لأبي طالب، رقم (٢٠٩).

٤٨٠٨- فَلِذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كَرَامَةً لَهُمْ وَرَحْمَةً صَاحِبِ الْعِضْيَانِ

يعني: أن الله - سبحانه وتعالى - أذن في الشفاعة لسببين هما:

السبب الأول: إكرام الشافع حيث قبل شفاعته، ولا شك أن قبول شفاعة الشافع إكرام له، أنت لو أتيت إلى ملك من ملوك الدنيا وشفعت إليه لشخص ثم قبل شفاعتك أليس هذا إكرامًا لك؟ الجواب: بلى، إذن أذن الله بالشفاعة لمن أذن له إكرام له؛ ولهذا سمى الله عز وجل شفاعة الرسول - عليه الصلاة والسلام - المقام المحمود^(١)، وهذا إكرام من الله له.

السبب الثاني: رحمة العاصي، أن الله تعالى يرحم العاصي بسبب شفاعة الشافع.

فللشفاعة إذن فائدتان:

الفائدة الأولى: إكرام الشافع.

والفائدة الثانية: الرحمة بالمشفوع له.

٤٨٠٩- فَالْكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَمَرَجِعُهُ إِلَيْهِ وَوَحْدَهُ مَا مِنْ إِلَهٍ ثَانٍ

قوله: «الكلُّ منه بدا ومرجعُهُ إليه»؛ أي: الشفاعة والإذن فيها وقبولها كُلُّهُ

من الله وإليه.

فشفاعة الشافع بإذن الله، وشفاعة غيره بإذن الله، وقبولها بإذن الله.

(١) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنًّا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ». أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، رقم (٤٤٤١).

٤٨١٠- عَظِطَ الْأُكْيَ جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوَا هُ إِلَيْهِ دُونَ الْإِذْنِ مِنْ رَحْمَنِ قَوْلُهُ: «الْأُكْيَ»؛ يعني: الذين.

وهؤلاء هم المشركون الذين جعلوا الشفاعة من سواه دون إذنه، فقالوا: إن آلهتهم تشفع لهم من دون الله، ومعلوم أن آلهتهم لا يمكن أن تُقبل شفاعتها؛ لأن الله لا يرضاها ولا يرضى عابديها، فقد انتفى فيها الشرط الأول وهو رضا الله عن الشافع والمشفوع له، هم ظنوا أن هذه الأصنام والأوثان تنفعهم وتشفع لهم عند الله بدون إذنه فغلطوا.

٤٨١١- هَذِي شَفَاعَةٌ كُلِّ ذِي شِرْكِ فَلَا تَعْقِدْ عَلَيْهَا يَا أَخَا الْإِيمَانِ قَوْلُهُ: «لَا تَعْقِدْ عَلَيْهَا»؛ أي: لا تعتمد عليها؛ فإنها باطلة.

٤٨١٢- وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَبْطَلَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْآثَارِ وَالْقُرْآنِ أَبْطَلَهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [المذثر: ٤٨]، فإذا كان الله أبطلها فلا تعقد عليها ولا تؤمّل عليها ولا تعدل عن الآثار والقرآن.

٤٨١٣- وَكَذَا الْوَلَايَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ

٤٨١٤- وَاللَّهُ لَمْ يَفْهَمْ أَوْلُو الْإِشْرَاكِ ذَا وَرَأَهُ تَنْقِصًا أَوْ لَوْ النُّقْصَانِ

٤٨١٥- إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزَلَ مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَنِ بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ

٤٨١٦- بَلْ كُلُّ مَدْعُوٍّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَرْشِ الْإِلَهِ إِلَى الْحَضِيضِ الدَّنِيِّ

٤٨١٧- هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدَعَاءُ عَا بَدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ

- ٤٨١٨- فَلَهُ الْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ مَا لَنَا مِنْ دُونِهِ وَالِ مِنْ الْأَكْوَانِ
 ٤٨١٩- فَإِذَا تَوَلَّاهُ امْرُؤٌ دُونَ الْوَرَى طُرًّا تَوَلَّاهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 ٤٨٢٠- وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرُهُ مِنْ دُونِهِ وَلَاهُ مَا يَرْضَى بِهِ لِهَوَانِ
 ٤٨٢١- فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ وَكَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 ٤٨٢٢- حَقًّا يُنَادِيهِمْ نِدَا سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ

الشرح

- ٤٨١٣- وَكَذَا الْوَلَايَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ
 الْوَلَايَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤]،
 فَلَا أَحَدٌ يَتَوَلَّى الْعِبَادَةَ إِلَّا رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَوَلَّاهُمْ مَلِكٌ وَلَا نَبِيٌّ، وَلَا شَجَرٌ
 وَلَا حَجَرٌ، وَلَا أَيُّ أَحَدٍ، فَالْوَلَايَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.
 ٤٨١٤- وَاللَّهُ لَمْ يَفْهَمْ أَوْلُو الْإِشْرَاكِ ذَا وَرَأَهُ تَنْقِصًا أَوْلُو النَّقْصَانِ

يعني: لم يفهم أصحاب الشرك أن الولاية لله وحده، ورآه تنقيصاً أولو
 النقصان؛ أي: تنقيصاً للأولياء إذا لم نتخذهم شفعاء، قالوا: هذا تنقص، كيف
 تقول: إن هذا الولي لا يستطيع أن يشفع، لا يملك شيئاً، هذا تنقص له.

- ٤٨١٥- إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزَلَ مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَنِ رَحْمَنٍ بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ

يعني: قولك هذا - إن الولاية لله وحده، وإنه لا ولاية لأحد - تضمَّنَ عَزَلَ
 مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَنِ، «بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ»، و«بَلْ» هنا بمعنى «الواو»؛ يعني:
 وتضمَّنَ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ؛ أي: انفرادَه في هذا، هذا معنى البيت فيما يظهر.

٤٨١٦- بَلْ كُلُّ مَدْعُوٍّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَرْشِ الْإِلَهِ إِلَى الْحَضِيضِ الدَّانِي

٤٨١٧- هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدُعَاءُ عَا بِدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ كُلُّ مَدْعُوٍّ سِوَاهُ... هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ»؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وهذا القول من كلام ابن القيم مُستأنفٌ.

قَوْلُهُ: «وَدُعَاءُ عَابِدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ»؛ لأنه إذا بطل بنفسه لزم أن يبطل دعاؤه؛ إذ إنَّ دعاءَ الباطلِ باطلٌ.

٤٨١٨- فَلَهُ الْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ مَا لَنَا مِنْ دُونِهِ وَالِ مِنْ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «فَلَهُ الْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ» الْوَلَايَةُ؛ يعني: تولى الأمور، والولاية منَّا له نتولاه.

يعني: هو الذي يتولى أمورنا، ونحن الذين نتولاه وحده دون غيره.

٤٨١٩- فَإِذَا تَوَلَّاهُ أَمْرٌ دُونَ الْوَرَى طُرًّا تَوَلَّاهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «إِذَا تَوَلَّاهُ أَمْرٌ»؛ أي: تولى الله دون الورى فلم يتولهم، وخصَّ الولاية بالله، تولاه العظيم الشان.

فهنا ولايتان: ولاية منَّا لله، وولاية من الله لنا، فَمَنْ تَوَلَّى اللَّهَ تَوَلَّاهُ اللَّهٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، فَمَنْ تَوَلَّى اللَّهَ تَوَلَّاهُ اللَّهٌ، وَمَنْ لَمْ يَتَوَلَّ اللَّهَ تَحَلَّى عَنْهُ اللَّهٌ؛ ولهذا قال:

٤٨٢٠- وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرَهُ مِنْ دُونِهِ وَلَاهُ مَا يَرْضَى بِهِ لِهَوَانِ

٤٨٢١- فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ وَكَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

إذا تولى الإنسان غير الله ولآه الله إياه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وعلى هذا فتكون الولاية من الله تابعة لولاية الله، إن تولى الله تولاك، وإن تولى غير غيره نخلى عنك ووكلك إلى من تولىته، في ثلاثة مواضع، أو ثلاثة دُورٍ: في الدنيا، وبعد الممات، وعند قيامة الأبدان، نسأل الله أن يتولانا جميعاً في هذه المواضع كلها.

٤٨٢٢- حَقَّ يُنَادِيهِمْ نِدَاً سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ

يعني: أن الله - سبحانه وتعالى - يُناديهم يوم القيامة أن مَنْ كان يعبدُ أحداً فليتبعه، فيقوم مَنْ يعبدُ الشمسَ يتبعُ الشمسَ، وَمَنْ يعبدُ القمرَ يتبعُ القمرَ وهكذا، ويبقى مَنْ يعبدُ اللهَ وحده فيتولاهم اللهُ - سبحانه وتعالى - بعنايته^(١).

مسألة: وهل تولى غير الله عزَّ وجلَّ يُعذَّرُ فيه الإنسانُ بالجهلِ؟ الصَّحِيحُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُعذَّرُ فِيهِ الْإِنْسَانُ بِالْجَهْلِ، وَلَكِنْ قَدْ لَا يُعذَّرُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى وَهِيَ التَّفْرِيطُ وَعَدَمُ السُّؤَالِ؛ يَعْنِي: قَدْ يَبْلُغُ هَذَا الْمُتَوَلَّى أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ وَأَنَّهُ شَرِكٌ، فَيَقُولُ: نَحْنُ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، مَشَائِخُنَا لَا يَنْهَوْنَنَا عَنْهُ، حِينَئِذٍ نَعْرِفُ أَنَّهُ مَفْرُطٌ فَلَا يُعذَّرُ، لَكِنْ لَوْ لَمْ يُنَبَّهْ عَلَى هَذَا وَكَانَ يَنْتَمِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَصَلِّي وَيَزَكِّي وَيَصُومُ وَيُحْجُّ لَكِنْ فِيهِ هَذَا الْبَلَاءُ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَهَذَا لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

- ٤٨٢٣- يَا مَنْ يُرِيدُ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ دُونَ
 ٤٨٢٤- فَارِقِ جَمِيعِ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ
 ٤٨٢٥- يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً
 ٤٨٢٦- يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَخُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ
 ٤٨٢٧- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ
 ٤٨٢٨- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ
 ٤٨٢٩- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ
 ٤٨٣٠- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ
- نَ وِلَايَةَ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ
 حَتَّى تَنَالَ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ
 وَكِفَايَةَ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
 فِي طَرْفَةٍ بِتَقَلُّبِ الْأَجْفَانِ
 تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
 وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالْعِصْيَانِ
 وَوَقَايَةَ مِنْهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
 مُتَقَلِّبًا فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى- في باب ذكر الولاية وأن من تولى غير الله ولأه الله ما تولى، يقول:

- ٤٨٢٣- يَا مَنْ يُرِيدُ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ دُونَ
 ٤٨٢٤- فَارِقِ جَمِيعِ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ
 مَنْ أَرَادَ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ دُونَ وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ فَلْيَفَارِقِ جَمِيعَ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ
 حَتَّى يَنَالَ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ.

- ٤٨٢٥- يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً
 أَي: يَكْفِيكَ عَنْ غَيْرِهِ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً وَكِفَايَةَ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ.

٤٨٢٦- يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَحُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ فِي طَرْفَةِ بَتَقَلُّبِ الْأَجْفَانِ

يعني: أنه يكفيك أيضًا مَنْ لَمْ تَحُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ طرفة عين.

٤٨٢٧- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

٤٨٢٨- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالْعِصْيَانِ

يكفيك الربُّ الذي يسترُ عليك معصيتك وهو يراك، ولو أطلع الخلق على عيوبك لجفاك كلُّ النَّاسِ، ولكنه عزَّ وجلَّ يعلمُ بعيوبك ويسترها - سبحانه وتعالى - لطفًا وإحسانًا.

٤٨٢٩- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ وَوَقَايَةِ مِنْهُ مَدَى الْأَزْمَانِ

الله حفيظٌ على عباده، وقد وكلَّ ملائكةً كرامًا يحفظونهم، قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

٤٨٣٠- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ مُتَقَلِّبًا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

الإنسان - ولاسيما المؤمن - متقلِّبٌ في فضلِ الله في السِّرِّ والإعلانِ، إن أصابته ضرًا صبرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته سرًّا شكرَ فكان خيرًا له.

٤٨٣١- يَدْعُوهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَ أَهْلِ السَّمَاءِ فِكُلِّ يَوْمٍ رَبَّنَا فِي شَأْنِ

٤٨٣٢- وَهُوَ الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نَقْصَانِ

٤٨٣٣- فَتَوَسَّطُ الشُّفَعَاءِ وَالشَّرَكَاءِ وَالظُّهُرَاءِ أَمْرٌ بَيْنَ الْبُطْلَانِ

- ٤٨٣٤- مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضُ تَشْبِيهِ لَهُمْ بِاللهِ وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ
 ٤٨٣٥- مَعَ قُضْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ
 ٤٨٣٦- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلَّا لَا النَّفْيِ أَيْنَ النَّفْيِ مِنْ إِسْمَانِ
 ٤٨٣٧- وَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا بِالتَّعَبِ بُدِّ فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ
 ٤٨٣٨- فَتَرَى الْمُعْطَلَّ دَائِمًا فِي حَيْرَةٍ مُتَنَقِّلًا فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ
 ٤٨٣٩- يَدْعُو إِلَيْهَا ثُمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ دَا شَأْنَهُ أَبَدًا مَدَى الْأَزْمَانِ
 ٤٨٤٠- وَتَرَى الْمُوَحَّدَ دَائِمًا مُتَنَقِّلًا بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ
 ٤٨٤١- مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الْوَفَاءِ مَنَازِلًا وَهِيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
 ٤٨٤٢- لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَوَاحِدٌ مَا عِنْدَهُ رَبَّانٍ مَعْبُودَانِ

الشرح

- ٤٨٣١- يَدْعُوهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَ أَهْلِ السَّمَاءِ ۚ فَكُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَأْنِ
 سبحانه وتعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ! يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ وَالْأَفئِدَةَ وَالْأَبْصَارَ
 حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ؛ يُعْنِي فَقِيرًا، وَيُفْقِرُ غَنِيًّا، وَيُعَلِّمُ جَاهِلًا، وَيُوسِّعُ لِهَذَا،
 وَيَضِيقُ عَلَى هَذَا، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ.
 ٤٨٣٢- وَهُوَ الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نُقْصَانِ

الْكَفِيلُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهُ؛ يَعْنِي: الضَّامِنُ لِكُلِّ مَا يَدْعُوهُ، لَوْ دَعَاهُ أَهْلُ الْأَرْضِ
 وَأَهْلُ السَّمَاءِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدَهُ

إلا كما ينقص المحيط إذا غمس في البحر^(١)، لو غمست مخطأ في البحر ثم نزعته هل ينقص البحر شيئاً؟ أبداً لا ينقص البحر شيئاً؛ ولهذا يقول: «لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ»؛ أي: عطاياه «مِنْ نَقْصَانٍ».

٤٨٣٣- فَتَوَسَّطُ الشُّفَعَاءِ وَالشَّرَكَاءِ وَالظُّهَرَاءِ أَمْرٌ بَيْنَ الْبُطْلَانِ

يعني: إذن لا حاجة لوسيط بين الله وبين العباد، لا شافع، ولا شريك، ولا ظهير، والظهير هو المعين، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقد بين الله هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها المؤلف في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) وَلَا نَنْفَعُ الشُّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ، ﴿سبأ: ٢٣﴾، فنفي كل ما يتعلق به المشركون.

٤٨٣٤- مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضٌ تَشْبِيهِ لَهُمْ بِاللَّهِ وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ

قوله: «مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضٌ تَشْبِيهِ لَهُمْ بِاللَّهِ»؛ يعني: هؤلاء الذين اتخذوا الشُّفَعَاءِ وَالْوَسَطَاءِ شَبْهُهُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، «وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ».

قوله: «وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ»، يعني: تشبيه الخالق بالمخلوق أقبح البهتان.

٤٨٣٥- مَعَ قَصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ

قوله: «مَعَ قَصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ»؛ يعني: الذين اتخذوا هذه الأصنام شُفَعَاءَ قَصَدُوا بِذَلِكَ تَعْظِيمَ اللَّهِ، وَلَمْ يُعْطَلُوا أَوْصَافَهُ.

قوله: «مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ» هذا تنديد بالمعطلة؛ ولهذا قال:

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

٤٨٣٦- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلَّا لَا النَّفْيُ أَيَّنَ النَّفْيِ مِنْ إِيْمَانِ

المعطل لا يصفُ اللهَ إلا بالنفي، لا يصفه بالإثبات، فأين النفي من إيمان؟! لا إيمان لمن ينفي؛ لأنَّ النفيَ عَدَمٌ، والعَدَمُ ليس بشيء، إذا قال: إنَّ اللهَ لا يسمعُ ولا يبصرُ وليس له وجهٌ ولا عينٌ، وأخذ ينفي الصفات، يؤوّلُ به الأمرُ إلى العَدَمِ.

٤٨٣٧- وَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا بِالتَّعَبِ - بُدِّ فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ

القلبُ لا بُدَّ له من معبودٍ، فَمَنْ الذي يعبدُ؟ إمَّا أن يعبدَ اللهَ وإمَّا أن يعبدَ غيرَ الله؛ ولهذا قال: «فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ»؛ يعني: أن قلبَ المعطلِ رُبَّمَا يصلُ به الحالُ إلى أن يعبدَ الأكوانَ كما هو مذهبُ أهلِ وحدةِ الوجودِ الذين يقولون: إنَّ الكونَ كُلُّهُ هو اللهُ.

٤٨٣٨- فَتَرَى الْمُعْطَلَّ دَائِمًا فِي حَيْرَةٍ مُتَنَقِّلًا فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ

٤٨٣٩- يَدْعُو إِلَيْهَا ثُمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ ذَا شَأْنَهُ أَبَدًا مَدَى الْأَزْمَانِ

نسألُ اللهَ العافية، المعطلُّ أحيانًا يعبدُ هذا، وأحيانًا يعبدُ هذا، وأحيانًا يعبدُ هذا؛ لأنَّه ليس له ما يُعيَّنُ معبوده بصفاته، فهو حائرٌ.

٤٨٤٠- وَتَرَى الْمُؤَحَّدَ دَائِمًا مُتَنَقِّلًا بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ

٤٨٤١- مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الْوَفَاءِ مَنَازِلًا وَهِيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

٤٨٤٢- لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَاحِدٌ مَا عِنْدَهُ رَبَّانٍ مَعْبُودَانِ

الموحَّدُ متنقِّلٌ في منازلِ الطَّاعَاتِ من صلاةٍ وذكرٍ وقرآنٍ وصدقةٍ وصيامٍ وعِلْمٍ وأمرٍ بالمعروفِ ونهيٍ عن المنكر، والمعبودُ عنده واحدٌ لا يتنقَّلُ فيه.

فصل

في مثل المشرك والمعطل

- ٤٨٤٣- أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيمٍ
 ٤٨٤٤- مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَلِكِ شَيْءٍ
 ٤٨٤٥- فَهَلِ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ أَوْ
 ٤٨٤٦- أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا تُنْفِذُهُ الرَّعَا
 ٤٨٤٧- أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتَك
 ٤٨٤٨- أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا
 ٤٨٤٩- أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلَّمًا مُتَكَلِّمًا
 ٤٨٥٠- أَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةً أَل
 ٤٨٥١- أَوْ كُنْتَ حَيًّا فَاعِلًا بِمَشِيئَةٍ
 ٤٨٥٢- فِعْلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ فَاعِلِهِ مُحَا
 ٤٨٥٣- بَلْ حَالَةُ الْفَعَالِ قَبْلَ وَمَعِ وَبَع
 ٤٨٥٤- وَاللَّهِ لَسْتُ بِفَاعِلٍ شَيْئًا إِذَا
 ٤٨٥٥- لَا دَاخِلًا فِينَا وَلَسْتُ بِخَارِجٍ
- مِ لَسْتُ فِينَا قَطُّ ذَا سُلْطَانٍ
 ءَ كُلُّهَا مَسْئُوبَةٌ الْوِجْدَانِ
 دَبَّرْتَ أَمْرَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
 يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنِ
 لِيْمٍ لِمَنْ وَاقِيَ مِنَ الْبُلْدَانِ
 عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانِ
 مُتَصَرِّفًا بِالْفِعْلِ كُلِّ زَمَانِ
 فِعْلِ الَّذِي قَدْ قَامَ بِالْأَذْهَانِ
 وَبِقُدْرَةِ أَفْعَالِ ذِي السُّلْطَانِ
 لُ غَيْرُ مَعْقُولٍ لِذِي الْإِنْسَانِ
 دُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِلا فُرْقَانِ
 مَا كَانَ شَأْنُكَ مِثْلَ هَذَا الشَّانِ
 عَنَّا خِيَالًا دُرَّتْ فِي الْأَذْهَانِ

- ٤٨٥٦- فَبِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكًا مُلْكًا مُطَاعًا قَاهِرَ السُّلْطَانِ
٤٨٥٧- إِسْمًا وَرَسْمًا لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ شَأْنُ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ

الشرح

قد تقدّم نحو هذا البحث، وأن ابن القيم -رحمه الله- يرى أن فتنة التعطيل أشد من فتنة الشرك، وقد قرّر ذلك في هذا الفصل، وهذه الآيات في الذين لا يصفون الله تعالى بالشُّبُوتِ أبدًا، وإنما يصفونه بالسُّلُوبِ «النفي»، وهؤلاء هم غلاةُ الجهميّة، يقولون: لا يمكن أن نصفَ الله تعالى بشيءٍ ثبوتيّ أبدًا؛ بحُجّةِ أننا لو وصفناه بالشَّيءِ الثُّبُوتِيِّ شَبَّهناه بالموجودات، فقيل لهم: وإذا وصفتموه بشيءٍ عَدَمِيٍّ شَبَّهتموه بالمعدومات، فتكأيس بعضهم وقالوا: لا نَصِفُه بالوجودِ ولا بالعدمِ، فنقول لهم: إذنْ شَبَّهتموه بالمستحيلاتِ الممتنعاتِ.

وكلامُ ابنِ القيمِ كُلُّه في الذين لا يصفون الله بالشُّبُوتِ أبدًا، قال رحمه الله:

- ٤٨٤٣- أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيمٍ مِم لَسْتَ فِينَا قَطُّ ذَا سُلْطَانِ
٤٨٤٤- مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَلِكِ شَيْءٍ ءَ كُلُّهَا مَسْلُوبَةٌ الْوِجْدَانِ

قَوْلُهُ: «مَسْلُوبَةٌ الْوِجْدَانِ»؛ أي: مسلوبَةُ الوجودِ، لكن مَنْ هَذَا؟ هذا هو المعطلُّ.

- ٤٨٤٥- فَهَلِ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ أَوْ دَبَّرْتَ أَمْرَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ

هذا الاستفهامُ للنفي؛ يعني: أنك لم تستوِ على العرشِ؛ لأنَّ المعطلَّةَ ينكرون

استواءَ الله على عرشه.

٤٨٤٦- أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا تُنْفِذُهُ الرَّعَا يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا» هذا معطوفٌ على الاستفهام الذي بمعنى النفي؛
يعني: ما قُلْتَ مَرْسُومًا ويعني بهذا المرسوم القرآن.

قَوْلُهُ: «أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنَانِ» هذا عمومُ الكلام.

٤٨٤٧- أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتَكَّ لِيْمٍ لِمَنْ وَآفَى مِنَ الْبُلْدَانِ

هذا أيضًا تابعُ النَّفْيِ؛ يعني: أنك لم تأمر ولم تنه ولم تكلم؛ لأنَّ الأمر والنهي من خصائص القول، وهم يقولون: إنَّ الله لا يقول ولا يتكلم، إذن فهو لا يأمر ولا ينهى.

٤٨٤٨- أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانِ

هذا أيضًا داخلٌ في النَّفْيِ.

٤٨٤٩- أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلِّمًا مُتَكَلِّمًا مُتَصَرِّفًا بِالْفِعْلِ كُلِّ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «مُكَلِّمًا مُتَكَلِّمًا» «مُكَلِّمًا» أي: الكلام المتعدّي، و«مُتَكَلِّمًا» أي:
الوصف اللازم.

هذا أيضًا داخلٌ في النَّفْيِ.

٤٨٥٠- أَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةً أَلْ فِعْلٍ الَّذِي قَدْ قَامَ بِالْأَذْهَانِ

هذا أيضًا داخلٌ في النَّفْيِ؛ لأنَّهم يُنكرون أنَّ الله يفعل، ويقولون: إنَّ فعله مفعوله، وليس له فعلٌ قائمٌ بذاته.

٤٨٥١- أَوْ كُنْتَ حَيًّا فَاعِلًا بِمَشِيئَةٍ وَبِقُدْرَةِ أفعالِ ذِي السُّلْطَانِ
لأنهم لا يرونَ لله أفعالًا تتعلَّقُ بالمشيئة، يقولون: إنَّه لو قامت به أفعالٌ
تتعلَّقُ بمشيئته لقامت به الحوادثُ، وما قامت به الحوادثُ فهو حادثٌ، وكُلُّ هذا
سبق.

٤٨٥٢- فِعْلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ فَاعِلِهِ مُحَا لٌ غَيْرٌ مَعْقُولٍ لِذِي الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «لِذِي الْإِنْسَانِ» إِنْ جَعَلْنَا «لِذِي» اسْمَ إِشَارَةٍ كُتِبَتْ «لِذَا الْإِنْسَانِ»،
وَإِنْ جَعَلْنَاهَا بِمَعْنَى «صَاحِبٍ» فَإِنَّ الْمَعْنَى لَا يَسْتَقِيمُ، لَكِنْ لَعَلَّهَا «لَدَى الْإِنْسَانِ».
معناه: أُنَّهم يقولون: إِنْ فَعَلَ اللهُ مَفْعُولَهُ، فَيَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: هَذَا مُحَالٌ أَنْ
يَكُونَ فِعْلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ الْفَاعِلِ.

٤٨٥٣- بَلْ حَالَةُ الْفَعَالِ قَبْلَ وَمَعَ وَبَعْدَ دُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِلا فُرْقَانِ
حَالَةُ الْفَعَالِ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ وَمَعَ فَعَلِهِ وَبَعْدَ أَنْ يَفْعَلَ، كُلُّهَا إِنَّمَا يَتَّصِفُ بِهَا
الْفَاعِلُ دُونَ الْمَفْعُولِ.

٤٨٥٤- وَاللَّهُ لَسْتَ بِفَاعِلٍ شَيْئًا إِذَا مَا كَانَ شَأْنُكَ مِثْلَ هَذَا الشَّانِ
يعني أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ يَقُولُ: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا شَيْئًا إِذَا كَانَ شَأْنُهُ هَذَا
الشَّانِ.

٤٨٥٥- لَا دَاخِلًا فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجٍ عَنَّا خِيَالًا دُرَّتْ فِي الْأَذْهَانِ
يعني: أُنَّهم يقولون: إِنْ اللهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِينَا وَلَا خَارِجًا عَنَّا، إِذَنْ يَكُونُ
عَدَمًا وَخِيَالًا فِي الْأَذْهَانِ فَقَطْ.

- ٤٨٥٦- فَبِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكًا مُلْكًا مُطَاعًا قَاهِرَ السُّلْطَانِ
 ٤٨٥٧- إِسْمًا وَرَسْمًا لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ شَأْنُ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ
 شَأْنُ الْمُلُوكِ -يعني: في الدنيا- أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ، أو شَأْنُ الْمُلُوكِ عَمُومًا
 أَجَلٌ مِنْ مَلِكٍ لَيْسَ لَنَا مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَرَسْمُهُ فَقَطْ.

* * *

- ٤٨٥٨- هَذَا وَثَانٍ قَالَ أَنْتَ مَلِيكُنَا وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ
 ٤٨٥٩- إِذْ حُزَّتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ جَمِيعَهَا وَلِأَجْلِ ذَا دَانَتْ لَكَ الثَّقَلَانِ
 ٤٨٦٠- وَقَدْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ وَاسِدٍ تَوَلَّيْتَ مَعَ هَذَا عَلَى الْبُلْدَانِ
 ٤٨٦١- لَكِنَّ بَابَكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ امْرُؤٌ إِنْ لَمْ يَجِيءْ بِالشَّافِعِ الْمِعْوَانِ
 ٤٨٦٢- وَيَذُلُّ لِلْبَوَابِ وَالْحُجَابِ وَالشُّبَّ شُفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ
 ٤٨٦٣- أَفَيْسَتْوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ وَاللَّهُ مَا اسْتَوِيَا لَدَى إِنْسَانِ
 ٤٨٦٤- وَالْمُشْرِكُونَ أَحَفُّ فِي كُفْرَانِهِمْ وَكِلَاهُمَا مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ
 ٤٨٦٥- إِنَّ الْمَعْطُلَ بِالْعَدَاوَةِ قَائِمٌ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ

الشرح

- ٤٨٥٨- هَذَا وَثَانٍ قَالَ أَنْتَ مَلِيكُنَا وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ
 يعني بالثاني: المشرك «قَالَ: أَنْتَ مَلِيكُنَا وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ»؛ لِأَنَّ
 الْمُشْرِكِينَ يُقَرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ وَأَنَّهُ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

٤٨٥٩- إِذْ حُزَّتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ جَمِيعَهَا وَلَا أَجَلَ ذَا دَانَتْ لَكَ الثَّقَلَانِ
 ٤٨٦٠- وَقَدْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ وَأَسَدَ
 كُلُّ هَذَا يُقَرَّبُ بِهِ الْمَشْرُكُونَ.

٤٨٦١- لَكِنَّ بَابَكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ امْرُؤٌ إِنَّ لَمْ يَجِيءْ بِالشَّافِعِ الْمِعْوَانَ
 هنا حَصَلَ الْخَلَلُ مِنَ الْمَشْرُكِينَ، قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ
 شَفَعَاءُ؛ لِأَنَّ بَابَهُ عَظِيمٌ لَا يَلْجُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِشَافِعٍ مِعْوَانٍ.

٤٨٦٢- وَيَذَلُّ لِلْبَوَابِ وَالْحُجَّابِ وَالشُّ- شُفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ
 يعني: أَنَّ بَابَكَ لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِشَفِيعٍ يَذَلُّ لَهُ الطَّالِبُ الَّذِي يَطْلُبُ
 الْقُرْبَ مِنْكَ، فَقَوْلُهُ: «وَيَذَلُّ» مَعْطُوفَةٌ عَلَى «يَجِيءُ»؛ يَعْنِي: إِنَّ لَمْ يَجِيءْ وَإِنْ لَمْ يَذَلَّ
 لِلْبَوَابِ وَالْحُجَّابِ وَالشُّفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ.

٤٨٦٣- أَفَيْسَتْوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ وَاللَّهِ مَا اسْتَوِيَآ لَدَى إِنْسَانٍ
 قَوْلُهُ: «أَفَيْسَتْوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ» الْإِشَارَةُ إِلَى مَنْ؟ الْجَوَابُ: إِلَى الْمَعْطَلِّ
 وَالْمَشْرُكِ، وَاللَّهُ مَا اسْتَوِيَآ لَدَى إِنْسَانٍ.

فَانظُرْ أَيُّهُمَا أَشَدُّ: الْمَشْرُكُ أَوْ الْمَعْطَلُّ الَّذِي لَا يَصِفُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ
 الْكَمَالِ إِطْلَاقًا، وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِالسُّلُوبِ؛ أَي: بِالنَّفْيِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ لَمْ
 يُثَبَّتْ رَبًّا؟ الْجَوَابُ: الْمَشْرُكُونَ أَخَفُّ؛ وَلِذَا قَالَ:

٤٨٦٤- وَالْمُشْرِكُونَ أَخَفُّ فِي كُفْرَانِهِمْ وَكِلَاهُمَا مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ
 قَوْلُهُ: «وَالْمُشْرِكُونَ أَخَفُّ»، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ.

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا»؛ أَي: المَشْرِكُ وَالْمُعْطَلُ.

٤٨٦٥- إِنَّ الْمُعْطَلَّ بِالْعَدَاوَةِ قَائِمٌ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ

الْمُعْطَلُّ مُلَبَّسٌ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: أَنَا أَقُولُ هَكَذَا تَنْزِيهًا لِلَّهِ أَنْ يُشَابَهَ الْمَخْلُوقِينَ،
فَيَدَّعِي بِإِنْكَارِهِ وَتَعْطِيلِهِ أَنَّهُ مُنَزَّهُ لِلَّهِ، وَيَدَّعِي أَنَّ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ مُجَسِّمَةٌ
مِمثْلَةٌ حَشَوِيَّةٌ لَيْسَ عِنْدَهُمْ عَقُولٌ وَلَمْ يَقْدِرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

فصل

فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِحْسَانِ لِلْمَتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ
عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ

- ٤٨٦٦- هَذَا وَلِلْمَتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْ—
مُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأَزْمَانِ
- ٤٨٦٧- أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ
إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ
- ٤٨٦٨- فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ
وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ
- ٤٨٦٩- أَثَرًا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَأَةً
مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
- ٤٨٧٠- إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمُضَدَّقٌ لَهُ
فِي «مُسْلِمٍ» فَافْهَمَهُ فَهَمَّ بَيَانِ
- ٤٨٧١- أَنَّ الْعِبَادَةَ وَقْتَ هَرْجِ هِجْرَةَ
حَقًّا إِلَيَّ وَذَلِكَ دُوْبُرَهُانِ
- ٤٨٧٢- هَذَا فَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَكَ أَيُّهَا السُّ—
سُنِيُّ بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِي
- ٤٨٧٣- هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا
قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ
- ٤٨٧٤- وَلَقَدْ أَتَى مُضَدَّقُهُ فِي «التِّرْمِذِيِّ
ي» لِمَنْ لَهُ أذنانِ وَعَيْنَانِ
- ٤٨٧٥- فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا
كَ مَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِحَنَانِ
- ٤٨٧٦- هَذَا وَمُضَدَّقٌ لَهُ أَيْضًا أَتَى
فِي «التِّرْمِذِيِّ» لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
- ٤٨٧٧- تَشْبِيهُ أُمَّتِهِ بِغَيْثِ أَوَّلِ
مِنْهُ وَأَخِرُهُ فَمُشْتَبِهَانِ

٤٨٧٨- فَلِذَاكَ لَا يَدْرِي الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا قَدْ خُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالرُّجْحَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِيهَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِحْسَانِ لِلْمُتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ» متى؟ الجواب: عند فساد الزمان؛ لأنه إذا كان الزمان صالحًا وكان الناس فيه على الاستقامة سهل على الإنسان أن يستقيم، لكن إذا كان الزمان فاسدًا وكان الناس فيه على غير الاستقامة فإن الاستقامة تكون صعبة؛ لأن الإنسان إذا استقام في مثل هذا الزمان وجد نفسه غريبًا بين الناس، وطوبى للغرباء، وهذا أمر واضح، انظر إلى رجل صالح في بيت أهله غير صالحين ماذا يجد هذا الابن الصالح من التعب والمشقة والمعاناة؟! وانظر إلى رجل صالح في بيت أهله صالحون، فهذا الثاني سهل عليه الصلاح، بل لو فسد يرى غريبًا؛ لأنه بين قوم صالحين، فإذا صلح الإنسان عند فساد الزمان كان عند الله أعظم أجرًا كما سببته المؤلف رحمه الله.

٤٨٦٦- هَذَا وَلِلْمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْـ مُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأَرْزَامِ

٤٨٦٧- أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «ذِي»؛ بمعنى: هذي، فهو اسم إشارة، وليس من الأسماء الخمسة.

لِلْمُتَمَسِّكِينَ بِهذه السُّنَّةِ أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ -يعني: ليس يعلم قدره- إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ، والذي أعطاه للإنسان هو الله عز وجل.

٤٨٦٨- فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ

٤٨٦٩- أُنْثَرَا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَأَةً مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةِ الرَّحْمَنِ

يقول: روى أبو داود والإمام أحمد -رحمهما الله- أنهما يتضمَّنُ أنَّ المتمسَّكَ بالسُّنَّةِ عند فسادِ الزَّمانِ له أجرُ خمسين من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ^(١)، وهذا أجرٌ عظيمٌ؛ يعني: إذا كنت متمسِّكًا بالسُّنَّةِ مُتَّبِعًا لها عند فسادِ الزَّمانِ ومخالفةِ النَّاسِ لها فَلَكَ أَجْرُ خَمْسِينَ امْرَأَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ويقول المؤلف:

٤٨٧٠- إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمِصْدَاقٌ لَهُ فِي «مُسْلِمٍ» فَافْهَمَهُ فَهَمَّ بَيَّانِ

الرَّسُولِ ﷺ أَخْبَرَ فِيهَا صَحَّ عَنْهُ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَنَّ الْعِبَادَةَ فِي زَمَنِ الْهَرْجِ -يعني: الاختلاطُ والقتلُ - كهِجْرَةِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ^(٢)، وهذا يُؤَيِّدُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي أَنَّ لِلْمَتَمَسِّكِ بِالسُّنَّةِ أَجْرَ خَمْسِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

٤٨٧١- أَنَّ الْعِبَادَةَ وَقْتَ هَرْجِ هِجْرَةٍ حَقًّا إِلَيَّ وَذَلِكَ ذُو بُرْهَانَ

٤٨٧٢- هَذَا فَكُمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَكَ أَيُّهَا السُّنِيُّ بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِي

قَوْلُهُ: «لَا بِأَمَانِي»؛ يعني: فهي من الأمانى وليست من الأمن؛ أي: لا بالأمانى الكاذبة التي يتمناها الإنسان ولا تحصلُ له كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣].

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤١)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٥٨)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، رقم (٤٠١٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب فضل العباداة في الهرج، رقم (٢٨٤٨).

يعني: إذا كانت العبادة في زمن الهجْر كهجرة إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - فما أكثر الهجرات التي تكون لك أيها السني بالتحقيق لا بأمان.

فهي هجرة حقيقة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، ومراد النبي ﷺ من هذا سواء ما رواه الإمام أحمد وما رواه أبو داود أو ما رواه مسلم، مراده الحث على التمسك بالسنة والصبر عليها وإن أُوذِيَ الإنسان؛ لأنه لا بُدَّ أن يُؤذَى إذا كان الزمان فاسداً، لا بُدَّ أن يُسخرَ منه، ولا بُدَّ أن يتعامزَ به مَنْ مرَّ به من المجرمين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠]، أحياناً يسخرون منه في لباسه، وأحياناً في لحيته، وأحياناً في هيئته، وأحياناً في ورعه وتجنبه المشتبهات، وغير ذلك، المهم أن المتمسك بالسنة لا بُدَّ أن يُؤذَى عند فساد الزمان.

٤٨٧٣- هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا» «لَهُمْ» الضمير يعود على الصحابة، فالصحابه لهم هجْر كثيرة، وهجرة بما قال الرسول، وأنت لك هجْر كثيرة أيضاً، كل مسألة شرعية فعلها عند فساد الزمان فإنها كهجرة للرسول عليه الصلاة والسلام، فما أكثر الذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله! رضي الله عنهم.

٤٨٧٤- وَلَقَدْ أَتَى مِصْدَاقُهُ فِي «التِّرْمِذِيِّ» يِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ وَاعِيَتَانِ

٤٨٧٥- فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا كَمَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِجِنَانِ

معناه: أن الذي يُحيي سنة من سنن الرسول - عليه الصلاة والسلام - التي ماتت فإنه رفيق النبي ﷺ في الجنة.

- ٤٨٧٦- هَذَا وَمِصْدَاقٌ لَهُ أَيْضًا أَتَى فِي «الْتَّرْمِذِيِّ» لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 ٤٨٧٧- تَشْبِيهُ أُمَّتِهِ بِغَيْثٍ أَوَّلٍ مِنْهُ وَآخِرُهُ فَمُشْتَبِهَاتِيهَا
 ٤٨٧٨- فَلِذَاكَ لَا يُدْرَى الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا قَدْ خُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالرُّجْحَانِ
 شَبَّهَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أُمَّتَهُ بِالْغَيْثِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ مِنْ آخِرِهِ^(١)؛
 يعني: أنهم متشابهون، أول الأمة وآخرها؛ لأن أول الأمة لهم السبق والفضل
 ونقل الشريعة، وآخر الأمة لهم حمايتها عند فساد الزمان، فكل من أخذ من
 حماية هذه الشريعة بنصيب؛ فلهذا لا يُدْرَى أولهم من آخرهم.

- ٤٨٧٩- وَلَقَدْ أَتَى أَثْرٌ بِأَنَّ الْفَضْلَ فِي الطُّ
 ٤٨٨٠- وَالْوَسْطُ ذُو نَيْبٍ فَأَعْوَجَ هَكَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
 ٤٨٨١- وَلَقَدْ أَتَى فِي الْوَحْيِ مِصْدَاقٌ لَهُ فِي الثَّلَثَيْنِ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ
 ٤٨٨٢- أَهْلُ الْيَمِينِ فُتِلَّةٌ مَعَ مِثْلِهَا وَالسَّابِقُونَ أَقْلٌ فِي الْحُسْبَانِ
 ٤٨٨٣- مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَابِعَهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرَبَةً الْأَوْطَانِ
 ٤٨٨٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهُ غُرَبَةٌ قَائِمٍ بِالذِّينِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
 ٤٨٨٥- فَلِذَاكَ شَبَّهَهُمْ بِهِمْ مَتَّبِعَهُمْ فِي الْغُرَبَتَيْنِ وَذَلِكَ ذُو تَبَيَّانِ

(١) كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ». أخرجه الترمذي: كتاب الأمثال، بعد باب مثل الصلوات الخمس، رقم (٢٨٦٩).

- ٤٨٨٦- لَمْ يُشَبِّهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
 ٤٨٨٧- فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْغُرَبَاءِ بِالْـ
 ٤٨٨٨- طُوبَى لَهُمْ وَالشُّوقُ يَحْدُوهُمْ إِلَى
 ٤٨٨٩- طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُؤُوا بِنُحَاتِهِ الْـ
 ٤٨٩٠- طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ الْعَزَا
 ٤٨٩١- طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُؤُوا شَيْئًا بِذِي الْـ
 ٤٨٩٢- طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الْوَرَى
 ٤٨٩٣- وَاللَّهِ مَا اتَّمَمُوا بِشَخْصٍ دُونَهُ

الشرح

- ٤٨٧٩- وَلَقَدْ آتَى أَثْرٌ بِأَنَّ الْفَضْلَ فِي الطُّ
 طَرْفَيْنِ أَعْنِي أَوَّلًا وَالثَّانِي
 قَوْلُهُ: «الطَّرْفَيْنِ»؛ يعني: طَرْفِي الْأُمَّةِ.

أتى أثرٌ بأنَّ الفضلَ في أوَّلِ الْأُمَّةِ وفي آخِرِهَا^(١)، أمَّا الفضلُ في أوَّلِهَا فواضحٌ
 للسَّبْقِ وَالْجِهَادِ وَتَبْيِينِ الشَّرِيعَةِ وَنَقْلِهَا لِلْأُمَّةِ، وَأَمَّا فِي آخِرِهَا فَمَنْ أَجَلَ مَا يَحْصُلُ
 فِي آخِرِهَا مِنَ الْفِتَنِ وَالضَّلَالِ، وَيَكُونُ الصَّابِرُ عَلَى هَذِهِ الْفِتَنِ وَهَذَا الضَّلَالِ يَكُونُ
 مَأْجُورًا، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ لَهُ أَجْرَ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ.

(١) يعني حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْأَمْثَالِ، بَعْدَ بَابِ مَثَلِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، رَقْمُ (٢٨٦٩).

٤٨٨٠- وَالْوَسْطُ ذُو نَبِجٍ فَأَعْوَجَ هَكَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانٍ
قَوْلُهُ: «نَبِجٌ» الشَّبَجُ: الْوَسْطُ.

٤٨٨١- وَلَقَدْ أَتَى فِي الْوَحْيِ مُصَدِّقٌ لَهُ فِي الثَّلَاثِينَ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ «الْوَاقِعَةِ»: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠-١٤]، وَأَصْحَحُ التَّفْسِيرَيْنِ فِيهَا أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ هَذِهِ الْأُمَّةُ، فَالسَّابِقُونَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى كَثِيرُونَ وَمِنَ الْآخِرِينَ قَلِيلٌ، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ؛ يَعْنِي: أَنَّهُمْ كَثِيرُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَمُرْتَبَةُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ أَقْلٌ مِنْ مُرْتَبَةِ السَّابِقِينَ، لَا شَكَّ فِي هَذَا؛ وَلِذَلِكَ كَانَ ثَوَابُهُم الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقْلٌ مِنْ ثَوَابِ السَّابِقِينَ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ السَّابِقِينَ.

٤٨٨٢- أَهْلُ الْيَمِينِ فِثْلَةٌ مَعَ مِثْلِهَا وَالسَّابِقُونَ أَقْلٌ فِي الْحُسْبَانِ

أَهْلُ الْيَمِينِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٣٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٣٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٣٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٤١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٤٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٤٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٤٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٤٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٤٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٤٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿٤٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٥٠﴾ [الواقعة: ٢٧-٤٠]، وَأَمَّا السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فَقَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤]، وَإِذَا جَمَعْنَا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ تَبَيَّنَ أَنَّ أَوَّلَ الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ آخِرِهَا، وَأَنَّ آخِرَهَا أَفْضَلُ مِنْ وَسْطِهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠]، وَقَالَ فِي السَّابِقِينَ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤].

٤٨٨٣- مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَابِعَهُمْ هُمْ أَلْ - غُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرَبَةً الْأَوْطَانِ

فالغربة ليست غربة الوطن، ولكنها غربة الدين، وهذه أشد من غربة الوطن؛ إذ إن غريب الوطن ربما تزول غربته بما يحصل له من الفرح والسُرور وتجدد الإخوان والأصحاب، لكن غربة الدين هي البلاء، وهي التي تحتاج إلى صبر.

٤٨٨٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهِ غُرَبَةٌ قَائِمٌ بِالذِّينِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

فهذه غربة الدين؛ بأن يكون الإنسان في وسط مجتمع بعيد عن الدين، فيكون بينهم كأنه غريب، وقد جاء في الحديث أن الغبراء هم: «الَّذِينَ يُصَلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»^(١).

٤٨٨٥- فَلِذَاكَ شَبَّهُهُمْ بِهِمْ مَتَّبِعُهُمْ فِي الْغُرَبَاتِ وَذَاكَ ذُو تَبَيَّانٍ

قَوْلُهُ: «مَتَّبِعُهُمْ»؛ يعني به: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يعني: أنهم غرباء بين عساكر الشيطان كما شبَّههم النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(٢)؛ إذن الغربة في أول الإسلام، والغربة في آخر الإسلام، فأهل الإسلام غرباء في الأول وغرباء في الثاني.

٤٨٨٦- لَمْ يُشَبَّهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

يعني: أن الغبراء في الثاني لا يُشبهون الغبراء في الأول من كل وجه.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الإيثار، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، رقم (٢٦٣٠)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) تقدم تحريجه، وهو الجزء الأول من الحديث السابق.

٤٨٨٧- فَاَنْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْغُرَبَاءَ بِأَلِّ مُحْيِينَ سُنَّتِهِ بِكُلِّ زَمَانٍ

يعني: أن الرسول ﷺ فسّر الغرباء بالذين يُحيون سُنَّتَهُ بين أهل البدع، أو يقومون بطاعته بين أهل الفسق، والغريب معروف مأخوذ من «الغربة»، وهي ألا يكون للإنسان من يشابهه في مجتمعه.

٤٨٨٨- طُوبَى لَهُمْ وَالشَّوْقُ يَحْدُوهُمْ إِلَى أَخَذِ الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِيهَا ﴾ [الرعد: ٢٩]، فقال بعضهم: إنها شجرة بالجنة، يسير الرّكّاب في ظلّها مائتي عام لا يقطعها، وقال بعضهم: بل إن طوبى «فعلى» مأخوذة من الطيب، والمراد بها الجنة، فالجنة كلّها تُسمّى «طوبى» باعتبار أنّها طيبة، وهذا الأخير أعم من الأوّل، ويكون إطلاق «طوبى» على الشجرة من باب إطلاق العام على الخاص.

٤٨٨٩- طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُوا بِنَحَاتِهِ أَلِّ أَفْكَارٍ أَوْ بِزِيَالَةِ الْأَذْهَانِ

كما فعل من خالفوا الحديث والقرآن في أسماء الله وصفاته وغيرها.

٤٨٩٠- طُوبَى لَهُمْ رَكَبُوا عَلَى مَتْنِ الْعَزَا ئِمِ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الْإِيمَانِ

ركبوا مطايا العزائم، ولم يتوانوا ولم يتأخروا.

٤٨٩١- طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُوا شَيْئًا بِذِي أَلِّ آرَاءِ إِذْ أَغْنَاهُمْ الْوَحْيَانِ

٤٨٩٢- طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الْوَرَى مَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ

٤٨٩٣- وَاللَّهُ مَا اتَّمَمُوا بِشَخْصٍ دُونَهُ إِلَّا إِذَا مَا دَلَّاهُمْ بَيِّنَاتٍ

يعني: أن هؤلاء المتمسكين بالحديث ومحكم القرآن إمامهم دون الناس

محمَّد ﷺ، لم يأتُموا بأحدٍ سواه، بل كان هو الإمام المقتدى به في العقائد والأخلاق والأعمالِ فعلاً وتركاً.

- ٤٨٩٤- في البابِ أثارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا
أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ
- ٤٨٩٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ الْ-
مُخْتَارِ خَيْرُ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
- ٤٨٩٦- ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ بَيْنَ-
نِ اثْنَيْنِ مَا حُكِيَتْ بِهِ قَوْلَانِ
- ٤٨٩٧- فَلِذَلِكَ ذِي الْأَثَارِ أَعْضَلَ أَمْرَهَا
وَبَغَوْا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ
- ٤٨٩٨- فَاسْمَعْ إِذَنْ تَأْوِيلَهَا وَافْهَمْهُ لَا
تَعْجَلْ بِرَدِّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانِ
- ٤٨٩٩- إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ
عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِرْمَانِ
- ٤٩٠٠- الْفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ
وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَرْتَبَتَانِ
- ٤٩٠١- وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ
فَضْلًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانِ
- ٤٩٠٢- لَا يُوجِبُ التَّقْيِيدُ أَنْ يُقْضَى لَهُ
بِالِاسْتِثْوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ
- ٤٩٠٣- إِذْ كَانَ ذُو الْإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الْفَضَا
ئِلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالْإِحْسَانِ
- ٤٩٠٤- فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نَوْ-
عًا لَمْ يُحْزَرْهُ فَاضِلُ الْإِنْسَانِ
- ٤٩٠٥- لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِصُ مِنْ فَضْلِ عَلَيْهِ
لَهُ وَلَا مُسَاوَاةٌ وَلَا نُقْصَانِ
- ٤٩٠٦- مَا خَلَقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبٍ
فَضْلًا عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٤٩٠٧- وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ آتَى مِنْ بَعْدِهِ
مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ

- ٤٩٠٨- فَمَحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقًا وَمَا حَكَمَتْ لَهُمْ بِمَزِيَّةِ الرَّجْحَانِ
 ٤٩٠٩- فَالْحَائِزُ الْخَمْسِينَ أَجْرًا لَمْ يَحْزُ هَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
 ٤٩١٠- هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرِ أَوْ أَحَدٍ أَوْ أَلْ فَتَحِ الْمُبِينِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 ٤٩١١- بَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِيدِ نَ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أُولِي أَعْوَانِ

الشرح

٤٨٩٤- فِي الْبَابِ آثَارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ
 قَوْلُهُ: «فِي الْبَابِ»؛ أي: في هذا البحث، والباب يُطْلَقُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ إِذَا قَالُوا:
 لَمْ يَصِحَّ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ؛ يَعْنِي: فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، أَوْ فِي هَذَا الْبَحْثِ، أَوْ فِي هَذَا
 الْمَوْضُوعِ.

يَقُولُ: «فِي الْبَابِ آثَارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ» «أَعْيَتْ»؛
 يَعْنِي: أَعْجَزَتْهُمْ، وَصَعُبَ عَلَيْهِمُ التَّوْفِيقُ بَيْنَهَا؛ لِأَنَّهَا آثَارٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَتَأَخِّرِينَ
 مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنَ السَّابِقِينَ، وَآثَارٌ بِالْعَكْسِ، فَلَا بُدَّ مِنْ جَمْعِ.

ابن القيم - رحمه الله - يقول: إِنَّهَا أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ؛ يَعْنِي: أَعْجَزَتْهُمْ، كَيْفَ
 يَجْمَعُونَ بَيْنَهَا؟ وَهَذَا صَحِيحٌ، فَهَذَا أَمْرٌ يُشْكَلُ عَلَى الْإِنْسَانِ حَقِيقَةً، الْعَامِلُ لَهُ أَجْرُ
 خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ^(١)، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤١)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٥٨)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، رقم (٤٠١٤).

- بَلَّغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١)، فكيف الجمع؟ تَعَرَّضَ - رحمه الله - للجمع فقال:
- ٤٨٩٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ آلِ مُحَمَّدٍ خَيْرٌ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
- ٤٨٩٦- ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ يَبْنِي - مِنْ اثْنَيْنِ مَا حُكِّيتَ بِهِ قَوْلَانِ
- وهذا مُجْمَعٌ عليه، أَنَّ صَحَابَةَ النَّبِيِّ ﷺ هُمْ خَيْرُ الْأُمَّةِ، بَلْ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ الثَّابِتُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ»^(٢)، وهذا لا إشكال فيه.
- ٤٨٩٧- فَلِذَلِكَ ذِي الْآثَارِ أَعْضَلَ أَمْرَهَا وَبَغَوَا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ
- فهذه الآثَارُ «أَعْضَلَ أَمْرَهَا»؛ يعني: امتنع أمرها، وشقَّ على الناس، وبغوا
لها التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ.
- ٤٨٩٨- فَاسْمَعْ إِذْنًا تَأْوِيلَهَا وَأَفْهَمْهُ لَا تَعْجَلْ بِرَدِّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانِ
- أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله - أَنْ يُنَبِّهَنَا إِلَى تَأْوِيلِ هَذِهِ النَّصُوصِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهَا
فَقَالَ: «لَا تَعْجَلْ بِرَدِّ»، ثُمَّ ذَكَرَ بَيْتًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نِبْرَاسًا يَسِيرُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ فَقَالَ:
- ٤٨٩٩- إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ يُحِطْ عَلَيْهِ بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِزْمَانِ
- قَوْلُهُ: «الْبِدَارُ»؛ يعني: المبادرة، من «بَادَرَ»، كَقَاتَلِ يُقَاتِلُ مُقَاتَلَةً.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٤٧٠)،
ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رقم (٢٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٤٥١)،
ومسلم: كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

وهذا بيتٌ مهمٌّ، بيتٌ عظيمٌ، المبادرةُ بردُّ الشَّيءِ الذي لم تُحِطْ به علمًا سببٌ إلى الحرمانِ وعدمِ الوصولِ إلى الحقِّ، فكلُّ شيءٍ لا تحيطُ به علمًا لا تُبادِرُ برده، ولا تعجلُ في الردِّ حتَّى يتبيَّنَ أَنَّهُ يستحقُّ أن يُردَّ، وما أكثرَ ما نرُدُّ الشَّيءَ ثُمَّ نندمُ إذا تعجَّلنا! أحيانًا مثلًا تجد حتَّى في كتبِ العلمِ تجد أن المؤلفَ أطلقَ العبارةَ، فتقولُ: لماذا أطلقَهَا؟ ثُمَّ تحاولُ أن تُحسِّيَ على الكتابِ وتقولُ: «هذا الإطلاقُ فيه نظرٌ»، فإذا بالمؤلفِ يُقيِّدُ في آخرِ الكلامِ، أيضًا يتكلَّمُ معك أحدٌ من النَّاسِ فتبدرُ منه كلمةٌ تظنُّ أَنَّهَا خطأ، فترُدُّ عليه، فيقولُ: «اصبر لم يتمَّ الكلامُ».

فكونُ الإنسانِ يتأنَّى ولا يُردُّ الشَّيءَ إلَّا بعد أن يتبيَّنَ فيه الخطأُ، لا شكَّ أنَّ هذا من العقلِ ومن الشَّرْعِ؛ إذنُ ماذا أعملُ؟ أنتظرُ، وأتأنَّى حتَّى إذا استكملت الأُمورَ وصار هناك مجالٌ للردِّ رددتُ.

٤٩٠٠- الفضلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَرْتَبَتَانِ
قَوْلُهُ: «الْفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ»؛ يعني: الفضلُ الذي يُوصَفُ به الإنسانُ مُطْلَقٌ ومُقَيَّدٌ، «مُطْلَقٌ»؛ يعني: على كُلِّ حالٍ، و«مُقَيَّدٌ»؛ يعني: في حالٍ مُعَيَّنَةٍ، فمثلًا نقولُ: «هذا الرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ»؛ أي: على سبيلِ الإِطْلَاقِ، ثُمَّ نقولُ: «وَالرَّجُلُ الْمَفْضُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي كَذَا»، فمثلًا: لو وجدنا رجلاً عالمًا كريماً شجاعاً كان فاضلاً فضلاً مُطْلَقاً على مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، لكن قد يفضله الثَّانِي بِحُسْنِ الْخَلْقِ وَدِمَائَةِ الْأَخْلَاقِ، فيكونُ الْفَضْلُ الْمَطْلُوقُ لِلأَوَّلِ، والثَّانِي له فَضْلٌ مُقَيَّدٌ.

إذنُ ينقسمُ إلى قسمين: مُطْلَقٌ ومُقَيَّدٌ، وسيذكرُ المؤلفُ مثالاً واضحاً، يقولُ:

٤٩٠١- وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ فَضْلاً عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانٍ

يعني: أن الفضل المقيّد لا يُوجِبُ أن يكونَ الفاضلُ أفضلَ من ذي الفضلِ المُطلَقِ؛ إذنَ الفضلُ نوعان: فضلٌ مُطلَقٌ؛ بأن يكونَ هذا الإنسانُ أفضلَ من غيره على الإطلاقِ، وفضلٌ مُقيّدٌ؛ بأن يُفضَّلَ غيره في شيءٍ مُعيَّنٍ، فهل إذا فضل الإنسانُ غيره في شيءٍ مُعيَّنٍ هل يستلزمُ أن يكونَ أفضلَ منه على الإطلاقِ؟ الجوابُ: لا؛ فصاحبُ الفضلِ المُقيّدِ ليس بموجِبٍ فضلًا على مَنْ فضله مُطلَقٌ.

٤٩٠٢- لا يُوجِبُ التَّقْيِيدُ أَنْ يُقْضَى لَهُ بِالِاسْتِثْوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ

صحيحٌ؛ يعني: أن الفضلَ المقيّدَ لا يُوجِبُ أن يكونَ مُساويًا لذي الفضلِ المُطلَقِ، فضلًا عن أن يكونَ أرجحَ منه وأعلى منه، ولقد صدَقَ، الآنَ مثلًا نحن نقولُ: التَّابِعُونَ أَفْضَلُ مِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ عَلَى الإِطْلَاقِ، لكن قد يُوجَدُ من تابعي التَّابِعِينَ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّابِعِينَ، لكنّه فردٌ مُعيَّنٌ، كذلك الفضائلُ في شخصٍ مُعيَّنٍ، قد يكونُ هذا الرَّجُلُ له فضائلٌ عديدةٌ فيكونَ أفضلَ من غيره على الإطلاقِ، ويكونُ غيره له خاصِّيَّةٌ أفضلُ من الأوَّلِ، وهذا لا يُوجِبُ أن يكونَ الثَّانِي أَفْضَلَ عَلَى الإِطْلَاقِ.

٤٩٠٣- إِذْ كَانَ ذُو الإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الفَضَا بِلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالِإِحْسَانِ

هذا تعيُّنٌ لقوله: «فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ؟!»، «إِذْ كَانَ»؛ يعني: لأنَّ ذَا الإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الفَضَائِلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالِإِحْسَانِ؛ فمثلًا: هذا له مئةٌ فضيلةٍ، وهذا له فضيلةٌ واحدةٌ لا تُوجَدُ في ذي المئةِ، الأوَّلُ نسميّه: «فضلاً مُطلَقاً»، والثَّانِي: «مُقيّدًا»، وهل هذا الذي اختصَّ بفضيلةٍ لا تُوجَدُ عند صاحبِ الفضائلِ الكثيرةِ هل يُوجِبُ أن يكونَ أفضلَ من الأوَّلِ؟ الجوابُ: لا.

٤٩٠٤- فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نَوْ عَالَمٍ يَحْزُهُ فَاضِلُ الإِنْسَانِ

٤٩٠٥- لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِصُ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ — وَلَا مُسَاوَاةٍ وَلَا نُقْصَانٍ

٤٩٠٦- مَا خَلَقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبِ فَضْلًا عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

وهذا من أوضح الأمثلة، آدم -عليه الصلاة والسلام- امتاز بفضيلة لم تكن لغيره، وهي: أن الله خلقه بيده الكريمة، وأمّا محمد ﷺ فخلقته كسائر الخلق بالكلمة، هل هذه الفضيلة تُوجِبُ أن يكون أفضل من محمد؟ الجواب: لا؛ لأن فضل محمد مطلق، وفضل آدم مقيد بشيء معين، فلا يُوجِبُ أن يكون هذا المقيد مساويًا أو راجحًا على ذي الفضل المطلق.

٤٩٠٧- وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ

٤٩٠٨- فَمُحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقًا وَمَا حَكَمْتَ لَهُمْ بِمَزِيَّةِ الرَّجْحَانِ

الرُّسُلُ مَنْ بَعْدَ آدَمَ لَهُمْ خَصَائِصُ لَيْسَتْ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فموسى يُلقِي العصا فتكون حيةً ومحمد لم يحصل له ذلك، إبراهيم أُلقيَ في النَّارِ وَخَرَجَ سَالِمًا ومحمد لم يحصل له ذلك، عيسى يَقِفُ على القبرِ فيَخْرُجُ صاحبُ القبرِ حياً ومحمد لم يحصل له ذلك، هل هذا يُوجِبُ أن يكون هؤلاء الرُّسُلُ الكرام الذين خُصُّوا بهذه الفضائل أفضل من محمد؟ الجواب: لا، لماذا؟ لأن هذا الفضل مُقَيَّدٌ بفضيلة واحدة، وليس كمن كان فضله على الإطلاق.

ثم انتقل المؤلف بعد هذا التّقرير إلى قوله:

٤٩٠٩- فَالْحَائِزُ الْخَمْسِينَ أَجْرًا لَمْ يَحْزُ هَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ

الذي عمِلَ في آخرِ زمانِ الغربةِ له أجرُ خمسين واحدًا من الصَّحابةِ لم يَحْزُهَا على الإطلاق، بل على التّقييدِ في هذا الزّمنِ زمنِ الغربةِ، ولكن هل هذا الفضل

المقيّد يستلزم أن يكون أفضل ممن حازوا الفضائل في بدرٍ وأحدٍ وحينٍ وفتحٍ
مكة؟ الجواب: لا؛ ولهذا قال:

٤٩١٠- هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرٍ أَوْ أَحَدٍ أَوْ الْ- فَتَحِ الْمُبِينِ وَبَيْعَةِ الرَّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرٍ أَوْ أَحَدٍ...؟» الجواب: لا، ما حازها قطعاً.

انتبه لوجه الجمع: الفضل نوعان: فضلٌ مُطلقٌ على الإطلاق، وفضلٌ مُقيّدٌ؛
أي: مُقيّدٌ بحالٍ دون حالٍ أو بزمنٍ دون زمنٍ، فلا يمكن أن يساوي أحدُ الصحابةِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في الفضل المُطلق، وأمّا الفضل المُقيّد فيمكن أن يكون واحداً أفضل من
الصحابة في هذه الحال، أو في هذا الزمن، أو ما أشبه ذلك.

الآن تُوجدُ خصائصُ لبعضِ الصحابةِ يذكرها الرسولُ -عليه الصلاةُ
والسلامُ- لا تُذكرُ لأبي بكرٍ مثلاً، ولا شكَّ أنَّ أبا بكرٍ هو أفضلُ الصحابةِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ فمثلاً: إذا جاءت منقبةٌ لعمرَ بأنَّ الشيطانَ يفرِّقُ منه، كما قال ﷺ: «إِنِّي
لَأَحْسِبُ الشَّيْطَانَ يَفْرُقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ»^(١)، هل هذا يستلزم أن يكون عمرٌ أفضلُ
من أبي بكرٍ على الإطلاق؟ الجواب: لا.

إذا جاء في عثمانَ فضيلةٌ: مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا مَعَ دِلَاءِ
المُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ، فاشتراها عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢)، هل هذا يقتضي أن

(١) أخرجه أحمد (٣٥٣/٥)، رقم (٢٣٠٣٩)، والترمذي: كتاب المناقب، بعد باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم (٣٦٩٠)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً: كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوماً كان أو غير مقسوم، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وله كنيتان، يقال: أبو عمرو، وأبو عبد الله، رقم (٣٧٠٣)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً، رقم (٣١٨٢).

يكون أفضل من عمر؟ الجواب: لا.

إذا جاء في علي بن أبي طالب: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١)، فأعطاها عليًا، هل هذا يستلزم أن يكون أفضل من عثمان؟
الجواب: لا.

إذْنُ الْفَضْلِ نَوْعَانِ: فَضْلٌ مُطْلَقٌ وَهَذَا لِلصَّحَابَةِ، وَفَضْلٌ مُقَيَّدٌ وَهَذَا لِإِمْنِ خَصَّةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ.

٤٩١١- بَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِينِ مَنْ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أَوْلِيَّ أَعْوَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ حَازَهَا»؛ أَي: بَلْ حَازَ الْخَمْسِينَ أَجْرًا.

قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِينِ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «إِذْ كَانَ قَدْ فَقَدَ الْمُعِينِ».

يقول: السبب في أنه حاز هذا الأجر أنه ليس له معين يعينه على العبادة، وهؤلاء لهم أعوان يعينونهم، فتسهل عليهم العبادة، وأما في آخر الزمان فيقل الأعوان، ومع قلة الأعوان تشق العبادة والطاعة على الإنسان، فيكون ما قام في قلبه من الصبر والرضا والإخلاص يجعل الأجر مضاعفًا إلى خمسين مرة بالنسبة إلى الصحابة، فلا يحوزون فضل الغربة كما حازها هو، فصار هذا له أجر خمسين في هذه العبادة فقط، وليس له الأجر الكامل المطلق؛ لأن لهم فضائل عديدة ما شاركهم فيها.

وما قاله رحمه الله هو الحق، وبه يزول الإشكال، وأنت الآن قدر نفسك مع قوم فسقة ليس فيهم من يعينك، بل فيهم من يسخر بك ويستهزئ بك، ولا تؤدّي العبادة إلا وأنت محتف بها، وبين قوم صالحين يساعدونك ويفعلون كما تفعل من

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، رقم (٢٨١٢)، ومسلم:

كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٠٧).

الخير والبرِّ، أيُّهما تصعبُ عليه العبادةُ: الأوَّلُ أو الثاني؟ الجوابُ: الأوَّلُ بلا شكِّ، فلاجل هذا كان للعاملِ في أيَّامِ الصَّبرِ أجرٌ خمسين من الصَّحابةِ.

وهنا مسألةٌ: ما حكمُ الاستهزاءِ والتَّعْيِيرِ بالسُّنَّةِ؟

نقولُ: هذا الذي يُعَيَّرُ، إن كان يُعَيِّرُ الشَّخْصَ بنفسِه فإنَّه لا يكفرُ، وإن كان يُعَيِّرُ بالسُّنَّةِ فهو كافرٌ، لكن غالب مَنْ يُعَيِّرُ لا يُعَيِّرُ بالسُّنَّةِ بل يُعَيِّرُ الشَّخْصَ نفسَه؛ ولهذا لو كانت لحيَّةُ هذا على رجلٍ آخرَ مُعْظَمٌ عنده ما عَيَّرَهُ بها؛ ومثل ذلك أيضًا: تقصيرُ الثَّيابِ، تجدُّ مثلًا بعضَ النَّاسِ إذا رأى أحدًا قد رفع ثوبه إلى نصفِ السَّاقِ يسخرُ به ويستهزئُ، لكن لو رفعه أحدٌ مُعْظَمٌ عنده لم يقل شيئًا، بل قال: «هذا هو السُّنَّةُ»، فهذه المسألةُ خطيرةٌ جدًّا جدًّا، إن كان عَيَّرَهُ كراهةً لهذه السُّنَّةِ فهو كافرٌ، وإن كان عَيَّرَهُ لشخصِه مثلًا فهذا لا يكفرُ، لكنَّه على خطرٍ عظيمٍ بلا شكِّ.

- ٤٩١٢- وَالرَّبُّ لَيْسَ يُضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ الْـ
مُتَحَمِّلُونَ لِأَجْلِهِ مِنْ شَأْنِ
- ٤٩١٣- فَتَحَمَّلُ الْعَبْدُ الْوَحِيدُ رِضَاهُ مَعَ
فَيْضِ الْعَدُوِّ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ
- ٤٩١٤- مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينِ صَادِقٍ
وَمُحَبَّةٍ وَحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ
- ٤٩١٥- يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاغْتِرَابًا قَلَّةُ الْـ
أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
- ٤٩١٦- فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَنْزُوهُ إِنْ
تَرَجَّعَ يُؤَافِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي
- ٤٩١٧- فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي
يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَى بِلَا حُسْبَانِ
- ٤٩١٨- هَذَا وَقَدْ بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ الْـ
عَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ

- ٤٩١٩- وَلِذَلِكَ كَانَ كَقَابِضٍ بَجْمَرًا فَسَلُّ أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النَّيِّرَانِ
 ٤٩٢٠- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
 ٤٩٢١- فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ
 ٤٩٢٢- بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضًا وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلْقُرْآنِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - مبيِّناً فضيلة هؤلاء الغرباء حين عبدوا الله عزَّ وجلَّ على حين غربة، يقول:

٤٩١٢- وَالرَّبُّ لَيْسَ يُضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ الْ- مُتَحَمِّلُونَ لِأَجْلِهِ مِنْ شَانِ

الحمد لله، لا يُضِيعُ اللهُ عزَّ وجلَّ أجرَ المتحمِّلين من أجله، الذين صبروا وأوذوا وصاروا غرباء بين النَّاسِ وهم ثابتون على دينهم، فهؤلاء لهم أجرٌ عظيمٌ لا يُضِيعُهُ اللهُ.

٤٩١٣- فَتَحَمَّلُ الْعَبْدُ الْوَحِيدُ رِضَاهُ مَعَ فَيُضِ الْعَدُوَّ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ

٤٩١٤- مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينِ صَادِقٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

يقول: تحمَّلُ العبدِ الوحيدِ الذي ليس معه أحدٌ، بل هو غريبٌ بين النَّاسِ تحمُّلهُ رضا الله مع فيضِ العدوِّ؛ أي: مع كثرته، وقلةِ الأعوانِ؛ ممَّا يدلُّ على يقينٍ صادقٍ، ولا شكٍّ، إذا التفتَ يميناً وشمالاً، وإذا كُتِل النَّاسِ على خلافه، فإنَّ ثبوته على ما هو عليه دليلٌ على يقينه الصَّادقِ ومحبةِ الله عزَّ وجلَّ وحقيقةِ العرفانِ بالله، وأنَّه عارفٌ بالله حقيقةً.

٤٩١٥- يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاعْتِرَابًا قَلَّةُ الْـ أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

فهو وإن كان غريبًا ذليلًا باعتبار الظاهر للناس، لكنّه -والله- عزيزٌ، عزيزٌ بما أَنْعَمَ اللهُ به عليه من العبادة، والتَّوَكُّلِ على الله واحتسابِ الأجرِ من الله.

٤٩١٦- فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْزُوهُ إِنَّ تَرْجِعَ يُوَافِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي

يعني: النَّاسُ يغزونه من كُلِّ وجهٍ، تغزوه هذه الفرقة، ثُمَّ تَرْجِعُ فتغزوه أخرى، وهكذا، لكنّه متمسِّكٌ بالسُّنَّةِ، فظاهِرُهُ كظاهِرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فَالْحَيَّةُ مُؤَفَّرَةٌ، والثَّيَابُ مرفوعةٌ عن الكعبِ وذو هيبَةٍ ووقارٍ.

تغزوه طائفةٌ أخرى في العقيدة هذا مُمَثَّلٌ، هذا مُجَسَّمٌ، هذا حَشَوِيٌّ، وما أشبه ذلك، تغزوه فرقةٌ من جهةِ الأخلاقِ وتركِ اللغو والبُعدِ عن ضياعِ الوقتِ، فيقولون: هذا منعزلٌ، مُنطَوٍ على نفسه، لا خَيْرَ فيه، فالمهمُّ أنَّ فرقَ شياطينِ الإنسِ تغزوه من كُلِّ جانبٍ وهو مستعينٌ بالله ثابتٌ.

٤٩١٧- فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَى بِلَا حُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ» «الْغَرِيبُ»؛ يعني: الذي ليس معه أحدٌ، و«الْمُسْتَضَامَ»: الْمُضَيَّقَ عليه.

قَوْلُهُ: «عَنِ الَّذِي يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَى بِلَا حُسْبَانِ» «عِدَى» جمع «عَدُوٌّ».

بعضُ النَّاسِ حينما يصادفُ شخصًا مستقيمًا من الشَّبَابِ يكرهه؛ ولذا أخشى أن يكونَ هذا نفاقًا في قلبه، ومثلُ هذا يجبُ أن يُعالَجَ قلبه قبلَ كُلِّ شيءٍ؛ لأنَّ المسألةَ خطيرةٌ، لكن بعضُ النَّاسِ قد يكرهه بعضُ الشَّبَابِ لفعلِ بعضهم مَنْ يترمّتون ويحملون النَّاسَ على ما يُريدون هم دون ما جاء في الشَّرِيعَةِ، ويقولون:

«كُلُّ مَنْ خَالَفَنَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ أَوْ ضَالٌّ»، وتعرفُ أَنَّ النَّاسَ يَفْسُدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، لَكِنَّ الْوَاجِبُ أَنَّكَ كُلَّمَا رَأَيْتَ شَخْصًا مُسْتَقِيمًا أَنْ تَحِبَّهُ لِلَّهِ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُ شَيْئًا يَخَالَفُ مِنْهَجَ السَّلَفِ فَانصَحْهُ.

٤٩١٨- هَذَا وَقَدْ بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ الْعَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ الْعَهْدُ»؛ أَي: الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا قَرَّبَ الْعَهْدُ مِنْ زَمَنِ الرَّسَالَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَقْوَى إِيمَانًا وَأَصَحَّ إِسْلَامًا، وَكُلَّمَا بَعُدَ النَّاسُ عَنِ عَهْدِ الرَّسَالَةِ فَبِالْعَكْسِ.

٤٩١٩- وَلِذَلِكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْرًا فَسَلَّ أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النَّيِّرَانِ

الرَّجُلُ الْقَابِضُ عَلَى الْجَمْرِ يَجِدُ حَرًّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

٤٩٢٠- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

٤٩٢١- فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ» فَمَا هَذَا الْأَمْرُ؟ يَقُولُ:

٤٩٢٢- بَرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضَا وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلْقُرْآنِ

بِرٌّ، وَتَوْحِيدٌ، وَصَبْرٌ، وَرِضَا، وَشُكْرٌ، وَتَحْكِيمُ الْقُرْآنِ، سِتَّةُ أَشْيَاءَ، وَالْبِرُّ لَيْسَ بِرَّ الْوَالِدِينَ، بَلِ الْبِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٩٢٣- سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَا دِ فَذَلِكَ مَوْلَى الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

٤٩٢٤- فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَلْ أَعْمَالٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

- ٤٩٢٥- وَتَفَاضُلُ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقْوُ
مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ
٤٩٢٦- حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا
فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بَعِيَانِ
٤٩٢٧- هَذَا وَيَبْتَنِيهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ وَفِي رُجْحَانِ
٤٩٢٨- وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا
رُتْبٌ مُضَاعَفَةٌ بِإِحْسَابَانِ
٤٩٢٩- هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَبِذَلِكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ٤٩٢٣- سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ ذِ ذَٰكَ مَوْلَى الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
قَوْلُهُ: «سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ»؛ يعني: تنزيهاً له حيث قَسَمَ الفضل
بين عباده، لم يقسمه عن عبث، ولكن عن حكمة، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ
يَعْمَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

- ٤٩٢٤- فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَلْ أَعْمَالِ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
إي والله، الفضل بحقائق الإيمان لا بصورة الأعمال، فالصورة على اسمها
صورة؛ ولهذا انظر إلى الخوارج فهم كفرٌ وهم يُصَلُّونَ أَحْسَنَ مِمَّا نُصَلِّي،
ويصومون، ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً، وصورة أعمالهم أحسن من صورة
أعمالنا؛ كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «يَحْقُرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ عِنْدَ
صَلَاتِهِمْ»^(١)، ومع ذلك هم من أبعد الناس عن رب العالمين، نسأل الله العافية.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٤)، ومسلم:
كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤).

وأما المنافقُ فقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]؛
أي: من حسنه، وهم أبعد الناس عن الإيمان.

٤٩٢٥- وَتَفَاضَلُ الْأَعْمَالُ يَتَّبِعُ مَا يَقُو مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ
اللَّهُمَّ حَقِّقْ لَنَا هَذَا الْبُرْهَانَ.

٤٩٢٦- حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بَعِيَانِ
قَوْلُهُ: «حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ...»؛ يعني: حتى تجدَّ الْعَامِلَيْنِ كِلَاهُمَا فِي رُتْبَةٍ
تبدو لنا بعيانٍ.

٤٩٢٧- هَذَا وَيَبْنِيهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ وَفِي رُجْحَانِ
تجد اثنين يُصَلِّيَانِ جَمِيعًا، بين كُلِّ واحدٍ وَالْآخِرِ فِي الْفَضْلِ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ
كما بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ وذلك لما يقومُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْإِيمَانِ
به وَالصَّدَقِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٤٩٢٨- وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا رُتْبٌ مُضَاعَفَةٌ بِإِلْحُسْبَانِ
نعم، يعملُ الْعَامِلَانِ الْعَمَلَ الْوَاحِدَ وَبَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ وَالْثَوَابِ عِنْدَ اللَّهِ
رُتْبٌ عَظِيمَةٌ مُتَبَايِنَةٌ.

٤٩٢٩- هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَبِذَلِكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعْطِينَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

فصل

فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

- ٤٩٣٠- يَا خَاطِبَ الْحُورِ الْحَسَانِ وَطَالِبَا
 ٤٩٣١- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبْتَ
 ٤٩٣٢- أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْتُ
 ٤٩٣٣- وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكَنِهَا فِإِنْ
 ٤٩٣٤- أَسْرِعْ وَحُثِّ السَّيْرَ جُهْدَكَ إِنَّمَا
 ٤٩٣٥- فَاعَشِقْ وَحَدِّثْ بِالْوِصَالِ النَّفْسَ وَوَلِّبْ
 ٤٩٣٦- وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْ
 ٤٩٣٧- وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرْ
 ٤٩٣٨- لَا يُلْهِئَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ
 ٤٩٣٩- فَلَقَدْ تَرَحَّلُ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَّةٍ
 ٤٩٤٠- سِجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لَـ
 ٤٩٤١- سُكَّانِهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا
 ٤٩٤٢- وَالذُّهُمُ عَيْشًا فَأَجْهَلُهُمْ بِحَقِّ
- لِوَصَالِهِنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 تَبَدَّلَتْ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَثْمَانِ
 تَتَّسَعَّى مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ
 رُمْتَ الْوِصَالَ فَلَا تُكُنْ بِالْوَانِي
 مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةً لِرِزْمَانِ
 نَذْلُ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
 مِ الْوِصَالِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ
 تَلَقَّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانِ
 أَيْدِي الْبَلَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ
 كِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ
 لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ
 قِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلِّ فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»
 أَفَادَنَا بِقَوْلِهِ: «فِيمَا أَعَدَّ» أَنَّ الْجَنَّةَ الْآنَ مَوْجُودَةٌ، وَهُوَ كَذَلِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وَأَفَادَنَا بِقَوْلِهِ: «لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ» أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ
 هُمُ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ثُمَّ قَالَ:

٤٩٣٠- يَا خَاطِبَ الْحَوْرِ الْحَسَانَ وَطَالِبًا لِيُوصَالِيَهُنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «الْحَوْرِ الْحَسَانَ» يَقُولُونَ: لَا تَكُونِ الْمَرْأَةُ حَوْرًا إِلَّا إِذَا ابْيَضَّ وَجْهُهَا
 وَأَسْوَدَّتْ عَيْنَاهَا، فَهُوَ سَوَادُ الْعَيْنَيْنِ فِي بِياضِ الْوَجْتَيْنِ، هَذَا هُوَ الْحَوْرُ^(١).

قَوْلُهُ: «وَطَالِبًا لِيُوصَالِيَهُنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ»؛ أَي: بِجَنَّةِ الْحَيَاةِ، فَالْحَيَوَانُ هُنَا
 بِمَعْنَى الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ؛ وَهَذَا جَاءَتْ فِيهَا الْأَلْفُ وَالنُّونُ إِشَارَةً إِلَى الْكثْرَةِ وَالسَّعَةِ
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْخَيْرُ مِنَ الدَّارِ الْأُولَى﴾ [العنكبوت: ٦٤].

قَوْلُهُ: «يَا خَاطِبَ الْحَوْرِ الْحَسَانَ...»، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ مِنَ الْمُؤَلِّفِ
 دَعْوَةٌ حَمِيدَةٌ، كُلُّ يَرِيدُهَا وَيُرِيدُ الْوَصُولَ إِلَيْهَا، لَكِنْ هُنَاكَ مَا هُوَ أَلْذُّ وَأَنْعَمُ مِنَ
 الْوَصَالِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْحَوْرِ، وَهُوَ الْوَصَالُ إِلَى رِضَا اللَّهِ وَرُؤْيَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَعَلَّ
 الْمُؤَلِّفَ سَيَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ، لَكِنْ ذَكَرَ هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ بَابِ التَّشْوِيقِ وَالْمَقْدِمَةِ.

(١) الْحَوْرُ - بِالتَّحْرِيكِ -: أَنْ يَشْتَدَّ بِيَاضُ بِيَاضِ الْعَيْنِ، وَسَوَادُ سَوَادِهَا، وَتَسْتَدِيرُ حَدَقَتُهَا، وَتَرْتَقِ
 جُفُوقُهَا وَيَبْيَضُّ مَا حَوَالَيْهَا، أَوْ الْحَوْرُ: شِدَّةُ بِيَاضِهَا وَشِدَّةُ سَوَادِهَا فِي شِدَّةِ بِيَاضِ الْجَسَدِ. انظُرْ:
 تاج العروس، مادة: حور.

٤٩٣١- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبَتْ وَمَنْ طَلَبَتْ بَدَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَثْمَانِ

صحيحٌ والله؛ يعني: لو لم يكن لأهل الجنة -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ- إِلَّا النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ لَكَفَى، وَالْإِنْسَانُ كُلُّهُ سَمِعَ مَا فِي النَّارِ -والعياذُ بالله- مِنَ الْعَذَابِ يَقُولُ: «لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي» خَوْفًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي مَاذَا يُحْتَمُّ لَهُ؟ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ مَصِيرُهُ؟ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ أَهْلَهَا سَلِمُوا مِنَ الْعَذَابِ فَكَيْفَ وَفِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؟! اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ سَاكِنِيهَا.

فلو كُنَّا نَدْرِي لَبَدَّلْنَا كُلَّ مَا نَحْوِيهِ مِنَ الْأَثْمَانِ وَمِنَ الْأَعْمَالِ، وَنَحْنُ فِي الْحَقِيقَةِ نَدْرِي، وَلَكِنَّا لَا نَدْرِي عَنِ حَقِيقَةِ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ، نَدْرِي أَنَّهُنَّ حَوْرٌ حَسَانٌ، خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، وَأَنَّهِنَّ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ، وَأَنَّهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ؛ وَهَذَا تَأَمَّلُوا الْآيَاتِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ «الرَّحْمَنِ»، لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ فَفَرَّقَ بَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ فَقَالَ فِي الْأُولَى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ دُونََ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٥٢]، وَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٦٦]، وَقَالَ: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٦٨]، فَهِيَ دُونَ الْأُولَى، لَكِنْ فِي النِّسَاءِ قَالَ فِي كُلِّ الْأَرْبَعِ: ﴿فِيهِنَّ﴾، فَقَالَ فِي الْأُولَى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٥٦]، وَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَانٌ﴾ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حَوْرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٧٠-٧٢]، وَالْفَرْقُ بَيْنَ «الْخَيْرَاتِ» وَ«الْحَسَانِ» أَنَّهُنَّ خَيْرَاتٌ فِي أَخْلَاقِهِنَّ، وَحَسَانٌ فِي خَلْقَتِهِنَّ، فَالْخَلْقَةُ حَسَنَةٌ، وَالطَّبَعُ جَمِيلٌ خَيْرٌ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا.

فهو يقول: لو كنت تدري ما فعلت، نحن ندري لكننا لا ندري عن الحقيقة، حقيقة ما بالجنة لا يعلمه أحد؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمُ

مَنْ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴿ [السَّجْدَة: ١٧]، ثُمَّ إِنَّ عَمَلْنَا - نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ - عَمَلٌ مَنْ كَانَ جَاهِلًا حَتَّى فِي مَعْنَاهُ، عَمَلْنَا عَمَلُ الْجَاهِلِ؛ وَهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥]، فَأَكَّدَ الْمَوْتَ بِ«إِنَّ» وَ«اللَّامِ» مَعَ أَنَّهُ وَاضِحٌ، فَكُلُّهُ يُقَرَّبُ بِهِ؛ لِأَنَّ عَمَلَ النَّاسِ عَمَلٌ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ وَمَنْ يَسْتَبَعِدُ هَذَا؛ لِذَلِكَ نَحْنُ نَعْلَمُ مَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ النَّعِيمِ، لَكِنْ كَأَنَّ جَاهِلُونَ لَمْ نَعْمَلْ لَهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ.

٤٩٣٢- أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكِنُهَا جَعَلْتِ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ

السَّعْيُ لِلْمَحْبُوبِ الْمَطْلُوبِ عَلَى الْأَقْدَامِ، لَكِنْ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكِنُهَا؟ مَسْكِنُهَا فِي جَنَاتِ عَدْنٍ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ، أَعْظَمُ مَسْكِنٍ وَأَعْلَى مَسْكِنٍ وَأَطْيَبُ مَسْكِنٍ، لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْمَسْكِنَ لَجَعَلْتِ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ؛ أَي: أَجْفَانِ الْعَيُونِ الَّتِي هِيَ أَرْقُ شَيْءٍ فِي الْإِنْسَانِ لَا عَلَى الْأَقْدَامِ، وَلَكِنْ تَتَحَمَّلُ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ بِالسَّعْيِ عَلَى الْأَجْفَانِ مِنْ أَجْلِ الْوَصُولِ إِلَى هَذَا الْمَسْكِنِ.

٤٩٣٣- وَلَقَدْ وَصَفْتَ طَرِيقَ مَسْكِنِهَا فَإِنْ رُمْتَ الْوِصَالَ فَلَا تَكُنْ بِالْوَانِي

قَوْلُهُ: «لَا تَكُنْ بِالْوَانِي»؛ أَي: بِالضَّعِيفِ فِي الطَّلَبِ، اسْعَ عَلَى وَجْهِ الْقُوَّةِ فِي الطَّلَبِ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ نَبِيُّنَا وَإِمَامُنَا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ»^(١)، لَا تَعْتَمِدْ عَلَى نَفْسِكَ فَتُخْذَلْ، اسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ مَطْلُوبِكَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم (٢٦٦٤).

٤٩٣٤- أَسْرِعْ وَحُثَّ السَّيْرَ جُهْدَكَ إِنَّمَا مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةً لِيَزْمَانَ

الله أكبر، نعم، كُلُّ الدُّنْيَا سَاعَةٌ مِنْ زَمَانٍ، لَوْ جَعَلْتَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ كُلَّهُ عَمَلًا لَلْوَصُولِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ لَانْقَضَى بِسُرْعَةٍ وَكَأَنَّهُ لِحِظَاتٌ، سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: «إِنَّمَا مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِيَزْمَانَ».

٤٩٣٥- فَأَعَشَقْتُ وَحَدَّثْتُ بِالْوِصَالِ النَّفْسَ وَلَبَّ سُدْلٌ مَهْرَهَا مَا دُمْتُ ذَا إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «أَعَشَقْتُ»؛ يَعْنِي: كُنَ بِالنَّسْبَةِ لِهَذِهِ الْحَوْرِ مُحِبًّا شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ، وَالْإِنْسَانَ بِلَا عِشْقٍ لَا يَتَحَرَّكُ، فَيَبْعُدُ عَلَى إِنْسَانٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً وَهُوَ لَمْ يُحِبَّهَا وَلَمْ يَعَشَقْهَا، وَالْعِشْقُ مِنْ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ، وَأَعْلَى أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ الْخُلَّةُ، وَهَذَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ خَلِيلًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا رَجُلَيْنِ اثْنَيْنِ؛ وَهُمَا: إِبْرَاهِيمُ، وَمُحَمَّدٌ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَسَلَامُهُ.

أَمَّا نَحْنُ فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مَتَّخِذِينَ مُحَمَّدًا خَلِيلًا لَنَا، لَكِنْ كَوْنُ بَعْضِنَا يَجْعَلُ نَفْسَهُ خَلِيلًا، فَفِي هَذَا نَظْرٌ؛ لِأَنِّي أَخْشَى أَنْ تَتَطَوَّرَ هَذِهِ الْخُلَّةُ حَتَّى تَكُونَ مَحَبَّةً مَعَ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَتْ مَحَبَّةً مَعَ اللَّهِ -أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ- صَارَتْ نَوْعًا مِنَ الشَّرْكِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فَالْإِنْسَانُ يُحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَلَا يَتَّخِذَ خَلِيلًا مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا مُحَمَّدًا ﷺ وَمَنْ اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا؛ وَهَذَا يَقُولُ أَبُو هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا»^(١).

(١) كما في حديث: «أوصاني خليلي بثلاث: ركعتي الضحى، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأن أوتر قبل أن أنام». أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب صلاة الضحى في الحضر، رقم (١١٧٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم (٧٢١).

قَوْلُهُ: «وَحَدَّثَ بِالْوَصَالِ النَّفْسَ وَابْدُلْ مَهْرَهَا» أَيضًا حَدَّثَ بِالْوَصَالِ، أَمَا أَنْ تَعشَقَ وَلَا تُحَدِّثَ نَفْسَكَ بِالْوَصَالِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ لَمْ تَسْعَ لِلْوَصَالِ، فَلَوْ أَنَّ شَخْصًا عَشَقَ امْرَأَةً، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ خَطَبَهَا مِنْ أَهْلِهَا مَا أَجَابُوهَا وَلَا أَجَابَتْ هِيَ، هَلْ يَعْمَلُ لِهَذَا أَوْ لَا يَعْمَلُ؟ الْجَوَابُ: لَا يَعْمَلُ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ عَمَلَهُ ضَائِعٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَحَبَّةً وَتَحْدِيثُ النَّفْسِ بِأَنَّ هَذَا الْمَحْبُوبَ سَيَحْصُلُ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْعَى وَلَنْ تَعْمَلَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «وَابْدُلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانٍ»، لَكِنْ مَا هُوَ مَهْرُهَا؟ الْجَوَابُ: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَيْهِ.

٤٩٣٦- وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْمَ الْوَصْلِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ

اللهُ أَكْبَرُ، اجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ أَنْ تَلْقَاهَا؛ لِأَنَّكَ إِنْ مَتَّ قَبْلَ أَنْ تَصُومَ عَنِ الْمَعَاصِي مَا وَصَلَتْ إِلَيْهَا، فَصُمْ عَنِ الْمَعَاصِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَلْقَاهَا، وَيَكُونُ الْفِطْرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «يَوْمَ الْوَصْلِ».

٤٩٣٧- وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرَّ تَلَقُّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ

قَوْلُهُ: «وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي»، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَصَلَ إِلَى نُعُوتِ الْجَمَالِ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيَيْنِ «الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي كِتَابِهِ: «حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ» مِنْ أَوْصَافِ الْحَوْرِ مَا يَكْفِي لِمَنْ لَهُ هِمَّةٌ أَنْ يَعْمَلَ لِلْوَصَالِ إِلَيْهِنَّ.

قَوْلُهُ: «وَسِرَّ تَلَقُّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ»؛ يَعْنِي: تَلَقُّ الْمَخَافِ فِي سِيرِكَ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ حُقِّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَالْإِنْسَانُ لَا تَطِيعُهُ نَفْسُهُ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ الطَّاعَةِ، لَكِنْ لِيَصْبِرَ وَيَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي وَيَذْهَبُ كُلُّ شَيْءٍ، لَكِنْ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقُولُ: «تَلَقُّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ»، فَمَنْ

خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ ^(١) بَلَغَ الْمَنْزِلَةَ ^(٢).

٤٩٣٨- لَا يُلْهِئَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ أَيْدِي الْبَلَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «لَا يُلْهِئَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ»؛ يعني بهذا المنزِل: الدنيا.

قَوْلُهُ: «الْبَلَى»؛ يعني: الفناء والتلف.

قَوْلُهُ: «لَعِبَتْ بِهِ مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ»؛ أي: ممّا مضى.

لا تلهيك الدنيا عن الآخرة، فإنما ترك الناس لك الدنيا بعد أن غادروها
وبعد أن أفسدوها أو أفسدتهم ولم يبق إلا الحُثالة.

٤٩٣٩- فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَّةٍ وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ

يعني: أن هذه الدنيا لا تدوم مسراتها، بل تتبدل بالأحزان، يقول الشاعر:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ ^(٣)

ويقول الآخر:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مُنْغَصَّةً لِدَّائِهِ بِادِّكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ ^(٤)

وصدق الأول والثاني، فلا يكاد يمرُّ بك يومان وأنت مسرورٌ لم يُنغصك

(١) أَدْلَجَ - بالتخفيف - إذا سار من أول الليل، وأدْلَجَ - بالتشديد - إذا سار من آخره، والاسم
منهما الدَّلْجَةُ والدَّلْجَةُ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ. انظر: البداية والنهاية، مادة: دلج.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، بعد باب ما جاء في صفة أواني الحوض،
رقم (٢٤٥٠).

(٣) البيت للنمر بن تولب، كما في زهر الأكم، لنور الدين اليوسي (٣/ ١٣٥).

(٤) البيت في توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمراذي بلا نسبة (٣/ ١٦٧٨).

شيء؛ إمّا من خاصّة نفسك أو من أهلك أو من أصحابك أو من المجتمع، كلُّ إنسانٍ قلبه حيٌّ لا بُدَّ أن ينال هذا.

ولو فُرِضَ أنَّ الإنسانَ في أطيبِ ما يكونُ من العيشِ وأبعدِ ما يكونُ عن المشاكلِ فهو إذا فكَّرَ ساعةً ما المآلُ؟

المآلُ أحدُ أمرين: إمّا موتٌ أو هَرَمٌ، إن ماتَ فقد فُتَّ، وإن هَرمتَ فقد تَعَبَتَ أنتِ وأتَعَبَتِ؛ ولهذا تجدُّ أنَّ الهرمَ الذي يصلُّ إلى حدِّ الهذيانِ يَمَلُّ منه أهله، يضعونه في زاويةٍ من البيتِ يتكلَّمُ ويصيحُ ومع ذلك لا يحويه أحدٌ.

٤٩٤٠- سَجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيْمَانِ لَـ كِنِ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ
قَوْلُهُ: «سَجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيْمَانِ» وهذا صحيحٌ، فالمؤمنُ سجنه الدنيا لوجهين:

الوجهُ الأوَّلُ: أنَّه لا يرى فيها ما يسرُّه من حيثِ الإيْمَانِ والعملِ الصَّالِحِ إلَّا نادراً.

الوجهُ الثَّاني: أنَّه يرتقبُ داراً أنعمَ وأكملَ وأطيبَ من هذه الدنيا، يقولُ اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلٰٓئِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢]، في حالِ الموتِ يُتَوَفَّوْنَ طَيِّبِينَ، اللَّهُمَّ اجعلنا منهم، وتقولُ لهم الملائكةُ: «سلامٌ عليكم ادخلوا الجنة الآن»؛ ولهذا إذا وُضِعَ الإنسانُ في قبره وسُئِلَ، انفتحت له أبوابٌ إلى الجنة، فهذه الدنيا سجنُ المؤمنِ لا شكَّ.

قَوْلُهُ: «لَكِنِ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ»؛ يعني: الدنيا جَنَّةٌ للكافرِ؛ لأنَّها بالنسبةِ لما يلقاه من العذابِ جَنَّةٌ، ولأنَّ الكافرَ لا يتقيَّدُ بشيءٍ، كلُّ شيءٍ حلالٌ؛

يزني، ويسرق، ويشرب الخمر، ويلبس الحرير، يفعل كل شيء، فهو مُنعم نفسه، فهي له جنة، وليس له جنة في الآخرة، ولكن للمؤمن سجن.

يُقال: إن قاضي القضاة - كما يصفونه - ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - في مصر، وكان إذا أتى من بيته إلى العمل أو ذهب يميناً وشمالاً يركب العربة، والعربة في ذلك الوقت بمنزلة السيارة عندنا.

العربة تجرّها البغال أو الخيل ويحيط الناس به، فمر ذات يوم يهودي يبيع الزيت، وكل ثيابه مُدَنَسَةٌ بالزيت، فأوقفه اليهودي وقال: إن نبيكم يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(١)، وأنت الآن فيما أنت فيه من التعميم في الدنيا، وترى ما أنا فيه من البؤس؛ لأنه زيات، قال: نعم، صدق رسول الله، ما أنعم به من الدنيا هو بالنسبة لنعيم الآخرة سجن، وما أنت فيه من البؤس في الدنيا هو بالنسبة لعذاب الآخرة نعيم، قال: صحيح؟ قال: نعم، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وهذا هو الحق، الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

٤٩٤١- سُكَّانُهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ

قوله: «سكّانها»؛ أي: سُكَّانُ الدُّنْيَا «أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَالَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ»، نسأل الله العافية.

وابن القيم - رحمه الله - يأخذ بالعموم دائماً، سُكَّانُ الدُّنْيَا هم أهل الجهالة ليس عندهم علم، أهل البطالة ليس عندهم عمل، أهل السفاهة ليس عندهم حكمة، «أنجس السكّان» ليس فيهم طهارة، لكن لعله - رحمه الله - يريد سُكَّانَهَا الذين آثروها على الآخرة، يجب أن يكون هذا مراده؛ لأنه لا يريد سُكَّانَ الدُّنْيَا،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٥٦).

فَسُكَّانُ الدُّنْيَا فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ، فِيهَا الصَّادِقُونَ، فِيهَا الشُّهَدَاءُ، فِيهَا الصَّالِحُونَ، لَكِنْ يَرِيدُ سُكَّانَهَا الَّذِينَ آثَرُوا عَلَى الْآخِرَةِ بِلَا شَكٍّ.

٤٩٤٢- وَالَّذُهُمْ عَيْشًا فَأَجْهَلُهُمْ بِحَقِّهِ — قِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ

الجاهل بالله وبحقائق الإيمان هذا الذم عيشًا؛ لأنه ميئ القلب، لا يبحث في أسماء الله، ولا في صفات الله، ولا في أحكام الله، ولا في الإيمان، ولا في الأعمال، فهو بهيمة، بل هو أضل من البهيمة.

٤٩٤٣- عُمِرَتْ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ رُبُوعُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

٤٩٤٤- قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا أَلْ فَنَانِي عَلَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ

٤٩٤٥- صَحِبُوا الْأَمَانِي وَابْتَلُوا بِحُظُوظِهِمْ وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ

٤٩٤٦- كَذْحًا وَكَدًّا لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانِ

٤٩٤٧- وَاللَّهُ لَوْ شَاهَدَتْ هَاتِيكَ الصُّدُورُ رَرَأَيْتَهَا كَمَرَا جِلِّ النَّيْرَانِ

٤٩٤٨- وَوَقُودُهَا الشَّهَوَاتُ وَالْحَسْرَاتُ وَالْآلَامُ لَا تَخْبُو مَدَى الْأَرْمَانِ

٤٩٤٩- أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النَّفُوسِ سِ اللِّاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ

٤٩٥٠- أَرْوَأْحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ فِي كَذْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

٤٩٥١- هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

٤٩٥٢- لَا تَرْضَى مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنَفْسِهِمْ فَقَدِ ارْتَضُوا بِالذَّلِّ وَالْحِرْمَانِ

- ٤٩٥٣- لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الكُفْرَانِ
٤٩٥٤- لَكِنَّهَا وَاللهَ أَحَقُّرُ عِنْدَهُ
مِنْ ذَا الجَنَاحِ القَاصِرِ الطَّيْرَانِ
٤٩٥٥- وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَن أَصْحَابِهَا
فَالسَّعْدُ مِنْهَا حَلٌّ فِي الدَّبْرَانِ
٤٩٥٦- لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الوَفَاءُ لِصَبِّهَا
أَيْنَ الوَفَاءِ مِنْ غَادِرِ خَوَّانِ
٤٩٥٧- طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ فَكَيْفَ تَنَالُهَا
صَفْوًا أَهَذَا قَطُّ فِي الإِمْكَانِ
٤٩٥٨- يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأَهَّبْ لِلَّذِي
قَدْ نَالَهُ العُشَاقُ كُلَّ زَمَانِ
٤٩٥٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَى رَأَيْتَ مَصَارِعَ الأُ
عُشَاقِ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ

الشرح

٤٩٤٣- عُمِرَتْ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ رُبُوعُ العِلْمِ وَالإِيمَانِ
قوله: «عُمِرَتْ بِهِمْ»؛ أي: بسكان الدنيا الذين آثروها على الآخرة.

٤٩٤٤- قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا أَلْفَانِي عَلَى الجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
ولذلك لا يهتمهم العمل الصالح ولا الإيمان، وإنما يهتمهم لذاتهم في هذه الدنيا.

واعلم أن الحياة الطيبة لا تقتضي كثرة المال ولا كثرة الأولاد ولا القصور المشيدة، بل الطيبة ما طاب عيش صاحبها ولو كان أفقر الناس؛ ولهذا لم يقل الله عز وجل: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُزِقْنَهُ بِكثرة أولاده، وكثرة ماله، وبتحسين مسكنه، بل قال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]؛

ولهذا أحياناً تجد المؤمن التقي ولو كان من أفقر عباد الله تجده من أطيب الناس قلباً.

٤٩٤٥- صَحِبُوا الْأَمَانِيَّ وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

يعني: أنهم عاشوا على الأمانى، وليس عندهم إلا هذا، وقد قال النبي ﷺ: «العاجزُ من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى»^(١)، ومن ذلك أن منهم من إذا نصحته وقلت له: «أتق الله، أذ ما عليك»، قال: الله غفورٌ رحيمٌ، أو تلا عليك هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وكأنه لم يفهم قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ لأننا نقول له: ما الذي أعلمك أنت أنك ممن شاء الله أن يغفر له؟ إن الله لم يقل: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ فقط، لو قال ذلك لكننا نقول: نعم، افعل ما شئت إلا الشرك، لكنه قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ حسب ما تقتضيه حكمته، ولست أنت على جزمٍ بأنك ممن يغفر له، فأنت مطمئن على الله الأمانى.

٤٩٤٦- كَدْحًا وَكَدًّا لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانٍ

يعني: أنهم يكدحون ويعملون ويكدون ويتعبون أنفسهم، ومع ذلك قلوبهم مملوءة من الغم والحزن.

٤٩٤٧- وَاللَّهُ لَوْ شَاهَدَتْ هَاتِيكَ الصُّدُورُ رَأَيْتَهَا كَمَرَجِلِ النَّيْرَانِ

قوله: «كمرَجِلِ النَّيْرَانِ» المرَجَل: القدر على النار، مؤقَّد تسمع له أزيزاً وصوتاً.

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آنية الحوض، رقم

فقلوبهم - والعيادُ بالله - مثل مراجلِ النيرانِ لما فيها من الحرِّ والغمِّ والهمِّ؛ ولذلك نحن نقولُ: هؤلاء الكفرةُ من الغربيين وغير الغربيين لا تظنُّوا أنَّهم في نعيمٍ، والله إنَّهم في جحيمٍ، قلوبهم الآن ملاءى من الجحيمِ، مهما زانتَ لهم الدنيا فهم في جحيمٍ، لكنَّهم يعزُّوننا بما يدَّعون أنَّهم فيه من النعيمِ، ونظنُّ أنَّ هذا حقيقةٌ.

لكن لو نظرتَ إلى قلوبهم لوجدتَ نيرانًا تتلظى من الهمِّ والغمِّ والتَّحسُّرِ، تجدُ الواحدَ منهم يُفكِّرُ: هل سيبقى ماله له؟ هل سيبقى هذا التَّمتعُ له أو سيزولُ؟ لأنَّه يرى النَّاسَ تحصدُهم المنايا عن يمينه وشماله، فتجده كُلُّما ازداد نعيمًا ازدادت حسرته؛ خوفًا من أن يزولَ هذا النعيمُ.

٤٩٤٨- وَقُوْدُهَا الشَّهَوَاتُ وَالْحَسَرَاتُ وَالْآلَامُ لَا تَخْبُو مَدَى الْأَزْمَانِ

يعني: الذي تُوقدُ به هذه الأنواعُ شهواتٍ وحسراتٍ على ما فاتهم من الدنيا، كُلُّ واحدٍ يريدُ أن يكونَ مثلَ الثَّاني، إذا فاته ما للثَّاني ازداد همًّا وغمًّا وحسرةً، والآلامُ القلبيةَّةُ والبدنيَّةُ لا تخبو مدى الأزمانِ.

٤٩٤٩- أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النُّفُوسِ سِ اللّاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ قَوْلُهُ: «أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ»؛ أي: قبورٌ.

أبدانهم هي قبورُ هذه الأرواحِ الخبيثةِ التي ليس عندها إلا الهمومُ والأحزانُ. ٤٩٥٠- أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ فِي كَدْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فِي كَدْحِهَا»، وفي نسخةٍ: «فِي كَدِّهَا»، والوزنُ لا يختلفُ، وكذلك المعنى.

أرواحهم في وحشة؛ لأنهم لم تأنس بالله عز وجل، ولم تأنس بما ترجوه من رحمته، فهي في وحشة من الله وفي وحشة من عباد الله؛ ولهذا قس نفسك الآن إذا فعلت معصية تجد أنك تستوحش من الناس وكأن الناس يقرؤونها على صفحات وجهك، فتجد أنك خجلان حتى لو لم يعلم عنك الناس شيئاً، حتى لو كنت في بيت مظلم لا يعلم بك أحد، إذا فعلت المعصية فإنك تخجل من الناس، وكأنك إذا شاهدتهم كأنها تقول: إنهم يقرؤونها في جيبك.

٤٩٥١- هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبَلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

قوله: «هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ» ما هو الرق الذي خلقنا له؟ الجواب: الرق لله عز وجل بأن نكون عبيداً له، ونسأل الله أن يجعلنا عبيداً له.

قوله: «فَبَلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ» صاروا عبيداً لنفوسهم وللشيطان، أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟! هربوا من الرق الذي يُعتبر حرية لهم وهو عبودية الله إلى رِقِّ الشيطان الذي هو الذل والخسارة في الدنيا والآخرة.

«وهذا البيت لو كُتِبَ بَاءِ الذَّهَبِ لَكَانَ رَخِيصًا».

٤٩٥٢- لَا تَرْضَ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنَفْسِهِمْ فَقَدِ ارْتَضَوْا بِالذُّلِّ وَالْحِرْمَانِ

نعم، العاقل لا يرضى بما رضى به هؤلاء لنفوسهم، وإنما يرضى بما رضى به الرسل وأتباعهم، جعلنا الله وإياكم منهم.

٤٩٥٣- لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الكُفْرَانِ

وذلك كما جاء في الحديث: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا

سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ^(١)؛ إِذِ إِنَّ الْكَافِرَ لَيْسَ أَهْلًا مَعَ أَنَّ اللَّهَ يُنْعِمُ الْكَافِرَ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ شَيْئًا عِنْدَ اللَّهِ.

٤٩٥٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهُ أَحَقُّرُ عِنْدَهُ مِنْ ذَا الْجَنَاحِ الْقَاصِرِ الطَّيْرَانِ

الدُّنْيَا أَحَقُّرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ؛ وَهَذَا إِذَا صَلَّى الْإِنْسَانُ رَكَعَتِي الْفَجْرِ صَارَ ذَلِكَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(٢)، كُلُّ الدُّنْيَا مِنْذُ خُلِقَتْ إِلَى أَنْ تَفْنَى، هَاتَانِ الرَّكَعَتَانِ خَيْرٌ مِنْهَا، كَمْ تَسْتَوْعِبُ الرَّكَعَتَانِ مِنَ الزَّمَنِ؟ خَمْسُ دَقَائِقَ بِالْوُضُوءِ، خَمْسُ دَقَائِقَ تَسَاوِي الدُّنْيَا كُلَّهَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا، إِذِنَّ الدُّنْيَا لَا تَسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا.

٤٩٥٥- وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا فَالَسَّعْدُ مِنْهَا حَلٌّ فِي الدَّبْرَانِ

تَوَلَّتْ عَنْ أَصْحَابِهَا حَقِيقَةً أَوْ حَكْمًا؛ حَقِيقَةً: إِذَا كَانَ صَاحِبُهَا فَقِيرًا، وَعِنْدَنَا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حِظٌّ؛ قَالُوا: «هَذَا مَثَلُ فَقِيرِ النَّصَارَى لَا دُنْيَا وَلَا دِينَ»، فَهِيَ تَوَلَّتْ عَنْ أَصْحَابِهَا حَقِيقَةً إِذَا كَانُوا لَمْ يُنْعَمُوا فِيهَا، أَوْ حُكْمًا: إِذَا كَانُوا قَدْ نُعِمُوا فِيهَا؛ لِأَنَّهُمْ سَيُفَارِقُونَ هَذَا النَّعِيمَ عَن قُرْبٍ.

٤٩٥٦- لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصَبِّهَا أَيْنَ الْوَفَاءِ مِنْ غَادِرٍ خَوَّانِ

قَوْلُهُ: «لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصَبِّهَا» «صَبِّهَا»: أَي: مُحِبِّهَا.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، رقم (٢٣٢٠)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم (٤١١٠).

(٢) دليله قوله ﷺ: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليها وتخفيفها، والمحافظة عليها، رقم (٧٢٥).

قَوْلُهُ: «أَيْنَ الْوَفَاءِ مِنْ غَادِرِ خَوَّانٍ؟!» الجوابُ: لا يُوجَدُ، الغادرُ الخَوَّانُ لا يمكنُ أن يفِي لك.

فالدُّنيا لا يُرْتَجَى منها الوفاءُ لمن يُحْبُونَهَا ويقدمونها على الآخرة، بل بالعكس، أين الوفاءُ من غادرِ خَوَّانٍ؟!

٤٩٥٧- طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ فَكَيْفَ تَنَالَهَا صَفْوًا أَهَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «فَكَيْفَ تَنَالَهَا صَفْوًا أَهَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ؟!» الجوابُ: لا، مَا دَامَتْ طَبِيعَتُهَا الْكَدَرُ فَكَيْفَ تَصْفُو؟! وكان شيخُ الإسلام -رحمه الله- يتمثلُ كثيرًا بهذين البيتين:

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

وهذان بيتان عظيمان يُسَلِّي بهما الإنسانُ نفسه، الذي يتطلَّبُ في الماءِ جذوةَ نارٍ لا يمكنُ أن يجدَ شيئًا، حتَّى جذوةَ النَّارِ في الماءِ تنطفئُ لا تبقى أبدًا.

يقولُ صاحبُ «الفروع»^(١) رحمه الله: «وكان شيخنا يتمثلُ بهذين البيتين كثيرًا»، شيخه مَنْ؟ ابنُ تيميةَ رحمه الله، ولقد نالَ من الكَدَرِ ما لم ينله أحدٌ من النَّاسِ إِلَّا قليلًا، لكن هذا الكَدَرُ الذي ناله صارَ صَفْوًا، فقد صارَ إمامًا للنَّاسِ إلى اليومِ، فإلى اليومِ النَّاسُ يقتدون به، ويأخذون بأقواله، رحمه الله، وألْحَقْنَا وَإِيَّاكُمْ به وبالصَّالحين.

(١) انظر: الفروع لابن مفلح الحنبلي (٣/ ٤٠٠).

٤٩٥٨- يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأْهَبُ لِلَّذِي قَدْ نَالَهُ العُشَاقُ كُلَّ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «تَأْهَبُ لِلَّذِي قَدْ نَالَهُ العُشَاقُ كُلَّ زَمَانٍ» ما هو؟ الجوابُ: الموتُ.

يقولُ: تَأْهَبُ لهذا، لو بَقِيَتْ ما بَقِيَتْ فِي الدُّنْيَا فَالرَّحِيلُ.

٤٩٥٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَى رَأَيْتَ مَصَارِعَ الـ عُشَاقِ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَى رَأَيْتَ مَصَارِعَ العُشَاقِ؟» الجوابُ: بَلَى، رَأَيْنَا الدُّنْيَا

يَمُوتُ فِيهَا الكَبِيرُ وَيَمُوتُ فِيهَا الشُّبَّانُ، وَيَمُوتُ فِيهَا الكَهُولُ، وَيَمُوتُ فِيهَا الأَغْنِيَاءُ، وَيَمُوتُ فِيهَا الفُقَرَاءُ، وَليست شَيْئًا مَقَرَّرًا أَنَّ النَّاسَ يَصِلُونَ إِلَى حَدِّ مَعِينٍ مِنَ العَمْرِ، بَلْ تَجِدُ الرَّجُلَ يَدْفِنُ أَوْلَادَهُ وَأَوْلَادَ أَوْلَادِهِ وَيَبْقَى حَيًّا، أَوْ بالعَكْسِ، وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهِدٌ؛ وَلهَذَا لَمَّا قَالَ: «أَوْ مَا سَمِعْتَ» قَالَ: «بَلَى رَأَيْتَ»، وَالرُّؤْيَا أبلغُ مِنَ السَّمْعِ، وَصَدَقَ، نَحْنُ نَرَى وَنَسْمَعُ مَصَارِعَ النَّاسِ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانٍ، وَأَتَمُّ لَنْ يَبْقُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَاعتبر بها حَصَلَ، أَحْسَنَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ الخاتمة.

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله - ذو الفضل والمنة -
لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

- ٤٩٦٠- فاسمع إذا أوصافها وصفات ها تيك المنازل ربة الإحسان
٤٩٦١- هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان
٤٩٦٢- دار السلام وجنة المأوى ومنه زل عسكر الإيمان والقرآن
٤٩٦٣- فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي العفران

الشرح

وهذه الآيات واضحة المعنى.

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

- ٤٩٦٤- دَرَجَاتُهَا مِئَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْ
 ٤٩٦٥- مِثْلَ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هـ
 ٤٩٦٦- لَكِنَّ عَالِيَهَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ مَنْسُ
 ٤٩٦٧- وَسَطَ الْجَنَانِ وَعُلُوُّهَا فَلِذَلِكَ كَا
 ٤٩٦٨- مِنْهُ تَفَجَّرُ سَائِرُ الْأَنْهَارِ فَالْ
- نِ فَذَاكَ فِي التَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ
 لِي الْأَرْضِ قَوْلُ الصَّادِقِ الْبُرْهَانَ
 قُوفٌ بِعَرْشِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
 نَتْ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ
 مَنبُوعٌ مِنْهُ نَازِلٌ بِجَنَانِ

الشرح

- ٤٩٦٤- دَرَجَاتُهَا مِئَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْ
 ٤٩٦٥- مِثْلَ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هـ
 يَنَّ الْمَوْلُفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ مِئَةٌ، وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ فَذَاكَ فِي
 التَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ مِثْلَ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَالَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ خَمْسُمِئَةٌ عَامٍ، فَإِذَا كَانَتْ مِئَةٌ، وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ وَالْأُخْرَى خَمْسُمِئَةٌ، يَكُونُ
 الْجَمِيعُ خَمْسِينَ أَلْفًا.

٤٩٦٦- لَكِنَّ عَالِيَهَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ مَسْدٌ قُوفٌ بِعَرْشِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

يعني: أَنَّ السَّقْفَ هُوَ عَرْشُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَرْشُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَلَى سَمَاوَاتِهِ مِثْلُ الْقُبَّةِ؛ أَي: مِثْلُ الْحَيْمَةِ.

٤٩٦٧- وَسَطُ الْجَنَانِ وَعُلْوَهَا فَلِذَلِكَ كَمَا نَتُّ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَسَطُ الْجَنَانِ»؛ يَعْنِي: هُوَ وَسَطُ الْجَنَانِ.

قَوْلُهُ: «فَلِذَلِكَ كَانَتْ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ»؛ يَعْنِي: كَانَتْ الْفِرْدَوْسُ

-جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا- مِثْلَ الْقُبَّةِ الَّتِي فَوْقَهَا عَرْشُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٩٦٨- مِنْهُ تَفَجَّرُ سَائِرُ الْأَنْهَارِ قَالَ مَمْبُوعٌ مِنْهُ نَازِلٌ بِجَنَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْهُ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «مِنْهَا».

فصل

في أبواب الجنة

- ٤٩٦٩- أَبْوَابُهَا حَقُّ ثَمَانِيَةَ أَتَتْ فِي النَّصِّ وَهِيَ لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ
 ٤٩٧٠- بَابُ الْجِهَادِ وَذَلِكَ أَعْلَاهَا وَبَابُ الصَّوْمِ يُدْعَى الْبَابُ بِالرِّيَّانِ
 ٤٩٧١- وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالِحٍ بَابٌ وَرَبُّ بَابُ السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بِأَمَانِ
 ٤٩٧٢- وَلَسَوْفَ يُدْعَى الْمَرْءُ مِنْ أَبْوَابِهَا جَمْعًا إِذَا وَفَى حُلَى الْإِيمَانِ
 ٤٩٧٣- مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذَا كَ خَلِيفَةُ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

الشرح

هذا الذي ذكره المؤلف - رحمه الله - صريح، وفيه أحاديث رواها البخاري وغيره.

قوله: «أبوابها حق ثمانية أتت في النص»؛ والدليل على أن أبواب الجنة ثمانية: ما جاء في النص من الكتاب والسنة: أما في السنة فواضح؛ كقول النبي ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»^(١)، هذا في الحديث، أما في القرآن فقال بعض النحويين إن الواو في قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء، رقم (٥٥).

جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴿ [الزمر: ٧٣] لِلثَّانِيَةِ، فَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةُ
وَتَأْمَنُ مِنْهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]، لَكِنَّ هَذَا قَوْلٌ ضَعِيفٌ جَدًّا؛ فَالْوَاوُ لَا تَأْتِي لِلثَّانِيَةِ
وَلَا لِلسَّبْعَةِ، بَلْ مَعَانِيهَا مَعْرُوفَةٌ، فَالصَّوَابُ أَنَّهَا عَلِمَتْ بِالنَّصِّ النَّبَوِيِّ.

قَوْلُهُ: «مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ»؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَأَنَّ
لِكُلِّ بَابٍ دَاخِلَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا
رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَيَّ مِنْ دُعَايٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضُرُورَةٍ»؛ يَعْنِي: أَنْ يُدْعَى
الْإِنْسَانُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ فَهَذَا لَيْسَ فِيهِ إِشْكَالٌ، لَكِنْ «فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ
الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(١)، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ.

فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَزِيدُ عَلَى غَيْرِهِ مَنَّمَنْ بُشِّرَ بِالْجَنَّةِ أَنَّهُ يُشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ يُدْعَى
مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ كُلِّهَا «أَقْبَلْ أَقْبَلْ»، وَلَكِنْ يُقَالُ: أَلَيْسَ الْمُسْلِمُ يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيُحْجُّ
وَيُجَاهِدُ وَيَتَصَدَّقُ فَكَيْفَ يُقَالُ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
الْجِهَادِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ...» الْخ؟

الْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: مَنْ كَانَ أَكْثَرَ عَمَلِهِ وَأَحْسَنُ عَمَلِهِ الصِّيَامِ مِثْلًا دُعَايٍ مِنْ
بَابِ الصِّيَامِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ آخَرُ لَهُ بَابٌ، وَمَنْ كَانَ أَكْثَرَ عَمَلِهِ وَأَحْسَنُهُ
الصَّدَقَةَ دُعَايٍ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَإِنْ كَانَ لَهُ صِيَامٌ وَلَهُ صَلَاةٌ، وَمَنْ كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ
صَلَاةً وَأَحْسَنُهُمْ صَلَاةً دُعَايٍ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَهَكَذَا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم (١٧٩٨)، ومسلم: كتاب الزكاة،
باب من جمع صدقة وأعمال البر، رقم (١٠٢٧).

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

- ٤٩٧٤- سَبْعُونَ عَامًا بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْهَا قُدِّرَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
- ٤٩٧٥- هَذَا حَدِيثٌ لَقِيَطِ الْمَعْرُوفِ بِالْخَيْرِ الطَّوِيلِ وَذَا عَظِيمِ الشَّانِ
- ٤٩٧٦- وَعَلَيْهِ كُلُّ جَلَالَةٍ وَمَهَابَةٍ وَلَكُمْ حَوَاهُ بَعْدُ مِنْ عِرْفَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «هَذَا حَدِيثٌ لَقِيَطِ الْمَعْرُوفِ بِالْخَيْرِ الطَّوِيلِ»، هذا حديثٌ طويلٌ جداً، وفيه فوائدٌ كثيرةٌ، وقد ساقَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله- في كتابه: «زاد المعاد»^(١)، وتكلم على فوائده.

(١) انظر: زاد المعاد (٣/٥٨٨).

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

- ٤٩٧٧- لَكِنَّ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ أَرْبَعِيَّةٌ — مَنْ رَوَاهُ حَبْرُ الْأُمَّةِ الشَّيْبَانِي
 ٤٩٧٨- فِي «مُسْنَدٍ» بِالرَّفْعِ وَهُوَ لِمُسْلِمٍ وَقَفَّ كَمَرْفُوعٍ بِوَجْهِ ثَانِي
 ٤٩٧٩- وَلَقَدْ رَوَى تَقْدِيرُهُ بِثَلَاثَةِ أَلْ — أَيَّامٍ لَكِنَّ عِنْدَ ذِي الْعَرَفَانِ
 ٤٩٨٠- أَعْنِي الْبُخَارِيُّ الرَّضَا هُوَ مُنْكَرٌ وَحَدِيثُ رَاوِيهِ فَذُو نُكْرَانَ

الشرح

في تقدير ما بين البابين حديث لقيط أن بينهما سبعين عاماً^(١)، وفي تقدير ما بين مصراعي الباب الواحد منها أثران:

الأول: بينهما مسيرة أربعين^(٢)، والثاني: بينهما مسيرة ثلاثة أيام^(٣)، وهذا الأخير مُنْكَرٌ، قال البخاري رحمه الله: إِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، وصاحبه له مناكير، فهذا الحديث مُنْكَرٌ سَنَدًا وَمُنْكَرٌ مَتْنًا: أَمَّا نِكَارَتُهُ الْمَتْنِيَّةُ فَلِأَنَّهُ خَالَفَ الْأَحَادِيثَ الَّتِي

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/٢٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (أحمد ٤/١٧٤، رقم ١٧٧١٧)، ومسلم: في أول كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أبواب الجنة، رقم (٢٥٤٨)، وقال: حديث غريب.

رواها أهل الثقة، وراويه مُنكَرٌ لا يمكنُ أن يُنسَبَ إلى هؤلاء الجبالِ، ومن جهةِ السَّنَدِ ففيه راوٍ مُنكَرٌ، فإذا يسقطُ هذا لأنَّه لا يُقاوِمُ ما رواه الإمامُ أحمدُ مرفوعاً، فالعمدَةُ على ما رواه الإمامُ أحمدُ مرفوعاً وأخرجه مسلمٌ موقوفاً، لكنَّ ابنَ القِيِّمِ يقولُ: «وَقَفَّ كَمَرْفُوعٍ بِوَجْهِ ثَانِي»، ما هو الوجهُ الثاني؟ الجوابُ: أنَّه مرفوعٌ حُكْمًا؛ لأنَّ مثلَ هذا لا يُقالُ بالرَّأيِ، فهو لا مجالٌ للاجتهادِ فيه؛ لأنَّه خبرٌ مُحضٌ، فإذا حَدَّثَ به الصَّحَابِيُّ فهو في حكمِ المرفوعِ.

فصل

في مفتاح باب الجنة

- ٤٩٨١- هَذَا وَفَتْحُ الْبَابِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ إِلَّا بِمِفْتَاحٍ عَلَى أَسْنَانٍ
- ٤٩٨٢- مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْإِيمَانِ
- ٤٩٨٣- أَسْنَانُهُ الْأَعْمَالُ وَهِيَ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَالْمِفْتَاحُ بِالْأَسْنَانِ
- ٤٩٨٤- لَا تُلْنِينَ هَذَا الْمِثَالَ فَكَمْ بِهِ مِنْ حَلِّ إِشْكَالٍ لِذِي الْعِرْفَانِ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ -رحمه الله- أبواب الجنة ذَكَرَ مِفْتَاحَ هَذِهِ الْأَبْوَابِ؛ فَمِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ الْمَرْجُئَةُ: مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا دَخَلَ لِلْأَعْمَالِ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ السَّلْفُ: إِنَّ الْمِفْتَاحَ لَا يَفْتَحُ إِلَّا بِأَسْنَانٍ، وَأَسْنَانُهُ شَرَائِعُ الْإِيمَانِ، فَمَنْ جَاءَ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فُتِّحَ لَهُ، وَمَنْ لَا فَلَإِ؛ إِذَنْ لَا بُدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ.

ولكن نقول: أسنان هذه المفاتيح هي الشرشرة؛ يعني: المؤشر فيها، وفيما سبق كانت الأسنان من خشب، تُحَرَّقُ وَيُوضَعُ فِيهَا عُوَيْدَاتٌ عَلَى قَدْرِ ثَقُوبٍ فِي الْيَدِ الَّتِي تُدْخَلُ فِي الْجِدَارِ، وَتُسَمَّى عِنْدَ النَّاسِ الْمَجْرَّةَ؛ إِذَا أَدْخَلْتَ الْمِفْتَاحَ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ أَسْنَانٌ فَلَا يَفْتَحُ أَبَدًا، لَكِنْ إِذَا أَدْخَلْتَهُ وَفِيهِ الْأَسْنَانُ فَتَحَتْ، إِذَا كَانَ فِيهِ

الأسنانُ كُلُّهَا إِلَّا واحِدًا، لا يفتحُ أيضًا، ولو كانت الأسنانُ قصيرةً لا يفتحُ، فالمهمُّ
 أَنَّ مِفْتَاحَ الْجَنَّةِ: لا إلهَ إِلَّا اللهُ، ولا بُدَّ لِلْمِفْتَاحِ من أسنانٍ؛ ولهذا يقولُ: «لا تُلغِينِ
 هَذَا المِثَالُ فَكَمْ بِهِ مِنْ حَلِّ إِشْكَالٍ لِذِي العِرْفَانِ».

وهل الأعمالُ شرطٌ لصحَّةِ الإيمانِ ودخولِ الجنةِ؟ نقولُ: نعم، بعضُها شرطٌ
 كالصَّلَاةِ مثلاً؛ فالصَّلَاةُ شرطٌ لصحَّةِ الإيمانِ ودخولِ الجنةِ؛ لأنَّ تركها كفرٌ أكبرُ
 مخرُجٌ عن المِلَّةِ كما شَهِدَتْ بذلك نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ وما يُحْكِي من إجماعِ
 الصَّحابةِ أو قولِ جمهورِهم، وكما هو مقتضى النَّظَرِ الصَّحِيحِ، أمَّا الإمامُ أحمدُ
 -رحمه اللهُ- فعنه: أن تاركَ الزَّكَاةِ والصَّيَامِ والحجِّ كتاركِ الصَّلَاةِ؛ لأنَّ الكُلَّ أركانُ
 للإسلامِ، ولا يقومُ البيتُ إِلَّا بأركانِهِ، لكن الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ، والصَّحِيحُ: أَنَّهُ
 لا يَكْفُرُ بتركِ الأعمالِ إِلَّا بالصَّلَاةِ.

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها

- ٤٩٨٥- هَذَا وَمَنْ يَدْخُلُ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ إِلَّا بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٤٩٨٦- وَكَذَلِكَ يُكْتَبُ لِلْفَتَى لِدُخُولِهِ مِنْ قَبْلِ تَوْقِيعَانِ مَشْهُودَانِ
- ٤٩٨٧- إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَعَرْضِ أَرْوَاحِ الْعِبَادِ بِهِ عَلَى الدِّيَّانِ
- ٤٩٨٨- فَيَقُولُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ لِلْكَاتِبِينَ وَهُمْ أَوْلُو الدِّيَّوَانِ
- ٤٩٨٩- ذَا الْإِسْمِ فِي الدِّيَّوَانِ يُكْتَبُ ذَاكَ دِيْوَانِ الْجَنَّةِ مُجَاوِرِ الْمَمَّنَانِ
- ٤٩٩٠- دِيْوَانِ عَلِيِّينَ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ وَسُنَّةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٤٩٩١- فَإِذَا انْتَهَى لِلْحِجْرِ يَوْمَ الْحَشْرِ يُعَدُّ طَى لِلدُّخُولِ إِذَا كَتَبْتُ نَائِي
- ٤٩٩٢- عَنْوَانُهُ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَزِيْبِ زِيْرَاجِمٍ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ
- ٤٩٩٣- فَدَعُوهُ يَدْخُلُ جَنَّةَ الْمَأْوَى الَّتِي أَرْتَفَعْتُ وَلَكِنَّ الْقُطُوفَ دَوَائِي
- ٤٩٩٤- هَذَا وَقَدْ كَتَبْتُ اسْمَهُ مُذْ كَانَ فِي الْأَرْحَامِ قَبْلَ وِلَادَةِ الْإِنْسَانِ
- ٤٩٩٥- بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ وَقْتُ الْقَبْضَتَيْنِ مِنْ كِلَاهُمَا لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
- ٤٩٩٦- سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْإِكْرَامِ وَالسُّبْحَانَ

- ٤٩٩٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَالِمِ الْأَسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ وَاللَّحْظَاتِ بِالْأَجْفَانِ
 ٤٩٩٨- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْأَصْوَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
 ٤٩٩٩- وَهُوَ الْمُوَحَّدُ وَالْمُسَبِّحُ وَالْمُمَجَّدُ جَدُّ وَالْحَمِيدُ وَمُنَزَّلُ الْقُرْآنِ
 ٥٠٠٠- وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

الشرح

- ٤٩٨٥- هَذَا وَمَنْ يَدْخُلُ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ إِلَّا بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
 التَّوْقِيعُ مَعْرُوفٌ بِأَنْ يُعْطَى الْإِنْسَانُ كِتَابًا وَيُوقَعُ عَلَيْهِ الْمَسْئُولُ، فَلَا يَدْخُلُ
 الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِهَذَا التَّوْقِيعِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ؛ وَلِذَا قَالَ:
 «إِلَّا بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ».

- ٤٩٨٦- وَكَذَلِكَ يُكْتَبُ لِلْفَتَى لِذُخُولِهِ مِنْ قَبْلِ تَوْقِيعَانِ مَشْهُودَانِ
 ٤٩٨٧- إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَعَرْضِ أَرْوَاحِ الْعِبَادِ بِهِ عَلَى الدِّيَّانِ
 ٤٩٨٨- فَيَقُولُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ لِللِّكَاثِبِينَ وَهُمْ أَوْلُو الدِّيَّوَانِ
 ٤٩٨٩- ذَا الْإِسْمِ فِي الدِّيَّوَانِ يُكْتَبُ ذَاكَ دِيْوَانِ
 ٤٩٩٠- دِيْوَانِ عَلِيِّينَ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ وَسُنَّةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

هذا يُكْتَبُ أَوْ يُوقَعُ - كما قال المؤلف - إذا مات الإنسان، فإنَّ الملائكة تقبضُ روحه وتصعدُ بها إلى السماء حتى تكونَ بين يدي الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ يقولُ: «اكتبوا كتابَ عبدي في عليين»، فهذه كتابة، «وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها

خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»^(١)، وهذا مُفَسَّرٌ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، وأمَّا الكتابُ الثاني فيكون عند تجاوز الصِّراطِ، فيَكْتَبُ أَنَّهُ من أهلِ الجَنَّةِ لِيُفْتَحَ له ويدخلَ مع الدَّاخِلِينَ، ولذا قال:

٤٩٩١- فَإِذَا انْتَهَى لِلْجِسْرِ يَوْمَ الْحَشْرِ يُعْطَى لِلدُّخُولِ إِذَا كِتَابٌ ثَانِي

الجسرُ هو: جسرٌ ممدودٌ على جهنَّمَ، يعبرُ النَّاسُ عليه على قدرِ أعمالهم حسب قوتهم وأخذهم لشريعةِ الله، فمنهم مَنْ يمرُّ كالمح البصرِ، ومنهم مَنْ يمرُّ كالبرقِ، ومنهم مَنْ يمرُّ كالريحِ، ومنهم مَنْ يمرُّ كالإبلِ^(٢)، المهمُّ أَنَّهُ يمرُّ النَّاسُ فيه على قدرِ أعمالهم، فيُعْطَى كتابًا يقولُ:

٤٩٩٢- عُنْوَانُهُ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَزِيْبٍ - زِيْرَاحِمٍ لِفُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ

٤٩٩٣- فَدَعَاؤُهُ يَدْخُلُ جَنَّةَ الْمَأْوَى الَّتِي ارْتَفَعَتْ وَلَكِنَّ الْقُطُوفَ دَوَانِي

قَوْلُهُ: «عُنْوَانُهُ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَزِيْبٍ رَاحِمٍ» يُعْطَى كتابًا عند الصُّعُودِ على الصِّراطِ؛ لَأَنَّهُ كِتَابٌ من عزيزٍ رحيمٍ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، وَرُبَّمَا يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَزَّلًا مِّنْ عَفْوِرٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]، فدعوه يدخلُ، وهذا وَرَدَ به أَثَرٌ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالمسألةُ محفوظةٌ مُتَقَنَّةٌ، كُلُّ شَيْءٍ بِكِتَابٍ، كُلُّ شَيْءٍ مُّقَدَّرٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

قَوْلُهُ: «جَنَّةَ الْمَأْوَى الَّتِي ارْتَفَعَتْ وَلَكِنَّ الْقُطُوفَ دَوَانِي»، «الْقُطُوفُ» جمعُ:

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٨٧، رقم ١٨٧٣٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٥، رقم ١١٢١٦)، وأبو يعلى (٢/٤٤٥، رقم ١٢٥٣)، وابن حبان

(١٦/٣٨٤، رقم ٧٣٧٩)، والحاكم (٤/٦٢٧، رقم ٨٧٣٧) وقال: صحيح على شرط مسلم.

«قِطْفٍ»؛ وهو: الثَّمْرُ، فقطوفُها دَانِيَةٌ؛ يعني: هي مع علوِّها هي دَانِيَةٌ، فإذا اشتهى الإنسانُ ثَمْرَةً من هذه الثَّمَرَاتِ دَنَا الغِصْنُ له حتَّى تكونَ الثَّمْرَةُ بين يديه، لا يحتاجُ إلى تعبٍ ولا إلى عِناءٍ؛ كما قال تعالى: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٣]، اللَّهُمَّ اجعلنا من أهلِها.

٤٩٩٤- هَذَا وَقَدْ كُتِبَ اسْمُهُ مُذْ كَانَ فِي الْأَرْحَامِ قَبْلَ وِلَادَةِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ إِذَا تَمَّ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٍ أُرْسِلَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ «وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»، والحديثُ في هذا مشهورٌ، وهو حديثُ عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

٤٩٩٥- بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ وَقْتُ الْقَبْضَتَيْنِ مِنْ كِلَاهُمَا لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- قَبَضَ قَبْضَتَيْنِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وقال: «هُؤَلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهُؤَلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي»^(٢).

٤٩٩٦- سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْإِكْرَامِ وَالسُّبْحَانَ قَوْلُهُ: «سُبْحَانَ»؛ يعني: تنزيهاً لله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «ذِي الْجَبَرُوتِ»؛ أي: ذي الجبرِ، وقد مرَّ علينا في هذا الكتابِ أَنَّ الجبارَ من أسماءِ الله، وله ثلاثةُ معانٍ: القوَّةُ، وجبرُ الضَّعيفِ، والعلوُّ؛ كما قال: وَلَهُ مُسَمًّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ وَفَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣٢). ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٨٦، رقم ١٧٦٩٦).

مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الـ عُلْيَا الَّتِي فَاقَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ^(١)

قَوْلُهُ: «الْمَلَكُوتِ» مِنَ الْمَلِكِ، وَأَتَتْ التَّاءُ فِيهِ لِلْمَبَالِغَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

قَوْلُهُ: «وَالِإِجْلَالِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجِلُّهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْظُمُهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ إِمَّا تَعْظِيمًا قَدْرِيًّا، وَإِمَّا تَعْظِيمًا شَرْعِيًّا.

قَوْلُهُ: «الْإِكْرَامِ»؛ الْمَرَادُ: إِكْرَامُ الطَّائِعِينَ مِنْ عِبَادِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

قَوْلُهُ: «السُّبْحَانَ»؛ هُوَ: التَّنْزِيهُ؛ يَعْنِي: وَسُبْحَانَ ذِي التَّنْزِيهِ.

٤٩٩٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَالِمِ الْأَسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ وَاللَّحْظَاتِ بِالْأَجْفَانِ

٤٩٩٨- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْأَصْوَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

وهذا واضح.

٤٩٩٩- وَهُوَ الْمُوَحَّدُ وَالْمُسَبِّحُ وَالْمَمَجَّدُ جَدُّ وَالْحَمِيدُ وَمُنْزِلُ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «الْحَمِيدُ»؛ بِمَعْنَى: الْحَامِدِ، وَبِمَعْنَى: الْمَحْمُودِ، فَهُوَ حَامِدٌ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ، وَهُوَ مَحْمُودٌ.

٥٠٠٠- وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لَهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لَهُ»، وَهَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾ [الرُّوم: ٤].

فصل

في صفوف أهل الجنة

- ٥٠٠١ - هَذَا وَإِنَّ صُفُوفَهُمْ عِشْرُونَ مَع مِئَةٍ وَهَذِي الْأُمَّةُ الثُّلَثَانِ
- ٥٠٠٢ - يَرُويهِ عَنْهُ بَرِيدَةُ إِسْنَادُهُ شَرَطُ الصَّحِيحِ بِ«مُسْنَدِ الشَّيْبَانِيِّ»
- ٥٠٠٣ - وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَحَبْرِ زَمَانِ
- ٥٠٠٤ - أَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ وَفِي إِسْنَادِهِ رَجُلٌ ضَعِيفٌ غَيْرُ ذِي إِتْقَانِ
- ٥٠٠٥ - وَلَقَدْ أَتَانَا فِي «الصَّحِيحِ» بِأَتَمِّ شَطْرٍ وَمَا اللَّفْظَانِ مُخْتَلِفَانِ
- ٥٠٠٦ - إِذْ قَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَهُمْ هَذَا رَجَاءٌ مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ
- ٥٠٠٧ - أَعْطَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مَا يَرْجُو وَرَأَى دَمِنَ الْعَطَاءِ فِعَالٌ ذِي الْإِحْسَانِ

الشرح

هذا الفصل ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله - فيه أَنَّ صُفُوفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةٌ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الثُّلَثَانِ، فَيَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَمَانُونَ صَفًّا وَمِنْ غَيْرِهَا أَرْبَعُونَ صَفًّا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِلَا شَكٍّ؛ أَوْلَا: لِأَنَّ بَعْضَ الرُّسُلِ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، فَلَا يَتَّبِعُهُ وَلَا وَاحِدٌ^(١)، وَبَعْضُ الرُّسُلِ يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ

(١) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ». أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب باب مَنْ لَمْ يَرِقْ، رقم (٥٤٢٠).

إِلَّا بَعْضَهُمْ، فَمِثْلًا: لوطٌ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - يتبعُهُ أهلهُ إِلَّا امرأتهُ، ونوحٌ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - ما بَقِيَ من ذرِّيَتِهِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ، وهَلُمَّ جَرًّا.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه اللهُ - بعد أن صَحَّحَ هذا الحديثَ ذكرَ ما ظاهرُهُ المعارضةُ؛ وهو: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا حَدَّثَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبُّ وَمَا بَعْتُ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَتَشِيبُ الْوَالِدُ»، ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢٢]، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَكَبَّرْنَا^(١)، وَشَطْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ أَي: نَصْفُهُمْ.

وفي الحديثِ ذَكَرُ لِيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَلَاشِكْ أَتَمُّهُمُ موجودين على عهدِ ذي القَرْنَيْنِ، لَكِن مَتَى يُبْعَثُونَ؟ هذا الذي يكونُ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، إِذَا بُعِثُوا وَسُلِّطُوا على العَالَمِ، وليس هناك في ذلك الوقتِ أَسْلِحَةٌ؛ من دَبَابَاتٍ، ولا طَائِرَاتٍ، ولا صَوَارِيخَ، ولا شَيْءٍ، فَيَأْتِي هذا الجَيْشُ العَرْمَرُمُ الذي يَقِفُ على بحيرة طبريَّة ويَشْرِبُهَا، فَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فيقول: قد كان في هذه مرَّةً ماءً، فَيَسْلُطُونَ حَتَّى يَضْطَرَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ [الحج: ٢٢]، رَقْمُ (٤٧٤١)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِهِ يَقُولُ اللهُ لَأَدَمُ أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، رَقْمُ (٢٢٢).

عيسى - عليه السلام - ومن معه إلى أن يلتجئوا إلى الطور، فيهلكهم الله^(١)، إذن جنسهم موجود من بني آدم، لكن ذريتهم هي التي لم توجد بعد، والقول بأن أجوج وأجوج هم التتار هذا غلط، لكن إذا جعلنا التتار مثلاً بأجوج وأجوج من حيث الإفساد فصحيح، لكن هل هؤلاء حصروا المؤمنين في جبل الطور؟ وهل نزل عيسى؟ الجواب: لا؛ لأن أجوج وأجوج الذين هم من علامات الساعة بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

المهم أن هذا الحديث يدل على أن هذه الأمة الشطر؛ أي: النصف، والحديث الأول الذي رواه الإمام أحمد يدل على أنهم الثلثان؛ لأن أهل الجنة مئة وعشرون صفًا، منهم ثمانون من هذه الأمة، فجمع المؤلف بينهما جمعًا حسنًا، وقال: إن الذي فيه الشطر هو رجاء من الرسول ﷺ، وإن الله أعطاه فوق ما رجاه؛ أي: زاده أكثر مما رجاه.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٢٩٣٧).

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

٥٠٠٨- هَذَا وَأَوَّلُ زُمْرَةٍ فَوُجُوهُهُمْ كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ

٥٠٠٩- السَّابِقُونَ هُمْ وَقَدْ كَانُوا هُنَا أَيْضًا أُولَى سَبْقِي إِلَى الْإِحْسَانِ

الشرح

٥٠٠٨- هَذَا وَأَوَّلُ زُمْرَةٍ فَوُجُوهُهُمْ كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ

أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، مَتَى؟ لَيْلَةُ الرَّابِعِ عَشَرَ؛ لِأَنَّ هَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ الْقَمَرُ إِبْدَارًا، وَامْتِلَاءً بِالنُّورِ، وَهَذَا لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ، لَكِنَّهُمْ عَلَى صُورَتِهِ فِي الْبَهْجَةِ وَالسَّنَاءِ وَالْإِضَاءَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مِمَّاثِلِينَ لَهُ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَزُولُ الْإِشْكَالُ الَّذِي حَصَلَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(١)، حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّهُ إِذَا كَانَ عَلَى صُورَتِهِ كَانَ مِمَّاثِلًا لَهُ، وَنَحْنُ نَقُولُ: «عَلَى صُورَتِهِ»، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مِمَّاثِلًا لَهُ كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْاِسْتِثْنَانِ، بَابُ بَدَأِ السَّلَامِ، رَقْمٌ (٥٨٧٣)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ ضَرْبِ الْوَجْهِ، رَقْمٌ (٢٦١٢).

٥٠٠٩- السَّابِقُونَ هُمْ وَقَدْ كَانُوا هُنَا أَيضًا أُولِي سَبْقٍ إِلَى الْإِحْسَانِ

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، والصَّواب: أنَّ «السَّابِقُونَ»

الثانية خبرٌ؛ يعني: السَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا هُم السَّابِقُونَ فِي الْآخِرَةِ.

فهؤلاء سبقوا في الدُّنْيَا إِلَى الْإِحْسَانِ، وعبدوا الله كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، فسبقوا في

الآخِرَةِ إِلَى جَزَاءِ هَذَا الْإِحْسَانِ، فكانوا أَوَّلَ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ إِلَى

الْجَنَّةِ زُمْرًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَيَقَ الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمْرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

فصل

في صفة الزمرة الثانية

- ٥٠١٠- وَالزُّمْرَةُ الْأُخْرَى كَأَضْوَاءِ كَوْكَبٍ فِي الْأَفْقِ تَنْظُرُهُ بِهِ الْعَيْنَانِ
 ٥٠١١- أَمْشَاطُهُمْ ذَهَبٌ وَرَشْحُهُمْ فَمِسٌّ كُ خَالِصٌ يَا ذِلَّةَ الْحَرَمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «أَمْشَاطُهُمْ ذَهَبٌ» اللهُ أَكْبَرُ، أَمْشَاطُهُمْ ذَهَبٌ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُمْ شَعْرًا.

قَوْلُهُ: «وَرَشْحُهُمْ فَمِسٌّ»؛ يَعْنِي: الْعَرَقُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُمْ مَسْكٌ أَطِيبٌ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّائِحَةِ، بَيْنَمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا رَائِحَتُهُ كَرِيهَةٌ مُتَبَتَّةٌ، لَكِنْ هُنَاكَ لَا، رَشْحُهُمْ مَسْكٌ خَالِصٌ.

قَوْلُهُ: «يَا ذِلَّةَ الْحَرَمَانِ»؛ يَعْنِي: مَا أَذَلَّ مَنْ حُرِمَ مِنْ هَذَا الْخَيْرِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا إِيَّاهُ.

فصل

في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى

٥٠١٢- وَيَرَى الَّذِينَ بِدَائِلِهَا مَنْ فَوْقَهُمْ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ رُؤْيَةً بَعِيَانٍ

٥٠١٣- مَا ذَاكَ مُخْتَصًّا بِرُسُلِ اللَّهِ بَلْ لَهُمْ وَلِلصَّادِقِ ذِي الْإِيمَانِ

الشرح

لما حَدَّثَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَصْحَابَهُ بِأَنَّهُمْ يَتَرَاءَوْنَ أَصْحَابَ الْغُرْفِ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ فِي الْأَفْقِ - مِنْ بُعْدِهِ وَصَفَائِهِ وَنُورِهِ - قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١)، آمَنَّا بِاللَّهِ وَصَدَّقْنَا بِرَسُولِهِ، هُوَ لَاءَ هُمْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْغُرْفِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ وَأَوْلَاهُمْ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ لَا شَكَّ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ آمَنُوا بِرَسُولِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ - وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ - وَرُسُلِهِ -﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَالْأَنْبِيَاءُ وَالسَّابِقُونَ لِمَحَمَّدٍ ﷺ أُخِذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدُ أَنَّهُ إِنْ بُعِثَ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وَأَنْ يَكُونُوا مِنْ جُنُودِهِ، فَوَافَقُوا عَلَى هَذَا، وَأَعْطَوْا اللَّهَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عَلَى أَنَّهُ إِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ فَهُمْ تَحْتَ لَوَائِهِ وَمِنْ جُنُودِهِ، فَكُلُّ الرُّسُلِ آمَنَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَصَدَّقَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَهُمْ أَعْلَى أَهْلِ هَذِهِ الْغُرْفِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٨٣)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، رقم (٢٨٣١).

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

- ٥٠١٤- هَذَا وَأَعْلَاهُمْ فَنَاطِرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتَهُ الطَّرْفَانِ
- ٥٠١٥- لَكِنَّ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دِينِي لَيْسَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانِ
- ٥٠١٦- فَهُوَ الَّذِي تُلْفَى مَسَافَةَ مُلْكِهِ بِسِنِينِنَا أَلْقَانِ كَامِلَتَانِ
- ٥٠١٧- فَيَرَى بِهَا أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤْيَيْهِ لِأَدْنَاهُ الْقَرِيبِ الدَّانِي
- ٥٠١٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ آخِرَ أَهْلِهَا يُعْطِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ ذُو الْغُفْرَانِ
- ٥٠١٩- أَضْعَافَ دُنْيَانَا جَمِيعًا عَشْرَ أَمْثَالٍ لَهَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

الشرح

٥٠١٤- هَذَا وَأَعْلَاهُمْ فَنَاطِرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتَهُ الطَّرْفَانِ

أعلى أهل الجنة منزلة هو: الذي ينظر إلى الله تعالى كل يوم في الصباح والمساء^(١)، ولكن كيف هذا؟ قيل: إن هذا نورٌ يسطع من العرش يتبين به دخول النهار من دخول الليل، فإذا صحَّ هذا فالأمر واضح، وإن لم يصحَّ فيكون حكمه

(١) أخرجه أحمد (١٣/٢)، رقم (٤٦٢٣)، وأبو يعلى (٩٦/١٠)، رقم (٥٧٢٩)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٤٠١/١٠) قال الهيثمي: في أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة وهو مجمع على ضعفه.

حكَمَ الأمورِ الغيبيةَ التي عَلِمَهَا عندَ الله؛ المهمُّ أَنَّهُ لا بُدَّ أن يكونَ هناكَ دليلٌ؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

٥٠١٥- لَكِنَّ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ لَيْسَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانٍ

٥٠١٦- فَهُوَ الَّذِي تُلْفَى مَسَافَةٌ مُلْكِهِ بِسِنِينَا أَلْفَانٍ كَامِلَتَانِ

٥٠١٧- فَيَرَى بِهَا أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤْيَيْهِ لِأَدْنَاهُ الْقَرِيبِ الدَّانِي

وأهل الجنة ليس فيهم دنيٌّ؛ لأنَّ الجنَّاتِ كُلَّهَا ليس فيها نقصٌ؛ بل «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١)، «وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ» [الزُّخْرَف: ٧١]؛ يعني: مطعمًا ومنظرًا، فالنعيمُ من كُلِّ وجهٍ، إِذَنْ لا دَنِيٍّ فِيهَا، فَكُلُّ مَا فِيهَا عَالٍ.

وأدناهم منزلةٌ - وليس فيهم دنيٌّ - هو الذي تكونُ مسافةُ مُلْكِهِ أَلْفِي عامٍ، يرى أقصاه كما يرى أدناه^(٢)، وهذا دليلٌ على كمالِ حياتهم وقوتهم؛ إذ إنَّ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا لا تقوى أبصارهم على هذا النَّظَرِ، إِذَنْ البَصْرُ قَوِيٌّ، وَقُوَّةُ كُلِّ الْبَدَنِ كَامِلَةٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَالْمَكَانُ مَتَّسِعٌ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَكِنْ هُوَ لِكَمَالِ نَعِيمِهِ حَتَّى يَكُونَ مُحِيطًا بِمُلْكِهِ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ لا يَخْتَلِفُ.

وفي الحقيقة: أمورُ الآخرةِ يحارُّ فيها العقلُ، ولكنَّه لا يحيلُها؛ لأنَّ مَنْ قَدَرَ اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَعَرَفَ قَدْرَةَ اللهِ وَعَظَمَتَهُ لا يحيلُ هذا الشَّيْءَ.

٥٠١٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ آخِرَ أَهْلِهَا يُعْطِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ ذُو الْعُفْرَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

(٢) تقدم تحريجه، وهو جزء من الحديث قبل السابق.

٥٠١٩- أَضْعَافَ دُنْيَانَا جَمِيعًا عَشْرَ أَمْ - شَالِ لَهَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولًا هَذَا الَّذِي يُعْطِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَالدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُعْطِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، وَأَيْضًا هَذَا النَّعِيمُ لَيْسَ كَنَعِيمِ الدُّنْيَا مُهَدَّدًا بِالْخَطَرِ وَالزَّوَالِ وَالنَّقْصِ، فَهُوَ نَعِيمٌ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَزُولُ، فَتَجَدُّ الْفَرْقُ الْعَظِيمَ.

المهمُّ أَنَّنَا نَسْأَلُ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يُجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ نَعِيمَهَا نَعِيمٌ لَا يَعَادِلُهُ شَيْءٌ؛ وَهَذَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّهُ قَالَ: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١)، فَسُنَّةُ الْفَجْرِ رَكَعَتَانِ خَفِيفَتَانِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، النَّاسُ الْآنَ يَذْهَبُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَفِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَفِي شِدَّةِ الْبَرْدِ لِيَنَالُوا شَيْئًا زَهِيدًا مِنَ الدُّنْيَا، وَهَاتَانِ الرَّكَعَتَانِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، نَسْأَلُ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ.

خِلاصَةُ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّهُ ذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ:

الأوَّلُ: حُكْمُ أَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُ يَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

الثَّانِي: أَدْنَاهُمْ مَنْ يَرَى مُلْكَهُ مَسِيرَةَ الْفِي عَامٍ، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ.

الثَّلَاثُ: أَنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولًا مِنْ يُعْطِيهِ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرُهَا، بَابِ اسْتِحْبَابِ رَكَعَتِي سَنَةِ الْفَجْرِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهَا وَتَخْفِيفُهَا، وَالْمَحَافِظَةُ عَلَيْهَا، رَقْمٌ (٧٢٥).

فصل

في ذكر سنّ أهل الجنة

- ٥٠٢٠- هَذَا وَسِنَّهُمْ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَاثِ
ثَيْنِ الَّتِي هِيَ قُوَّةُ الشُّبَّانِ
- ٥٠٢١- وَصَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عَلَى
حَدِّ سِوَاءِ مَا سِوَى الْوِلْدَانِ
- ٥٠٢٢- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُمْ
أَبْنَاؤُ عَشْرٍ بَعْدَهَا عَشْرَانِ
- ٥٠٢٣- وَكِلَاهُمَا فِي «التِّرْمِذِيِّ» وَلَيْسَ ذَا
بِتَنَاقُضٍ بَلْ هَاهُنَا أَمْرَانِ
- ٥٠٢٤- حَذَفُ الثَّلَاثِ وَنَيْفِ بَعْدَ الْعُقُوبِ
دُوذَكَرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سَيَّانِ
- ٥٠٢٥- عِنْدَ اتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ فَعِنْدَمَا
يَأْتُوا بِتَخْرِيرٍ فَبِالْمِيزَانِ

الشرح

- ٥٠٢٠- هَذَا وَسِنَّهُمْ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَاثِ
ثَيْنِ الَّتِي هِيَ قُوَّةُ الشُّبَّانِ
- ٥٠٢١- وَصَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عَلَى
حَدِّ سِوَاءِ مَا سِوَى الْوِلْدَانِ
- ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ سِنَّهُمْ أَبْنَاؤُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَأَنَّ الصَّغِيرَ
وَالكَبِيرَ فِي هَذَا عَلَى حَدِّ سِوَاءِ؛ يَعْنِي: حَتَّى مَنْ مَاتَ وَلَهُ عَشْرُونَ سَنَةً فَإِنَّهُ يَكُونُ
ابْنَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ مَاتَ وَلَهُ خَمْسُونَ سَنَةً يَكُونُ ابْنَ
ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَهِيَ أَعْلَى مَا يَكُونُ مِنَ الشُّبَابِ، وَمَعَ ذَلِكَ
لَا يَتَغَيَّرُونَ وَلَا يَهْرَمُونَ أَبَدًا وَلَا يَضْعَفُونَ، فَهَم دَائِمًا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِلَى أَبَدٍ

الآبدين، وَيُسْتَنَى من ذلك: ولدان الجنة؛ ولذا قال: «مَا سَوَى الْوِلْدَانِ»؛ أي: ولدان الجنة الذين هم الخدم، فالولدان الذين هم خدام الجنة ليسوا من المكلفين الذين يدخلونها بأعمالهم، بل خُلِقُوا في الجنة للجنة، وهذا هو المتبادر من كلمة «الولدان» كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

- ٥٠٢٢- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ بَعْدَهَا عَشْرَانَ
 ٥٠٢٣- وَكِلَاهُمَا فِي «التِّرْمِذِيِّ» وَلَيْسَ ذَا بَتْنَاقُضٍ بَلْ هَاهُنَا أَمْرَانِ
 ٥٠٢٤- حَذْفُ الثَّلَاثِ وَنَيْفِ بَعْدَ الْعُقُودِ دِ وَذِكْرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سَيَّانِ
 ٥٠٢٥- عِنْدَ اتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ فَعِنْدَمَا يَأْتُوا بِتَحْرِيرِ فَبِالْمِيزَانِ

ولقد روى أبو سعيد الخدري أن أهل الجنة يدخلونها أبناء عشر وعشرين^(١)؛ أي: أبناء ثلاثين، وهذا لا يناقض ما سبق من أنهم يدخلونها وهم أبناء ثلاث وثلاثين^(٢)؛ وذلك لأن العرب قد يسقطون ما زاد على العقود؛ يعني: ما زاد مثلاً على العشرة أو على العشرين أو على الثلاثين قد يحذفونه؛ مثل: «نَيْفٍ»؛ والنَيْفُ من ثلاثة إلى تسعة، وثلاثة أيضاً، مع أن المراد ما زاد، فيكون الذين اقتصروا في الرواية على الثلاثين حذفوا ما زاد عليها، ونحن نقول الآن: «فلان عمره بالثلاثين»؛

(١) يعني قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرَدُّونَ بَنِي ثَلَاثِينَ فِي الْجَنَّةِ لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَدًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ». أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، رقم (٢٥٦٢).

(٢) يعني حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا بِيضًا جَعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أذْرُعٍ». أخرجه أحمد (٢٤٣/٥، رقم ٢٢١٥٩).

يعني: من واحدٍ وثلاثين إلى تسعةٍ وثلاثين، فكلُّ هذا داخلٌ في قولنا: «بِالثَّلاثين»، لكنَّهم إذا أرادوا التَّحْرِيرَ ذكروا العِدَّةَ الزَّائِدَةَ عَلَى الْعُقُودِ؛ إِذَنْ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ؛ أَي: رَوَايَةِ الثَّلَاثِينَ، وَرَوَايَةِ: ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ.

وَاللَّهُ دَرُّ ابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ جَمَعَ هَذَا الْجَمْعَ، وَالْعَبْدُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَسَّرَ لَهُ الْجَمْعَ بَيْنَمَا ظَاهِرُهُ التَّنَاقُضُ.

لَكِنَّا نُنَبِّهُ إِلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَأْتِي بِالنُّصُوصِ الْمَشْكُوكَةِ، يُحِبُّ أَنْ يُغْرِبَ فِي الْمَقَالِ، فَتَجِدُهُ يَذْكُرُ التَّعَارُضَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ بَيْنَهَا تَعَارُضٌ؛ لِيُغْرِبَ وَيَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا أَوْسَعَ عِلْمَهُ! لَكِنْ مَنْ أَرَادَ الْحَقَّ وَعَلِمَ أَنَّ الْكُلَّ حَقٌّ سَهَّلَ عَلَيْهِ الْجَمْعَ بِكُلِّ سَهُولَةٍ، بَيْنَمَا الْآخَرُ يُعْطَى عَنْهُ الْجَمْعُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمُتَنَاقِضَاتِ، وَإِذَا سِتَّمْتَ هَذَا رَاجِعُوا مَنَازِرَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِنَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ فِي آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرَةٍ، ذَكَرَهَا الشَّيْطَوِيُّ فِي كِتَابِهِ: «الْإِتْقَانُ»^(١) تَجِدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ وَبَيْنَ كَلَامِ رَسُولِهِ يَسْهَلُ عَلَيْهِ الْجَمْعُ وَلَا يَرَى التَّنَاقُضَ، وَأَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي بَيْنَهَا تَعَارُضٌ وَيَقُولُ: مَا الْجَمْعُ بَيْنَ كَذَا وَكَذَا؟ فَهَذَا لَا يَسْهَلُ عَلَيْهِ الْجَمْعُ.

وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِالْأَحَادِيثِ لِيُثَبِّتَ التَّعَارُضَ بَيْنَهَا عَلَى زَعْمِهِ، وَشَخْصٍ يَرِيدُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ، تَجِدُ الثَّانِيَّ يُوقَفُ لِلْجَمْعِ وَلَا يَرَى التَّعَارُضَ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا، عَلَيْكَ بِهَذَا، وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّهُ لَا يَتَنَاقَضُ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَا يَتَنَاقَضُ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تَنَاقُضُ فِي كَلَامِ اللَّهِ أَيْضًا، عَوْدَ نَفْسِكَ هَذَا الْمَسْلُوكَ حَتَّى تَسْلَمَ مِنْ شُبُهَاتٍ كَثِيرَةٍ تَرُدُّ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ.

(١) انظر: الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، لِلشَّيْطَوِيِّ (٢/٦٧).

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

- ٥٠٢٦- وَالطُّوْلُ طُوْلُ أَبِيهِمْ سِتُّونَ لَدَ - كِنَ عَرْضُهُمْ سَبْعٌ بِلا نُقْصَانِ
 ٥٠٢٧- الطُّوْلُ صَحَّ بِغَيْرِ شَكٍّ فِي «الصَّحِيحِ - حَيْنِ» اللَّذَيْنِ هُمَا لَنَا شَمْسَانِ
 ٥٠٢٨- وَالعَرَضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُمَا لَكِنَ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
 ٥٠٢٩- هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَ - لَذَا العَرَضِ وَالطُّوْلِ البَدِيْعِ الشَّانِ
 ٥٠٣٠- كُلٌّ عَلَى مَقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا - تَقْدِيرُ مُتَقِنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ

الشرح

- ٥٠٢٦- وَالطُّوْلُ طُوْلُ أَبِيهِمْ سِتُّونَ لَدَ - كِنَ عَرْضُهُمْ سَبْعٌ بِلا نُقْصَانِ
 ذكر المؤلف - رحمه الله - هنا طول أهل الجنة وعرضهم فقال: الطُّوْلُ: ستون ذراعاً في السماء، والعَرَضُ: سبعة أذرع، حتَّى مَنْ مَاتَ صَغِيرَ الْجِسْمِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُ هَذَا، وَحَتَّى مَنْ مَاتَ كَبِيرَ الْجِسْمِ بِالنَّسْبَةِ لِمَا نَشَاهَدُ يَبْلُغُ هَذَا أَيْضًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُنْشِئُهُمْ نَشَاءً أُخْرَى تُنَاسِبُ الْأَحْوَالَ.
 ٥٠٢٧- الطُّوْلُ صَحَّ بِغَيْرِ شَكٍّ فِي «الصَّحِيحِ - حَيْنِ» اللَّذَيْنِ هُمَا لَنَا شَمْسَانِ
 ٥٠٢٨- وَالعَرَضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُمَا لَكِنَ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي

٥٠٢٩- هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَـ ذَا الْعَرَضِ وَالطُّوْلِ الْبَدِيعِ الشَّانِ

٥٠٣٠- كُلُّ عَلَى مِقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا تَقْدِيرُ مُتَقِنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ

ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ السِّتَيْنِ فِي الطُّوْلِ ثَابِتَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ (١)، وَأَمَّا الْعَرَضُ فَلَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَلَا فِي أَحَدِهِمَا، لَكِنْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ تَقْوِيَةً لِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ السَّبْعَةَ فِي الْعَرَضِ تَنَاسَبُ الطُّوْلِ؛ لِأَنَّ الطُّوْلَ سِتِّينَ ذِرَاعًا لَوْ كَانَ عَلَى حَسَبِ الْعَرَضِ الَّذِي نَعْرَفُهُ الْآنَ لَمْ يَتَنَاسَبْ، لَكِنَّهُ يَتَنَاسَبُ مَعَ الْعَرَضِ «سَبْعَةَ أَذْرَعٍ».

لكن كم تكون نسبة السبعة إلى الستين؟

الجواب: تكون العشر وسُدُسُ العشر، وهذا متناسبٌ مع الطول، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ.

فإذا قال قائلٌ: هل هذا التناسبٌ محمودٌ أو لا؟

فالجواب: نعم، مألوفٌ ومحمودٌ، نحن الآن بهذه الأجساد، أرايتم لو جعلنا الله تعالى في طول الأرنب مثلاً هل نستنكرُ هذا أم لا؟ الجواب: لا نستنكرُ؛ لأنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى هَذَا الطُّوْلِ، وَلَوْ كَانَ الْوَاحِدُ مَنَّا طَوْلَ الْبَعِيرِ مَرَّتَيْنِ لَا نَسْتَنْكِرُ هَذَا أَيْضًا؛ لِأَنَّنا جَمِيعًا عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَسْتَنْكِرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ لِأَنَّهم جَمِيعًا عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، بَيْنَمَا لَوْ وَجَدْنَا أَحَدًا طَوِيلًا وَلَوْ نَصَفَ هَذَا الطُّوْلَ لَأَسْتَغْرَبْنَا هَذَا كَثِيرًا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣١٤٨)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام، رقم (٢٨٤١).
(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٣١، رقم ٧١٦٥).

فإذا قال قائلٌ: ما الحكمةُ في أنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - يجعلُ أهلَ الجنَّةِ بهذا؟

قلنا: الحكمةُ من أجلِ أن يتنعموا أكثرَ بالمأكَلِ والمشارِبِ؛ لأنَّه من المعروفِ في الدُّنيا أنَّ الصَّغارَ لا يأكلون أكَلَ الكبارِ، فإذا كبرَ الجسمُ امتلأ أكثرَ، وتعرفون أنَّ أهلَ الجنَّةِ يأكلون، وكُلُّ أكْلِهِمْ وشربِهِمْ يذهبُ رشحًا «عرقًا» كريحِ المسكِ، اللَّهُمَّ اجعلنا منهم.

فصل

في لِحَاهُمْ وَأَلْوَانِهِمْ

- ٥٠٣١- أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحَى جَعْدُ الشُّعُورِ مُكْحَلُّو الْأَجْفَانِ
 ٥٠٣٢- هَذَا كَمَا لِحْسِنِ فِي أَبْشَارِهِمْ وَشُعُورُهُمْ وَكَذَلِكَ الْعَيْنَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِي لِحَاهُمْ وَأَلْوَانِهِمْ»، وفي نسخة: «فَصَلُّ فِي حُلَاهُمْ وَأَلْوَانِهِمْ»، والظاهرُ أَنَّ الصَّوَابَ النُّسخَةُ الأولى «لِحَاهُمْ»؛ لَأَنَّهُ لم يذكر الحُلَى، إِلَّا إن كان من ذَكَرَهُ الكحلَّ، وهذا اختلافٌ بسيطٌ.

قَوْلُهُ: «أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحَى»؛ يعني: ليس لهم شعرٌ في لِحَاهِمِ.

قَوْلُهُ: «جَعْدُ الشُّعُورِ»؛ يعني: شعورَ الرَّأْسِ، والجعدُ ضدُّه المسترسلُ.

والجعدُ محمودٌ عند الناسِ؛ لَأَنَّهُ يدلُّ على قوَّةِ الشَّعرِ، وأمَّا الأَجْفَانُ فهي مكحولَةٌ؛ يعني: من أحسنِ ما يكونُ.

فصل

في لسان أهل الجنة

- ٥٠٣٣- وَلَقَدْ أَتَى أَثْرَبَانٌ لِسَانَهُمْ بِالْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ خَيْرَ لِسَانٍ
 ٥٠٣٤- لَكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظْرًا فَيَسِيءُ رَاوِيَانِ وَمَا هُمَا ثَبَتَانِ
 ٥٠٣٥- أَعْنِي الْعَلَاءَ هُوَ ابْنُ عَمْرِو ثُمَّ يَحْيَى الْأَشْعَرِيُّ وَذَانِ مَعْمُوزَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «وَلَقَدْ أَتَى أَثْرَبَانٌ لِسَانَهُمْ بِالْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ... لَكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظْرًا»
 ولا يبعدُ أن يكونَ الحديثُ من حيث النَّظَرُ صوابًا، وبذلك يكونُ لسانُهُم هو
 اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ؛ وذلك لأنَّ أَفْضَلَ الْكُتُبِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ولأنَّ أَتْبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرُ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ، وإن كان في أَتْبَاعِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مَنْ لَيْسَ بَعَرَبِيًّا، لكن
 الْوَاجِبُ عَلَى غَيْرِ الْعَرَبِيِّ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنْ يَعْرِفَ
 الْعَرَبِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ مَعْنَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا لَا يَتَأْتَى إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللُّغَةِ
 الْعَرَبِيَّةِ.

وعلى كُلِّ حَالٍ: أُمُورُ الْغَيْبِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُقَالَ بِالنَّظَرِ وَالْقِيَاسِ.

قَوْلُهُ: «مَعْمُوزَانِ»؛ أَي: مَعْبِيَانِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ.

فصل

في ریح أهل الجنة من مسيرة كم يوجد

- ٥٠٣٦- وَالرَّيْحُ تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعٍ
 ٥٠٣٧- وَكَذَا رَوَى سَبْعِينَ أَيْضًا صَحَّ هَـ
 ٥٠٣٨- مَا فِي رِجَالِهِمَا لَنَا مِنْ مَطْعَنِ
 ٥٠٣٩- وَلَقَدْ أَتَى تَقْدِيرُهُ مِئَةً بِخَمْسٍ
 ٥٠٤٠- إِنْ صَحَّ هَذَا فَهُوَ أَيْضًا وَالَّذِي
 ٥٠٤١- إِمَّا بِحَسَبِ الْمُدْرِكِينَ لِرِيحِهَا
 ٥٠٤٢- أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا
 ٥٠٤٣- أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ أَيْضًا فَهُوَ أَنْ
 ٥٠٤٤- مَا بَيْنَ أَلْفَاظِ الرَّسُولِ تَنَاقُضُ
- وَ إِنْ تَشَأْ مِئَةً فَمَرُوبَانِ
 — ذَا كُلُّهُ وَأَتَى بِهِ أَثَرَانِ
 — وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْكُلِّ ذُو إِمْكَانِ
 — سِ ضَرْبُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نُقْصَانِ
 — مِنْ قَبْلِهِ فِي غَايَةِ الْإِمْكَانِ
 — قُرْبًا وَبُعْدًا مَا هُمَا سَيَّانِ
 — أَيْضًا وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبَيَّانِ
 — وَاعٌ بِقَدْرِ إِطَاقَةِ الْإِنْسَانِ
 — بَلْ ذَاكَ فِي الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

الشرح

ذَكَرَ - رحمه الله - أن ریح الجنة يوجد من مسيرة أربعين^(١) عامًا، وفي أثر ثانٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، رقم (٢٩٩٥).

من مسيرة سبعين^(١) عامًا، وفي أثرٍ ثالثٍ من مسيرة مئة^(٢) عامٍ، وفي أثرٍ رابعٍ من مسيرة خمسمئة^(٣) عامٍ، وإذا نظرتَ الفرقَ بين أربعين عامًا وخمسمئة عامٍ وجدتهُ شاسعًا، لكن الخمسمئة غمزه ابنُ القيمِ رحمه الله، فيبقى النظرُ بين الأربعين والسبعين والمئة، يقولُ رحمه الله: ليس فيها تناقضٌ، وحمل ذلك على أوجهٍ ثلاثة:

الأول: «إِذَا بِحَسَبِ الْمُدْرِكِينَ لِرِيحِهَا»؛ أي: باختلافِ المُدْرِكِينَ لريحِها؛ لأنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِي إِدْرَاكِ الرِّيحِ، فَتَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ يَمْشِي مِنْ عِنْدِ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ يَطْبَخُونَ كَذَا وَكَذَا، وَهَذَا وَاقِعٌ، وَالثَّانِي: يَجْعَلُ أَنْفَهُ فِي كُوَّةِ الْبَابِ وَلَا يَشْمُ، وَهَذَا فَرْقٌ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ الْأَكْثَرُ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ شَمَّهُ ضَعِيفٌ، وَالتَّقْدِيرُ الْأَدْنَى بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ شَمَّهُ قَوِيٌّ.

الثاني: «أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا أَيْضًا» باختلافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجَنَّةَ دَرَجَاتٌ، وَإِذَا كَانَتْ دَرَجَاتٍ فَلَا بُدَّ أَنْ تَخْتَلِفَ فِي الرَّائِحَةِ، وَكُلَّمَا كَانَتْ الرَّائِحَةُ أَطْيَبَ كَانَ شَمُّهَا مِنْ بَعِيدٍ أَقْرَبَ، فَهَذَا إِنْسَانٌ مَثَلًا مُتَطَيَّبٌ بِطَيِّبٍ بَارِدٍ، وَآخَرٌ مُتَطَيَّبٌ بِطَيِّبٍ حَارٍّ، الْمُتَطَيَّبُ بِطَيِّبٍ حَارٍّ يُشَمُّ مِنْ بَعِيدٍ، وَالثَّانِي لَا يُشَمُّ إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ.

الثالث: «أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ» السَّيْرُ يَخْتَلِفُ أَيْضًا، رُبَّ مَسِيرَةٍ مِئَةَ عَامٍ تَكُونُ لِشَخْصٍ آخَرَ سَبْعِينَ عَامًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَالسَّيْرُ يَخْتَلِفُ.
وَالآنَ نَحْنُ نَشَاهِدُ هَذَا؛ فَالطَّائِرَةُ مِنَ الْقَصِيمِ إِلَى جِدَّةٍ تَبْلُغُهَا فِي سَاعَةٍ تَقْرِيبًا،

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن يقتل نفسًا معاهدة، رقم (١٤٠٣)، والنسائي: كتاب القسامة، باب تعظيم قتل المعاهد، رقم (٤٧٤٩)، وابن ماجه: كتاب الديات، باب من قتل معاهدًا، رقم (٢٦٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٧١، رقم ١١٦٩٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب الحدود، باب من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، رقم (٢٦١١).

بينما هي على الرّواحلِ أكثر من عشرين يومًا، وإذا صرّبتَ عشرين يومًا في أربعة وعشرين ساعةً تبلغُ أربعمئةً وثمانين، فالآن ساعةٌ تقابلُ خمسَ ساعةٍ إلا عشرين، هذا اختلافُ السّير، وهذا على كُلِّ حالٍ أضعفُها.

وهذه الوجوهُ الثلاثةُ التي ذكرها ابنُ القيمِ كُلُّها محتملةٌ.

ومثلُ ذلك أيضًا: سفرُ المرأةِ بلا محرّمٍ حيث جاء مُقيّدًا بثلاثةِ أيّامٍ^(١)، ومُقيّدًا بيومٍ وليلةٍ^(٢)، وجاء مطلقًا^(٣)، كيف الجمعُ؟ نقولُ: الجمعُ أنّه خاطبَ مَنْ يقولُ: هل تسافرُ المرأةُ يومًا وليلةً بلا محرّمٍ؟ فقال: لا تُسافرُ المرأةُ يومًا وليلةً بلا محرّمٍ، وسأله آخرُ: هل تسافرُ ثلاثةَ أيّامٍ بلا محرّمٍ؟ فقال: لا تسافرُ ثلاثةَ أيّامٍ بلا محرّمٍ، ثمَّ جاء القولُ المطلقُ الذي ليس مبنياً على سؤالٍ حين خطبَ النَّاسَ يومَ الجمعةِ في المدينةِ قُبَيْلَ الحجِّ، فقال: «لَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»^(٤)، وأطلق.

وأهمُّ شيءٍ أن نعلمَ أنّه لا تناقضَ بين أقوالِ الرّسولِ ﷺ، وإنّا التّناقضُ الذي يُظنُّ يكونُ بحسبِ الأفهامِ؛ إذ يكونُ فهمُ بعضِ النَّاسِ ضعيفًا فيظنُّ التّناقضَ، وليس كذلك.

وإذا كان الإنسانُ يريدُ الوصولَ إلى الحقِّ يَسَّرَ اللهُ له الوصولَ إليه، أمّا الذي يريدُ أن يُوقَعَ التّعارضُ بين النُّصوصِ، أو يريدُ التّشكيكَ فيها سواء عن قصدٍ أم

(١) أخرجه البخاري: كتاب تقصير الصلاة، باب: في كم يقصر الصلاة، رقم (١٠٣٦)، ومسلم:

كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرّم إلى حج وغيره، رقم (١٣٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية أن تسافر المرأة وحدها، رقم (١١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، رقم (١٧٦٣)، ومسلم: كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرّم إلى حج وغيره، رقم (١٣٤١).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، رقم (١٧٦٣)، ومسلم: كتاب الحج،

باب سفر المرأة مع محرّم إلى حج وغيره، رقم (١٣٤١).

عن غير قصدٍ، فهذا يصعبُ عليه أن يجمعَ.

المهمُّ أنَّه يجبُ أن نحاولَ الجمعَ بين النُّصوصِ الواردةِ بقدرِ الإمكانِ؛ لأنَّنا نعلمُ أنَّ الرِّسولَ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- لا ينطقُ عن الهوى.

فعليك بهذا الأصلِ، واعلم أنَّه لا تناقضَ، وحاولَ الجمعَ بقدرِ الإمكانِ حتَّى تَسَلَّمَ من الشُّبهاتِ والشُّكوكِ، وإيَّاكَ أن تُطَلِّعَ أحداً على شكِّكَ إذا لم تعرفَ الحلَّ، وهذه مسألةٌ يفعلُها بعضُ النَّاسِ؛ يأتي إلى طالبٍ مثله لا يتخرَّجُ من الإشكالاتِ، فيعرضُ عليه الإشكالاتِ، معنى ذلك أنَّه زادَ الطَّينَ بِلَّةً؛ لأنَّه شكَّ وأوصلَ الشكَّ إلى غيره، ثمَّ الثاني يقولُ: والله فلانُ سألني يريدُ الجمعَ بين النُّصوصِ بين كذا وكذا، فيزيد، وهلمَّ جرَّاء، فإذا كنتَ لا تعرفُ كيف تتخلَّصُ من الغرقِ لا تُغرقِ غيرَكَ، بل اتركها في نفسك حتَّى يُقَيِّضَ اللهُ لك إمَّا فهماً تصلُ إلى المرادِ، وإمَّا أن تسألَ عالماً، وإمَّا أن تُطالعَ كتبَ أهلِ العلمِ، وهذه أيضاً افهموها، فهذه تنفعُ الطالبَ، فلا تُوقعِ إخوانَكَ في الشكِّ إذا شكَّكَتَ في الأمرِ؛ لأنَّكَ تُوصلُ الشكَّ إلى واحدٍ وثنانٍ وثلثٍ، وهذه المسألةُ ليست هيئَةً، بل هي مسألةٌ خطيرةٌ، وإذا وَقَعَ في القلبِ هذا المنهجُ فهو على خطرٍ عظيمٍ، ورُبَّما يصلُ إلى أن يُنكَرَ الأشياءَ الواضحةً.

وهذا الكلامُ ليس على الشُّبهاتِ التي توضيحُها مُبينٌ، وكذلك مثلاً: «تأويل الحديث»؛ لابن قتيبةٍ وغيره، فهذا مذكورٌ فيه الحلُّ، بل كلامنا هذا على واحدٍ وَقَعَ الشكُّ في قلبه ولم يعرفِ الحلَّ، أمَّا إذا وَقَعَ الشكُّ في قلبه وعرفَ حلَّهُ عن طريقِ العلماءِ أو عن طريقِ الكتبِ وهو يخشى أن كثيراً من النَّاسِ مثله، فهذا لا بأسَ أن يعرضه ويبيِّنَ الحلَّ.

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

- ٥٠٤٥ - وَنَظِيرُ هَذَا سَبَقُ أَهْلِ الْفَقْرِ لِلدُّخُولِ فِي الْجَنَّةِ فِي تَقْدِيرِهِ أَنْ رَانَ
 ٥٠٤٦ - مِئَةٌ بِخَمْسٍ ضَرْبُهَا أَوْ أَرْبَعِيْنَ
 ٥٠٤٧ - فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَدْ رَوَى أَوْلَاهُمَا
 ٥٠٤٨ - هَذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْفُقَرَاءِ فِي اسْمِ
 ٥٠٤٩ - أَوْ ذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ فِي الْأَغْنِيَا
 جَنَّاتٍ فِي تَقْدِيرِهِ أَنْ رَانَ
 نَ كِلَاهُمَا فِي ذَلِكَ مَحْفُوظَانِ
 وَرَوَى لَنَا الثَّانِي صَحَابِيَّانِ
 تَحْقَاقِ سَبَقِهِمْ إِلَى الْإِحْسَانِ
 كِلَاهُمَا لَا شَكَّ مَوْجُودَانِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله - أيضاً أن أول الناس دخولاً الجنة الفقراء قبل الأغنياء إمّا بخمسمئة عام^(١)، وإمّا بأربعين^(٢) عامًا، وهذا أيضاً من جنس خلاف ما سبق في راحة الجنة، والفرق كبير جداً، فكيف الجمع؟

ذَكَرَ - رحمه الله - الجمع من أحد وجهين: إمّا بحسب الفقراء وأن بعضهم أشد من الآخر، فيُنظَرُ إلى أشدهم فقراً بالنسبة إلى الأغنياء، ويكون ما بعد

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم (٢٣٥٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب منزلة الفقراء، رقم (٤١٢٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب العلم، باب إجلال السائل المسئول، رقم (٥٨٤٥).

الخمسمئة حسب الفقر، أو بالعكس؛ يعني: أن الفقراء يسبقون الأغنياء، وأن الأغنياء يختلفون، فبعض الأغنياء قريب من الفقراء، فتكون المسافة قصيرة؛ أربعين، وبعضهم بعيد فتكون المسافة خمسمئة.

وهذا ليس فيه هضم لحقوق الأغنياء مثلما أنهم في الدرجات يختلفون اختلافا عظيما، ومع ذلك لا يرى أحدهم أن غيره أفضل منه، وهذا أيضا لا يقتضي أن الفقراء أفضل من الأغنياء؛ لأن سبقهم لدخول الجنة بسبب ما حرموا من التعمير في الدنيا، فإنهم ذاقوا البؤس والتعب والجوع والعطش، والغالب أن الفقراء أقرب إلى الإيمان من الأغنياء، وقد يكون أقل منزلة من الغني؛ فقد يكون الغني إذا دخل فوقه بمراحل.

المهم: أن هذا الاختلاف إما بحسب تفاوت الفقراء أو بحسب تفاوت الأغنياء، وهذا بعد أن يصح الحديثان وتكون مرتبتهما واحدة، وإلا فيقدم ما هو أرجح؛ لأن المعروف أنه إذا تعذر الجمع رجعنا إلى الترجيح، وإذا أمكن فلا حاجة.

- ٥٠٥٠ - هَذَا وَأَوْلَهُمْ دُخُولًا خَيْرٌ خَلَدَ
قِ اللهُ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقُرْآنِ
- ٥٠٥١ - وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ التَّ
تَفْضِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَنَانِ
- ٥٠٥٢ - هَذَا وَأُمَّةٌ أَحْمَدُ سَبَّاقُ بَا
قِي الْخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ لِجَنَانِ
- ٥٠٥٣ - وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْ
إِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ
- ٥٠٥٤ - وَلِذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ أَسَدُ
بِقُتْلِهِمْ دُخُولًا قَوْلُ ذِي الْبُرْهَانِ

- ٥٠٥٥ - وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوْلَهُمْ يُصَا
فِيهِ إِلَهُ الْعَرْشِ ذُو الْإِحْسَانِ
- ٥٠٥٦ - وَيَكُونُ أَوْلَهُمْ دُخُولًا جَنَّةَ الْ
فِرْدَوْسِ ذَلِكَ قَامِعُ الْكُفْرَانِ
- ٥٠٥٧ - فَارُوقُ دِينِ اللَّهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ
وَرَسُولُهُ وَشَرَائِعِ الْإِيمَانِ
- ٥٠٥٨ - لَكِنَّهُ أُنْزِعَ فِيهِ بِجَنَّةِ
رُوحٍ يُسَمَّى خَالِدًا بَيَّانِ
- ٥٠٥٩ - لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ الْمَخْصُوصُ بِالصِّدِّيقِ
صَدِيقِ قَطْعًا غَيْرِ ذِي نُكْرَانِ

الشرح

- ٥٠٥٠ - هَذَا وَأَوْلَهُمْ دُخُولًا خَيْرٌ خَلْدِ
قِ اللَّهِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقُرْآنِ
- ٥٠٥١ - وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ التَّ
تَفْضِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَتَّانِ
- ٥٠٥٢ - هَذَا وَأُمَّةُ أَحْمَدٍ سَبَّاقُ بَا
قِي الْخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ لِحَنَانِ
- ٥٠٥٣ - وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْ
إِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ
- ٥٠٥٤ - وَلِذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ أَسْبَقَهُمْ
دُخُولًا قَوْلُ ذِي الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْلَهُمْ دُخُولًا خَيْرٌ خَلْقِ اللَّهِ»؛ أَي: مُحَمَّدٌ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: «أَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ»، وهذا يحتاج إلى دليل، لو قال: «أَسْبَقُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ» فلا بأس؛ فمثلاً: عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أفضلُ هذه الأمةِ بعد أبي بكرٍ، ومع ذلك ليس أسبقَهُم إلى الإسلامِ، فإن وُجِدَ دليلٌ في هذه المسألةِ بخصوصِها فعلينا اتِّبَاعُ الدَّلِيلِ، وإلَّا فينبغي أن يُقَالَ: «أَسْبَقَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَفْضَلُهُمْ».

قَوْلُهُ: «أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ أَسْبَقُهُمْ دُخُولًا»؛ يعني: أَنْ أَوَّلَ النَّاسِ دُخُولًا
من هذه الأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- ٥٠٥٥- وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوْلَهُمْ يُصَا فِحُهُ إِلَهُ الْعَرْشِ ذُو الْإِحْسَانِ
٥٠٥٦- وَيَكُونُ أَوْلَهُمْ دُخُولًا جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ ذَلِكَ قَامِعُ الْكُفْرَانِ
٥٠٥٧- فَارَوْقُ دِينِ اللَّهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ وَرَسُولُهُ وَشَرَائِعُ الْإِيمَانِ
٥٠٥٨- لَكِنَّهُ أَكْرَضَعِيفٌ فِيهِ مَجْرُوحٌ يُسَمَّى خَالِدًا بَيَّانَ
٥٠٥٩- لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ الْمَخْصُوصُ بِالصِّدِّيقِ قَطْعًا غَيْرَ ذِي نُكْرَانِ

يعني: لو صحَّ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْفِرْدَوْسَ عُمْرٌ^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لو صحَّ هذا
لكنه ضعيفٌ، كما ذكر عن الرَّجُلِ الْمُسَمَّى خَالِدًا فهو ضعيفٌ، لكن لو صحَّ فهو
مخصوصٌ بأبي بكرٍ الصَّدِيقِ؛ لأنَّ أبا بكرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أسبقُ إلى الإسلامِ
وأفضلُ من عمرَ بلا شكٍّ، وأصبرُ من عمرَ عند الشَّدائدِ، وأنتم تعرفون قصَّةَ
الحُدَيْبِيَّةِ وما فيها من شِدَّةٍ على المسلمين من الذي صَبَرَ عليها؟

الجوابُ: أبو بكرٍ أصبرُ من عمرَ، عمرُ كان يَنَازِعُ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ، يَقُولُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ
نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي»،
قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ مُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى»، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا

(١) يعني حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُهُ الْحَقُّ عُمْرُ بْنُ
الْحَطَّابِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَدْخِلُهُ الْجَنَّةَ». أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٨٠)،
رقم (١٢٤٥).

نَأْتِيهِ الْعَامَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ»^(١).

المهم: أنه لم يصبر، وأبو بكرٍ صَبَرَ، وكان جوابه جوابَ النَّبِيِّ ﷺ سواءً بسواءٍ، وعند موتِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْ صَبَرَ؟ الجوابُ: أبو بكرٍ، أمَّا عمرٌ فقام خطيباً في النَّاسِ، وقال: «وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فليَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ»^(٢)، وعند تنفيذِ جيشِ أسامةَ صَبَرَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَفَذَ الْجَيْشَ معَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ محتاجونَ له، وعند قتالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ صَبَرَ أبو بكرٍ.

من هذه المقاماتِ الضَّنْكَ الشَّدِيدَةُ يَتَبَيَّنُ فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكلاهما ذو فضلٍ.

المهم: أنه إذا صَحَّ الْحَدِيثُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِحَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ؛ يَعْنِي: أَوْلَهُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، وَإِذَا كَانَ عَمْرٌ أَوْلَهُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ فَلَا مَرُ وَاضِحٌ؛ لِأَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عَمْرٌ بِنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- ٥٠٦٠ - هَذَا وَأَوْلَهُمْ دُخُولًا فَهُوَ خَيْرٌ - هَادٍ عَلَى الْحَالَاتِ لِلرَّحْمَنِ
 ٥٠٦١ - إِنْ كَانَ فِي السَّرَّاءِ أَصْبَحَ حَامِدًا أَوْ كَانَ فِي الضَّرِّاءِ فَحَمْدُ ثَانِي
 ٥٠٦٢ - هَذَا الَّذِي هُوَ عَارِفٌ بِإِلَهِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ الرَّبَّانِي
 ٥٠٦٣ - وَكَذَا الشَّهِيدُ فَسَبْقُهُ مُتَيَقَّنٌ وَهُوَ الْجَدِيرُ بِذَلِكَ الْإِحْسَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٤٦٧).

- ٥٠٦٤- وَكَذَلِكَ الْمَمْلُوكُ حِينَ يَقُومُ بِأَلْ - حَقِّينِ سَبَّاقٍ بَغَيْرِ تَوَانٍ
 ٥٠٦٥- وَكَذَا فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَيْسَ بِأَلْ - مِلْحَاحٍ بَلْ ذُو عِفَّةٍ وَصِيَانٍ

الشرح

كُلُّ هذه الأشياءِ التي ذَكَرَهَا المؤلِّفُ - رحمه الله - هي أَوْلِيَّاتٌ نَسَبِيَّةٌ؛ لأنَّنا لو لم نقل بذلك لكانت الأحاديثُ متعارضةً، فيقالُ: هو أَوَّلٌ بالنسبة لهذا الصَّنِفِ، مثلاً: فقيرٌ ذو عِيَالٍ، نقولُ: هو أَوَّلُ الفقراءِ^(١)، كذلك العبدُ المملوكُ الذي قام بحقِّ الله وحقِّ سيِّده هو أَوَّلُ الممالِكِ^(٢)... وهكذا نجعلُ الأَوْلِيَّةَ نَسَبِيَّةً حتَّى لا يحصلَ التَّعارضُ بين هذه الآثارِ.

(١) يعني حديث: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: فَأَمِيرٌ مُسَلِّطٌ، وَذُو ثُرُوءٍ مِنْ مَالٍ لَا يُعْطِي حَقَّ مَالِهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ». أخرجه أحمد (٢/٤٢٥، رقم ٩٤٨٨)، وابن أبي شيبة (٧/٢٦٨، رقم ٣٥٩٦٩)، والحاكم (١/٥٤٤، رقم ١٤٢٩)، والبيهقي (٤/٨٢، رقم ٧٠١٩).

(٢) تقدم تخريجه، وهو الحديث السابق نفسه.

فصل

في عدد الجنات، وأجناسها

- ٥٠٦٦- وَالْجَنَّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
جِدًّا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
٥٠٦٧- ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتْهُ مِنْ
حُلِيِّ وَأَنْبِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
٥٠٦٨- وَكَذَلِكَ أَيْضًا فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ
حُلِيِّ وَبُنْيَانِ وَكُلُّ أَوَانِي
٥٠٦٩- لَكِنَّ دَارَ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَعَدُّ
نِ وَالسَّلَامِ إِضَافَةٌ لِمَعَانِي
٥٠٧٠- أَوْصَافُهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْهِ
هِيَ مَدْحَةٌ مَعَ غَايَةِ التَّبْيَانِ
٥٠٧١- لَكِنَّمَا الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْ
سَطُهَا مَسَاكِينُ صَفْوَةِ الرَّحْمَنِ
٥٠٧٢- أَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ لِأَعْلَى الْخَلْقِ مَنْ
زِلَّةٌ هُوَ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
٥٠٧٣- وَهِيَ الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ
خَلَصَتْ لَهُ فَضْلًا مِنَ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ٥٠٦٦- وَالْجَنَّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
جِدًّا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
٥٠٦٧- ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتْهُ مِنْ
حُلِيِّ وَأَنْبِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
٥٠٦٨- وَكَذَلِكَ أَيْضًا فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ
حُلِيِّ وَبُنْيَانِ وَكُلُّ أَوَانِي

أصل الجنة ثنتان وثنان كما في قوله تعالى في سورة «الرحمن»: ﴿وَلَمَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿ [الرَّحْمَنُ: ٤٦]، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٢]، جَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهَا وَمَا فِيهَا، الْأَوَانِي وَالْبِنَاءُ وَكُلُّ شَيْءٍ ذَهَبٌ يَتَلَأَأُ، وَلَيْسَ كَذَهَبِ الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَتَانِ مِنْ فَضِيَّةٍ آنِيَتُهَا وَمَا فِيهَا، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، الْأَوْلَيَانِ لِلْمُتَّقِينَ، وَالْآخِرِيَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.

٥٠٦٩- لَكِنَّ دَارَ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَعَدْنٌ وَالسَّلَامُ إِضَافَةٌ لِمَعَانِي

٥٠٧٠- أَوْصَافُهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْهَا مِدْحَةٌ مَعَ غَايَةِ التَّبْيَانِ

جَنَّةُ الْخُلْدِ، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى، وَعَدْنٌ، وَدَارُ السَّلَامِ، هَذِهِ أَوْصَافٌ لَا أَعْيَانٌ، فَلَا نَقُولُ: دَارُ الْخُلْدِ وَاحِدَةٌ، الْمَأْوَى وَاحِدَةٌ، عَدْنٌ وَاحِدَةٌ، السَّلَامُ وَاحِدَةٌ؛ بَلْ هِيَ أَوْصَافٌ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَوْصُوفُ وَاحِدًا وَأَوْصَافُهُ كَثِيرَةً، فَلَا تَظُنُّ أَنَّ هَذَا تَعَدُّدٌ أَعْيَانٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَدُّدٌ أَوْصَافٍ.

إِذْنُ الْجَنَّةِ لَهَا أَسْمَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ، لَكِنْ أَصْلُهَا أَرْبَعٌ.

٥٠٧١- لَكِنَّهَا الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا مَسَاكِينُ صَفْوَةِ الرَّحْمَنِ

٥٠٧٢- أَعْلَاهُ مَنزِلَةٌ لِأَعْلَى الْخَلْقِ مِنْ زِلَّةٍ هُوَ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

٥٠٧٣- وَهِيَ الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ خَلَصَتْ لَهُ فَضْلًا مِنَ الرَّحْمَنِ

أَعْلَى الْجِنَانِ الْفِرْدَوْسُ، فَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَاتِ وَأَوْسَطُ الْجَنَاتِ، وَإِذَا كَانَتْ أَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا عَلَى الْجَنَاتِ مِثْلُ الْقُبَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ الْأَعْلَى الْأَوْسَطُ إِلَّا إِذَا كَانَ مُقَوَّسًا، فَهِيَ مِثْلُ الْقُبَّةِ عَلَى الْجَنَاتِ، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهَا عَرْشُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ أَعْلَى مَا يَكُونُ مَنزَلَةً، وَهِيَ مَنَازِلُ صَفْوَةِ عِبَادِ اللَّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ الصُّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ عَلَى

حَسَبَ مَرَاتِبِهِمْ، وَفِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَا يُسَمَّى بِالْوَسِيلَةِ، وَهَذِهِ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ «خَلَصْتُ لَهُ»؛ أَي: اخْتَصَّ بِهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِنَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]؛ يَعْنِي: أَنْتَ مَخْتَصٌّ بِهَا؛ وَلِذَا قَالَ ﷺ فِي مَتَابَعَةِ الْمُؤَذِّنِ وَالِدُعَاءِ بَعْدَهُ: «ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي -يعني: لا تصلح- إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ»^(١)، فَخُصَّ بِهَا -صلواتُ الله وسلامه عليه- فَضلاً مِنْ اللَّهِ وَمِنَّةً، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ، وَكَمَا اخْتَصَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِخَصَائِصٍ عَظِيمَةٍ، لَكِنْ هَذِهِ الْخَصَائِصُ لَا تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ لَهُ شَيْءٌ وَلَوْ قَلِيلاً مِنَ الرَّبُوبِيَّةِ أَبَدًا، فَهُوَ نَفْسُهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، لَكِنْ لَهُ فَضَائِلٌ مَيَّزَهُ اللَّهُ بِهَا، وَأَمَّا خَصَائِصُ الرَّبِّ فَلَا يَنَازِعُهُ فِيهَا أَحَدٌ.

- ٥٠٧٤- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ تَفْـ ضَيْلُ الْجِنَانِ مُفْصَلًا بَيَّانِ
 ٥٠٧٥- هِيَ أَرْبَعُ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ ثُمَّ مَ يَلِيهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ
 ٥٠٧٦- فَالْأُولَيَانِ الْفُضْلَيَانِ لِأَوْجُهِهِ عَشْرٌ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوِزَانِ
 ٥٠٧٧- وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتُمَا فِيهِ تَلُوحٌ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

الشرح

- ٥٠٧٤- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ تَفْـ ضَيْلُ الْجِنَانِ مُفْصَلًا بَيَّانِ
 قَوْلُهُ: «تَفْضِيلُ الْجِنَانِ مُفْصَلًا»، وَيَجُوزُ «تَفْصِيلُ الْجِنَانِ مُفْصَلًا»، لَكِنْ الْأَوَّلُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، رقم (٣٨٤).

أحسن؛ لأجل أن نحصل على معينين:

أحدهما: التفضيل، والثاني: التفصيل.

٥٠٧٥- هِيَ أَرْبَعٌ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ ثُمَّ مَ يَلِيهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ

ودليل هذا واضح؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٤٦]،

ثُمَّ ذَكَرَ مَا فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٦٢].

٥٠٧٦- فَالْأُولَيَانِ الْفُضْلَيَانِ لِأَوْجِهِ عَشْرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوِرَانٍ

قَوْلُهُ: «وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوِرَانٍ»، وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْسُرَ.

٥٠٧٧- وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا فِيهِ تَلْوُحٌ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

ابن القيم - رحمه الله - ذَكَرَ أَنَّ الْمَفَاضِلَةَ بَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ مِنْ عَشْرَةِ أَوْجِهٍ تَدُلُّ عَلَى

أَنَّ الْأُولَيَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الْأُخْرَيَيْنِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَعْسُرُ نَظْمُهَا، وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْسُرَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهَا تَلْوُحٌ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ.

من ذلك أنه تعالى قال في اللَّتَيْنِ بَعْدَهُمَا: ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرَّحْمَن: ٦٨]

مَقَابِلُ: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٢]، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ أَيضًا:

﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ [الرَّحْمَن: ٦٤] مَقَابِلُ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٤٨].

ومن ذلك أنه قال أيضًا: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٢]، وهذا

مَقَابِلُ: ﴿فِيهَا فَصْرَتٌ أَلْطَرَفُ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٦]، وَ﴿فَصْرَتٌ أَلْطَرَفُ﴾؛ أَي: قَاصِرَاتُ

أَطْرَافَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، هَذَا مَعْنَى، الْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَيضًا لَا يَنْظُرُونَ

إِلَى غَيْرِهِنَّ لِكَمَالِهِنَّ وَحُسْنِهِنَّ، فَهِنَّ قَاصِرَاتُ أَطْرَافِ الْأَزْوَاجِ، فَعَلَى الْوَجْهِ

الْأَوَّلِ يَكُونُ الطَّرْفُ قَاصِرًا، فَهُوَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ إِلَى فَاعِلِهِ، وَعَلَى

الثاني من بابِ إضافته إلى مفعوله، والآية تحتمل هذا وهذا، والقاعدة أننا نحملها على المعنيين؛ فهنَّ قاصراتُ أطرافهنَّ على أزواجهنَّ لا ينظرنَّ إلى غيرهم، وهنَّ كذلك يقصرنَّ أطرافَ أزواجهنَّ عليهنَّ بحيث لا يريدُ الإنسانُ سوى هذه الزوجة، أمَّا الأخرى فقال: ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢]، فهنَّ مقصوراتٌ.

فإن قال قائل: قوله تعالى: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢] أفلا يُؤدِّي إلى التفضيل؟ أو يُقال: لا يُؤدِّي إلى التفضيل؛ لأنَّ الأولى لم يذكر فيها ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ فهنَّ سارحاتٌ في الخيام، وفي الرَّحَبَاتِ، وفي كُلِّ مكانٍ، ومع ذلك هنَّ قاصراتُ الطَّرْفِ؟

الظاهر أنَّ قوله: ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ لا يدلُّ على التفضيل.

فإن قال قائل: في الجنتين الأخرين قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٠] ولم يذكر ذلك في الأوليين، بل قال: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الطَّرْفُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥٦]؟

فالجواب أنَّ قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ مع قوله في بقية الآيات: ﴿فِيهِمَا﴾ يدلُّ على أنَّ أوصافَ الحورِ في الجنانِ الأربعِ كُلِّها؛ يعني: ﴿خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ تشملُ الجنتينِ الأوليينِ والجنتينِ الأخرينِ، وتمتازُ الأوليانِ بأنَّهما قاصراتُ الطَّرْفِ في مقابل: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢]، أمَّا ﴿خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾؛ أي: خيراتُ الطَّبَاعِ والأخلاقِ حَسَنَاتٌ الوجوه فهذه شاملةٌ للجناتِ الأربعِ؛ ولهذا تجدون أنَّ الله تعالى يذكرُ ما في هذه الجنانِ الأربعِ بالتثنية، فكلُّ واحدةٍ لها ما اختصَّت به، لكن في الحورِ يذكرُها بلفظِ الجمعِ فيقول: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الطَّرْفُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥٦]، ويقول: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٠].

وفي تفسير الجلالين^(١): أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِنَّ﴾ لَا يَعُودُ -حَسَبَ تَفْسِيرِهِ- إِلَى الْجَنَّاتِ الْأَرْبَعِ، وَلَكِنْ ﴿فِيهِنَّ﴾؛ أَي: فِي قُصُورِهِنَّ وَعِلَالِيهِنَّ؛ أَي: مَسَاكِنِهِنَّ، وَلَكِنْ عِنْدِي أَنَّ ذَلِكَ غَلْطٌ، بَلِ الْحَوْرُ الْعَيْنُ ذُكِرَتْ أَوْصَافُهَا مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً فِي الْجَنَّتَيْنِ الْعَالِيَتَيْنِ، وَمَرَّةً فِي الْجَنَّتَيْنِ الْمَفْضُولَتَيْنِ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَصْرَاتٌ أَلْطَرَفُ لَمْ يَطْمِئَنَنَّ إِسْسُ فَبَلَّهِنَّ وَلَا جَانُّ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٦]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٢]، لَكِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٠] هَلْ نَقُولُ: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ قَدْ حُرِّمُوا الْحَوْرَ مِنْ كَوْنِهِنَّ خَيْرَاتِ الْأَخْلَاقِ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ؛ وَلِذَلِكَ أَرَى -وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ مِنْ كَلَامِهِ- أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى الْجَنَّاتِ الْأَرْبَعِ فِي مَسْأَلَةِ الْحَوْرِ، فَالصَّحِيحُ مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ؛ وَهَذَا لَمْ يَذْكُرْ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِأَنَّهَا خَاصَّةٌ بِالْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ.

- | | |
|---|--|
| فِرْدَوْسٍ عِنْدَ تَكَامُلِ الْبُنْيَانِ | ٥٠٧٨- سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ الْ |
| فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمَ بَانَ | ٥٠٧٩- وَيَدَاهُ أَيْضًا أَتَقَنَّتْ لِبِنَائِهَا |
| تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ | ٥٠٨٠- هِيَ فِي الْجَنَانِ كَادِمٍ وَكِلَاهُمَا |
| ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ ذُو نُكْرَانِ | ٥٠٨١- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ |
| يُثْبِتُ بِذَا فَضْلًا عَلَى الشَّيْطَانِ | ٥٠٨٢- وَلَدُ عَقُوقٍ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ |
| ثِيرُ الْمَشِيئَةِ لَيْسَ ثَمَّ يَدَانِ | ٥٠٨٣- فَكِلَاهُمَا تَأْيِيرٌ قُدْرَتِهِ وَتَأْ |
| كُلُّ بِنْعَمَةٍ رَبِّهِ الْمَنَّانِ | ٥٠٨٤- آلاهُمَا أَوْ نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ |

(١) انظر: تفسير الجلالين (ص: ٧١٢).

الشرح

٥٠٧٨- سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ آلِ فِرْدَوْسٍ عِنْدَ تَكَامُلِ الْبُنْيَانِ

٥٠٧٩- وَيَدَاهُ أَيْضًا اتَّقَنَتْ لِبِنَائِهَا فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمَ بَانَ

قَوْلُهُ: «أَعْظَمَ بَانِي»، وَيَجُوزُ «أَعْظَمَ» بِالْفَتْحِ، وَهُوَ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّهَا نَكْرَةٌ، فَتَكُونُ حَالًا مِنْ «الرَّحْمَنُ».

٥٠٨٠- هِيَ فِي الْجِنَانِ كَادِمٍ وَكِلَاهُمَا تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «هِيَ فِي الْجِنَانِ كَادِمٍ» «هِيَ»؛ أَي: الْفِرْدَوْسُ.

الْفِرْدَوْسُ فِي الْجِنَانِ كَادِمٌ فِي الْبَشَرِ؛ أَي: إِنَّ الْفِرْدَوْسَ خَلَقَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَدَمَ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ.

قَوْلُهُ: «وَكَِلَاهُمَا تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّهَا فَضِّلَتْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ

تَعَالَى «خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ - لِمُوسَى - بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ»^(١)، وَكُلُّ مَا أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ بِلَا شَكٍّ.

٥٠٨١- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ دُونَ نُكْرَانِ

الْجَهْمِيُّ لَا يُثْبِتُ لِلَّهِ يَدَيْنِ، وَلَا يُثْبِتُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَلَا خَلَقَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ بِيَدِهِ، وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْيَدِ الْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ؛ وَالْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: آدَمُ مَخْلُوقٌ بِالْقُدْرَةِ وَالشَّيْطَانُ مَخْلُوقٌ بِالْقُدْرَةِ، فَلَا فَضْلَ بَيْنَهُمَا.

(١) أخرجه الدارقطني في الصفات (١/٢٦، رقم ٢٨) والخرائطي في مساوي الأخلاق (ص: ١٦٢)، رقم (٤٢٦).

٥٠٨٢- وَلَدُ عَقُوقُ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ يُثَبِّتْ بِذَا فَضْلاً عَلَى الشَّيْطَانِ

وصدق رحمه الله، فالجهميُّ عَقَّ والده، عَقَّ آدَمَ؛ حيث أنكر هذا الفضل الذي ميَّزه اللهُ به، وهو أنه خلقه بيده؛ حيث قال: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ بِقُوَّتِهِ، وَخَلَقَ الشَّيْطَانَ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ؛ إِذْ نَ لَا فَضْلَ لآدَمَ عَلَى الشَّيْطَانِ، فيجعلُ آدَمَ مِثْلَ الشَّيْطَانِ، كلاهما خُلِقَ بِالْكَلِمَةِ ﴿كُنْ﴾ فكان، فالجهميُّ ينكرُ اليدَ -والعياذُ بالله- ومثله الأشاعرةُ ومَنْ نَحَانُحُوهُمْ.

وقد نصَّ ابنُ القيمِ على الجهميِّ لأنَّه هو أوَّلُ مَنْ سَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ، فعليه وزرُّها ووزرٌ من تَبِعَهُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مع أن الله أشار إلى هذا الفضلِ بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ١٧٥].

ثم يقول على رأي الجهم:

٥٠٨٣- فَكِلَاهُمَا تَأْتِيرُ قُدْرَتَهُ وَتَأْتِيرُ الْمَشِيئَةَ لَيْسَ تَمَّ يَدَانِ

هذا رأيُ الجهميِّ.

٥٠٨٤- آلاهُمَّ أَوْ نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ كُلُّ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ الْمَنَّانِ

يعني: آلاءُ الله ونعمتهُ وخلقُهُ كُلُّ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ الْمَنَّانِ.

- ٥٠٨٥- لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْغَرَسَ قَا
 لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِيَّانِ
 ٥٠٨٦- قَدْ أَفْلَحَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ
 مَاذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ
 ٥٠٨٧- وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَا
 كَ عُوَيْمِرٌ أَنْرًا عَظِيمَ الشَّانِ
 ٥٠٨٨- يَهْتَرُ قَلْبُ الْعَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ
 طَرَبًا بِقَدْرِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ
 ٥٠٨٩- مَا مِثْلُهُ أَبَدًا يُقَالُ بِرَأْيِهِ
 أَوْ كَانَ يَا أَهْلًا بِذَا الْعِرْفَانِ
 ٥٠٩٠- فِيهِ النُّزُولُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فِاحٍ
 دَاهُنَ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الثَّانِي
 ٥٠٩١- يَمْحُو وَيُنْبِتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ
 وَبِعِزَّةٍ وَبِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
 ٥٠٩٢- فَتَرَى الْفَتَى يُمَسِّي عَلَى حَالٍ وَيُضِدُّ
 سَبْحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ
 ٥٠٩٣- هُوَ نَائِمٌ وَأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ
 لَيْلًا وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ الشَّانِ
 ٥٠٩٤- وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى عَدَنِ مَسَا
 كِنِ أَهْلِهِ هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ
 ٥٠٩٥- الرُّسُلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ وَمَعَهُمُ الضُّ
 صِدِّيقٌ حَسْبُ فَلَا تَكُنْ بِجَبَانِ
 ٥٠٩٦- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ الْأَذْنَانِ
 ٥٠٩٧- كَلَّا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ الْمِثْمَا
 لُ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
 ٥٠٩٨- وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى هَذِي السَّمَآ
 ءِ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَدْمَانِ
 ٥٠٩٩- أَوْ دَاعٍ أَوْ مُسْتَغْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ
 أُعْطِيهِ إِنِّي وَاسِعُ الْإِحْسَانِ
 ٥١٠٠- حَتَّى يُصَلِّيَ الْفَجْرَ يَشْهَدُهَا مَعَ الْ
 أَمْلَاكِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْقُرْآنِ

٥١٠١- هَذَا الْحَدِيثُ بِطَوِيلِهِ وَسِيَّاقِهِ وَتَمَامِهِ فِي «سُنَّةِ الطَّبْرَانِيِّ

الشرح

٥٠٨٥- لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْغَرَسَ قَا لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِيَّانٍ

لَمَّا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْغَرَسَ قَالَ لِلْجَنَّةِ: تَكَلَّمِي، فَتَكَلَّمْتُ^(١)، فَقَالَتْ:

٥٠٨٦- قَدْ أَفْلَحَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ مَادَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ

الجنة تكلمت بهذا الكلام: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]؛ يعني: نجوا من

مكروهم، وَحَصَلَ لَهُمْ مَطْلُوبُهُمْ، وَاقْرَأِ الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١]، أَسْأَلُ اللَّهَ

أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرِثَ هَذِهِ الْفِرْدَوْسَ فَعَلَيْكَ بِالصِّفَاتِ السَّعِ الْمَذْكُورَةِ فِي

الآيَاتِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ

اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ

(٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ

ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ

عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٩]، فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ

(١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١]، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثًا فَقَالَ:

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١١/١٨٤، رَقْمُ ١١٤٣٩)، (١٢/١٤٧، رَقْمُ ١٢٧٢٣)،

وَالْأَوْسَطِ (١/٢٢٤، رَقْمُ ٧٣٨)، (٥/٣٤٩، رَقْمُ ٥٥١٨)، وَتَمَامٌ فِي الْفَوَائِدِ (١/١٠٩، رَقْمُ

٢٥٨) قَالَ الْهَيْثَمِيُّ (١٠/٣٩٧): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ، وَأَحَدُ إِسْنَادِي الطَّبْرَانِيِّ فِي

الْأَوْسَطِ جَيِّدٌ.

- ٥٠٨٧- وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَا
 ٥٠٨٨- يَهْتَزُّ قَلْبُ الْعَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ
 ٥٠٨٩- مَا مِثْلُهُ أَبَدًا يُقَالُ بِرَأْيِهِ
 ٥٠٩٠- فِيهِ النُّزُولُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فَإِذَا
 ٥٠٩١- يَمْحُو وَيُنْبِتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ
 ٥٠٩٢- فَتَرَى الْفَتَى يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُضْ
 ٥٠٩٣- هُوَ نَائِمٌ وَأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ
 ٥٠٩٤- وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى عَدْنٍ مَسَا
 ٥٠٩٥- الرُّسُلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ وَمَعَهُمُ الضُّ
 ٥٠٩٦- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 ٥٠٩٧- كَلَّا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ الْمِثَا
 ٥٠٩٨- وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى هَذِي السَّمَآ
 ٥٠٩٩- أَوْ دَاعٍ أَوْ مُسْتَغْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ
 ٥١٠٠- حَتَّى يُصَلِّيَ الْفَجْرَ يَشْهَدُهَا مَعَ الْ
 ٥١٠١- هَذَا الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ وَسِيَاقِهِ
 كَ عُوَيْمِرٌ أَثَرًا عَظِيمَ الشَّانِ
 طَرَبًا بِقَدْرِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ
 أَوْ كَانَ يَا أَهْلًا بِذَا الْعِرْفَانِ
 سِدَاهُنَّ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الثَّانِي
 وَبِعِزَّةٍ وَبِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
 سُبْحٌ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ
 لَيْلًا وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ الشَّانِ
 كِنِ أَهْلِهِ هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ
 صِدِّيقٌ حَسْبُ فَلَا تَكُنْ بِجَبَانِ
 كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ الْأُذُنَانِ
 لُ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
 ءِ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَدْمَانِ
 أُعْطِيهِ إِنِّي وَاسِعُ الْإِحْسَانِ
 أَمْلَاكَ تِلْكَ شَهَادَةُ الْقُرْآنِ
 وَتَمَامِهِ فِي «سُنَّةِ» الطَّبْرَانِي
 قَوْلُهُ: «وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدَّرْدَاءِ...» ولفظُ هذا الحديثِ: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى

في آخر ثلاث ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَنْظُرُ اللهُ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ غَيْرُهُ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وَهِيَ مَسْكَنُهُ الَّذِي يَسْكُنُ فِيهِ، لَا يَكُونُ مَعَهُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّادِقُونَ، وَفِيهَا مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ آخِرَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ؟ أَلَا سَائِلٌ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ أَلَا دَاعٍ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(١)، وعلى كُلِّ حَالٍ إِذَا صَحَّ هَذَا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَإِنَّ مِثْلَهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ مِمَّنْ عُرِفَ بِالْأَخْذِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَيَكُونُ لَهُ حَكْمُ الرَّفْعِ.

قَوْلُهُ: «فَتَرَى الْفَتَى يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُصْبِحُ فِي سِوَاهَا»؛ يَعْنِي: يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُصْبِحُ فِي سِوَاهَا، يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، أَوْ بِالْعَكْسِ؛ يُمْسِي كَافِرًا وَيُصْبِحُ مُؤْمِنًا؛ وَلِذَا قَالَ: «وَيُصْبِحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ»، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

قَوْلُهُ: «تِلْكَ شَهَادَةُ الْكُفْرَانِ»؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٢٥، رقم ٤٧).

فصل

في بناء الجنة

- ٥١٠٢ - وَبِنَاؤُهَا اللَّبَنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأُخْرٍ رَرَى فِضَّةً نَوْعَانِ مُحْتَلِفَانِ
- ٥١٠٣ - وَقُصُورُهَا مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ
- ٥١٠٤ - وَكَذَلِكَ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ بِهِ نَظِمَ الْبِنَاءِ بِغَايَةِ الْإِتْقَانِ
- ٥١٠٥ - وَالطِّينُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ جَابِذًا أَثْرَانِ مَقْبُولَانِ
- ٥١٠٦ - لَيْسَا بِمُحْتَلَفَيْنِ لَا تُنْكِرُهُمَا فَهُمَا الْمِلَاطُ لِذَلِكَ الْبُنْيَانِ

الشرح

قوله: «أَوْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ» الْعِقْيَانُ هُوَ الذَّهَبُ.

قوله: «الطِّينُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ» لَيْسَ بَيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ؛ لِأَنَّهَا يَكُونَانِ مَخْلُوطَيْنِ وَيُمْلَطُ بِهِمَا الْبِنَاءُ، فَلَا تَنَافِي بَيْنَهُمَا، وَالْمِلَاطُ؛ أَي: الَّذِي يُمْلَطُ بِهِ الْجِدَارُ، وَيُسَمَّى عِنْدَنَا «التَّلِيسُ».

فصل

في أرضها وحصباؤها وتربها

- ٥١٠٧- وَالْأَرْضُ مَرْمَرَةٌ كَخَالِصِ فِضَّةٍ مِثْلَ الْمِرَاةِ تَنَالُهُ الْعَيْنَانِ
 ٥١٠٨- فِي «مُسْلِمٍ» تَشْبِيهًا بِالذَّرْمَكِ الصُّ صَافِي وَبِالْمِسْكِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 ٥١٠٩- هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لَطِيْبِ بِرِيحٍ صَارَ هُنَاكَ تَشْبِيهًا
 ٥١١٠- حَصْبًا وَهِيَ دُرٌّ وَيَأْقُوتُ كَذَا كَاللَّيْلِ نُثِرَتْ كَثْرًا جَمَانِ
 ٥١١١- وَتُرَابُهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ أَوْ مِنْ أَلِ مِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غِزْلَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «بِالذَّرْمَكِ»، «الذَّرْمَكُ»؛ هو: الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صُفْرَةٍ.

قَوْلُهُ: «هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لَطِيْبِ رِيحٍ»؛ يعني: الذَّرْمَكُ والمِسْكُ لِلطَّيْبِ.

قَوْلُهُ: «وَتُرَابُهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ أَوْ مِنْ الْمِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غِزْلَانٍ»؛ وذلك لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمِسْكَ دَمٌ نَوْعٍ مِنَ الْغِزْلَانِ؛ كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

فَإِنَّ تَفْقِ الْأَنَامِ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغِزَالِ^(١)

(١) البيت للمتنبّي، انظر: شرح ديوان المتنبّي للعكبري (١/ ٣٨٠).

ومعلومٌ أنَّ المسكَّ ليس كالدمِّ مع أنَّ أصله دمٌّ، وأنَّ هذا النوعَ من الغزلان يُروِّضُ على صفةٍ معيَّنة، ثمَّ بعد ذلك يُطارِدُ حتَّى يتعبَ، فإذا تعبَ نَزَلَ منه دمٌّ عند سُرَّتِه، ثمَّ يأتي هؤلاء الذين يتولَّونه فيربطون هذا الدمَّ بخيطٍ ربطاً شديداً قوياً من أجلِ ألاَّ يعودَ الدمُّ إلى الجسمِ، ومن أجلِ ألاَّ يأتي هذا الجزءُ شيءٌ من الغذاءِ، وبعد مدَّةٍ ينقطعُ عنه الغذاءُ فيموتُ، ثمَّ ينزلُ مسكاً في وعاءٍ، وعاءُه هو هذا الجزءُ الذي انفصلَ، وهذا النوعُ من المسكِّ يقولون: هو أطيَّبُ أنواعِ المسكِّ.

وتجدون في كلامِ الفقهاءِ أنَّهم يُعبِّرون في البيعِ بالمسكِّ وفأرتِه؛ يعني: وعاءَه.

وقَوْلُهُ: «المسكُّ الَّذي ما اسْتَلَّ مِنْ غَزْلَانٍ»؛ أي: بل خُلِقَ ابتداءً؛ يعني: هو مخلوقٌ على هذا أصلاً.

فصل

في صفة غرفاتها

- ٥١١٢- عُرفَاتُهَا فِي الْجَوْ يُنْظَرُ بَطْنُهَا مِنْ ظَهْرِهَا وَالظَّهْرُ مِنْ بَطْنَانِ
 ٥١١٣- سُكَّانُهَا أَهْلُ الْقِيَامِ مَعَ الصِّيَامِ مِ وَطِيبِ الْكَلِمَاتِ وَالْإِحْسَانِ
 ٥١١٤- ثِتَانِ خَالِصِ حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَعَبِيدُهُ أَيْضًا لَهُمْ ثِتَانِ

الشرح

مَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْأَرْبَعِ فَإِنَّهُ مِنْ سُكَّانِ الْجَنَّةِ فِي هَذِهِ الْغُرْفِ؛ فَمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا، فَهُوَ مِنْ سُكَّانِ الْجَنَّةِ فِي هَذِهِ الْغُرْفِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ يَرَى عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ سُئِلَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ سَاكِنِيهَا فَقَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا»^(١)، فَالْقِيَامُ وَالصِّيَامُ حَقُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَطِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ هَذَا لِلْعِبَادِ، عَلَى أَنَّنَا نَرَى أَنَّ طِيبَ الْكَلَامِ يَشْمَلُ الذِّكْرَ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْمٌ مِنْ كَوْنِهِ حَقًّا خَاصًّا لِلْإِنْسَانِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذَا الصِّفَاءُ الْعَظِيمُ هَلْ يَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ مَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ سَرًّا؟ الْجَوَابُ: إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ سَرًّا فَهَنَّاكَ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْخِيَامِ الْكِبَارِ مَا يَكُونُ كَالْأَخْبِيئَةِ لِمَا يَرِيدُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ سَرًّا.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قول المعروف، رقم (١٩٨٤).

فصل

في خيام أهل الجنة

- ٥١١٥ - لِلْعَبْدِ فِيهَا خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدْ جُوفَتْ هِيَ صَنْعَةُ الرَّحْمَنِ
- ٥١١٦ - سِتُونٌ مِثْلًا طَوْلُهَا فِي الْجَوْفِ فِي كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّسْوَانِ
- ٥١١٧ - يَغْشَى الْجَمِيعَ فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَذَا لِاتِّسَاعِ مَكَانِ
- ٥١١٨ - فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِهَا الْأَبْوَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ زَيْنَ بِالْمَرْجَانِ
- ٥١١٩ - وَخِيَامُهَا مَنْصُوبَةٌ بِرِيَاضِهَا وَشَوَاطِئُ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرَيَانِ
- ٥١٢٠ - مَا فِي الْخِيَامِ سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلَتْ لِلنَّيِّرَيْنِ لَقُلْتِ مُنْكَسِفَانِ
- ٥١٢١ - اللَّهُ هَاتِيكَ الْخِيَامَ فَكَمْ بِهَا لِلْقَلْبِ مِنْ عَلَقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
- ٥١٢٢ - فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ خِيَرَاتُ حِسَانٍ هُنَّ خَيْرُ حِسَانِ
- ٥١٢٣ - خِيَرَاتُ أَخْلَاقٍ حِسَانٍ أَوْجُهًا فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مُتَّفِقَانِ

الشرح

- ٥١١٥ - لِلْعَبْدِ فِيهَا خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدْ جُوفَتْ هِيَ صَنْعَةُ الرَّحْمَنِ
- بَيَّنَّ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْخِيَامَ، وَأَنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤٍ مُجَوَّفَةٍ، وَالَّذِي صَنَعَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ مُقْتَضَى رَحْمَتِهِ.

٥١١٦- سِتُونٌ مِيلاً طُولُهَا فِي الْجَوِّ فِي كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّسْوَانِ قَوْلُهُ: «سِتُونٌ مِيلاً طُولُهَا فِي الْجَوِّ» سِتُونٌ مِيلاً^(١)، والميلُ كيلو ونصف تقريباً، إذن طولها في الجو تسعون كيلو.

قَوْلُهُ: «وَفِي كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّسْوَانِ» سواءٌ كُنَّ مِنَ الْحَوْرِ أَوْ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢].

٥١١٧- يَغْشَى الْجَمِيعَ فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَذَا لِاتِّسَاعِ مَكَانِ الرَّجُلِ يَغْشَى الْجَمِيعَ؛ يَعْنِي: بِالْجَمَاعِ، فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ وَهَذَا لِاتِّسَاعِ الْمَكَانِ وَبُعْدِهِ، وَلِمَا يَجْعَلُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بَيْنَهُمْ مِنَ السَّتْرِ؛ وَلِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَهُ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ مَنْ يَرَى فِي مُلْكِهِ أَلْفِي سَنَةٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، لَكِنْ فِيمَا إِذَا أَرَادُوا أَلَّا يَكُونَ كَذَلِكَ، هُمْ فِي خِيْمَةٍ وَاحِدَةٍ مَتْرَامِيَةِ الْأَطْرَافِ، لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.

٥١١٨- فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِهَا الْأَبْوَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٌّ زَيْنَ بِالْمَرْجَانِ قَوْلُهُ: «مَقَاصِيرٌ» جَمْعُ مَقْصُورَةٍ.

الْمَقَاصِيرُ فِيهَا أَبْوَابُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٌّ وَمَرْجَانٍ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَيَّلَ مِثْلَ هَذَا الْحُسْنِ مَهْمَا بَلَغَ تَخَيُّلُهُ فِي الْقُوَّةِ.

٥١١٩- وَخِيَامُهُمَا مَنْصُوبَةٌ بِرِيَاضِهَا وَشَوَاطِئُ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرِيَانِ يَعْنِي: أَنَّ الْخِيَامَ بِالرِّيَاضِ وَعَلَى شَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرِيَانِ.

(١) يعني حديث: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتٍ، لَهُ الْخِيْمَةُ مِنْ يَاقُوتَةٍ مُجَوَّفَةٍ سِتِينَ مِيلاً فِي السَّمَاءِ». أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٢٦١)، رقم (٥٢٦٠).

- ٥١٢٠- مَا فِي الْخِيَامِ سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلْتُ لِلنَّيِّرَيْنِ لَقُلْتَ مُنْكَسِفَانِ
الله أكبر! نساء! لو قَابَلْتِ الشَّمْسَ والقَمَرَ لَقُلْتَ: الشَّمْسُ والقَمَرُ منْكَسِفَانِ
من نورها وبهائها، أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة.
- ٥١٢١- اللهُ هَاتِيكَ الْخِيَامَ فَكَمْ بِهَا لِلْقَلْبِ مِنْ عَلَقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
٥١٢٢- فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ حَيْدٍ رَأَتْ حِسَانَ هُنَّ خَيْرٌ حِسَانِ
٥١٢٣- خَيْرَاتُ أَخْلَاقِ حِسَانٌ أَوْجُهًا فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مُتَّفِقَانِ
- أفادنا المؤلف - رحمه الله - أن قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] أن
﴿خَيْرَاتٌ﴾ تعود إلى الأخلاق، و﴿حِسَانٌ﴾ تعود إلى الوجوه، فهنَّ خَيْرَاتُ الأخلاقِ
حِسَانُ الوجوه، إِذَنْ هُنَّ كَامِلَاتٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

فصل

في أرائكها وسررها

- ٥١٢٤- فِيهَا الْأَرَايِكُ وَهِيَ مِنْ سُرْرِ عَلَيٍّ — هِنَّ الْحِجَالُ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ
 ٥١٢٥- لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْأَرَايِكِ دُونَ هَا تِيكَ الْحِجَالِ وَذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ
 ٥١٢٦- بِشَخَانَةٍ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَارِسٍ وَهُوَ ظَهْرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

الشرح

- ٥١٢٤- فِيهَا الْأَرَايِكُ وَهِيَ مِنْ سُرْرِ عَلَيٍّ — هِنَّ الْحِجَالُ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ
 الأرائك هي: السرر التي عليها الحجال، والحجال مثل الخيمة الصغيرة،
 ولكنها كما قال المؤلف رحمه الله: «كثيرة الألوان».
- ٥١٢٥- لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْأَرَايِكِ دُونَ هَا تِيكَ الْحِجَالِ وَذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ
 قَوْلُهُ: «لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْأَرَايِكِ دُونَ هَاتِيكَ الْحِجَالِ»؛ يعني: أَنَّ السَّرَرَ
 لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُسَمَّى أَرَايِكَةً إِلَّا بِالْحِجَالِ.
- قَوْلُهُ: «وَذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ»؛ يعني: اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ.
- ٥١٢٦- بِشَخَانَةٍ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَارِسٍ وَهُوَ ظَهْرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
 قَوْلُهُ: «بِشَخَانَةٍ»، «الْبَشَخَانَةُ» فِي لُغَةِ فَارِسٍ هِيَ: ظَهْرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ.

ومعنى كلامه: أَنَّ البَشْحَانَةَ في لسانِ فارسِ هي في اللغةِ العربيَّةِ: «ظَهْرُ البَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ»، فالأرائكُ تُسَمَّى «بَشْحَانَةً» في لغةِ فارسٍ؛ يعني: في لغةِ العجمِ، لكن الأريكةُ في اللغةِ العربيَّةِ لا بُدَّ أن يكونَ عليها حجابٌ؛ يعني: غطاءً، فالسَّريرُ عليه غطاءٌ يزيدُه جمالاً وراحةً.

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

- ٥١٢٧- أشجارها نوعان منها ماله في هذه الدنيا مثال دان
 ٥١٢٨- كالسدر أصل النبق مخضود مكا ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
 ٥١٢٩- هذا وظل السدر من خير الظلا ل ونفعه الترويح للأبدان
 ٥١٣٠- وثماره أيضا ذوات منافع من بعضها تفريح ذي الأحران
 ٥١٣١- والطلح وهو الموز منضود كما نضدت يد بأصابع وبنان
 ٥١٣٢- أو أنه شجر البوادي موقرا جملا مكان الشوك في الأغصان
 ٥١٣٣- وكذلك الرمان والأغتاب والنخل التي منها القطوف دوان
 ٥١٣٤- هذا ونوع ماله في هذه الدنيا نظير كي يرى بعيان
 ٥١٣٥- يكفي من التعداد قول إلهنا من كل فاكهة بها زوجان
 ٥١٣٦- وأثوابه متشابهها في اللون مخ تلاف الطعوم فذاك ذو ألوان
 ٥١٣٧- أو أنه متشابهة في الإسم مخ تلاف الطعوم فذاك قول ثان
 ٥١٣٨- أو أنه وسط خيار كله فالفحل منه ليس ذاتيان
 ٥١٣٩- أو أنه لثمارنا ذي مشبيه في اسم ولون ليس يختلفان

- ٥١٤٠ - لَكِنْ لِبَهْجَتِهَا وَلَذَّةِ طَعْمِهَا أَمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجِدَانِ
٥١٤١ - فَيَلْذُّهَا فِي الْأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا وَتَلْذُّهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَيْنَانِ

الشرح

٥١٢٧ - أَشْجَارُهَا نَوْعَانِ مِنْهَا مَالَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِثَالُ دَانَ
ذكر المؤلف - رحمه الله - أن أشجارها نوعان؛ نوع له نظير في الدنيا، ونوع لا نظير له في الدنيا، ومثل لما له نظير بأمثلة، فقال:

٥١٢٨ - كَالسِّدْرِ أَضْلُ النَّبِقِ مَحْضُودٌ مَكَأ نُ الشَّوْكِ مِنْ ثَمَرِ ذَوِي أَلْوَانِ
السِّدْرُ الَّذِي هُوَ: شَجَرُ النَّبِقِ فِيهِ شَوْكٌ، لَكِنْ فِي الْجَنَّةِ لَا شَوْكَ فِيهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٨]، و«مَحْضُودٌ»؛ يَعْنِي: لَيْسَ فِيهِ شَوْكٌ، وَإِنَّمَا فِيهِ مَكَانَ الشَّوْكِ ثَمَرٌ ذُو أَلْوَانٍ.

٥١٢٩ - هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ مِنْ خَيْرِ الظُّلَا لِ وَنَفْعُهُ التَّرْوِيحُ لِلْأَبْدَانِ
قَوْلُهُ: «هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ»؛ يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا.

ظِلُّ السِّدْرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرِ الظُّلَالِ وَأَبْرَدِهِ، وَفِيهِ أَيْضًا تَرْوِيحٌ لِلْبَدَنِ، يَجِدُ الْإِنْسَانُ فِيظِلُّ السِّدْرِ نَشْوَةً وَلَذَّةً، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَمْسٌ وَلَيْسَ فِيهَا بَرُودَةٌ وَلَا حَرَارَةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ مَعْتَدِلَةٌ، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِيهِ التَّرْوِيحُ لِلْأَبْدَانِ وَالتَّنْعُمُ.

٥١٣٠ - وَثَمَارُهُ أَيْضًا ذَوَاتُ مَنَافِعٍ مِنْ بَعْضِهَا تَفْرِيحُ ذِي الْأَحْزَانِ
يعني: أن ثمر السِّدْرِ له منافع كثيرة، ومن جملة ما أنه يُفْرِحُ الْحَزِينَ، وَيُخَفِّفُ

الحنن عليه، ويمكن الرجوع في هذا إلى كتب الطب.

٥١٣١- وَالطَّلْحُ وَهُوَ الْمَوْزُ مَنْضُودٌ كَمَا نُضِدَتْ يَدٌ بِأَصَابِعِ وَبَنَانٍ

«والطَّلْحُ» هل في الجنة طَلْحٌ؟ الجواب: نعم، قال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] الطَّلْحُ يقول: هو الموز، وهو منضودٌ، كما نُضِدَتْ يَدٌ بِأَصَابِعِ وَبَنَانٍ، فكما أنَّ اليدَ منضودةٌ بالأصابع هكذا مثلاً، أيضاً الموزُ هناك منضودٌ، لكن لاحظوا أنَّه ليس كنضيدِ مَوْزِ الدُّنْيَا، بل هو أعظمُ بكثيرٍ، وألذُّ للعَيْنِ، وأشهى للنَّفْسِ.

٥١٣٢- أَوْ أَنَّهُ شَجَرُ الْبَوَادِي مُوقَرًا جَمَلًا مَكَانَ الشُّوكِ فِي الْأَغْصَانِ

شجرُ البوادي معروفٌ، تجدونه في الشَّعَابِ فِي الْبَوَادِي، وهو ذُو شُوكٍ عَظِيمٍ، وَشُوكُهُ مِثْلُ الْإِبْرِ؛ إِذَنْ فِي تَفْسِيرِ الطَّلْحِ قَوْلَانِ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الطَّلْحَ الْمَنْضُودَ هُوَ الْمَوْزُ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ شَجَرُ الْبَوَادِي، لَكِنْ بَدَلًا مِنَ الشُّوكِ يَكُونُ مُوقَرًا مِنَ الثَّمَارِ.

٥١٣٣- وَكَذَلِكَ الرُّمَّانُ وَالْأَعْنَابُ وَالنَّخْلُ الَّتِي مِنْهَا الْقُطُوفُ دَوَانٍ

يعني: ممَّا له نظيرٌ في الدُّنْيَا: الرُّمَّانُ وَالْأَعْنَابُ وَالنَّخْلُ الَّتِي مِنْهَا الْقُطُوفُ دَوَانٍ، فَالرُّمَّانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٨]، وَأَمَّا الْأَعْنَابُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النَّبَأُ: ٣٢]، فَهَذَا عَنبٌ فِي الْآخِرَةِ.

٥١٣٤- هَذَا وَنَوْعٌ مَالَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا نَظِيرٌ كَمَا يُرَى بِعِيَانٍ

٥١٣٥- يَكْفِي مِنَ التَّعْدَادِ قَوْلُ إِلَهِنَا مِنْ كُلِّ فَكِيهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ

كُلُّ مَا يَتَفَكَّهُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِمَّا يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا وَمِمَّا لَا يُوجَدُ فِيهَا زَوْجَانِ، وَالزَّوْجَانِ هُمَا الصَّنْفَانِ؛ يَعْنِي: أَنَّهَا صِنْفَانِ مُتَنَوِّعَانِ مِنْ كُلِّ فَكِيهَةٍ.

فإن قال قائلٌ: هل قول المؤلف: «قَوْلُ إِلَهِنَا: مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانٍ»، هل هذا يدلُّ على أن ابن القيم يرى جواز نقل القرآن بالمعنى؟

الجواب: لعله أراد الإشارة، وإلا فلفظ الآية هو لفظ الآية: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٢]، لكن كلمة «بها» هي التي أوجبت الإشكال.

وعلى كُلِّ حالٍ لعله أراد أن زيادة «بها» من أجل الوزن، وأنه أراد لفظ الآية، أو أنه أراد الإشارة إلى الآية فقط، وهو الظاهر.

٥١٣٦- وَأَتَوَابِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ مُحْتَلِفًا فِي الطُّعُومِ فَذَلِكَ ذُو أَلْوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَأَتَوَابِهِ مُتَشَابِهًا» قال الله تعالى في سورة «البقرة»: ﴿وَأَتَوَابِهِمُ مُتَشَابِهَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، لكن فيم يكون التشابه؟ يقول رحمه الله: فيها أقوال: «مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ مُحْتَلِفًا فِي الطُّعُومِ فَذَلِكَ ذُو أَلْوَانٍ»؛ يعني: يُؤْتَى بالفواكه متشابهة، إذا رَأَيْتَهَا ظَنَنْتَهَا شيئًا واحدًا، فإذا أَكَلْتَهَا وَجَدْتَهَا مُخْتَلِفًا فِي طَعْمِهَا، وهذا أَعْتَقَدُ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ انْبِسَاطٌ لِلنَّفْسِ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ وَاحِدٌ نَظْرًا لَكِنَّهُ يَخْتَلِفُ طَعْمًا.

تخيّل الآن أن بين يديك طبقًا فيه فاكهة تظنّها شيئًا واحدًا، ثمّ إذا أَخَذْتَ كُلَّ وَاحِدَةٍ فَإِذَا هِيَ مُخْتَلِفَةٌ عَنِ الْأُخْرَى، يَكُونُ هَذَا أَلَذًّا لَوْ كَانَ الطَّبَقُ فِيهِ صِنْفٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ مِثْلًا فِي نَفْسِكَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَانِ يُشْبِهَانِ بَعْضُهُمَا بَعْضًا، وَمَعَ ذَلِكَ يَخْتَلِفَانِ فِي الطَّعْمِ وَالْمَلْسِ «اللِّينِ» وَغَزَارَةِ الْمَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ».

٥١٣٧- أَوْ أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الْإِسْمِ مُحْتَلِفٌ فِي الطُّعُومِ فَذَلِكَ قَوْلٌ ثَانٍ

قَوْلُهُ: «مُتَشَابِهٌ» بِالرَّفْعِ؛ لِأَنَّهُ خَبَرٌ «أَنَّ»، وَفِي نَسْخَةِ: «مُتَشَابِهًا» بِالنَّصْبِ، فَيَكُونُ أَتَى بِهِ الْمُؤَلِّفُ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ؛ لِأَنَّهُ فِي الْقُرْآنِ مَنْصُوبٌ.

قَوْلُهُ: «فَذَاكَ قَوْلٌ ثَانِي» الأوَّلُ: متشابهٌ في اللَّوْنِ، وهذا متشابهٌ في الاسمِ لكنْ طعمُهُ يختلفُ، الرُّمَّانُ مثلاً الاسمُ واحدٌ والطَّعمُ يختلفُ.

٥١٣٨- أَوْ أَنَّهُ وَسَطٌ خِيَارٌ كُلُّهُ فَالْفَحْلُ مِنْهُ لَيْسَ ذَا ثَنِيَانِ

المتشابهة بمعنى: الوسط، ولعلَّ المؤلِّفَ أخذَهُ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ [الزُّمَرُ: ٢٣]؛ أي: يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

٥١٣٩- أَوْ أَنَّهُ لِثَمَارِنَا ذِي مُشَبِّهِهِ فِي اسْمٍ وَلَوْنٍ لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

يعني: متشابهًا، يُشْبِهُ ما عندنا في الدُّنْيَا، ولكن لا شكَّ أَنَّهُ يخالفُهُ؛ ولهذا قال

بعدها:

٥١٤٠- لَكِنْ لِبُهْجَتِهَا وَلَذَّةِ طَعْمِهَا أَمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجِدَانِ

٥١٤١- فَيَلِدُهَا فِي الْأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا وَتَلِدُهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَيْنَانِ

٥١٤٢- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ إِلَّا عُيُونًا سِوَى أَسْمَاءِ مَا تَرَيَانِ

٥١٤٣- يَعْنِي الْحَقَائِقُ لَا تُشَابِلُ هَذِهِ وَكِلَاهُمَا فِي الْإِسْمِ مُتَّحِدَانِ

٥١٤٤- يَا طَيْبَ هَاتِيكَ الثَّمَارِ وَعَرَسَهَا فِي الْمِسْكِ ذَلِكَ التُّرْبُ لِلْبُسْتَانِ

٥١٤٥- وَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي يُسْقَى بِهِ يَا طَيْبَ ذَلِكَ الْوَرْدُ لِلظَّمْآنِ

٥١٤٦- وَإِذَا تَنَاوَلَتِ الثَّمَارَ أَتَتْ نَظِيرَ رِيئِهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ

٥١٤٧- لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا وَلَمْ تَرْقُبْ نُزُورَ لَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلَى مِيزَانِ

- ٥١٤٨- وَكَذَلِكَ لَمْ تَمْنَعْ وَلَمْ تَحْتَجِ إِلَى
 ٥١٤٩- بَلْ ذُلَّلْتَ تِلْكَ الْقُطُوفُ فَكَيْفَمَا
 ٥١٥٠- وَلَقَدْ آتَى أَثْرِبَانَ السَّاقِ مِنْ
 ٥١٥١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الْجُدُو
 ٥١٥٢- وَمُقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكَرَمِ الَّذِي
 ٥١٥٣- وَثَمَارَهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجْمٍ كَأَمْ
 ٥١٥٤- وَظِلَالِهَا مَمْدُودَةٌ لَيْسَتْ تَقِي
 ٥١٥٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِظِلِّ أَصْلٍ وَاحِدٍ
 ٥١٥٦- مِئَةً سِنِينَ قُدِّرَتْ لَا تَنْقُضِي
 ٥١٥٧- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيضًا أَنَّ طُو
 ٥١٥٨- تَفْتَحُ الْأَكْمَامُ فِيهَا عَنْ لَبَا
- أَنْ تَرْتَقِي لِلْقِنُوفِ فِي الْعِيدَانِ
 شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأَسْهَلِ الْإِمْكَانِ
 ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بَيَّانِ
 عُ زُمُرْدٍ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
 فِيهَا وَمِنْ سَعَفٍ مِنَ الْعَقِيَانِ
 ثَالِ الْقِلَالِ فَجَلَّ ذُو الْإِحْسَانِ
 حَرًّا وَلَا شَمْسًا وَأَنْى ذَانِ
 فِيهِ يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْعَجْلَانِ
 هَذَا الْعُظْمُ الْأَصْلُ وَالْأَفْنَانِ
 بَى قَدْرُهَا مِئَةٌ بِلا نُقْصَانِ
 سِهْمٌ بِمَا شَاؤُوا مِنَ الْأَلْوَانِ

الشرح

- ٥١٤٢- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ الْـ
 عَلِيًّا سِوَى أَسْمَاءِ مَا تَرِيَانِ
 يعني: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء، فالرُّمَّانُ مثلًا ليس معناه أنَّ
 رُمَّانَ الْجَنَّةِ كَرُمَّانِنَا، بل اسمُ الرُّمَّانِ والحقيقةُ مختلفٌ؛ لأنَّ اللهَ قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ
 نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجْدَةُ: ١٧]، وقال - سبحانه وتعالى - في الحديثِ
 القدسيِّ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ،

وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ^(١)، ولو كان ما هناك كالذي هنا لَكُنَّا نَعْلَمُ ما فيها من قُرَّةِ الأَعْيُنِ؛ ولهذا قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ يُشْبِهُهُ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الأَسْمَاءُ»^(٢).

٥١٤٣ - يَعْنِي الحَقَائِقُ لا تُمَاتِلُ هَذِهِ وَكِلَاهُمَا فِي الإِسْمِ مُتَّحِدَانِ قَوْلُهُ: «مُتَّحِدَانِ»، وفي نسخة: «مُتَّفِقَانِ»، والمعنى واحد.

٥١٤٤ - يَا طِيبَ هَاتِيكَ الثَّمَارِ وَغَرَسِهَا فِي المِسْكِ ذَاكَ التُّرْبِ لِلْبُسْتَانِ

٥١٤٥ - وَكَذَلِكَ المَاءُ الَّذِي يُسْقَى بِهِ يَا طِيبَ ذَاكَ الوَرْدِ لِلظُّمآنِ

لأنَّ طِيبَ الثَّمَارِ يَكُونُ مِنْ طِيبِ الأَرْضِ وَمِنْ طِيبِ المَاءِ، أَرْضُهَا طِيبَةٌ لِأَنَّهَا مِسْكٌ، أمَّا المَاءُ فَهُوَ غَيْرُ آسَنِ.

٥١٤٦ - وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الثَّمَارَ أَتَتْ نَظِيماً رَرْتَهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ

سبحان الخلاقِ العليمِ! إِذَا تَنَاوَلْتَ الثَّمْرَةَ مِنَ الشَّجَرَةِ نَبَتَ فَوْراً مَكَانَهَا ثَمْرَةٌ بَدُونَ تَعَبٍ وَبَدُونَ انْتِظَارٍ إِلَى زَمَنِ؛ وَهَذَا يَقُولُ: «حَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ».

٥١٤٧ - لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَداً وَلَمْ تَرْقُبْ نُزُوءَ لَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلَى مِيزَانِ

الثَّمَارُ عِنْدَنَا لَهَا أَوْقَاتٌ مَعْلُومَةٌ، فِي غَيْرِهَا لا تُوجَدُ، أمَّا هُنَاكَ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَجْنِيهَا- فَإِنَّكَ إِذَا أَخَذْتَ ثَمْرَةَ نَبَتَ بَدَلُهَا فِي مَكَانِهَا، وَمَعَ هَذَا يَقُولُ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/٢١)، والضياء في المختارة (١٦/١٠)، رقم (٦) كلاهما عن ابن عباس موقوفاً.

٥١٤٨- وَكَذَلِكَ لَمْ تَمْنَعْ وَلَمْ تَحْتَجِ إِلَى أَنْ تَرْتَقِيَ لِلْقِنُوفِ فِي الْعِيدَانِ

يعني: لا يوجد أحد يمنعك يقول: انتظر، ولا تحتاج إلى أن تصعد إلى القنوف، والقنوف: ما نسميه نحن القنا، فلا يحتاج أن ترتقي مثلاً للنخلة أو للشجرة؛ لأن قنوفها دانية.

٥١٤٩- بَلْ ذُلَّتْ تِلْكَ الْقُطُوفُ فَكَيْفَهَا شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأَسْهَلِ الْإِمْكَانِ

الله أكبر، يقول العلماء: الإنسان إذا رأى ثمرة من ثمار الجنة واشتهاها تدلى الغصن إليه، وأخذ الثمرة، سواء كان جالساً أم مضطجعا أم على أي حال، قال الله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]، وقال: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

٥١٥٠- وَلَقَدْ آتَى أَثْرِبَانَ السَّاقَ مِنْ ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بَيَّانٍ

ساق الشجرة من الذهب، أمّا الجدوعُ فقال:

٥١٥١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الْجُدُوعُ غُزْمُرْدٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

لو تصوّرت الآن أن أمامك شجرة ساقها ذهب، وجذعها من الزمرد، تخيلت منظراً عجبياً يبهج النفس مع أن الذهب الذي هناك ليس كالذهب الذي هنا، ولا الزمرد كالزمرد، سبحان الله! كيف نميل إلى الدنيا، بل كيف نعيش بها ونحن نؤمن ونشهد الله أننا نؤمن بهذا الذي وعد الله للمتقين، ومع ذلك كأننا في سكرة، كأننا في غفلة، فنسأل الله أن يعاملنا بالعفو.

٥١٥٢- وَمُقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكِرْمِ الَّذِي فِيهَا وَمِنْ سَعْفٍ مِنَ الْعِقْيَانِ

قوله: «مقطعاتهم»؛ يعني: ما يلبسون من المقاطع.

قَوْلُهُ: «الكَرْمُ» هو: العنب، وله أوراقٌ معروفةٌ.

فهم يأخذون مُقَطَّعَاتِهِمْ من هذا الكَرْمِ، إِذْنُ الكَرْمُ فيه عنبٌ وفيه لباسٌ.

٥١٥٣- وَثَمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجَمٍ كَأَمْ - ثَالِ القِلَالِ فَجَلَّ ذُو الإِحْسَانِ

فثمارها ما فيه من عَجَمٍ - أي: نوى - كَأَمْثَالِ القِلَالِ، والقِلَالُ هي جَرَّةٌ يُجَعَلُ فيها الماء، لكنَّها جَرَّةٌ كبيرةٌ، هذي ثمارها، أنتم الآن لو تصوَّرتُم هذه الثَّمارَ لقلَّتم: هذه كبيرةٌ، لا تلتذُّ لها النَّفْسُ، لكن إذا كان طولُ الإنسانِ سِتِّينَ ذراعًا وعرصُهُ سبعةَ أذرعٍ تكونُ هذه الثَّمرةُ مناسبةً ولا شكَّ، ثُمَّ لو فرضنا أنَّ أحدًا في الجنةِ لم يتلذَّذْ لرؤيةِ شيءٍ ما أو لطعمِهِ فسوف يتحوَّلُ إلى ما يتلذَّذُه، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ [الزُّخْرَف: ٧١].

٥١٥٤- وَظِلَالُهَا مَمْدُودَةٌ لَيْسَتْ تَقِي حَرًّا وَلَا شَمْسًا وَأَنْبَى ذَانَ

قَوْلُهُ: «وَأَنْبَى ذَانَ»؛ أي: الحرُّ والشمسُ، والاستفهامُ هنا للنفي.

يعني: ليس فيها شمسٌ ولا فيها حرٌّ، بل هو ظلٌّ ممدودٌ، قال أهلُ العلمِ: كما يكونُ الظلُّ فيما بين طلوعِ الفجرِ وطلوعِ الشمسِ؛ أي: نورٌ لكن لا ترى شمسًا.

٥١٥٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِظِلِّ أَصْلٍ وَاحِدٍ فِيهِ يَسِيرُ الرَّكِبُ العَجَلَانِ

٥١٥٦- مِئَةٌ سِنِينَ قُدِّرَتْ لَا تَنْقُضِي هَذَا العِظْمِ الأَصْلِ وَالْأَفْئَانِ

يعني: فيها شجرةٌ يسيرُ الرَّكِبُ العجلانُ فيها مئةَ سنةٍ لا يقطعُ ظلُّها^(١)،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦١٨٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمه وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، رقم (٢٨٢٧).

وهي شجرة من أشجار كثيرة في مكان صاحب الجنة.

٥١٥٧- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّ طُوبَى بَيْ قَدْرُهَا مِئَةٌ بِإِلَّا نُقْصَانِ

٥١٥٨- تَتَفَتَّحُ الْأَكْمَامُ فِيهَا عَنْ لِبَاسِهِمْ بِمَا شَاءُوا مِنَ الْأَلْوَانِ

الله أكبر، شجرة طوبى كبيرة واسعة طويلة فيها أكمام مثل: كُم طَلَعِ النَّخْلِ،
تفتح عن لباس متنوع في ألوانه يلبسه أهل الجنة.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْكُنُهَا بِمَنْكَ وَكَرَمِكَ.

فصل

في سماع أهل الجنة

- ٥١٥٩- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسَلُ رَبُّنَا
 ٥١٦٠- فَتَشِيرُ أَصْوَاتًا تَلْدُ لِمَسْمَعِ الْ
 ٥١٦١- يَا لَذَّةِ الْأَسْمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي
 ٥١٦٢- أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا
 ٥١٦٣- وَهَذَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
 ٥١٦٤- وَهَذَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ وَطِيبِهِ
 ٥١٦٥- وَهَذَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
 ٥١٦٦- وَهَذَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقْلُ
 ٥١٦٧- مَا ظَنُّ سَامِعِهِ بِصَوْتِ أَطْيَبِ الْ
 ٥١٦٨- نَحْنُ النَّوَاعِمُ وَالْحَوَالِدُ خَيْرًا
 ٥١٦٩- لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا لَنَا
 ٥١٧٠- طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَلِكَ طُوبَى
 ٥١٧١- فِي ذَلِكَ آثَارُ رُويْنِ وَذَكَرَهَا
- رِيحًا تَهْمَزُ ذَوَائِبَ الْأَغْصَانِ
 إِنْسَانٍ كَالنَّعْمَاتِ بِالْأَوْزَانِ
 بِلَذَّةِ الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ
 عِ الْحُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ
 مُلِئْتُ بِهِ الْأَذُنَانِ بِالْإِحْسَانِ
 مِنْ مِثْلِ أَقْمَارٍ عَلَى أَغْصَانِ
 لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
 ذِيكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانِ
 أَصْوَاتٍ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ حِسَانِ
 تْ كَامِلَاتُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 سَخَطٌ وَلَا ضِغْنٌ مِنَ الْأَضْغَانِ
 بَى لِلذِّي هُوَ حَظُّنَا الْحَقَّانِ
 فِي «التَّرْمِذِيِّ» وَ«مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ»

٥١٧٢- وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الْأَوْزَاعِيِّ تَفْ - سِيرًا لِلْفِظَةِ ﴿يُحْبَرُونَ﴾ أَغَانِ

الشرح

هذا الفصل في سماع أهل الجنة، وذكر - رحمه الله - أنه نوعان:

النوع الأول: من الأشجار؛ حيث يُرْسَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا تَهْرُ ذَوَائِبَهَا، فتثير أصواتًا لذيذة على مسمع الإنسان؛ كأنتها النغمات بالأوزان.

والدليل على هذا: أثر عن ابن عباس^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وابن عباسٍ مَن عَرِفَ بالأخذ عن بني إسرائيل، ولكن نحن عندنا آية في كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزُحُوف: ٧١]؛ فمثلًا: إذا اشتهى الإنسان شيئًا من هذا فلا مانع من أن يكون، ولكن قد يُقَالُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لا يشتهي إلا شيئًا جعله الله في هذه الجنات.

النوع الثاني: غناء الحور العين، نسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يسمعه.

قوله: «وَاهَا»؛ يعني: عجبًا لهذا.

قوله: «وَلَمْ أَقُلْ ذِيَاكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانٍ»؛ أي: لم يقل هذا تصغيرًا له

بلسان.

(١) يعني حديث: «فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَى سَاقٍ قَدَرًا مَا يَسِيرُ الرَّاِكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، فَيَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّهَا، فَيَسْتَهِي بَعْضُهُمْ وَيَذْكُرُ لَهُوَ الدُّنْيَا فَيُرْسَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا مِنَ الْجَنَّةِ فَتُحْرَكُ تِلْكَ الشَّجَرَةُ بِكُلِّ لَهْوٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا». أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص: ١٨٨) موقوفًا على ابن عباس.

- ٥١٧٣- نَزَّهَ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِيٍّ
 ٥١٧٤- لَا تُؤْثِرِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحْ
 ٥١٧٥- إِنْ اخْتَبَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ الْ
 ٥١٧٦- وَاللَّهُ إِنْ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْ
 ٥١٧٧- وَاللَّهُ مَا انْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ
 ٥١٧٨- فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 ٥١٧٩- فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارُهُ
 ٥١٨٠- حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ الْأَحَانِ الْغِنَا
 ٥١٨١- ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
 ٥١٨٢- وَاللَّهُوَ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
 ٥١٨٣- قُوْتُ النُّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوْ
 ٥١٨٤- وَلِذَا تَرَاهُ حَظَّ ذِي النُّقْصَانِ كَالْ
 ٥١٨٥- وَأَلَذُّهُمْ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنْ الْ
 ٥١٨٦- يَا لَذَّةَ الْفُسَّاقِ لَسْتُ كَلَذَّةَ الْ
- يَاكَ الْغِنَا عَنْ هَذِهِ الْأَحَانِ
 سَمَّ ذَا وَذَا يَا ذَلَّةَ الْحِرْمَانِ
 أَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ
 إِيمَانٍ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ
 أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ
 حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ
 عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ
 فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
 تَقْيِيدُهُ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ
 مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ الْأَحَانِ
 تُو الْقَلْبِ أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوْتَانِ
 جُهَّالٍ وَالصَّبِيَانِ وَالنُّسْوَانِ
 عَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلَّ أَخَا الْعِرْفَانِ
 أَبْرَارٍ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ

الشرح

- ٥١٧٣- نَزَّهَ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِيٍّ

٥١٧٤- لا تُؤثِرِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحْرَمَ ذَا وَذَا يَا ذَلَّةَ الْحَرَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَتُحْرَمَ ذَا وَذَا»؛ يعني: الأعلى والأدنى؛ لأنَّ من أثر الحياة الدنيا حُرْمَ الدنيا والآخرة؛ لأنَّه لم يستفد من دنياه، ودنياه سوف تنقطع وتزول، وإذا أثر الآخرة على الدنيا ربح الدنيا والآخرة؛ ولهذا أَقْسَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بالعصرِ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].

٥١٧٥- إِنَّ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «مِنَ النُّقْصَانِ»؛ أي: من نقصان العقل والدين.

الذي يختار سماع الأدنى النازل على الأعلى ناقص العقل وناقص الدين.

٥١٧٦- وَاللَّهُ إِنَّ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْإِيمَانَ مِثْلَ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ

يعني: يسري في القلب فيفسده كما يفسد السم البدن، السم إذا سرى في البدن لا يستطيع الإنسان إمساكه، بل يسري في البدن بسرعة وبقوة، وانظر إلى اللدغ إذا لدغ كيف يسري السم في بدنه ولا يستطيع أحد أن يوقفه، سماع الأغاني والعياد بالله - يسري في القلب فيفسده وفي الإيمان فيفسده كما يسري السم في الأبدان.

وهو هنا - رحمه الله - يُحَدِّثُ من سماع الأغاني المحرمة في هذه الدنيا، ويقول:

٥١٧٧- وَاللَّهُ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ

أَقْسَمَ - رحمه الله - أن الذي يكون دابُّه الغناء لا ينفك من الإشراك بالرحمن،

يَبَيِّنَ فَقَالَ:

٥١٧٨- فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ

٥١٧٩- فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ عَبْدًا لِكُلِّ فَلَانَةٍ وَفُلَانٍ

لأن القلب يتعلّق بهذا الغناء والعباد بالله، ويكون هو هاجسه ليلاً ونهاراً، قائماً وقاعداً؛ ولهذا تجد المفتونين بأهل الغناء لا يكون في قلوبهم إلا أولئك القوم الذي فتنوا بهم، فتكون محبتهم مزاحمة لمحبة الله، ويكونون مشركين مع الله في المحبة، نسأل الله العافية، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والشرك في المحبة من أشد أنواع الشرك على القلب والعباد بالله، وهذا وجه قوله: «وَاللَّهُ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاقِ بِالرَّحْمَنِ».

٥١٨٠- حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

قَوْلُهُ: «الْكِتَابِ»؛ يعنى: القرآن.

يقول: «حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ»، فهما نقيضان أو ضدان؟ الجواب: ضدان؛ لأنه قد يوجد حُبُّ ثالث غير أَلْحَانِ الْغِنَا ولا القرآن، يُحِبُّ مثلاً القرآن وتطغى محبة المال على محبة الله، فالمهمُّ أنَّهما لا يجتمعان؛ لأنَّ حُبَّ الْقُرْآنِ يُوجِبُ لِلْإِنْسَانِ التَّعَلُّقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بخلاف حُبِّ الْأَلْحَانِ.

٥١٨١- ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا تَقْيِيدَهُ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ

٥١٨٢- وَاللَّهُوَ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَلْحَانِ

إِذَا سَمِعُوا الْأَلْحَانَ أَصْغَوْا وَاسْتَمَعُوا، وَإِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَكَانَتْهَا يُصَبُّ فِي

آذانهم الأُنْكُ؛ يعني: الرِّصَاصَ المَذَابَ، والعيادُ بالله.

٥١٨٣- قُوْتُ النُّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوْتُ الْقَلْبِ أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوتَانِ

الطَّرْبُ والألحانُ هو قوتُ النُّفُوسِ، أمَّا القرآنُ فهو قوتُ القلوبِ؛ ولذا قال: «أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوتَانِ؟».

٥١٨٤- وَلِذَا تَرَاهُ حَظَّ ذِي النُّقْصَانِ كَالْـجُهَّالِ وَالصَّبِيَّانِ وَالنِّسْوَانِ

تَرَى الطَّرْبَ والألحانَ حَظَّ ذِي النُّقْصَانِ كَالْجُهَّالِ وَالصَّبِيَّانِ وَالنِّسْوَانِ، أمَّا العقلاءُ فَإِنَّهُمْ يَتَرَفَّعونَ عنه ويهجرُونه.

٥١٨٥- وَأَلَذُّهُمْ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِّنَ الْـعَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «فَسَلْ أَخَا الْعِرْفَانِ» مَنَ أَخُو الْعِرْفَانِ؟ الجوابُ: يريدُ نفسَه.

يقولُ: اسأَلْ خبيرًا بأنَّ أَلَذَّهُمْ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنَ الْعَقْلِ الصَّحِيحِ.

٥١٨٦- يَا لَذَّةَ الْفُسَّاقِ لَسْتَ كَلَذَّةَ الْـأَبْرَارِ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللهُ، لَذَّةٌ هُوَ لَاءُ لَذَّةِ جَسَدٍ تَزُولُ بِزَوَالِ هَذِهِ اللَّذَّةِ، وَيَعْقِبُهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ وَغُلٌّ فِي الْقَلْبِ لِمَا لِهَذَا الطَّرْبِ وَاللَّذَّةِ، لَكِنْ لَذَّةُ الْأَبْرَارِ بِخِلَافِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمَلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمَلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالِدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ»^(١)، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ.

(١) هذا قول إبراهيم بن أدهم، كما في حلية الأولياء، لأبي نعيم (٧/ ٣٧٠).

فصل

في أنهار الجنة

- ٥١٨٧- أَنهَارُهَا فِي غَيْرِ أَخْدُودٍ جَرَّتْ
سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الْفَيْضَانِ
- ٥١٨٨- مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاؤُوا مُفْجَأَ
جَرَّةٍ وَمَا لِلنَّهْرِ مِنْ نَقْصَانِ
- ٥١٨٩- عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ حَمٌّ
رُئُومٌ ثُمَّ أَنهَارٌ مِنَ الْأَبْيَانِ
- ٥١٩٠- وَاللَّهُ مَا تَلِكَ الْمَوَادُّ كَهَذِهِ
لَكِنْ هُمَا فِي اللَّفْظِ يَجْتَمِعَانِ
- ٥١٩١- هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرٌ تَشَابُهُ
وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالْأَذْهَانِ

الشرح

- ٥١٨٧- أَنهَارُهَا فِي غَيْرِ أَخْدُودٍ جَرَّتْ
سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الْفَيْضَانِ
- ٥١٨٨- مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاؤُوا مُفْجَأَ
جَرَّةٍ وَمَا لِلنَّهْرِ مِنْ نَقْصَانِ

سبحان الله! أنهار الجنة تجري بلا أخدود، والأخدود هو الشيء القائم الذي يمنع الماء من الانحراف يميناً أو يساراً، وكذلك أيضاً من غير أخاديد محفورة تُحْفَرُ فِي الْأَرْضِ، فليس لها أخدودٌ قَائِمَةٌ وَلَا محفورة، تجري كما يشاء صاحبها، يُصَرِّفُهَا حَيْثُ يَشَاءُ.

فإذا قال قائل: كيف تجري في غير أخدود؟

فالجواب: أولاً: أمور الآخرة لا تُقاسُ بأمور الدنيا.

ثانياً: نحن نَشَاهِدُ الْآنَ السَّحَابَ فِيهِ الْمِيَاهُ الْعَظِيمَةُ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [التور: ٤٣]، فها نحن نشاهدُ في الجوّ أبحراً تجري بإذنِ الله عزَّ وجلَّ بدونِ أحاديثٍ أو حفرٍ، كذلك أنهارُ الجنةِ تجري بغيرِ أخلودٍ؛ يعني: لا يضعون أشياء تَرُدُّ الْمَاءَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا.

٥١٨٩- عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ خَمْرٌ رُثِمَ أَنْهَارٌ مِنَ الْأَلْبَانِ

قَوْلُهُ: «ثُمَّ» لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ، وَإِلَّا فَالآيَةُ هِيَ: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وهذه الأنهارُ من عَسَلٍ مُصَفًّى، وماءٍ غيرِ آسِنٍ، وخمرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، ولبنٍ لم يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، فهي أنهارٌ بيدِ الله عزَّ وجلَّ، وليست بأوانٍ، وهذا شيءٌ عَجِيبٌ.

٥١٩٠- وَاللَّهُ مَا تِلْكَ الْمَوَادُّ كَهَذِهِ لَكِنْ هُمَا فِي اللَّفْظِ يَجْتَمِعَانِ

مَوَادُّ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْمَاءِ وَالْخَمْرِ لَيْسَتْ كَمَوَادِّ الدُّنْيَا، لَكِنَّهَا مُشْتَرِكَةٌ فِي اللَّفْظِ فَقَطْ، أَمَّا الْحَقِيقَةُ فَتَخْتَلِفُ كَمَا تَخْتَلِفُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ، لَكِنْ بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا هَذَا الْإِشْتِرَاكُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى مَا فَهِمَ الْمَعْنَى، فَأَصْلُ اللَّبَنِ هُوَ هُوَ، لَكِنْ وَصْفُهُ وَمَادَّتُهُ لَيْسَتْ كَوَصْفِ لَبَنِ الدُّنْيَا وَمَادَّتِهِ، كَذَلِكَ أَيْضًا نَقُولُ فِي الْمَاءِ وَالْخَمْرِ وَالْعَسَلِ.

٥١٩١- هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرٌ تَشَابُهُ وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالْأَذْهَانِ

يعني: أن هذه الأصنافَ الأربعةَ ليست كالتي في الدُّنْيَا، بل بينهما فرقٌ عَظِيمٌ، اتَّفَقَا فِي اللَّفْظِ وَاخْتَلَفَا فِي الْحَقِيقَةِ وَالْكُنْهِ، لَكِنْ بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ يَسِيرٌ وَهُوَ

مُطْلَقُ الحلاوةِ في العسلِ، وكذلك في اللَّبَنِ والبقِيَّةِ، ولولا هذا القدرُ المشتركُ ما عرفنا ما هو العسل؟ وما هو الماء؟ وما هو الخمر؟ وما هو اللَّبَنُ؟ لكن هذا القدرُ المشتركُ لا بُدَّ منه.

كما أَنَّ عِلْمَ الله عَزَّ وَجَلَّ أعظمُ من عِلْمِ المخلوقِ، لكن بينه وبين علمِ المخلوقِ قدرٌ مشتركٌ وهو الإحاطةُ بالشَّيْءِ، ولولا هذا القَدْرُ ما عرفنا معنى العلمِ، لكن يختلفُ علمُ الخالقِ عَزَّ وَجَلَّ عن علمِ المخلوقِ كما اختلف الخالقُ عن المخلوقِ.

فصل

في طعام أهل الجنة

- ٥١٩٢ - وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُمْ
وَلَحُومٌ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسِمَانٍ
- ٥١٩٣ - وَفَوَاكِهُ شَتَّى بِحَسَبِ مَنَاهُمْ
يَا شَبْعَةَ كَمَلْتَ لِذِي الْإِيمَانِ
- ٥١٩٤ - لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنِّسَاءُ وَفَوَاكِهُ
وَالطَّيْبُ مَعَ رُوحٍ وَمَعَ رَيْحَانِ
- ٥١٩٥ - وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ
بِأَكْفٍ خُدَّامٍ مِنَ الْوِلْدَانِ
- ٥١٩٦ - وَانظُرْ إِلَى جَعْلِ اللَّذَاذَةِ لِلْعِيُو
نِ وَشَهْوَةِ النَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ
- ٥١٩٧ - لِلْعَيْنِ مِنْهَا لَذَّةٌ تَدْعُو إِلَى
شَهَوَاتِهَا بِالنَّفْسِ وَالْأَمْرَانِ
- ٥١٩٨ - سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهُوَ يُوجِبُ لَذَّةً
أُخْرَى سِوَى مَا نَالَتِ الْعَيْنَانِ

الشرح

هذا معنى لطيف، قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الرَّحْف: ٧١]، فالعين إذا نظرت تَلَذَّتْ به، فإذا تَلَذَّذَتْ اشْتَهَتْ النفس، فإذا اشْتَهَتْ النفسُ تَنَاوَلَتِ الْإِنْسَانَ؛ ولهذا أحياناً قد تُوجَدُ فَاكِهَةٌ لَا يَشْتَهِيهَا الْإِنْسَانُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَلَذَّذْ بِرُؤْيَيْهَا مَعَ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ طَعْمُهَا طَيِّبًا، فَلَا بُدَّ أَنْ تَلْتَذَّ الْعَيْنُ بِالرُّؤْيِيَّةِ؛ لِأَجْلِ أَنْ تَشْتَهِيَ النَّفْسُ، ثُمَّ يَحْصُلُ التَّنَاوُلُ.

فصل

في شرابهم

- ٥١٩٩- يُسْقَوْنَ فِيهَا مِنْ رَحِيقِ خْتَمُهُ بِالْمِسْكِ أَوْلُهُ كَمِثْلِ الثَّانِي
- ٥٢٠٠- مِنْ خَمْرَةٍ لَدَتْ لِشَارِبِهَا بِلا غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نُقْصَانٍ
- ٥٢٠١- وَالخَمْرُ فِي الدُّنْيَا فَهَذَا وَصَفُهَا تَغْتَالُ عَقْلَ الشَّارِبِ السَّكْرَانَ
- ٥٢٠٢- وَبِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ وَيَخَافُ مِنْ عَدَمِ لَدِي الْوِجْدَانِ
- ٥٢٠٣- فَتَقَى لَنَا الرَّحْمَنُ أَجْمَعَهَا عَنِ الْخَمْرِ الَّتِي فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

الشرح

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ فِي خَمْرِ الدُّنْيَا أَدْوَاءً؛ يَعْنِي: أَمْرَاضًا كَثِيرَةً؛ وَمِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ: الْخَوْفُ مِنْ زَوَالِ الْعَقْلِ؛ وَلِذَا قَالَ: «وَيُخَافُ مِنْ عَدَمِ لَدِي الْوِجْدَانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّهَا قَدْ تَهْلِكُهُ، اللَّهُمَّ عَافِنَا.

- ٥٢٠٤- وَشَرَابِهِمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَرْجُهُ الْكَافُورُ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الْإِحْسَانِ
- ٥٢٠٥- هَذَا شَرَابُ أُولِي الْيَمِينِ وَلَكِنْ الْاَبْرَارُ شَرِبُوهُمْ شَرَابٌ ثَانٍ
- ٥٢٠٦- يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامُ شَرَابِهِمْ شَرِبُ الْمُقَرَّبِ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ

- ٥٢٠٧- صَفَى الْمُقَرَّبُ سَعِيَهُ فَصَفَا لَهُ ذَاكَ الشَّرَابُ فَبَلَكَ تَصْفِيَانِ
- ٥٢٠٨- لَكِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَأَهْلُ مَزْجٍ بِالْمُبَاحِ وَلَيْسَ بِالْعِضْيَانِ
- ٥٢٠٩- مُزْجَ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمُ الْأَعْمَالُ ذَاكَ الْمَزْجَ بِالْمِيزَانِ
- ٥٢١٠- هَذَا وَذُو التَّخْلِيْطِ مُزْجَى أَمْرُهُ وَالْحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّهِ الدِّيَانِ

الشرح

الله أكبر، الجزاء من جنس العمل، الأبرار شرابهم كما قال تعالى: ﴿مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧-٢٨]، والتسنيمة مأخوذة من السنام، وسنام البعير: أعلاه، فهو شراب أعلى الشراب، وليس فيه مزج، وأما الآخرين الذين دونهم فإن فيه مزجاً وهو الكافور، والكافور لاشك أنه ليس كالتسنيمة؛ فلهذا يقول رحمه الله: «مَزْجَ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمُ الْأَعْمَالُ ذَاكَ الْمَزْجَ بِالْمِيزَانِ»، والجزاء من جنس العمل.

فصل

في مصرف طعامهم وشرابهم، وهضمه

- ٥٢١١ - هَذَا وَتَضْرِيفُ الْمَأْكِلِ مِنْهُمْ عِرْقٌ يَفِيضُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْدَانِ
- ٥٢١٢ - كَرَوَائِحِ الْمِسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ خَلٌّ طُّ غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
- ٥٢١٣ - فَتَعُوذُ هَاتِيكَ الْبُطُونُ ضَوَامِرًا تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٥٢١٤ - لَا غَائِطٌ فِيهَا وَلَا بَوْلٌ وَلَا مَخْطٌ وَلَا بَصُقٌ مِنَ الْإِنْسَانِ
- ٥٢١٥ - وَلَهُمْ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِنْكَ يَكُونُ نُبْهَ تَمَامِ الْهَضْمِ بِالْإِحْسَانِ
- ٥٢١٦ - هَذَا وَهَذَا صَحَّ عَنْهُ فَوَاحِدٌ فِي «مُسْلِمٍ» وَلِأَحْمَدَ الْأَثْرَانِ

الشرح

هذا الفصل واضح المعنى أن أهل الجنة لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون، وطعامهم إذا أكلوه وشرابهم يكون عرقاً يفيض من الأبدان، وكذلك لهم جُشَاءٌ، والجُشَاءُ: خروج الهواء من المعدة عن طريق الفم، فرائحته مثل رائحة المسك، بينما الجُشَاءُ عندنا مُسْتَكْرَهٌُ ويحصل منه رائحة كريهة، ولكنها لأهل الجنة - جعلني الله وإياكم منهم - تكون رائحتها رائحة المسك يكون بها تمام الهضم، وكلما أكلوا وشربوا وشبعوا فإنه يفيض عرقاً وتبقى البطون ضوامر، فيأكلون دائماً، وإنما جعل الله لهم ذلك من أجل أن يتلذذوا

بالطَّعامِ والشَّرابِ؛ لأنَّهم إذا أكلوا وشربوا تلذَّذوا، وإلَّا فلو شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ
لجعلهم لا يحتاجون إلى أكلٍ ولا شربٍ، ولكن من أجلِ أن يُتَمَّ سرورهم وتَمَّ
نعمتُهم صار يحصلُ لهم هذا.

فصل

في لباس أهل الجنة

- ٥٢١٧- وَهُمْ الْمُلُوكُ عَلَى الْأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا
٥٢١٨- وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُندُسٍ خُضِرٍ وَمِنْ
٥٢١٩- مَا ذَاكَ مِنْ دَوْدِ بْنِ مَنْ فَوْقِهِ
٥٢٢٠- كَلَّا وَلَا نُسِجَتْ عَلَى الْمِنْوَالِ نَسْءٌ
٥٢٢١- لَكِنَّهَا حُلٌّ تَشْقَى ثَمَارَهَا
٥٢٢٢- بِيضٌ وَخُضْرٌ- ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْرٌ
٥٢٢٣- لَا تَقْرَبُ الدَّنَسَ الْمُقْرَبَ لِلْبَلْبِ
٥٢٢٤- وَنَصِيفٌ إِحْدَاهُنَّ وَهُوَ خِمَارُهَا
٥٢٢٥- سَبْعُونَ مِنْ حُلِّ عَلَيْهَا لَا تَعُو
٥٢٢٦- لَكِنْ تَرَاهُ مِنْ وَرَاءِ إِذَا كَلَّهُ
- تِيكَ الرَّؤُوسِ مُرْصَعِ التَّيْجَانِ
إِسْتَبْرَقِ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ
تِلْكَ الْبَيْتِ وَعَادَاذَا طَيْرَانِ
جَ نِيَابِنَا بِالْقُطْنِ وَالْكِتَّانِ
عَنْهَا رَأَيْتَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
رُّ كَالرَّبَّاطِ بِأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
مَا لِلْبَلْبِ فِيهِنَّ مِنْ سُلْطَانِ
لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ
قُ الطَّرْفَ عَنْ مُخِّ وَرَا السِّيْقَانِ
مِثْلَ الشَّرَابِ لَدَى زُجَاجِ أَوَانِ

الشرح

- ٥٢١٧- وَهُمْ الْمُلُوكُ عَلَى الْأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا

٥٢١٨- وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُندُسٍ خُضِرٍ وَمِنْ إِسْتَبْرَقٍ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ

هذا أيضاً لباس أهل الجنة كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم من سندس وإستبرق، والسندس والإستبرق نوعان معروفان من أعلى أنواع الحرير، وإن كنا لا نعرفها تماماً، لكن لا شك أنهما من أفضل أنواع اللباس.

وهنا مسألة: هل في القرآن كلمات غير عربية؟

في القرآن الكريم كلمات دخلت على العرب، لكن لما نطقوا بها صارت عربية، وكل العرب الذين من بني إسماعيل كلهم أخذوا عربيتهم من غيرهم؛ ولهذا يُسمون «العرب المستعربة»، فقول بعض الناس: «إن القرآن فيه شيء من العجمة»، نقول: هذا خطأ؛ لأنه لما استعمله العرب في خطابهم صار عربياً.

٥٢١٩- مَا ذَاكَ مِنْ دَوْدِ بَنَى مِنْ فَوْقِهِ تِلْكَ الْيُتُوتُ وَعَادَاذَا طَيْرَانِ

يُشير إلى أن حرير الدنيا يكون من دود القز، ودود القز دودة مثل التي تكون في التمر وغيره، يخرج منها هذا الحرير ينطوي عليها ينطوي عليها، وفي النهاية تموت، لكن حرير أهل الجنة ليس هكذا، فليس من الديدان.

٥٢٢٠- كَلَّا وَلَا نُسَجِّتُ عَلَى الْمُنْوَالِ نَسًّا جَ ثِيَابِنَا بِالْقَطْنِ وَالْكِتَانِ

لأن ثياب الحرير التي في الدنيا لا بد أن يكون فيها خلط من الكتان والقطن.

٥٢٢١- لَكِنَّهَا حُلٌّ تَشُقُّ ثَمَارَهَا عَنْهَا رَأَيْتَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ

٥٢٢٢- بِيضٌ وَخُضْرٌ- ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْرٌ كَالرِّبَاطِ بِأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

قوله: «لكنها حلل تشق ثمارها عنها»؛ يعني: أن هذه الحلل تأتي من أشجار الجنة.

قَوْلُهُ: «رَأَيْتَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ»؛ يعني: هل رَأَيْتَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ؟ وشَقَائِقُ النُّعْمَانِ: نوعٌ من الزُّهورِ الطَّيِّبِ الذي يَرُوقُ للعينِ، فلباسُ أهلِ الجنَّةِ من الأشجارِ يكونُ من هذه الأزهارِ، ويكونُ من أفخمِ ما يكونُ أعلى ما يكونُ من الحريرِ والسُّنْدُسِ والإستبرقِ.

٥٢٢٣- لَا تَقْرَبِ الدَّنَسَ الْمُقْرَبَ لِلْبَلِيِّ مَا لِلْبَلِيِّ فِيهِنَّ مِنْ سُلْطَانِ ثِيَابُنَا هُنَا فِي الدُّنْيَا تَمْتَرُقُ مَعَ طَوْلِ الزَّمَنِ وَتَتَوَسَّخُ أَيْضًا، أَمَّا ثِيَابُ الْجَنَّةِ فَإِنَّهَا لَا تَقْرَبُ ذَلِكَ، فَلَا تَقْرَبُ هِيَ الدَّنَسَ الْمُقْرَبَ لِلْبَلِيِّ؛ لِأَنَّ الْوَسْخَ فِي الثِّيَابِ يُقْرَبُ لِمَتَمَرُّقِهَا سَرِيعًا.

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى لِبَاسِ الْحَوْرِ؛ فَقَالَ:

٥٢٢٤- وَنَصِيفُ إِحْدَاهُنَّ وَهِيَ خِمَارُهَا لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ قَوْلُهُ: «وَنَصِيفُ إِحْدَاهُنَّ» نَصِيفُهَا؛ يَعْنِي: خِمَارُهَا. قَوْلُهُ: «وَهِيَ خِمَارُهَا لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ»؛ يَعْنِي: خِمَارُهَا أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا.

٥٢٢٥- سَبْعُونَ مِنْ حُلَلٍ عَلَيْهَا لَا تَعُو قُ الطَّرْفَ عَنْ مَخِّ وَرَا السِّيْقَانِ اللهُ أَكْبَرُ، الْوَاحِدَةُ مِنَ الْحَوْرِ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً، وَهَذِهِ الْحُلَّةُ لَا تَمْنَعُ الطَّرْفَ عَنْ مَخِّ وَرَاءِ السِّيْقَانِ؛ يَعْنِي: يَرَى مَخِّ سِيْقَانِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَلَا تَنْظُنُّوْا أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا كَرُؤْيَتِنَا فِي الدُّنْيَا، نَحْنُ لَوْ رَأَيْنَا الْمَخَّ فِي السِّيْقَانِ رَبِّمَا نَسْتَقْدِرُ ذَلِكَ وَنَمَجُّهُ، لَكِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فَيَتَلَذَّذُ لِرُؤْيَا هَذَا الْمَخِّ فِي السَّقِّ؛

ولهذا قال:

٥٢٢٦- لَكِنْ تَرَاهُ مِنْ وَرَادَا كُنَّهِ مِثْلَ الشَّرَابِ لَدَى زُجَاجِ أَوَانٍ

لو وَضَعْتَ شَرَابًا فِي زُجَاجَةٍ لَرَأَيْتَ الْمَاءَ مِنْ وَرَائِهَا، وَلَكِنَّكَ تَرَاهُ فِي أَحْسَنِ

مَرِيٍّ.

فصل

في فرشهم وما يتبعها

- ٥٢٢٧- وَالْفَرْشُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ قَدْ بَطْنَتْ
مَا ظَنُّكُمْ بِظَهَارَةِ لِبَطَانِ
- ٥٢٢٨- مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ الْأَسْرَةِ يَتَكِي
هُوَ وَالْحَبِيبُ بِخَلْوَةٍ وَأَمَانِ
- ٥٢٢٩- يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الْأَرَائِكِ مَا تَرَى
حَبَّيْنِ فِي الْخَلَوَاتِ يَتَّحِيَانِ
- ٥٢٣٠- هَذَا وَكَمْ زُرِّيَّةٍ وَنَمَارِقِ
وَوَسَائِدِ صُفَّتْ بِلَا حُسْبَانِ

الشرح

أهل الجنة في الآخرة متكئون على سرر مصفوفة، وأحوال الآخرة تختلف
عن أحوال الدنيا.

فصل

في حلي أهل الجنة

- ٥٢٣١- وَالْحَلِيُّ أَضْفَى لَوْلُوٍ وَزَبْرَجِدٍ وَكَذَلِكَ أَسْوَرَةٌ مِنَ الْعَقِيَانِ
- ٥٢٣٢- مَا ذَاكَ يَخْتَصُّ الْإِنَاثُ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْإِنَاثِ كَذَلِكَ لِلذُّكْرَانِ
- ٥٢٣٣- التَّارِكِينَ لِبَاسَهُ فِي هَذِهِ الذُّ دُنْيَا لِأَجْلِ لِبَاسِهِ بِجَنَانِ
- ٥٢٣٤- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ حَلِيَّتَهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَاءَ وَضُوئِهِمْ بِوِزَانِ
- ٥٢٣٥- وَكَذَا وَضُوءٌ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ فَازَتْ بِهِ الْعَضْدَانِ وَالسَّاقَانِ
- ٥٢٣٦- وَسِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ قَائِلًا مَا ذَاكَ إِلَّا مَوْضِعَ الْكَعْبَيْنِ وَالزُّ
- ٥٢٣٧- وَلِذَلِكَ أَهْلُ الْفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي مَوْضِعَ الْأَقْوَى انْتِهَاءَ وَضُوئِنَا
- ٥٢٣٨- هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْفِقْهِ وَالرَّاجِحُ الْأَقْوَى انْتِهَاءَ وَضُوئِنَا
- ٥٢٣٩- وَاحْفَظْ حُدُودَ الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْفِقْهِ
- ٥٢٤٠- وَانظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ قُوفٌ عَلَى الرَّاوي هُوَ الْفَوْقَانِي
- ٥٢٤١- وَانظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ قُوفٌ عَلَى الرَّاوي هُوَ الْفَوْقَانِي
- ٥٢٤٢- وَانظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ قُوفٌ عَلَى الرَّاوي هُوَ الْفَوْقَانِي
- ٥٢٤٣- وَانظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ قُوفٌ عَلَى الرَّاوي هُوَ الْفَوْقَانِي

- ٥٢٤٤- فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كَيْسِهِ فَغَدَا يُمَيِّزُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانَ
 ٥٢٤٥- وَنُعَيْمُ الرَّاوي لَهُ قَدْ شَكَ فِي رَفَعِ الْحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي
 ٥٢٤٦- وَإِطَالَةُ الْغُرَاتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَبَدًا وَذَا فِي عَايَةِ التَّبَيَّانِ

الشرح

في هذا الفصل يتحدث المؤلف - رحمه الله - عن حلي أهل الجنة فقال:

- ٥٢٣١- وَالْحَلِيُّ أَصْفَى لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدٍ وَكَذَلِكَ أُسُورَةٌ مِنَ الْعِقْيَانِ
 قَوْلُهُ: «الْعِقْيَانِ»؛ يعني: الذهب.

أسورة أهل الجنة ذكر الله أنها ثلاثة أصناف من: فضة، ولؤلؤ، وذهب، قال الله تعالى: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، وفي قراءة «ولؤلؤ»، وإذا تحيَّلت هذه الأصناف على الذراع وجذت لها منظرًا عجيبيًا، فهي لؤلؤ صافٍ، وذهب خالص، وفضة خالصة، يكون لها منظرٌ لا يمكن أن يبلغ تصوُّرك مدى هذا المنظر.

- ٥٢٣٢- مَا ذَاكَ يَخْتَصُّ الْإِنَاثُ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْإِنَاثِ كَذَاكَ لِلذُّكْرَانِ
 ٥٢٣٣- التَّارِكِينَ لِبَاسِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ لِبَاسِهِ فِي الْبَعْدِ

يقول رحمه الله: إن هذا لا يختص بالإناث، بل يشمل الإناث والرجال، حتى الرجال يتحلون بالذهب وبالفضة وباللؤلؤ؛ لأنهم تركوا هذا في الدنيا، فألبسهم الله إياه في الآخرة.

٥٢٣٤- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ حَلِيَّتَهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَاءِ وَضُوئِهِمْ بِوِزَانِ

وَالْوُضُوءِ يَنْتَهِي إِلَى الْمِرْفَقِ فِي الْيَدِ، وَإِلَى الْكَعْبِ فِي الرَّجْلِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ
-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ»^(١)، وَهَذَا
ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

٥٢٣٥- وَكَذَا وَضُوءُ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ فَازَتْ بِهِ الْعُضْدَانِ وَالسَّاقَانِ

الْعُضْدَانِ فِي الْيَدِ، وَالسَّاقَانِ فِي الرَّجْلِ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا تَوَضَّأَ يُبَالِغُ حَتَّى
يَصِلَ إِلَى قَرِيبِ الْمَنْكَبِ، وَكَذَلِكَ فِي السَّاقِ يُبَالِغُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قَرِيبِ الرُّكْبَةِ،
وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهَمَّ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّكَ كُلَّمَا زِدْتَ فِي الْوُضُوءِ زَادَتْ الْحَلِيَّةُ،
فَصَارَ يَغْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْمَنْكَبِ، وَكَذَلِكَ يَغْسِلُ رِجْلَهُ وَيُدْخِلُ السَّاقَ
فِيهَا؛ ظَنًّا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ إِذَا تَجَاوَزَ الْإِنْسَانَ الْمَحَلَّ الْمَحْدَدَّ فَإِنَّ الْحَلِيَّةَ تَزِيدُ، لَكِنْ
يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ:

٥٢٣٦- وَسِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ قَائِلًا مَا السَّاقُ مَوْضِعَ حَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «سِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ» «سِوَاهُ»؛ يَعْنِي: سِوَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْكَرَ
هَذَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، هَذَا تَجَاوَزُ لِمَا حَدَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَجَاوَزُ لِمَا
جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ.

قَوْلُهُ: «مَا السَّاقُ مَوْضِعَ حَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ» السَّاقُ لَيْسَ مَوْضِعَ الْحَلِيَّةِ فِي قَوْلِ
الرَّسُولِ ﷺ: «تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ»، الْحَلِيَّةُ تَكُونُ فِي الرَّجْلِ
فِي الْأَسْفَلِ، وَلَا تَكُونُ فِي السَّاقِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، رقم (٢٥٠).

٥٢٢٧- مَا ذَاكَ إِلَّا مَوْضِعَ الْكَعْبَيْنِ وَالرُّزْ زَنْدَيْنِ لَا السَّاقَانِ وَالْعَضْدَانِ

يقول: إن الحلية تكون إلى الكعب وتكون أيضاً للزندان فقط، والزندان هما العظمان، فالذراع فيه عظامان، فلكل إنسان أربعة أزدان، في كل يد اثنان، والعضد فوق المرفق، والساق أيضاً فوق الكعب.

٥٢٢٨- وَلِذَلِكَ أَهْلُ الْفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُمْ قَوْلَانِ

القولان عند أهل الفقه: هل يُسنُّ مجاوزة محلِّ الفرضِ أو لا يُسنُّ؟ يعني: هل ينبغي للإنسان إذا توضأ أن يغسل العُضدَ كما يغسل الذراع؟ وهل يغسل الساق كما يغسل الرجل؟ فيه خلاف، والمشهور عندنا في مذهب الحنابلة أنه تُسنُّ الزيادة على محلِّ الفرض، لكن ابن القيم يقول:

٥٢٢٩- وَالرَّاجِحُ الْأَقْوَى أَنْتِهَاءُ وَضُوءِنَا لِلْمَرْفَقَيْنِ كَذَلِكَ الْكَعْبَانِ

الراجح في النظر والأقوى في الدليل أنه إلى الكعب في الرجل، وإلى المرفق في اليد.

هذا الذي قال إنه الأرجح هو الصواب؛ لأن الله حدّد لنا، وينبغي لنا عندما نتوضأ أن نستشعر ونحن نغسل الذراع قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَى الْمَرْفِقِ﴾ [المائدة: ٦]، وأن نستشعر أيضاً فعل النبي ﷺ حتى يكون في وضوئنا هذا تمام الإخلاص والمتابعة، وأكثر الناس إما بالنسبة للأحيان وإما بالنسبة للأشخاص يغفلون عن هذه النقطة، يتوضأ على أن الوضوء واجبٌ وينتهي، لكن استشعر أمر الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَيِّدِكُمْ إِلَى الْمَرْفِقِ﴾ [المائدة: ٦]، واستشعر مع ذلك فعل النبي ﷺ حيث كان يدير الماء على مرفقيه^(١) ولا يتجاوز إلى الكتف.

(١) أخرجه البيهقي (١/٩٣، رقم ٢٥٥).

أهمُّ شيءٍ عندي أن ننتبه لهذه النقطة؛ حتى يكون وضوؤنا من أوله إلى آخره امتثالاً لأمرِ الله واتباعاً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

٥٢٤٠- هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْ— قُرْآنٍ لَا تَعْدِلُ عَنِ الْقُرْآنِ

وذلك لأن الله قال: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦٠]، فالله حدّد ذلك، فلا تعدل عن القرآن.

٥٢٤١- وَاحْفَظْ حُدُودَ الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا وَكَذَلِكَ لَا تَجْنَحْ إِلَى النُّقْصَانِ

والنّاس في الحدود ينقسمون إلى قسمين: قسم يتعدى الحدود، وقسم يقصر عنها، فأنت لا تتعدّ ولا تقصر؛ لأنّ من تعدّاها فقد أفرط وغلّا، ومن نقص فقد فرط وأهمّل، فكن على حسب حدودِ الله عزّ وجلّ.

٥٢٤٢- وَأَنْظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ أَبَدَى الْمُرَادَ وَجَاءَ بِالتَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَبَدَى الْمُرَادَ»؛ يعني: مراد الربّ عزّ وجلّ.

قَوْلُهُ: «وَجَاءَ بِالتَّبْيَانِ»؛ أي: لقد بيّن البيان الكافي.

فإنّ النّبِيَّ ﷺ في جميع الأحاديث التي وصفت وضوءه لم يُذكر أنّه كان يغسل العَضُدَ أو يغسل السَّاقَ، غاية ما هنالك ما أخرجه مسلمٌ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وفيه أنّه «غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ»^(١)؛ وذلك لأنّه لا يمكن أن يتحقّق بلوغُ الماءِ إلى الكعبين إلّا إذا

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم (٢٤٦).

شَرَعَ فِي السَّاقِ، وَكَذَلِكَ بِالنُّسْبَةِ لِلعَضُدِ.

٥٢٤٣- وَمَنْ اسْتَطَاعَ يُطِيلُ عُرَّتَهُ فَمَوْ قُوفٌ عَلَى الرَّاويِ هُوَ الْفَوْقَانِي

يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ عُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ فَلْيَفْعَلْ»^(١)، يَقُولُ: هَذَا مَوْقُوفٌ عَلَى الرَّاويِ هُوَ الْفَوْقَانِيُّ وَهُوَ أَبُو هَرِيرَةَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ مِنْتَهُ السَّنَدِ.

فِيكُونُ فِي عِلْمِ الْمِصْطَلِحِ مِنْ بَابِ الْمُدْرَجِ؛ لِأَنَّ لَمْ يَفْصِلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّصِّ النَّبَوِيِّ.

٥٢٤٤- فَأَبُو هَرِيرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كَيْسِهِ فَعَدَا يُمَيِّزُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

يَعْنِي: جَاءَ بـ: «فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ...» مِنْ عِنْدِهِ، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْهُ.

٥٢٤٥- وَنُعَيْمُ الرَّاويِ لَهُ قَدْ شَكَّ فِي رَفَعِ الْحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي

قَوْلُهُ: «نُعَيْمُ الرَّاويِ» هُوَ: نُعَيْمُ الْمُجَمَّرِ الَّذِي رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي» الشَّيْبَانِيُّ يَعْنِي بِهِ: الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ.

يَعْنِي: أَنَّ رِوَايَةَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ شَكَّ نُعَيْمٌ هَلْ هَذَا مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ أَمْ مِنْ قَوْلِ أَبِي هَرِيرَةَ؟

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ وَالغَرِّ الْمَحْجَلُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، رَقْمُ (١٣٦). وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، رَقْمُ (٢٤٦).

٥٢٤٦- وَإِطَالَةُ الْغُرَّاتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَبَدًا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبَيُّانِ

إطالة الغرّات لا يمكن؛ لأنّ الغرّة هي الوجه، وهل يمكن للإنسان أن يطيل وجهه؟ الجواب: لا يمكن، لو وسّعه مثلاً فالمنتهى الأذنان، إذا وصل الغسل إلى الأذن لم تكن الأذن من الوجه، أو صعد به إلى الناصية لم تكن الناصية من الوجه، إذن إطالة الغرّات المذكورة في الحديث: «فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ»^(١) غير ممكنة؛ يعني: لو أمكن إطالة التحجيل لم يمكن إطالة الغرّات، والنبّي -عليه الصّلاة والسّلام- لا يمكن أن يتكلّم بكلام غير ممكن؛ لأنّه معصومٌ من الخطأ بخلاف غيره، فكلامُ النبي ﷺ لا يمكن إلا أن يكون واقعاً موافقاً للحقيقة.

والخلاصة: أن أهل الجنة يُحلّون من أساور من ذهبٍ ولؤلؤٍ ومن فضّة، وأنّ الحليّة تبلغُ إلى حيث يبلغُ الوضوءُ، ففي اليدين إلى المرفقين، وفي الرّجلين إلى الكعبين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، رقم (٢٥٠).

فصل

في صفة عرائس الجنة، وحسنهن، وجمالهن، ولذة وصالهن، ومهورهن

- ٥٢٤٧- يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الْحُسْنِ الَّتِي
حُفَّتْ بِذَاكَ الْحَجْرِ وَالْأَرْكَانِ
- ٥٢٤٨- وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِمًا حَوْلَ الصِّفَا
وَمُحَسَّرٌ مَسْعَاهُ لَا الْعَلَمَانَ
- ٥٢٤٩- وَيَرُومُ قُرْبَانَ الْوِصَالِ عَلَى مَنِي
وَالْخَيْفِ يَجْجُبُهُ عَنِ الْقُرْبَانِ
- ٥٢٥٠- فَلِذَا نَرَاهُ مُحْرِمًا أَبَدًا وَمَوْ
ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانَ
- ٥٢٥١- يَبْغِي التَّمَتُّعَ مُفْرِدًا عَنِ حُبِّهِ
مُتَجَرِّدًا يَبْغِي شَفِيعَ قِرَانِ
- ٥٢٥٢- فَيَظَلُّ بِالْجَمَرَاتِ يَرْمِي قَلْبَهُ
هَذَا مَنَاسِكُهُ بِكُلِّ زَمَانِ
- ٥٢٥٣- وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ
حَثُّوا رَكَائِبَهُمْ إِلَى الْأَوْطَانِ
- ٥٢٥٤- وَحَدَّثَ بِهِمْ هَمٌّ لَهُمْ وَعَزَائِمٌ
نَحْوَ الْمَنَازِلِ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
- ٥٢٥٥- رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ الْوِصَا
لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيِّتَةَ الْكَسْلَانِ
- ٥٢٥٦- وَرَأَوْا عَلَى بُعْدِ حَيَاةٍ مُشْرِفًا
تِ مُشْرِقَاتِ النُّورِ وَالْبُرْهَانِ
- ٥٢٥٧- فَتَيَمَّمُوا تِلْكَ الْخِيَامَ فَانَسُوا
فِيهِنَّ أَقْمَارًا بِلَا نُقْصَانِ
- ٥٢٥٨- مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغِي سِوَى
مُحْبُوبِيهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ
- ٥٢٥٩- قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهِ
وَالطَّرْفُ فِي ذَا الْوَجْهِ لِلنُّسْوَانِ

- ٥٢٦٠- أَوْ أَنَهَا قَصَّرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهُ مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ
 ٥٢٦١- وَالْأَوَّلُ الْمَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الْخِطَا بِ فَلَاحِدٌ عَنِ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ
 ٥٢٦٢- وَلَرُبَّمَا دَلَّتْ إِشَارَتُهُ عَلَى الثُّ ثَانِي فِتْلِكَ إِشَارَةٌ لِمَعَانِ
 ٥٢٦٣- هَذَا وَلَيْسَ الْقَاصِرَاتُ كَمَنْ غَدَتْ مَقْصُورَةً فَهَمَّا إِذَا صِنْفَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ» يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ لِنِسِّ قِبَلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥٦]، يَقُولُ: لَهَا مَعْنِيَانِ:

الْأَوَّلُ: قَصَّرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَحِينَئِذٍ الطَّرْفُ لِلْمَرْأَةِ، قَصَّرَتْ طَرْفَهَا؛ يَعْنِي: نَظَرَهَا عَلَى زَوْجِهَا لَا تَرِيدُ سِوَاهُ.

وَالثَّانِي: «قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ»؛ أَي: تَقْصُرُ طَرْفَ زَوْجِهَا عَلَيْهَا، وَذَلِكَ مِنْ حُسْنِهَا، وَيَكُونُ الطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ.

وَالْمَعْنَى صَالِحٌ لِهَذَا وَهَذَا، فَهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَا تَنْظُرُ الْوَاحِدَةَ إِلَى غَيْرِ زَوْجِهَا، وَهِنَّ قَاصِرَاتُ طَرْفِ الْأَزْوَاجِ، فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى سِوَاهُنَّ، وَهَذَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْأَلْفَةِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»^(١)، وَإِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا يَبْغِي تَحْوِيلًا عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رَقْمُ (٦١٩٣)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، رَقْمُ (٢١٣).

حَتَّى يَتَمَّ لِلأَوَّلِ الشَّقَاءِ - والعياذُ بالله - والتَّحَسُّرُ، ولِلثَّانِي النِّعِيمِ كما قال تعالى: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ عَنَّا حَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، أَيضًا الزَّوْجَانِ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ ابْتَهَجَ بِالآخِرِ وَلَا يَرَى لَهُ بَدِيلًا فَهَذَا مِنْ تَمَامِ السَّعَادَةِ.

قَوْلُهُ: «وَالأَوَّلُ المَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الخِطَابِ» لَا شَكَّ أَنَّ الأَوَّلَ أَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ الوَضْعُ اللُّغَوِيُّ، لَكِنْ لَدِينَا قَاعِدَةٌ فِي نصوصِ القرآنِ والسُّنَّةِ؛ وَهِيَ أَنَّ اللَّفْظَ مَتَى كَانَ صَالِحًا لِلْمَعْنَيْنِ بَدُونَ مَنَاقِضَةٍ وَجَبَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهَا جَمِيعًا، وَهَذَا مِنْ سَعَةِ مَعَانِي القرآنِ الكَرِيمِ والسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ القَاصِرَاتُ كَمَنْ عَدَّتْ مَقْصُورَةً فَهِيَ إِذَا صِنْفَانِ» يُشِيرُ إِلَى الجَنَّتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٢]، وَفِي الجَنَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ قَالَ: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتُ الطَّرْفِ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٦]، فَلَيْسَ القَاصِرَاتُ كالمَقْصُورَاتِ، وَهَذَا صَحِيحٌ، فَهِيَ إِذَا صِنْفَانِ: صِنْفٌ مَقْصُورٌ، وَصِنْفٌ قَاصِرٌ.

- | | |
|--|---|
| جُرْدُنَ عَنِ حُسْنٍ وَعَنِ إِحْسَانِ | ٥٢٦٤- يَا مُطَلِّقَ الطَّرْفِ المُعَذِّبِ فِي الأُلَى |
| دَاءُ الدَّوِيِّ تَبُوءُ بِالخُسْرَانِ | ٥٢٦٥- لَا تَسْبِيكَ صُورَةً مِنْ تَحْتِهَا الدُّ |
| شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الإِنْسَانِ | ٥٢٦٦- قَبِحتْ خَلَاتِقُهَا وَقُبِحَ فِعْلُهَا |
| أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الإِحْسَانِ | ٥٢٦٧- تَنَقَّادُ لِلأَنْذَالِ وَالأَرْدَالِ هُمْ |
| خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ | ٥٢٦٨- مَائِمٌ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا |
| تَرَكَتُهُ لَمْ تَطْمَخْ لَهَا العَيْنَانِ | ٥٢٦٩- وَجَمَالَهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ |

- ٥٢٧٠- طِبَعَتْ عَلَى تَرْكِ الحِفاظِ فَمَا لَهَا
 ٥٢٧١- إِنَّ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً
 ٥٢٧٢- أَوْ رَامَ تَقْوِيًّا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ
 ٥٢٧٣- أَفْكَارُهَا فِي المَكْرِ وَالكَيْدِ الَّذِي
 ٥٢٧٤- فَجَمَّأُهَا قِشْرُ رَقِيْقٍ تَحْتَهُ
 ٥٢٧٥- نَقْدُ رَدِيءٍ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ
 ٥٢٧٦- فَالنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ
 ٥٢٧٧- أَمَّا جَمِيلاتُ الوُجُوهِ فَخائِنا
 ٥٢٧٨- وَالْحَافِظَاتُ الغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي
- بِوَفاءِ حَقِّ البَعْلِ قَطُّ يَدانِ
 قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسانِ
 تَقْبُلِ سِوَى التَّعْوِيْجِ وَالنُّقْصانِ
 قَدْ حارَ فِيهِ فِكرُهُ الإِنْسانِ
 ما شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصانِ
 شَيْءٍ يَظُنُّ بِهِ مِنَ الأَثْمانِ
 وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ العُمِيانِ
 تُبْعُولُهُنَّ وَهُنَّ لِلأَخْدانِ
 قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النِّسْوانِ

الشرح

- ٥٢٦٤- يا مُطَلِقَ الطَّرْفِ المُعَذِّبِ فِي الأُلَى
 جُرْدُنَ عَنِ حُسْنٍ وَعَنِ إِحْسانِ
 قَوْلُهُ: «فِي الأُلَى»؛ يَعْنِي: اللَّائِي، وَالْمَرادُ نِساءَ الدُّنْيا.

قَوْلُهُ: «جُرْدُنَ عَنِ حُسْنٍ وَعَنِ إِحْسانِ» «عَنِ حُسْنٍ»؛ يَعْنِي: بِاعْتِبارِ نِساءِ الجَنَّةِ؛ لِأَنَّ حُسْنَ نِساءِ أَهْلِ الدُّنْيا مِهما كانَ لا يُنْسَبُ إِطْلاقاً إِلى حُسْنِ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَكَذلكَ الإِحْسانُ، الإِحْسانُ فِي النِّساءِ قَليلٌ، وَلو أَحْسَنْتَ يَوْمًا أَساءَتْ دَهْرًا، هَذا الغالِبُ عَلِيهِنَّ؛ وَلهذا أَمَرَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِأَنْ نَصْبَرَ عَلَى النِّساءِ، فَقالَ: «فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنَّ

ذَهَبَتْ تَقِيْمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ»^(١).

ثُمَّ ائْتَجَهَ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللهُ - إِلَى عُشَّاقِ النِّسَاءِ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ:

٥٢٦٥- لَا تَسْبِيْنَتِكَ صُورَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الذُّدَّاءُ الدَّوِيُّ تَبُوءُ بِالْخُسْرَانِ

٥٢٦٦- قَبِحَتْ خَلَاتِقُهَا وَقُبِحَ فِعْلُهَا شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ

٥٢٦٧- تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالْأَزْدَالِ هُمْ أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الْإِحْسَانِ

٥٢٦٨- مَا نَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

٥٢٦٩- وَجَمَالَهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا الْعَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «تَرَكَتُهُ» الظَّاهِرُ أَنَّهَا «تَتْرُكُهُ»، فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْبَيْتَ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِهَذَا.

ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّ جَمَالَهَا مَصْنُوعٌ، فَهُوَ مَصْنُوعٌ مِنَ الْمَكْيَاجِ وَشَبِيهِهِ، لَكِنَّهَا

خَرَابٌ، فَهِيَ تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالْأَزْدَالِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

٥٢٧٠- طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الْهِفَاطِ فَمَا لَهَا بَوْفَاءٌ حَقَّ الْبَعْلِ قَطُّ يَدَانِ

٥٢٧١- إِنْ قَصَّرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ

٥٢٧٢- أَوْ رَامَ تَقْوِيْمًا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيْجِ وَالنَّقْصَانِ

٥٢٧٣- أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ الَّذِي قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرُهُ الْإِنْسَانِي

كُلُّ هَذَا جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ أَنَّكَ إِذَا قَصَّرْتَ عَلَيْهَا مَرَّةً قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ مِنْكَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم

(٣٣٣١). ومسلم: كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء، رقم (١٤٦٨)

خَيْرًا قَطُّ»^(١)، وَ«إِنْ تُقَمِّمَهَا تَكْسِرُهَا، وَإِنْ تَتْرُكُهَا تَسْتَمْتِعُ بِهَا وَفِيهَا عَوَجٌ»^(٢).

٥٢٧٤- فَجَمَّالُهَا قَشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نَقْصَانِ

٥٢٧٥- نَقْدٌ رَدِيٌّ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ شَيْءٌ يَظُنُّ بِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ

٥٢٧٦- فَالِنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ

٥٢٧٧- أُمَّا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَا تٌ بُعُولِهِنَّ وَهِنَّ لِلْأَخْدَانِ

٥٢٧٨- وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النَّسْوَانِ

فالظاهرُ فِضَّةٌ، والدَّاخلُ نُحَّاسٌ، وهذا الذي ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله- في وصفِ النِّسَاءِ لَعَلَّهُ يَرِيدُ بِهَذَا النِّسَاءِ الْبَاغِيَاتِ؛ أَي: اللَّاتِي يَحْنُ أَزْوَاجُهُنَّ بِالزَّانَا وَاتِّخَاذِ الْأَخْدَانِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَا يَرِيدُ بِهَذَا جَمِيعَ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظَتُ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٤]، وَكَمْ مِنْ امْرَأَةٍ لَيْسَتْ عَلَى مَا وَصَفَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله- فِي هَذَا، لَكِنَّهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ الْبَاغِيَا اللَّاتِي يَخْدَعْنَ بِجَمَالِهِنَّ الَّذِي هُوَ زَيْفٌ، تَجْمِيلٌ وَلَيْسَ جَمَالًا فِي الْحَقِيقَةِ، قَشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ الْبَلَاءُ، وَالنَّاقِدُ مَعْنَاهُ الْبَصِيرُ بِالشَّيْءِ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ؟ وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ؛ وَهَذَا قَالَ: «وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ...».

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيوان، باب كفران العشير، وكفر دون كفر، رقم (٢٩)، ومسلم: في أول كتاب العيدين، رقم (٨٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٤٤٩، رقم ٩٧٩٤).

- ٥٢٧٩- فَأَنْظُرُ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا
 ٥٢٨٠- وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِيِ الـ
 ٥٢٨١- إِنْ كَانَ قَدْ أَغْيَاكَ خَوْدٌ مِثْلَ مَا
 ٥٢٨٢- فَأَخْطُبُ مِنَ الرَّحْمَنِ خَوْدًا ثُمَّ قَدْ
 ٥٢٨٣- ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيَسَّرُ- إِنْ يَكُنْ
 ٥٢٨٤- وَاللَّهِ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلدُّ
 ٥٢٨٥- لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعَدَّ الزَّادَ لِلدُّ
 ٥٢٨٦- أَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ
 ٥٢٨٧- وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةٌ
 ٥٢٨٨- لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّ
- مِنْ قَبْلُ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
 بَاقِي بِذَا الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ فَا نِي
 تَبْغِي وَلَمْ تَظْفَرِ إِلَى ذَا الْآنِ
 دِمَّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
 لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 ذَةَ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْفَانِي
 أُخْرَى فَجِئْتَ بِأَقْبَحِ الْخُسْرَانِ
 فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنِ ذَا الشَّانِ
 لَتَقَطَّعْتَ أَسْفًا مِنَ الْجِرْمَانِ
 دُنْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانِ

الشرح

- ٥٢٧٩- فَأَنْظُرُ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا
 ٥٢٨٠- وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِيِ الـ
 ٥٢٨١- إِنْ كَانَ قَدْ أَغْيَاكَ خَوْدٌ مِثْلَ مَا
 ٥٢٨٢- فَأَخْطُبُ مِنَ الرَّحْمَنِ خَوْدًا ثُمَّ قَدْ
 ٥٢٨٣- ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيَسَّرُ- إِنْ يَكُنْ
- مِنْ قَبْلُ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
 بَاقِي بِذَا الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ فَا نِي
 تَبْغِي وَلَمْ تَظْفَرِ إِلَى ذَا الْآنِ
 دِمَّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
 لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

يقول: إِذَا أَعْيَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَوْدٌ؛ أَي: امرأةٌ مستورةٌ طَيِّبَةُ الخَلْقِ والخَلْقِ، فَاخْطَبُ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ يعني: قَدَّمَ المَهْرَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ لِخِطْبَةِ الحُورِ العِينِ؛ وذلك بالإيمان والعمل الصالح، والإيمان والعمل الصالح هو مهرٌ أيسرٌ من مهرِ نساءِ الدُّنْيَا، وهو أيضًا يَطِيبُ به القلبُ، وينسُخُ به الصِّدْرُ، وتنسُطُ به النَّفْسُ، ولا حياةُ ألدُّ من حياةِ أهلِ الإيمانِ والصَّلاحِ أبدًا، حتَّى قال بعضُ السَّلفِ: «لو يعلمُ الملوکُ وأبناءُ الملوکِ ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسُّيُوفِ»^(١) الملوکُ وأبناءُ الملوکِ سرورُهم ورفاهيتُهم سرورُ جسدٍ لا سرورُ قلبٍ، ورفاهيةُ جسدٍ لا رفاهيةُ نفسٍ، وإن كانوا منعمين ويُحَدِّمُونَ وتُقَدِّمُ لهم أطيبُ الفواكهِ والفُرُشِ والأَسِرَّةِ، لكن نفوسُهم ليست مسرورةً، بل نفوسُهم في حبسٍ وضيقٍ، لكن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، لم يقل: «لَنُوسَعَنَّ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ والقصورِ والمراكبِ»، بل قال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾، تجدُّ قلبه مُنْشَرِحًا مُنْعَمًا مسرورًا دائِمًا لا يَنغلقُ، حتَّى إِنَّه إِذَا انغلقَ فَتَحَ اللهُ لَهُ بابَ الاستغفارِ كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهٗ لَيَعَانُ^(٢) عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(٣)، فتجدُه دائِمًا مُنْشَرِحًا؛ لأنَّه يقولُ بلسانِ الحالِ: «إِن فَاتَنِي الدُّنْيَا أَدْرَكْتُ الآخِرَةَ، وَإِن لَمْ تَفْتِنِي جَمَعْتُ بَيْنَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ»، فهو يترقَّبُ دارًا أكملَ بكثيرٍ من دارِهِ التي هو

(١) من كلام إبراهيم بن أدهم، وقد تقدم.

(٢) الغين: الغيم. وَغِيْنَتِ السَّهْمُ تُعَانُ: إِذَا أَطْبَقَ عَلَيْهَا الغَيْمُ. وقيل: العَيْنُ: شَجَرٌ مُلْتَفٌ، أَرَادَ مَا يَغْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْهُ البَشَرُ، لِأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشغُولًا بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِن عَرَضَ لَهُ وَقْتًا مَا عَارَضَ بَشَرِي يَشغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الأُمَّةِ والمَلَّةِ ومَصالِحِهَا عَدَدَ ذَلِكَ ذَنْبًا وتَقْصِيرًا، فيفزعُ إِلَى الاستغفارِ. انظر: النهاية: غين.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم (٢٧٠٢).

فيها؛ لأنه يؤمنُ بها ويطربُّها ويسعى للوصول إليها، ومع ذلك يجعلُ الله في قلبه من السُّرورِ والبهجةِ وطيبِ العيشِ ما لا يحصلُ لغيره.

٥٢٨٤- وَاللَّهُ لَمْ يُخْرِجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلذِّ ذَةَ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْفَانِي

٥٢٨٥- لَكِنْ خَرَجَتْ لِكَيْ تَعُدَّ الزَّادَ لِلذِّ أُخْرَى فَحِثَّتْ بِأَقْبَحِ الحُسْرَانِ

صحيحٌ، ما خَرَجْنَا لنعيش في الدُّنْيَا كما تعيشُ البهائمُ نأكلُ ونشربُ وننامُ فقط، ولكن خَرَجْنَا لكي نُعِدَّ الزَّادَ للأخرى؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَدًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾ (١١٥) فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]؛ أي: تَعَالَى وَتَعَاظَمَ أَنْ يَخْلُقَنَا عَبَدًا لَا نَرْجِعُ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمُلْقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦]، سَوْفَ نَقْفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَاقَةً، وَيَحَاسِبُنَا، ثُمَّ نُؤْتَى الْكُتُبَ بِالْأَيِّمَانِ أَوْ بِالشَّمَائِلِ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ كِتَابَنَا بِالْيَمِينِ.

٥٢٨٦- أَهْمَلْتِ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «أَهْمَلْتِ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ»، أَيَّ زَادٍ أَهْمَلْتِ؟ الْجَوَابُ: أَهْمَلْتِ جَمْعَ زَادِ الآخِرَةِ، حَتَّى فَاتَ، وَجَمْعُ زَادِ الآخِرَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

قَوْلُهُ: «حَتَّى فَاتَ، بَلْ فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ» اللَّهُ أَكْبَرُ، إِذْنُ فَاتَهُ زَادَانِ: زَادُ الآخِرَةِ وَالزَّادُ الَّذِي أَلْهَاهُ عَنِ زَادِ الآخِرَةِ، مَا الَّذِي أَلْهَاهُ عَنِ هَذَا الزَّادِ؟ الْجَوَابُ: الدُّنْيَا وَمَتْعُهَا فَاتَتْ، الدُّنْيَا الْآنَ لَا يَمْضِي مِنْهَا دَقِيقَةٌ فَتَرْجِعُ، كُلُّهَا تَفُوتُ، فَدَقَائِقُ وَلِحْظَاتُ وَإِذَا أَنْتِ عَلَى شَفَا البَيْرِ، انْتَهَيْتِ، لَكِنْ نَعِيمُ الآخِرَةِ يَزِدُّ

ويبقى، ولا يَفْنَى أَبَدًا كما قال تعالى: ﴿خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]؛ أي: لا ينقطع أبدًا، فكيف نُؤَثِّرُ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي؟! والله إِنَّهُ جَهْلٌ مَنَّا وَغَفْلَةٌ وَتَغَافُلٌ؛ إذ كيف نُفَضِّلُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، مع أَنَّنَا نَرَاهَا تَذْهَبُ وَلَا تَرْجِعُ، تَفُوتُ، فَإِذَا لَمْ نَسْتَدْرِكْ أَعْمَارَنَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَاتَتَنَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُمِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

٥٢٨٧- وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةً لَتَقَطَّعَتْ أَسْفًا مِنَ الْحَرَمَانِ

أَقْسَمَ، وَصَدَقَ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا سَلِيمَةً لَتَقَطَّعَتْ أَسْفًا وَحُزْنًا مِنْ حَرَمَانِهَا؛ يَعْنِي: يُحْرَمُ الْإِنْسَانُ الْوَصُولَ إِلَى الْجَنَّةِ بِسُوءِ فِعْلِهِ، وَمَا أَكْثَرَ السَّاعَاتِ الَّتِي تَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ نُحْرَمُ مِنْهَا وَلَا نَسْتَفِيدُ مِنْهَا، وَالْعَمْرُ وَالزَّمَنُ أَعْلَى مِنَ الثَّمَنِ، أَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ وَأَعْلَى مِنَ الْفِضَّةِ، الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ لَوْ ذَهَبَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بَدْلَهُمَا شَيْءٌ، لَكِنِ الْعَمْرُ وَالزَّمَنُ لَا يَأْتِي بَدْلَهُ شَيْءٌ، إِذَا ذَهَبَ ذَهَبٌ بِدُونِ رَدِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ۗ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]؛ يَعْنِي: لَا يُوجَدُ رَجُوعٌ، ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

أنت الآن في مهلة، اغتتم الوقت، اجعل لنفسك حزبًا من كتاب الله عز وجل، اجعل لنفسك وقتًا للعمل الصالح، قُمْ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَلَوْ نَصَفَ سَاعَةٌ قَبْلَ الْفَجْرِ، نَاجِ رَبِّكَ، ادْعُهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي

فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(١)، مَنْ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُومَ قَبْلَ الْفَجْرِ بِنَصْفِ سَاعَةٍ؟! هَذَا أَمْرٌ بَسِيطٌ جَدًّا، نَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِهِ، لَا نَقُومُ ثَلَاثَ اللَّيْلِ وَلَا نَصْفَ اللَّيْلِ، لَكِنْ أَفَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُومَ نَصْفَ سَاعَةٍ فَقَطْ، نَتَوَضَّأُ، نَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا، نَصَلِّي مَا شَاءَ اللَّهُ، نُوتِرُّ؟! هَذَا أَمْرٌ أَظُنُّهُ بَسِيطًا جَدًّا.

كَذَلِكَ أَيْضًا نَجْعَلُ حَيَاتِنَا كُلَّهَا ذِكْرًا لِلَّهِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْكَيِّسَ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ حَيَاتَهُ كُلَّهَا ذِكْرًا لِلَّهِ؛ لِأَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَمَانًا آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا ذَكَّرْنَا هَذَا الشَّيْءَ الَّذِي أَمَانًا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ذَكَّرْنَا بِذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ دَائِمًا يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يُشَاهِدُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ، بَلْ بِمَا يُشَاهِدُ مِنْ نَفْسِهِ وَتَقَلُّبَاتِهَا، فَالْقُلُوبُ لَيْسَتْ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ دَائِمًا، بَلْ فِي غَفْلَةٍ أحيانًا، فِي إِنْابَةٍ أحيانًا، فِي تَذَكُّرٍ أحيانًا، فِي حَيَاةٍ بَيْنَهُ أحيانًا، أحيانًا يَحِيَا قَلْبُكَ حَيَاةً تَتَمَتَّعُ بِهَا مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ تَتَذَكَّرُهَا، رَبِّهَا تَتَذَكَّرُ حَالَةً وَقَفَّتَ فِيهَا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُصَلِّيًّا سَاجِدًا قَبْلَ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ حَسَبِ عُمُرِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهَا أَثَّرَتْ فِي قَلْبِهِ، فَمِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يَنْبَغِي أَنْ نَسْتَغْلَهَا، وَالْأَنْغَفَلَ، فَالْغَفْلَةُ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَمَوْتُ لِلْقَلْبِ.

٥٢٨٨- لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّنْيَا وَدُنْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانٍ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، الْقُلُوبُ سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّنْيَا، فَهِيَ تَسْعَى لِلدُّنْيَا أَوَّلًا وَآخِرًا، يَنَامُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ يَفْكُرُ فِي الدُّنْيَا، يَسْتَيْقِظُ وَهُوَ يَفْكُرُ فِي الدُّنْيَا، كَأَنَّهَا خُلِقَتْ لِلدُّنْيَا فَتَغْفَلُ عَنِ الْآخِرَةِ، وَمَتَى تُفِيقُ؟ قَالَ: «وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانٍ»

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

متى؟ الجواب: عند الموت يُفِيقُ الإنسانُ، يقولُ: «لَيْتَنِي فَعَلْتُ، لَيْتَنِي فَعَلْتُ»، وأشدُّ من ذلك إفاقةً إذا كان يومُ القيامةِ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) ﴿يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨]، قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]، أو يقولها القائل وهو نفسُ الذي عَضَّ يديه، وحين يقولُ القائلُ: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، وهناك لا يَنْفَعُ النَّدَمُ.

فجزاه اللهُ خيرًا، فقد حَرَّكَ القلوبَ وأفاد، نَسَأَلُ اللهُ أن يجزيه عَنَّا خيرًا.

أَسَأَلُ اللهُ تعالى بِأَسْمَائِهِ وصفاتِهِ أن يجعلني وإياكم مِمَّنْ يَغْتَنِمُ الأوقاتِ بالأعمالِ الصَّالِحَاتِ، وأن يُثَبِّتَنَا عند المماتِ وبعد المماتِ وفي يومٍ يجعلُ الولدانَ شبيبا، إِنَّه جوادٌ كريمٌ.

فصل

مَ اخْتَرَهُ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانَ
 وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النُّسْوَانِ
 قَدْ أَلْبَسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
 سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النُّسْوَانِ
 كَالْبَدْرِ لَيْلَ السُّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
 وَاللَّيْلِ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
 لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
 سُبْحَانَ مُثَقِّنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ
 سَدَّ مَجِيئِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ الثَّانِي
 يَتَصَاحَبَانِ كِلَاهُمَا أَحْوَانِ
 مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرِيَانِ
 وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعِيَانِ
 سُودُ الْعُيُونِ فَوَائِرُ الْأَجْفَانِ

٥٢٨٩- فَاسْمَعِ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمَّ
 ٥٢٩٠- حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلَائِقًا
 ٥٢٩١- حَتَّى يَحَارَ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
 ٥٢٩٢- وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
 ٥٢٩٣- وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُوسِ جَمَالِهَا
 ٥٢٩٤- كَمَلَتْ خَلَائِقُهَا وَأَكْمَلَ حُسْنَهَا
 ٥٢٩٥- وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
 ٥٢٩٦- فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ
 ٥٢٩٧- وَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ
 ٥٢٩٨- لَا اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبُ عِنْدَ
 ٥٢٩٩- وَالشَّمْسُ لَا تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ
 ٥٣٠٠- وَكِلَاهُمَا مِرْآةٌ صَاحِبِهِ إِذَا
 ٥٣٠١- فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
 ٥٣٠٢- حُمْرُ الْخُدُودِ تُغَوِّرُهُنَّ لِأَلْيِّ

- ٥٣٠٣ - وَالْبَرْقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ نَعْرَهَا
فِيضِيءُ سَقْفُ الْقَصْرِ بِالْجُدْرَانِ
- ٥٣٠٤ - وَلَقَدْ رُوِينَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا
يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجَنَانِ
- ٥٣٠٥ - فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ نَعْرِ ضَاحِكِ
فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرِيَانِ
- ٥٣٠٦ - اللَّهُ لَا يُؤْمِمْ ذَلِكَ النَّعْرِ الَّذِي
فِي لَثْمِهِ إِدْرَاكُ كُلِّ أَمَانِ
- ٥٣٠٧ - رِيَانَةُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا
بِ فَغْضِنِهَا بِالْمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
- ٥٣٠٨ - لَمَّا جَرَى مَاءُ النَّعِيمِ بِغُضْنِهَا
حَمَلَ الشَّمَارَ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
- ٥٣٠٩ - فَالْوَرْدُ وَالتَّقَّاحُ وَالرُّمَّانُ فِي
عُضْنِ تَعَالَى غَارِسُ البُسْتَانِ
- ٥٣١٠ - وَالقَدُّ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّدْنِ فِي
حُسْنِ القَوَامِ كَأَوْسَطِ القُضْبَانِ
- ٥٣١١ - فِي مَغْرَسِ كَالْعَاجِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
عَالِي النَّقَا أَوْ وَاحِدُ الكُثْبَانِ
- ٥٣١٢ - لَا الظَّهْرُ يَلْحَقُهَا وَلَيْسَ تُدِيهَا
بِلَوْاحِقِ اللَّبْطَنِ أَوْ بِدَوَائِي
- ٥٣١٣ - لَكِنَّهُنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدُ
فَتُدِيهُنَّ كَأَلْطَفِ الرَّمَّانِ
- ٥٣١٤ - وَالْحِيدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنٍ فِي بِيَا
ضٍ وَاعْتِدَالٍ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
- ٥٣١٥ - يَشْكُو الحَلِيُّ بِعَادَهُ فَلَهُ مَدَى الْ
أَيَّامِ وَسَوَاسٍ مِنَ الهِجْرَانِ
- ٥٣١٦ - وَالْمِعْصَمَانِ فَإِنْ تَشَأْ شَبَّهُهُمَا
بِسَبِيكَتَيْنِ عَلَيَّهِمَا كَفَّانِ
- ٥٣١٧ - كَالزُّبْدِ لِيَنَّا فِي نُعُومَةٍ مَلْمَسِ
أَصْدَافُ دُرِّ دُورَتِ بِوِرَانِ
- ٥٣١٨ - وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ عَلَى بَطْنِ لَهَا
حُفَّتْ بِهِ خَصْرَانِ ذَاتِ ثَمَانِ

- ٥٣١٩ - وَعَلَيْهِ أَحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الْ
 حَضْرَيْنِ قَدْ غَارَتْ مِنَ الْأَعْكَانِ
 ٥٣٢٠ - حُقُّ مِنَ الْعَاجِ اسْتَدَارَ وَحَوْلَهُ
 حَبَاتُ مِسْكِ جَلَّ ذُو الْإِثْقَانِ
 ٥٣٢١ - وَإِذَا انْحَدَرْتَ رَأَيْتَ أَمْرًا هَائِلًا
 مَا لِلصِّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 ٥٣٢٢ - لَا الْحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلَا بَوْلٌ وَلَا
 شَيْءٌ مِّنَ الْآفَاتِ فِي النَّسْوَانِ
 ٥٣٢٣ - فَخِذَانِ قَدْ حُفَّابِهِ حَرَسَالَهُ
 فَجَنَابُهُ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
 ٥٣٢٤ - قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بَيْنَ
 نَهْمَا وَحَقُّ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
 ٥٣٢٥ - وَهُوَ الْمُطَاعُ أَمِيرُهُ لَا يَنْشِي
 عَنْهُ وَلَا هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ
 ٥٣٢٦ - وَجَمَاعُهَا فَهُوَ الشِّفَاءُ لِصَبِّهَا
 فَالصَّبُّ مِنْهُ لَيْسَ بِالضَّجْرَانِ
 ٥٣٢٧ - وَإِذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا أَتَتْ
 بِكِرًّا بَغَيْرِ دَمٍ وَلَا نُقْصَانِ
 ٥٣٢٨ - فَهُوَ الشَّهِيُّ وَعُضُوهُ لَا يَنْشِي
 جَاءَ الْحَدِيثُ بِذَا بِلَانُكْرَانِ
 ٥٣٢٩ - وَلَقَدْ رُوِينَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي
 قَدْ جَاءَ فِي ﴿يَس﴾ دُونَ بَيَانِ
 شُغْلُ الْعُرُوسِ بِعَرْسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا
 عَيْتَتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ طَوَّلَ زَمَانِ
 ٥٣٣٠ - بِاللهِ لَا تَسْأَلُهُ عَنْ أَشْغَالِهِ
 تَلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ
 ٥٣٣١ - وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ
 مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ الْبُلْدَانِ
 ٥٣٣٢ - وَالشَّوْقُ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَالَهُ
 بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الْإِمْكَانِ
 ٥٣٣٣ - وَاقِيَ إِلَيْهِ بَعْدَ طَوَّلِ مَغِيْبِهِ
 عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانِ

٥٣٣٥- أَتَلَوْمُهُ أَنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِلا حُسْبَانٍ
٥٣٣٦- يَارَبِّ غَفْرًا قَدْ طَغَتْ أَقْلَامُنَا يَارَبِّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَتَرَاهُ يَعَجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ؟»
الشمس: الوجه، والليل: ذوائب الرأس، فهو يتعجب كيف يجتمع الليل والنهار؟
لكن الله على كل شيء قدير، وهذا كله كالتمثيل والمبالغة في الاستعارة.

قَوْلُهُ: «فَيْرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعِيَانٍ؛» يعني أن
الرجل مع أهله من الحور في الجنة يستطيع أن يرى وجهه في وجهها، وترى
وجهها في وجهه، فكل منهما مرآة صاحبه، لكن هذا يحتاج إلى دليل.

قَوْلُهُ: «وَإِذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا أَتَتْ بِكِرًا بغيرِ دَمٍ وَلَا نُقْصَانٍ؛» لقوله تعالى:
﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَلَّنَهُنَّ أَتْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٦]؛ يعني: دائماً.

قَوْلُهُ: «وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي ﴿يس﴾ دُونَ بَيَانِ شُغْلِ
العروسِ بِعُرْسِهِ» وهذا هو ظاهر الآية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي
شُغْلٍ فَلَكَهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ﴾ [يس: ٥٥-٥٦]،
فتفسيرها بهذا مطابق تماماً لظاهر السياق.

قَوْلُهُ: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ الْبُلْدَانِ»
«الصَّبُّ»؛ أي: الحبيب، فالصباية درجة من درجات المحبة؛ لأن المحبة عشر
درجات ذكرها ابن القيم في «روضة المحبين»، وأعلىها الخلة.

وهذا المثل واضح؛ فهذا رجل غاب عن زوجته طويلاً، وهو يحبها وتحبه.

قَوْلُهُ: «الشَّوْقُ يُزْعِجُهُ»؛ أي: إليها، وكذلك هي، ثُمَّ «وَافَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغْيِبِهِ عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانٍ أَتْلُوهُمُهٗ إِنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ؟» الجواب: «لَا، وَالَّذِي أَعْطَى بِلَا حُسْبَانٍ».

قَوْلُهُ: «يَا رَبِّ غَفْرًا قَدْ طَعَتْ أَقْلَامُنَا يَا رَبِّ مَعْدِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ»، وهذا صحيحٌ أَنَّهُ طَعَتْ أَقْلَامُهُ، وَالطُّغْيَانُ: الزِّيَادَةُ، لَكِنْ هَذِهِ زِيَادَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا يَأْتُمُّ بِهَا؛ لِأَنَّ قَصْدَهُ بِهَذَا التَّشْوِيقِ إِلَى مَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَا فِي الْجَنَّةِ كَمَا فِي الدُّنْيَا، هُنَّ أَزْوَاجٌ لَكِنَّهُنَّ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ فَقَطْ، وَالْحَوْرُ نِسَاءٌ خُلِقْنَ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، خُلِقْنَ بِكَلِمَةِ «كُنَّ»، لَكِنْ نِسَاءُ الدُّنْيَا يَكُنَّ أَحْسَنَ مِنَ الْحَوْرِ فِي الْجَنَّةِ، وَيَكُنَّ أَفْضَلَ مِنْهُنَّ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْحَوْرَ الْعَيْنَ لَمْ يَلْحَقْنَهُنَّ تَكْلِيفٌ وَلَا ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخِلَافِ نِسَاءِ الدُّنْيَا، وَكُلُّ مَا يَكُونُ فِي الْحَوْرِ الْعَيْنِ مِنَ الصِّفَاتِ فَهُوَ مَوْجُودٌ فِي نِسَاءِ الدُّنْيَا.

المهمُّ أَنَّ الْمُؤَلِّفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَرَادَ بِهَذَا الْوَصْفِ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ أَنْ يُشَوِّقَ الْإِنْسَانَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَزْوَاجِ حَتَّى يَعْجَلَ لِهُنَّ، نَسَأُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

فصل

- ٥٣٣٧- أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِبَتْ
مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَقَانِ
- ٥٣٣٨- وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يَرَى
مُخَّ الْعِظَامِ وَرَاءَهُ بَعِيَانِ
- ٥٣٣٩- وَالرَّيْحُ مِسْكٌ وَالْجُسُومُ نَوَاعِمٌ
وَاللُّونُ كَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
- ٥٣٤٠- وَكَلَامُهَا يَسْبِي الْعُقُولَ بِنِعْمَةٍ
زَادَتْ عَلَى الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ
- ٥٣٤١- وَهِيَ الْعَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبَدَلَهَا
وَتَحْبُّبِ لِلزَّوْجِ كُلِّ أَوَانِ
- ٥٣٤٢- وَهِيَ النَّبِيَّ عِنْدَ الْجَمَاعِ تَزِيدُ فِي
حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ وَالْأُذُنَانِ
- ٥٣٤٣- لُطْفًا وَحُسْنَ تَبَعُلٍ وَتَغَنُّجٍ
وَتَحْبُّبِ تَفْسِيرِ ذِي الْعِرْفَانِ
- ٥٣٤٤- تِلْكَ الْحَلَاوَةُ وَالْمَلَاحَةُ أَوْجَبَا
إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضَعَ لِسَانِ
- ٥٣٤٥- فَمَلَاحَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا
هِيَ أَوَّلٌ وَهُوَ الْمَجْلُ الثَّانِي
- ٥٣٤٦- فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لَصَبٌّ وَامِقٌ
بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَاتُ كُلَّ مَكَانِ

الشرح

- ٥٣٣٧- أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِبَتْ
مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَقَانِ
- ٥٣٣٨- وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يَرَى
مُخَّ الْعِظَامِ وَرَاءَهُ بَعِيَانِ
- قَوْلُهُ: «وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يَرَى مُخَّ الْعِظَامِ وَرَاءَهُ بَعِيَانِ» وَلَا تَقْسِمُوا

هذا بالدُّنيا، فلو أنَّ امرأةً صار يُرى مُخُّ ساقها فلا يشتهيها الإنسان، لكن في الآخرة الأمرُ يختلفُ، فيوجدُ الآن تمرُّ صافٍ جدًّا يردُّ من الجزائر، ترى النَّواة من ورائه، فهذا تشتاقُ إلى أكله قبل أن تأكله؛ لأنَّ هذا طبيعته.

- ٥٣٣٩- وَالرَّيْحُ مِسْكٌ وَالْجُسُومُ نَوَاعِمٌ وَاللَّوْنُ كَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
 ٥٣٤٠- وَكَلَامُهَا يَسْبِي الْعُقُولَ بِنِعْمَةٍ زَادَتْ عَلَى الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ
 ٥٣٤١- وَهِيَ الْعَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدَلِّهَا وَتَحْبُّبٍ لِلزَّوْجِ كُلِّ أَوَانِ
 ٥٣٤٢- وَهِيَ الَّتِي عِنْدَ الْجَمَاعِ تَزِيدُ فِي حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ وَالْأُذُنَانِ
 ٥٣٤٣- لُطْفًا وَحُسْنَ تَبْعُلٍ وَتَغْنُجٍ وَتَحْبُّبٍ تَفْسِيرُ ذِي الْعِرْفَانِ

يعني: هذا تفسيرُ أصحابِ المعرفة، وعلى رأسهم عبدُ الله بنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْعَرُوبَ هِيَ مَا وُصِفَتْ بِالشَّكْلِ وَالِدَلِّ وَالتَّحْبُّبِ وَالتَّغْنُجِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُوجِبُ الْمَحَبَّةَ التَّامَّةَ لزوجِهَا.

- ٥٣٤٤- تِلْكَ الْحَلَاوَةُ وَالْمَلَاخَةُ أَوْجَبَا إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضَعَ لِسَانَ
 ٥٣٤٥- فَمَلَاخَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا هِيَ أَوَّلٌ وَهُوَ الْمَحِلُّ الثَّانِي
 ٥٣٤٦- فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لَصَبٌ وَامِقٌ بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَاتُ كُلَّ مَكَانِ
 قَوْلُهُ: «لِصَبِّ» الصَّبُّ: شَدِيدُ الْحُبِّ.

قَوْلُهُ: «وَامِقٍ»؛ أَي: ذُو مِقَّةٍ؛ وَالْمِقَّةُ: رَتْبَةٌ مِنْ رَتْبَةِ الْمَحَبَّةِ أَيْضًا.

فصل

- ٥٣٤٧- أْتَرَابٌ سِنٌّ وَاحِدٌ مُتَمَاثِلٍ سِنُّ الشَّبَابِ لِأَجْمَلِ الشَّبَابِ
- ٥٣٤٨- بَكَرٌ فَلَمْ يَأْخُذْ بِكَارَتِهَا سِوَى الْ- مَحْبُوبٍ مِنْ إِنْسٍ وَلَا مِنْ جَانٍ
- ٥٣٤٩- حِصْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أَعْظَمِ الْ- حُرَّاسٍ بِأَسَا شَأْنُهُ ذُو شَانٍ
- ٥٣٥٠- فَإِذَا أَحَسَّ بِدَاخِلٍ لِلْحِصْنِ وَلِ- لَى هَارِبًا فَتَرَاهُ ذَا إِمْعَانٍ
- ٥٣٥١- وَيَعُودُ وَهَنَا حِينَ رَبُّ الْحِصْنِ يَنْحُ- رُجٌ مِنْهُ فَهُوَ كَذَا مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٥٣٥٢- وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهَا تَنْصَاعُ بِكَرًا لِلْجَمَاعِ الثَّانِي
- ٥٣٥٣- لَكِنَّ دَرَجَاتِ أَبَا السَّمْحِ الَّذِي فِيهِ يُضَعَّفُهُ أَوْلُو الْإِتْقَانِ
- ٥٣٥٤- هَذَا وَبَعْضُهُمْ يُصَحِّحُ عَنْهُ فِي التَّ- تَفْسِيرِ كَالْمَوْلُودِ مِنْ حَبَّانٍ
- ٥٣٥٥- فَحَدِيثُهُ دُونَ الصَّحِيحِ وَإِنَّهُ فَوْقَ الضَّعِيفِ وَلَيْسَ ذَا إِتْقَانٍ

الشرح

هذا وإن كان الحديث ضعيفاً في هذه المسألة، لكنه ظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۝٣٥ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرْيًا أْتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]، فقال: ﴿جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾؛ يعني: عند كل جماع، ولو كانت بكرًا في أول مرة لم يكن لها هذا الإنشاء الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾؛ يعني: إنشاءً يُعَايِرُ إِنِشَاءَ النِّسَاءِ فِي

الدُّنْيَا، فَالصَّحِيحُ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ الْحَدِيثُ ضَعِيفًا^(١) أَتَمَّهِنَّ يُنْشَأْنَ أَبْكَارًا، فَكُلَّمَا جَامَعَهَا وَنَزَعَ مِنْهَا عَادَتْ بِكَرًّا، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

- ٥٣٥٦- يُعْطَى الْمُبْجَامِعُ قُوَّةَ الْمِئَةِ النَّبِيِّ اجْبُ
 ٥٣٥٧- لَا أَنْ قُوَّتَهُ تُضَاعَفُ هَكَذَا
 ٥٣٥٨- وَيَكُونُ أَقْوَى مِنْهُ ذَا نَقْصٍ مِنَ الْ
 ٥٣٥٩- وَلَقَدْ رُوِينَا أَنَّهُ يَغْشَى بِيَوْمِ
 ٥٣٦٠- وَرِجَالُهُ شَرَطُ الصَّحِيحِ رَوَوْا لَهُمْ
 ٥٣٦١- هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ قَدْرَ نِسَائِهِمْ
 ٥٣٦٢- وَبِهِ يَزُولُ تَوْهُمُ الْإِشْكَالِ عَنْ
 ٥٣٦٣- وَبِقُوَّةِ الْمِئَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ
 ٥٣٦٤- وَأَعْقَبُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الْ
 ٥٣٦٥- فَاجْمَعْ قُورَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ الْ
 ٥٣٦٦- مَا هَاهُنَا وَاللَّهُ مَا يَسْوَى قُلَا
 ٥٣٦٧- مَا هَاهُنَا إِلَّا النَّفَارُ وَسَيِّئُ الْ
- تَمَمَّتْ لِأَقْوَى وَاحِدِ الْإِنْسَانِ
 إِذْ قَدْ يَكُونُ لِأَضْعَفِ الْأَرْكَانِ
 إِيْمَانٍ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِحْسَانِ
 مِ وَاحِدِ مِئَةٍ مِنَ النَّسْوَانِ
 فِيهِ وَذَا فِي «مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ»
 مُتَّفَاوِتٌ بِتَفَاوُتِ الْإِيْمَانِ
 تِلْكَ النَّصُوصِ بِمِئَةِ الرَّحْمَنِ
 أَفْضَى إِلَى مِئَةِ بِلَا خَوْرَانِ
 أَقْوَى هُنَاكَ لِزُهْدِهِ فِي الْفَانِ
 عَيْنَيْنِ وَاضْبِرْ سَاعَةً لِزَمَانِ
 مَةَ ظُفْرِ وَاحِدَةٍ تُرَى بِجِنَانِ
 أَخْلَاقٍ مَعَ عَيْبٍ وَمَعَ نَقْصَانِ

(١) يعني حديث أبي هريرة رَوَاهُ اللَّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَنْطَأَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بَكَرًا». أخرجه ابن حبان (١٦/٤١٥)، رقم (٧٤٠٢).

- ٥٣٦٨- هَمٌّ وَعَمٌّ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي حَتَّى الطَّلَاقِ أَوْ الْفِرَاقِ الثَّانِي
- ٥٣٦٩- وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيًا شَرْعًا فَأَضْحَى الْبَعْلُ وَهُوَ الْعَانِي
- ٥٣٧٠- لَا تُؤْثِرِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَإِنْ تَفَعَّلَ رَجَعْتَ بِذِلَّةٍ وَهَوَانٍ

الشرح

قَوْلُهُ: «مَا هَاهُنَا إِلَّا النَّقَارُ»؛ أي: المشاجرة.

قَوْلُهُ: «هَمٌّ وَعَمٌّ دَائِمٌ»؛ أي: هَمٌّ لما مَضَى، وَعَمٌّ لما يَأْتِي.

قَوْلُهُ: «لَا يَنْتَهِي حَتَّى الطَّلَاقِ أَوْ الْفِرَاقِ الثَّانِي» «الْفِرَاقُ الثَّانِي»؛ أي: الموت.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيًا» قد جَعَلَ اللهُ النِّسَاءَ عَوَانِيًا؛ يعني: مثل

الأسرى عند الرِّجَالِ.

قَوْلُهُ: «فَأَضْحَى الْبَعْلُ وَهُوَ الْعَانِي»؛ يعني: انعكست القضية، صار البعلُّ

هو الأسير؛ يعني أُنْهَا أَسْرَتْهُ، فصار الرَّجُلُ يمشي على ما تريدُ المرأةُ.

وكانَ ابنُ القَيْمِ يُشَاهِدُ حَالَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ، الْيَوْمَ أَصْبَحَ الزَّوْجُ هُوَ

الْأَسِيرُ عِنْدَ الزَّوْجَةِ، مَاذَا تَرِيدُ؟ فَيَفْعَلُ، حَتَّى إِنَّهُ لِيَحْمِلُ ابْنَهُ وَمَتَاعَهُ الَّذِي يَشْتَرِيهِ

مِنَ السُّوقِ، ابْنَهُ يَحْمِلُهُ عَلَى عَرَبِيَّةٍ يُحْرِكُهَا، وَمَتَاعُهُ بِيَدِهِ وَالزَّوْجَةُ تَمْشِي، وَلَا تَحْمِلُ

شَيْئًا أَبَدًا، هَذَا عَكْسُ الْحَقِيقَةِ، وَقَدْ كَانَتْ زَوْجَةُ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَّامِ تَحْمِلُ النَّوَى مِنَ

الْمَدِينَةِ إِلَى بَسْتَانِهِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ^(١)، هَذَا هُوَ الْحَقِيقَةُ هُنَّ عَوَانٌ، لَكِنَ عَلَيْنَا أَنْ

نَتَّقِيَ اللَّهَ فِيهِنَّ وَنُعْطِيهِنَّ مِثْلَ مَا نُحِبُّ أَنْ يُعْطِينَ إِيَّاهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الغيرة، رقم (٤٩٢٦)، ومسلم: كتاب السلام، باب

إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق، رقم (٢١٨٢).

فصل

- ٥٣٧١- وَإِذَا بَدَتِ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا
 ٥٣٧٢- تَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ
 ٥٣٧٣- وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشِيهَا وَيَحْتَقُ ذَا
 ٥٣٧٤- وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
 ٥٣٧٥- كَالْبَدْرِ لَيْلَةٌ تَمُّهُ قَدْ حُفَّ فِي
 ٥٣٧٦- فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي
 ٥٣٧٧- فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
 ٥٣٧٨- حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهْتُهُ تَقَابَلَا
 ٥٣٧٩- فَسَلِ الْمُتَمِّمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ
 ٥٣٨٠- وَسَلِ الْمُتَمِّمَ أَيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ
 ٥٣٨١- وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ
 ٥٣٨٢- مِنْ مَنْطِقِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجَّ
 ٥٣٨٣- وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ عَيْشَتُهُ إِذَا
 ٥٣٨٤- يَتَسَاقَطَانِ لِأَلَّا مَنُثُورَةٌ
- وَمَمَائِلَتْ كَتَائِبِلِ النَّشْوَانِ
 وَرَدُّ وَنَفَاحٌ عَلَى رُمَّانِ
 كَلِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 وَعَلَى سَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
 غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ
 دَهَشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
 وَالْعُرْسُ إِثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ
 أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ الْقَمَرَانِ
 ضَمٌّ وَتَقْبِيلٌ وَعَنْ فَلَئَانِ
 فِي أَيِّ وَادٍ أُمِّ بِأَيِّ مَكَانِ
 مُلِئَتْ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
 بِهِ كَمِ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ
 وَهَمَّا عَلَى فَرَشَيْهِمَا خِلْوَانِ
 مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنْظُمِ جُمَانِ

- ٥٣٨٥- وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الـ
مَحْبُوبِ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَانِ
- ٥٣٨٦- وَتَدْوُرُ كَأَسَاتِ الرَّحِيقِ عَلَيَّهَا
بِأَكْفٍ أَقْمَارٍ مِنَ الْوَلْدَانِ
- ٥٣٨٧- يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ هَذَا مَرَّةً
وَالْحَوْذُ أُخْرَى ثُمَّ يَتَكَيَّانِ
- ٥٣٨٨- فَيُضْمُّهَا وَتَضْمُهُ أَرَأَيْتَ مَعَا
شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
- ٥٣٨٩- غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنْكَدٍ
وَهُمَا بِشُوبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
- ٥٣٩٠- أَتْرَاهُمَا ضَحْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا
وَحَيَاةَ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَحْرَانِ
- ٥٣٩١- وَيَزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لِيَصَا
حِبِّهِ جَدِيدًا سَائِرَ الْأَزْمَانِ
- ٥٣٩٢- وَوَصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
مُتَسَلِّسًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
- ٥٣٩٣- فَالْوَصْلُ مُحْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
وَبِلَاحِقِ وَكِلَاهُمَا صِنَوَانِ
- ٥٣٩٤- فَرَّقْ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ ذَا
يُدْرِيهِ ذُو شُغْلِ بِهِذَا الشَّانِ
- ٥٣٩٥- وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
- ٥٣٩٦- يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ
جَدَّ الرَّحِيلِ فَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
- ٥٣٩٧- سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلْفُوكَ مَعَ الْأَلَى
قَنَعُوا بِذَا الْحِظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِي
- ٥٣٩٨- وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيَتْ بِالْحِرْمَانِ
- ٥٣٩٩- لَكِنْ أَتَيْتَ بِحُطَّتِي عَجِزٍ وَجَهْ
لِي بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
- ٥٤٠٠- مَتَّكَ نَفْسُكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ الْقُعُو
دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةَ الْأَبْدَانِ

٥٤٠١- وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانٍ

الشرح

قَوْلُهُ: «وَتَبَخَّرْتِ فِي مَشِيهَا» أَمَا فِي الدُّنْيَا فَالْتَّبَخَّرْتُ لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، فِي حَالِ الْحَرْبِ مَعَ الْأَعْدَاءِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَتَبَخَّرَ وَأَنْ نَمشِيَ الْخِيَلَاءَ، وَأَنْ نَلْبَسَ الْحَرِيرَ أَيْضًا وَنَحْنُ رَجَالٌ لِقَصْدِ إِذْلَالِ الْعَدُوِّ وَإِهَانَتِهِ.

قَوْلُهُ: «وَوَصَائِفُ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا...» الْوَصَائِفُ؛ يَعْنِي: الْخُدَمَ، فَالْحُورِيَّةُ لَهَا خُدَمٌ، شَبَّهَهُمْ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- كَالْبَدْرِ لَيْلَةً تَمَّةً؛ يَعْنِي: تَمَامَهُ «قَدْ حُفَّ فِي غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ» إِذَا صَارَ الْبَدْرُ تَامًا وَحَوْلَهُ كَوَاكِبُ الْمِيزَانِ النَّيِّرَةِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُ مَنْظَرٌ عَجِيبٌ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ شَاهَدَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «وَفِي سُبْحَانِ» «سُبْحَانَ»؛ يَعْنِي: تَسْبِيحًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُسَبِّحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَنْزُهُهُ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ.

قَوْلُهُ: «فَرَّقُ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ ذَا يَدْرِيهِ ذُو سُغْلِ بِهَذَا الشَّانِ» وَهَذَا صَحِيحٌ، فَهَنَّاكَ فَرَّقُ بَيْنَ حُبِّ التَّلَاقِي السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ، لَكِنْ مَا يَدْرِيهِ إِلَّا ذُو سُغْلِ بِهَذَا الشَّانِ.

قَوْلُهُ: «مَنْتَكَ نَفْسِكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ الْقُعُودِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ»؛ وَذَلِكَ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَهُمُ التَّنَاطُؤُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢].

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس: هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا؟

- ٥٤٠٢- وَالنَّاسُ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ هَلْ بِهَا حَبْلٌ وَفِي هَذَا لَهُمْ قَوْلَانِ
- ٥٤٠٣- فَتَفَاهُ طَاوُسٌ وَإِبْرَاهِيمُ ثُمَّ مَ مُجَاهِدٌ وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
- ٥٤٠٤- وَرَوَى الْعُقَيْلِيُّ الصَّدُوقُ أَبُو رَزِيٍّ مِنْ صَاحِبِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٥٤٠٥- أَلَّا تَوَالِدَ فِي الْجَنَّةِ رَوَاهُ تَعَمُّرٌ لِيَقًا مُحَمَّدُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
- ٥٤٠٦- وَحَكَاهُ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ذُو الْإِثْقَانِ
- ٥٤٠٧- لَا يَشْتَهِي وَلَدًا بِهَا وَلَوْ اشْتَهَاهَا هُ لَكَانَ ذَلِكَ مُحَقَّقَ الْإِمْكَانِ

الشرح

قوله: «رَوَاهُ تَعَلِيْقًا مُحَمَّدُ الْعَظِيمُ الشَّانِ»؛ أي: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيُّ.

قوله: «وَقَالَ إِسْحَاقُ... لَا يَشْتَهِي وَلَدًا بِهَا وَلَوْ اشْتَهَاهَا لَكَانَ ذَلِكَ مُحَقَّقَ الْإِمْكَانِ» وهذا هو المناسبُ أَلَّا تَوَالِدَ فِي الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ التَّوَالِدَ فِي الدُّنْيَا لِحِفْظِ بَقَاءِ النَّسْلِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَمُوتُونَ، لَكِنْ فِي الْآخِرَةِ لَا مَوْتَ، فَتَجِدُهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَوْلَادٍ، وَلَا يَشْتَهُونَ الْوَلَدَ، وَلَا يَتَفَاخِرُونَ بِهِ، إِذْ نَ لَا فَائِدَةَ، فَالرَّاجِحُ أَنَّهُ لَا تَوَالِدَ فِي الْجَنَّةِ، لَكِنْ لَوْ قَرَضْنَا أَنَّ أَحَدًا اشْتَهَاهَا فَعَمُومُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ [الزُّخْرَفُ: ٧١]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ [فَصَّلَتْ: ٣١] يَقْتَضِي أَنْ يَحْصَلَ لَهُ الْوَلَدُ.

- ٥٤٠٨ - وَرَوَى هِشَامٌ لِابْنِهِ عَنْ عَامِرٍ
عَنْ نَاجِيٍّ عَنْ سَعْدِ بْنِ سِنَانٍ
٥٤٠٩ - أَنَّ الْمُنْعَمَ بِالْجَنَانِ إِذَا اشْتَهَى الـ
وَلَدَ الَّذِي هُوَ نُسخَةُ الْإِنْسَانِ
٥٤١٠ - فَالْحَمْلُ ثُمَّ الْوَضْعُ ثُمَّ السَّنُّ فِي
فَرَدِّ مِنَ السَّاعَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
٥٤١١ - إِسْنَادُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ قَدْ رَوَا
هُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ
٥٤١٢ - وَرَجَالَ ذَا الْإِسْنَادِ مُحْتَجِّجٌ بِهِمْ
فِي «مُسْلِمٍ» وَهُمْ أَوْلُو إِتْقَانٍ
٥٤١٣ - لَكِنْ غَرِيبٌ مَا لَهُ مِنْ شَاهِدٍ
فَرَدِّ بِذَا الْإِسْنَادِ لَيْسَ بِشَانَ
٥٤١٤ - لَوْلَا حَدِيثُ أَبِي رَزِينٍ كَانَ ذَا
كَالْتَصِّ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ
٥٤١٥ - وَلِذَلِكَ أَوْلَهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بِالشُّـ
شَرْطِ الَّذِي هُوَ مُنْتَفِي الْوِجْدَانِ
٥٤١٦ - وَبِذَاكَ رَامَ الْجَمْعَ بَيْنَ حَدِيثِهِ
وَأَبِي رَزِينٍ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ
٥٤١٧ - هَذَا وَفِي تَأْوِيلِهِ نَظَرٌ فَإِنْ
نَ «إِذَا» لِتَحْقِيقِ وَذِي إِيْقَانٍ
٥٤١٨ - وَلَرُبَّمَا جَاءَتْ لِعَيرِ تَحْقِيقِ
وَالْعَكْسُ فِي «إِنْ» ذَلِكَ وَضَعُ لِسَانِ

الشرح

إِذَنْ فَهَمْنَا الْآنَ أَنَّ نَفِي حَبْلِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي حَالٍ لَا يَشْتَهِي فِيهَا الْوَلَدَ
كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْإِثْبَاتَ فِيهَا إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ، وَهَذَا
الْجَمْعُ لَا شَكَّ أَنَّهُ يُوَافِقُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِيَهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَدُّ الْأَعْيُنُ﴾
[الزُّخْرَفُ: ٧١] فَمَا الْمَانِعُ إِذَا اشْتَهَى الْإِنْسَانُ وَلَدًا فِي الْجَنَّةِ أَنْ يُوَلَدَ لَهُ فِي مَدَّةٍ وَجِيزَةٍ،

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، رقم (٣٩٧).

في ساعاتٍ، ولكن هل الإنسان هناك يكون في نفسه شوقاً إلى الأولاد؟ الله أعلم، لكن قد لا يجعل الله له شوقاً إلى الأولاد، ويكون نعيمه فيما عنده من الحور والولدان وغير ذلك، وكذلك الذرية التي تبعته؛ لأن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، ونجد الإنسان في الدنيا قد تطيب نفسه عن الأولاد إذا كثروا، ولا يكون له همٌّ للأولاد، فكيف بالجنة التي فيها من النعيم ما يسلي الإنسان عن كل شيء؛ لهذا نجمع بين الأحاديث الدالة على الولد والأحاديث النافية بأن نقول: إنه إذا اشتهاه فلا مانع أن يكون، ولكن من يقول: إنه يشتهي؟ وحينئذٍ يحمل النفي على أنهم لا يشتهون الولد، وإذا لم يشتهوه لا يولد لهم؛ لكن المؤلف تعقب هذا الجمع أيضاً؛ ولذا قال: «هَذَا وَفِي تَأْوِيلِهِ نَظَرٌ»؛ ووجه ذلك أن الحديث جاء بكلمة «إِذَا»، قال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي»^(١)، وهناك فرق بين «إِنْ» الشرطية، و«إِذَا» الشرطية.

يقولون: «إِذَا» لتوقيت المحقق، و«إِنْ» لتعليق غير المحقق؛ فمثلاً: إذا قلت: «إِذَا قَامَ زَيْدٌ فَقُمْ» هذا يشعر بأن زيدا سيقوم، وأن قيامك مرتبط بقيامه، فهي للتوقيت؛ ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَطْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠]، فهي تدل على تحقق الشرط، وإذا قلت: «إِنْ قَامَ زَيْدٌ فَقُمْ» فهذه شرطية؛ لأنه قد يقوم وقد لا يقوم، وكل إنسان يجد الفرق بين «إِذَا قَامَ زَيْدٌ فَقُمْ» وبين «إِنْ قَامَ زَيْدٌ فَقُمْ» هذا هو الأصل في اللغة العربية، ولكن مع ذلك قد تأتي «إِذَا» لما يتحقق و«إِنْ» لما تحقق، إذن هما يتبادلان.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، رقم (٢٥٦٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم (٤٣٣٨).

- ٥٤١٩- وَاحْتَجَّ مَنْ نَصَرَ الْوِلَادَةَ أَنَّ فِي الْـ
جَنَّاتٍ سَائِرَ شَهْوَةِ الْإِنْسَانِ
٥٤٢٠- وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْبَيْنَ مَعَ النِّسَاءِ
مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَوَاتِ فِي الْقُرْآنِ
٥٤٢١- فَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَشْتَهِي
وَلَدًا وَلَا حَبْلًا مِنَ النِّسْوَانِ
٥٤٢٢- وَاحْتَجَّ مَنْ مَنَعَ الْوِلَادَةَ أَنَّهَا
مَلْزُومَةٌ أَمْرَانِ مُمْتَنِعَانِ
٥٤٢٣- حَيْضٌ وَإِنْزَالُ الْمَنِيِّ وَذَانِكَ الْـ
أَمْرَانِ فِي الْجَنَّاتِ مَفْقُودَانِ

الشرح

قوله: «وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْبَيْنَ مَعَ النِّسَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَوَاتِ فِي الْقُرْآنِ»، وهذا صحيح كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤].

قوله: «وَاحْتَجَّ مَنْ مَنَعَ الْوِلَادَةَ... وَذَانِكَ الْأَمْرَانِ فِي الْجَنَّاتِ مَفْقُودَانِ» مَنْ مَنَعَ الْوِلَادَةَ؛ قَالُوا: لِأَنَّ الْوِلَادَةَ تَسْتَلْزِمُ حَيْضَ الْمَرْأَةِ وَإِنْزَالَ الرَّجُلِ الْمَنِيِّ، وَهَذَا فِي الْجَنَّةِ مَفْقُودٌ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]؛ يَعْنِي: لَا يَحِضْنَ؛ لِأَنَّ الْحَيْضَ قَدْرٌ وَأَذَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

- ٥٤٢٤- وَرَوَى صَدَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ
نَ مَنِئِهِمْ إِذْ ذَاكَ ذُو فُقْدَانِ
٥٤٢٥- بَلْ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ هَكَذَا
يَرُوي سُلَيْمَانُ هُوَ الطَّبْرَانِي
٥٤٢٦- وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ نَوْعٌ سِوَى الْـ
مَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّسْوَانِ

٥٤٢٧- فَالْتَفِي لِلْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنْ ال- إِيْلَادِ وَالْإِبْتَاتِ نَوْعٌ ثَانِ

الشرح

العلماء -رحمهم الله- في مناقشاتٍ عجيبةٍ، قالوا: يمكنُ ولدُ بمنِّي غيرِ منِّي الدُّنيا، فَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مَنِيٌّ وَلَا مَنِيَّةٌ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «...وَلَكِنْ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ»^(١)؛ يعني: لا مني ولا موت، والمنيُّ به الحياة، والموتُ به الفقدانُ، فالجنةُ ليس فيها منيٌّ ينشأ به الولدانُ، ولا مَنِيَّةٌ يُفقدُ بها الموجودُ، يقولُ: أجاب القائلون بالإمكانِ بأنَّ قولَه: «لَا مَنِيَّ»؛ يعني: المنِّي المعهود الذي في الدُّنيا، فالْتَفِي لِلْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، لكن هذا ضعيفٌ.

٥٤٢٨- وَاللَّهُ خَالِقُ نَوْعَانِ مِنْ أَرْبَعٍ مُتَقَابِلَاتٍ كُلُّهَا بِوِزَانٍ
٥٤٢٩- ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَالَّذِي هُوَ ضِدُّهُ وَكَذَلِكَ مِنْ أُنْثَى بِلا ذَكَرٍ
٥٤٣٠- وَالْعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ حَوَا أُمَّنَا هِيَ أَرْبَعٌ مَعْلُومَةٌ التَّبَيَانِ

الشرح

خَلَقَ اللَّهُ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ مِنْ أَصْنَافٍ أَرْبَعَةٍ:

الأول: من ذكرٍ وأنثى.

الثاني: من أنثى بلا ذكرٍ.

الثالث: من ذكرٍ بلا أنثى.

(١) أخرجه الطبراني (٨/٩٦، رقم ٧٤٧٩).

الرَّابِع: لا من ذكرٍ ولا من أنثي.

فآدمُ لا من ذكرٍ ولا من أنثي، وحواء من ذكرٍ بلا أنثي، وعيسى من أنثي بلا ذكرٍ، وسائرُ النَّاسِ من ذكرٍ وأنثي.

٥٤٣١- وَكَذَلِكَ مَوْلُودُ الْجَنَانِ يَجُوزُ أَنْ يَأْتِيَ بِلا حَيْضٍ وَلَا فَيْضَانِ

٥٤٣٢- وَالْأُمُّرُ فِي ذَا مُمْكِنٍ فِي نَفْسِهِ وَالْقَطْعُ مُتَمَتِّعٌ بِلا بَرَهَانِ

الشرح

جزاه الله خيرًا، هذا هو العجب، يقول: يمكن أن يأتي بلا حيضٍ وبلا إنزالٍ، لكننا لا نقطع بهذا، وهذا آخر ما عنده، فهو يقول: ما نقطع بشيءٍ، والقطع ممتنع بلا برهانٍ.

والذي يظهر -والعلم عند الله- أنهم لا يشتهون الأولاد، وأنهم لو اشتهاوا لحصل بدون فضلاتٍ؛ من: منيٍّ، أو حيضٍ؛ لأن الحيض أذى، ونساء الجنة مطهراتٌ، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، والله على كل شيء قديرٌ، لكن الذي يظهر -والله أعلم- أن أهل الجنة في غنى عن الأولاد، لا يحتاجون إلى بقاء النسل كما نحتاجه نحن في الدنيا، والإنسان إذا مات بلا أولاد لا يجري له ذكرٌ، فالأولاد هم بقاء الإنسان في الحقيقة، وأيضًا الذرية الصغار يكونون مع أهلهم في منازلهم كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَابْتَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَأْمَنُ الْخَلْقُ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا آَلَتْهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلِّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١]، فإذا كان معهم ذُرِّيَّتَهُمُ الصَّغَارُ وعندهم هؤلاء الحورُ والنعميمُ الذي لا يخطرُ على بال

أحد، فهم في غنى عن الأولاد، ولكن مع ذلك الذي نجزمُ به من دلالة الآية: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ﴾ [الزُخْرَف: ٧١] أنه لو اشتهى الإنسان الولدَ لحصل، وأنه ليس بالضروري أن يكون هناك حيضٌ أو منيٌّ؛ لأنَّ الله خلق الجنسَ البشريَّ كما قال ابنُ القيم من أصنافٍ أربعة، وهم كُلُّهم بشرٌ، كُلُّهم في الدُّنيا، فكيف بالآخرة؟! قد يكون الولدُ من دون إنزالٍ ومن دون حيضٍ، وأيضاً الحملُ المعروفُ في بني آدمَ أنه يبقى مدَّةً، وما جاء به الحديثُ من حملِ نساءِ أهلِ الجنَّةِ لا يبقى مدَّةً، والله أعلم.

فالظَّاهرُ - والله أعلم - أنَّ أهلَ الجنَّةِ لا يرغبون بالأولاد، وإن رغبوا فالأمرُ يسيرٌ، والله على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

انتهت الآن البحوثُ، وشيخنا عبدُ الرحمن بن سعديٍّ - رحمه الله - لمَّا وصل إلى كرامةِ الله لهؤلاءِ قال: «انتهى الكلامُ على النُّونيَّة، ومن أراد الاطِّلاعَ على ما أعدَّ اللهُ لأهلِ الجنَّةِ فليقرأ «حادي الأرواح» للمؤلِّف.

وعلى هذا تُعْتَبَرُ قراءتنا هذه نافلةً بالنسبةِ لما سلكه شيخنا رحمه الله.

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى، ونظرهم إلى وجهه الكريم

- ٥٤٣٣ - وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ
نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يَرَى الْقَمَرَانِ
- ٥٤٣٤ - هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ
يُنْكِرْهُ إِلَّا فَاْسِدُ الْإِيمَانِ
- ٥٤٣٥ - وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَضْرِيحًا وَتَعَفً
رِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
- ٥٤٣٦ - وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ
تَفْسِيرٌ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٥٤٣٧ - وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِ«صَحِيحِهِ»
يَرَوِي صُهِيبٌ ذَا بِلَا كِتْمَانِ
- ٥٤٣٨ - وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو
بَكْرٍ هُوَ الصَّادِقُ ذُو الْإِيقَانِ
- ٥٤٣٩ - وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُو
هُمُ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةَ الْإِحْسَانِ
- ٥٤٤٠ - وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللَّقَاءِ لِرَبِّنَا الرُّ
رَحْمَنِ فِي سُورِ مِنَ الْفُرْقَانِ
- ٥٤٤١ - وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَتْهُ حَكَى الـ
إِجْمَاعُ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيَّانِ
- ٥٤٤٢ - وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ
لُغَةٌ وَعُرْفٌ أَلَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

الشرح

هذا الفصل مهم جداً، وهو في إثبات رؤية أهل الجنة لله رب العالمين، وهذه الرؤية رؤية حق بالعين، ورؤية حق بالقلب؛ لأن القلب يعلم، والعين ترى،

وبذلك يحصل علم اليقين وعين اليقين، وقد تواتر عن رسول الله ﷺ رؤية المؤمنين إلى ربهم تواتراً قطعياً، وجاء في القرآن في عدة آيات؛ ولهذا حكّم بعض السلف على كفر من أنكر رؤية الله عز وجل، وقال: «من أنكر رؤية الله في الآخرة فهو كافر؛ لأنه خالف صريح القرآن وصريح السنة»، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قرّر هذه الرؤية، وأنها رؤية بالعين، قال: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»^(١)، وقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك»^(٢)، وهل بعد هذا التوكيد تحريفٌ لمحرّفٍ؟! أبداً؛ ولهذا نقول: إن الكتاب ومتواتر السنة قد دلّا على إثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل.

بقي غير المؤمنين هل يرون الله؟ أمّا الكفار فلا يرون الله؛ لقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ متى؟ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]؛ أي: يوم القيامة، أمّا المنافقون فيرون الله في عرصات القيامة، ثمّ يُحجَبُ بينهم وبينه كما جاء في حديث أبي سعيد في قصة كشف الله عز وجل عن ساقه «فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»^(٣)، إذن يعجز عن السجود،

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٢٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا﴾ (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴿[القيامة: ٢٣]، رقم (٧٠٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣).

كُلُّ مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمِعَةً وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، وَفِي هَذَا زِيَادَةُ الْحَسْرَةِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَرَوْهُ أَصْلًا أَهْوَنُ مَصِيبَةً مِنَ الَّذِينَ رَأَوْهُ ثُمَّ حُجِبُوا عَنْهُ؛ وَهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ﴾ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، وَلَمْ يَقُلْ: «لَوْ نَشَاءُ لَمْ نُنبِئْهُ»، بَلْ قَالَ: «لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا بَعْدَ نَبَاتِهِ»؛ لِأَنَّ تَعَلُّقَ النَّفْسِ بِهِ بَعْدَ نَبَاتِهِ أَشَدُّ مِنْ تَعَلُّقِهَا بِهِ بَعْدَ بَدْرِهِ، فَإِذَا حُرِّمَتْهُ بَعْدَ النَّبَاتِ صَارَ أَشَدَّ وَقَعًا، وَقَالَ أَيضًا: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠]، وَلَمْ يَقُلْ جَلَّ ذِكْرُهُ: «لَوْ نَشَاءُ لَمْ نَنْزَلْهُ»؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَزَلَ ثُمَّ فَسَدَ صَارَ أَشَدَّ وَقَعًا عَلَى النَّفْسِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ بَعْدَ نَزْوِلِهِ تَتَعَلَّقُ بِهِ، فَإِذَا حُرِّمَتْهُ صَارَ أَشَدَّ عَلَيْهَا مِمَّا لَوْ لَمْ تَرَهُ، فَالْمُنَافِقُونَ يَرَوْنَ اللَّهَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُحْجَبُونَ عَنْهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلِكُمُ الْعَافِيَةَ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَرَاهُ بَبَصَرِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

٥٤٣٣- وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يَرَى الْقَمَرَانِ

قَوْلُهُ: «كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ»؛ يَعْنِي: الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ.

٥٤٣٤- هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ»؛ أَي: تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي

الْبَيْتَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثٌ مِنْ كَذَبٍ وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ

وَرُؤْيَا شَفَاعَةَ وَالْحَوْضِ وَمَسَحَ حُفَيْنٍ وَهَدِي بَعْضُ (١)

(١) انظر: شرح العقيدة السفارينية للشارح (ص: ٥١٦).

والمتواتر عند أهل العلم يفيد القطع واليقين؛ ولذلك هو عندنا من الأمور المقطوع بها المتيقنة أننا سنرى ربنا عز وجل كما نرى القمر ليلة البدر، نسأل الله تعالى أن يحقق ذلك.

قوله: «لَمْ يُنْكَرْهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ»؛ أي: لا ينكر رؤية الله إلا من فسد إيمانه، ولو كان مؤمناً بالله حقاً ما أنكر، وقد ذكرت لكم أن بعض السلف أطلق الكفر على من أنكر رؤية الله، وقال: إنه كافر خارج عن الإسلام؛ لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله.

٥٤٣٥- وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحًا وَتَعْدًا — رِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ

يعني: أن إثبات الرؤية في القرآن الكريم نوعان: صريح وتعريض، الصريح في قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله، من فسّر هذا؟ يقول المؤلف:

٥٤٣٦- وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ تَفْسِيرٌ مِّنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

٥٤٣٧- وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِ«صَحِيحِهِ» يَرْوِي صُهِبٌ ذَا بِلَا كِتْمَانٍ

إِذْ نَبَتْ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِالزِّيَادَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ^(١)، والذي فسرها أعلم الناس بكلام الله، وتفسيره نصّ كنص القرآن، كما أن تفسير الصحابي كنص الرسول عند بعض العلماء كالحاكم رحمه الله، فإنه يرى أن تفسير الصحابي للقرآن في حكم

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب -تبارك وتعالى-، رقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه: كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٧).

المرفوع^(١)، لكنَّ جمهورَ العلماءِ على خلافه، وهو الصَّحيحُ، أمَّا تفسيرُ الرَّسولِ
للآيةِ فهو كنصُّ القرآنِ.

٥٤٣٨- وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّديقُ ذُو الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ الصَّديقُ» الصَّديقُ في مقالِهِ وحالِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الصَّادِقُ في قولِهِ
المُصَدِّقُ لِمَنْ قَامَتِ الْبَيِّنَةُ عَلَى صَدَقِهِ.

قَوْلُهُ: «ذُو الْإِيقَانِ» الْإِيقَانُ ضِدُّ الشَّكِّ، فإِبانُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَقْوَى النَّاسِ
بَعْدَ الرَّسْلِ.

المزيد في قوله تعالى في سورة «ق»: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]
﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾؛ يعني: زيادةً، فسرها أبو بكرٍ بآئِمَّتِهَا النَّظْرُ إِلَى وَجهِهِ اللهُ (٢)، وما قيمة
تفسيرٍ جاء من أبي بكرٍ؟ الجوابُ: أقومُ التَّفاسيرِ؛ لأنَّ أبا بكرٍ أعلمُ النَّاسِ بِالقرآنِ
بعد رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم.

٥٤٣٩- وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُوا هُمْ بَعْدَهُمْ تَبِيعَةَ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِ»؛ أي: على تفسيرِ أبي بكرٍ بأنَّ المرادَ بالمزيد: الرَّؤْيُ لوجهِ اللهِ.
كُلُّ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ تَبِيعَةَ الْإِحْسَانِ أَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَيْسَتْ التَّبِيعَةُ
الظَّاهِرِيَّةَ، بَلْ تَبِيعَةُ الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ التَّابِعِينَ لِمَنْ سَبَقَ قَسَمَانِ: قَسَمَ تَبِعَهُمْ عَلَى
الْإِحْسَانِ كَمَا قَيَّدَ اللهُ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ أَلَمَّجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ ولهذا نسمعُ بعضَ الخطباءِ يقولُ: «وعلى
محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ» وهذا نقصٌ في التَّعبيرِ، بل لا بُدَّ

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٢/١٣).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٢/٥٠٢).

أَنْ يُقَيِّدَ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ، كَمَا قَيَّدَهُ اللهُ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ تَابِعٌ يَكُونُ تَابِعًا حَقًّا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ تَابِعًا بِالْإِحْسَانِ يَتَّبِعُهُمْ خَطْوَةَ خَطْوَةٍ فِي الْعَقِيدَةِ، وَالْقَوْلِ، وَالْعَمَلِ، وَالْفِعْلِ، وَالتَّرْكِ.

٥٤٤٠- وَلَقَدْ آتَى ذِكْرُ اللِّقَاءِ لِرَبِّنَا الرُّحْمَانَ رَحْمَنٍ فِي سُورٍ مِنَ الْفُرْقَانِ

٥٤٤١- وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَتْهُ حَكَى الْإِجْمَاعِ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيِّنَاتٍ

٥٤٤٢- وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ لُغَةً وَعُرْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

آياتٌ كثيرةٌ فيها إثباتُ لقاءِ الله، قال اللهُ تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

المهمُّ: آياتٌ كثيرةٌ فيها إثباتُ لقاءِ الله، وهل لقاءٌ بلا رؤيةٍ؟ يقولُ: أصحابُ الحديثِ كلُّهم أجمعوا بأنَّ المرادَ باللقاءِ: الرؤيةُ، وهذا قد يكونُ من أدلَّةِ التعرُّيضِ؛ لأنَّه ليس فيه التَّصريحُ بالرؤية.

٥٤٤٣- هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَ الْوُجُوهُ بِنَظَرَةٍ بِجَنَانِ

٥٤٤٤- وَأَعَادَ أَيُّضًا وَصَفَهَا نَظْرًا وَذَا لَا شَكَّ فِيهِمْ رُؤْيَةٌ بَعِيَانِ

٥٤٤٥- وَآتَتْ أَدَاةً «إِلَى» لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ فِكْرِ كَذَاكَ تَرَقُّبِ الْإِنْسَانِ

٥٤٤٦- وَأَصَافَهُ لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ الْوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ

- ٥٤٤٧- تَأْتِيهِمْ فِيهَا نِسَاءٌ مُّجَنَّبَاتٌ يَتَّقْنَ اللَّهَ وَنَسَوْنَ الْوَحْيَ وَالْحَيْضَ وَأُنْتَبِضْنَ فِيهَا إِلَى مَذَاقٍ ثَابِتَةٍ لَّهُنَّ وَرُؤْيَاهُنَّ فِيهَا كَنَزَّامٍ فِي الدُّنْيَا ۚ وَتُحْمَلُنَّ فِي الصُّبْحِ عَلَى السُّبُحِ وَتُفَضَّلْنَ فِيهَا حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْعَبْدَ فِيهَا بِأَمْرِ رَبِّهِ ۚ إِنَّهَا بِرَبِّهَا مُنْقَلَبَةٌ ۚ
- ٥٤٤٨- مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ نَبَاتٍ إِلَّا هُوَ يُقْبَضُ وَيَدْفَنُ فِيهَا ۚ
- ٥٤٤٩- لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِيهِ
- ٥٤٥٠- مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي
- ٥٤٥١- لَوْ قَالَ أَبَيَّنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ

الشرح

٥٤٤٣- هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَ الْوُجُوهَ بِنَظَرَةٍ بِجَنَانٍ

قَوْلُهُ: «بِنَظَرَةٍ بِجَنَانٍ» بِالظَّاءِ الْمُشَالَةِ، وَيُسَمَّوْنَهَا أختَ الطَّاءِ، وَلَكِنِ الظَّاهِرُ أَنَّهَا بِالضَّادِ أختَ الصَّادِ «بِنَضْرَةٍ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢].

هَذَا أَيْضًا مِنَ الْأَدَلَّةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فَ«نَاضِرَةٌ»؛ يَعْنِي: حَسَنَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعَرْنَا وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]؛ أَي: حُسْنًا فِي وَجُوهِهِمْ وَسُرُورًا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ الضَّمِيرُ فِي «رَبِّهَا» يَعُودُ عَلَى الْوُجُوهِ؛ يَعْنِي: هَذِهِ الْوُجُوهُ تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا، فَ«نَاضِرَةٌ» بِمَعْنَى: رَائِيَّةٌ؛ أَي: نَظَرُ عَيْنٍ، وَاسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ لِهَذَا بِأَدَلَّةٍ أَوْلَى: حَسَنُ الْوُجُوهِ، وَالْمُنْتَظَرُ هَلْ يَحْسُنُ وَجْهَهُ؟ الْمُنْتَظَرُ لِلشَّيْءِ الْمَحْبُوبِ إِلَيْهِ قَدْ يَحْسُنُ وَجْهَهُ وَقَدْ لَا يَحْسُنُ، إِنْسَانٌ وَعَدَنَاهُ شَيْئًا وَجَعَلَ يَنْتَظِرُ، أَحْيَانًا يُؤْمَلُ فَيَزِينُ وَجْهَهُ، وَأَحْيَانًا يَقْنَطُ وَيَأْسُ فَيَسُوءُ وَجْهَهُ وَيَسُودُ، فَلَوْ قَالَ لَهُ شَخْصٌ: «أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيكَ مَلِيُونَ رِيَالٍ»

فإنَّ وجهه يتهلَّل، وهو ينتظر، فإذا أبطأ وتأخَّر عليه قال: الظَّاهِرُ أَنَّهُ تراجع، وحينئذٍ يكونُ وجهه كالحا، لكن هذه ناظرةٌ في حالِ نظرِها إلى ربِّها كيف تكونُ منتظرةً؟ ثمَّ إذا قالوا: «إلى ثوابِ ربِّها ناظرةٌ» قلنا: هذا خلافُ الظَّاهِرِ، ما الذي يمنعُ ربَّنَا عزَّ وجلَّ أن يقولَ: «إلى ثوابِ ربِّها؟!».

ويُذَكِّرُ أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الوَهَّابِ -رحمه الله- حين سافر إلى مكَّة رأى عالماً من علمائها على كرسيٍّ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فأعجبه حديثه وأُعجِبَ به، فلمَّا أراد أن يقومَ وهو شيخٌ كبيرٌ معتبرٌ عند أهلِ مكَّة، لمَّا أراد أن يقومَ من الكرسيِّ قال: «يا كعبةَ الله»، فهذه مشكلةٌ؛ لأنَّه أشْرَكَ وهو لا يدري، وكان الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ -رحمه الله- ذكياً، وكان الدَّرْسُ قد انتهى عند الأذان، ونزل هذا العالمُ من على الكرسيِّ وجلس ينتظرُ الإقامة، قال له الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ، بعد أن سلَّم عليه، وسأله من أين أنت؟ فقال: أنا من نجد، لكن أنا أعجبني كلامك، جزاك الله خيراً، هذا كلامٌ طيِّبٌ وعالم، وأنا أريد أن أقرأ عليك شيئاً من القرآن؛ لأنني مبتدئٌ، فقرأ من آخِرِ القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [النَّاس: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿تَبَّتْ﴾ [المسد: ١]، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، و﴿الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، و﴿الْكَوْثَرُ﴾ [الكوثر: ١]، و﴿الْمَاعُونُ﴾ [الماعون: ٧]، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [قريش: ١]، فلمَّا وصل إلى سورة «قريش» فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ① إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④ [قريش: ١-٤] قال: «فليعبدوا البيت»، قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ قال: هكذا تَعَلَّمْتُ، قال: لا يمكن، لو عبدوا البيتَ لأشركوا، والله لم يأمر بالشِّرْكِ، فقال: ما الصَّوابُ؟ قال: الصَّوابُ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، ثمَّ

قال له: وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل: ادعوا الكعبة أو البيت؛ لأنه لا أحد يدعى إلا الله، فقال له: أنا سمعتك يا شيخنا لما أردت أن تقوم من الكرسي قلت: «يا كعبة الله» فقال له: فتح الله عليك، وجزاك الله خيرًا.

فأقول: إن الذين يقولون: ﴿رُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]؛ أي: إلى ثواب ربها، نقول: لماذا لم يقل: «إلى ثواب ربها؟» ما الذي يمنعه؟ وهل هذا إلا تدليس، لو كان الله عز وجل يريد «إلى ثواب ربها ناظرة» ويقول: «إلى ربها» ماذا يكون؟ يكون في هذا أعظم تدليس للخلق، والله يقول: ﴿يَسِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، ولكان في هذا أيضًا دلالة إلى الكفر؛ لأن الذين ينكرون رؤية الله يقولون: من قال: إن الله يرى فهو كافر؛ لأنه أثبت أن الله جسم، والقول بالتجسيم كفر، فهل يمكن أن الله تعالى يعبر بعبارة توهم أن النظر إليه عز وجل وهو يريد أن يكون النظر إلى الثواب؟ الجواب: لا يمكن، ثم قال المؤلف رحمه الله:

٥٤٤٤- وَأَعَادَ أَيْضًا وَصَفَهَا نَظْرًا وَذَا لَا شَكَّ يُفْهَمُ رُؤْيَا بَعِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَعَادَ أَيْضًا وَصَفَهَا نَظْرًا» فقال: ﴿رُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، ثُمَّ وَصَفَهَا وَصْفًا آخَرَ فَقَالَ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

قَوْلُهُ: «وَذَا لَا شَكَّ يُفْهَمُ رُؤْيَا بَعِيَانِ» وهذا صحيح، فهي ناضرة إلى ربها ناظرة.

٥٤٤٥- وَأَتَتْ آدَاهُ «إِلَى» لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ فِكْرِ كَذَاكَ تَرَقُّبِ الْإِنْسَانِ

يعني: لو حذفت «إلى» لكان يحتمل أن المراد بالنظر نظر القلب وهو الفكر

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، وكقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فهذا نظرٌ قلبٍ لا نظرٌ عينٍ؛ لأنّها لم تتعدَّ بـ«إلى»، ولما أراد نظرَ العينِ قال: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ [ق: ٦]، فنظرَ العينِ يُعدَّى بـ«إلى»، ونظرَ القلبِ يُعدَّى بنفسه بدون أداة.

٥٤٤٦- وَأَصَافُهُ لِمَحَلِّ رُؤْيَيْهِمْ بِذِكْرِ الْوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ قَوْلُهُ: «وَأَصَافُهُ»، وفي نسخة: «وإِصَافُهُ»، والصَّحِيحُ: «وَأَصَافُهُ».

قَوْلُهُ: «وَأَصَافُهُ لِمَحَلِّ رُؤْيَيْهِمْ»؛ يعني: أَصَافَ النَّظَرَ لِمَحَلِّ رُؤْيَيْهِمْ بِذِكْرِ الْوَجْهِ.

أَصَافَ النَّظَرَ إِلَى الْوَجْهِ؛ لِأَنَّ الْوَجْهَ مَحَلُّ الْعَيْنَيْنِ، فَإِذَا كَانَ مَحَلَّ الْعَيْنَيْنِ فَمَا الَّذِي يَنْظُرُ؟ هَلِ الْوَجْهُ نَفْسُهُ يَنْظُرُ؟ أَوِ الْعَيْنُ الَّتِي فِي الْوَجْهِ؟ الْجَوَابُ: الْعَيْنُ الَّتِي فِي الْوَجْهِ هِيَ الَّتِي تَنْظُرُ.

٥٤٤٧- تَاللهَ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وَانْتِظَا رِ مُعَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَا لِحَنَانِ أَقْسَمُ بَأَنَّ هَذَا لَيْسَ نَظَرَ فِكْرٍ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ؛ أَي: يَدُلُّ عَلَى مَنَعِ كَوْنِهِ نَظَرَ فِكْرٍ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى الْإِنْتِظَارُ؛ لِأَنَّ الْإِنْتِظَارَ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ، وَالْجَنَّةُ لَيْسَ فِيهَا إِنْتِظَارٌ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَيْضًا أَنَّهُ رُؤْيَا الْقَلْبِ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُهَا نَاطِرَةً﴾ [القيامة: ٢٣]؛ أَي: بِقَلْبِهَا، وَسَبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ! نَمْنَعُ رُؤْيَا الْعَيْنِ الَّتِي هِيَ فِي الْوَجْهِ، وَنُثَبِّتُ رُؤْيَا الْقَلْبِ وَهُوَ فِي الصَّدْرِ، هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ، فَكُلُّ هَذَا صَرَفٌ لِلْفِظِّ عَنِ ظَاهِرِهِ.

٥٤٤٨- مَا فِي الْجَنَانِ مِنْ أَنْظَارٍ مُؤَلَّمٍ وَاللَّفْظُ يَأْبَاهُ لِذِي الْعِرْفَانِ

٥٤٤٩- لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِيهِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرَّوَغَانِ

إي والله، إنهم فرقة الروغان يروغون كما تروغ الثعالب؛ ويعني بذلك: الذين يحرفون الآيات، ويحرفون نصوص الرؤية وينكرونها.

يقول بعض العلماء: إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ حَرِيًّا بِأَنْ يُحَرِّمَهَا^(١)، نَعُوذُ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- أَنْكَرَ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ.

٥٤٥٠- مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ

يعني: أن هذا تصريح واضح ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، هذا صريح، ما الذي يأتي به من بعد ذا التبيان؟ الجواب: ليس بعد هذا التبيان شيء.

٥٤٥١- لَوْ قَالَ أَبَيَّنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تَبْيَانٍ

يعني: هذه طريقة أهل التحريف، يقول: هذه ألفاظ مجملة، هذه ألفاظ غير مرادة، هذه على تقدير محذوف، وما أشبه ذلك، اللهم اهدنا صراطك المستقيم.

نسأل الله ألا يطمس على قلوبنا، والإنسان إذا طمس على قلبه لو يأتي اللفظ أصلح من أي شيء صار مجملاً عنده.

- ٥٤٥٢- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنْ
 ٥٤٥٣- فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ
 ٥٤٥٤- وَبِذَا اسْتَدَلَّ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ
 ٥٤٥٥- وَآتَى بِذَا الْمَفْهُومِ تَصْرِيحًا بآ
 ٥٤٥٦- وَآتَى بِذَاكَ مُكَذِّبًا لِلْكَافِرِينَ
 ٥٤٦٧- ضَحِكُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا
 ٥٤٦٨- وَأَثَابَهُمْ نَظْرًا إِلَيْهِ ضِدًّا مَا
 ٥٤٦٩- فَلِذَاكَ فَسَّرَهَا الْأَيْمَةُ أَنَّهُ
 ٥٤٧٠- اللَّهُ ذَاكَ الْفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي
 نَ الْقَوْمَ قَدْ حُجِبُوا عَنِ الرَّحْمَنِ
 مِنْ يَرُونَهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 وَسِوَاهُمَا مِنْ عَالَمِي الْأَزْمَانِ
 خِرَهَا فَلَا تُنْجِدُ عَنِ الْقُرْآنِ
 مِنَ السَّاحِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمَنِ
 ضَحِكُوا هُمْ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ
 قَدْ قَالَهُ فِيهِمْ أَوْلُو الْكُفْرَانِ
 نَظَرٌ إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ

الشرح

- ٥٤٥٢- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنْ
 ٥٤٥٣- فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ
 ٥٤٥٤- وَبِذَا اسْتَدَلَّ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - دَلِيلًا ثَالثًا عَلَى الرَّؤْيِيَّةِ؛ وَهُوَ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْفُجَارِ:

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ [المطففين: ٧-١١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

لَمْحْجُوبُونَ ﴿ [المطففين: ١٥]، وهذا هو الشاهد، ومفهومه أن الأبرار الذين هم ضدّهم لا يُحْجَبُونَ عن الله.

٥٤٥٥- وَأَتَىٰ بِذَا الْمَفْهُومِ تَصْرِيحًا بآ خِرَهَا فَلَا تُخَدَعُ عَنِ الْقُرْآنِ

وجاء ذلك في آخر سورة «المطففين»؛ في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤-٣٥]؛ أي: ينظرون إلى الله، ولَمَّا قَالَ فِي أَوْلَئِكَ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] صار قوله: ﴿عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]؛ أي: ينظرون إلى الله، في مقابل هؤلاء المكذبين.

وعلى هذا يكون لدينا من القرآن ستة أدلة: الأولى: الزيادة، والثاني: المزيد، والثالث: اللقاء، والرابع: النظر ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، والخامس: حجب الكفار، والسادس: ﴿عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]، هذه ستة أدلة من القرآن الكريم على ثبوت رؤية الله عز وجل، أسأل الله ألا يجرمني وإياكم منها.

والحقيقة أنّها هي أكبر نعيم في الجنة؛ لأنّ النَّاسَ يجدون في هذه النظرة من نعيم القلب وسرور الوجه والأنس ما لا يجدونه في أيّ شيء من النّعيم الذي هم فيه.

٥٤٥٦- وَأَتَىٰ بِذَاكَ مُكَذِّبًا لِلْكَافِرِ— مِنَ السَّآخِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمَنِ

٥٤٥٧- ضَحِكُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا ضَحِكُوا هُمْ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ

٥٤٥٨- وَأَنَابَهُمْ نَظَرًا إِلَيْهِ ضِدًّا مَا قَدَّ قَالَهُ فِيهِمْ أَوْلُو الْكُفْرَانِ

لكن فرق بين الضحك هذا وذاك؛ ضحك هؤلاء على المؤمنين ضحك لا يدوم، وضحك المؤمنين عليهم يوم القيامة ضحك يدوم، وليس بعده حزن،

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠]، مَنْ الذي يَمُرُّ؟ الجواب: الطَّرْفَانِ، إِذَا مَرَّ المَجْرَمُونَ بهؤلاء ضَحِكُوا مِنْهُمْ، وَإِنْ مَرَّ هَؤُلَاءِ بِالمَجْرَمِينَ ضَحِكُوا مِنْهُمْ، قال: ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾، فَأتى بِالفَاءِ الدَّالَّةَ عَلَى تَفْرِيعِ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا فَقَالَ: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٣٤-٣٥].

٥٤٥٩- فَلِذَٰكَ فَسَّرَهَا الْأَيْمَّةُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ فَسَّرَهَا الْعُلَمَاءُ الْأَيْمَّةُ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ كَانَتْ تَشْمَلُ النَّظَرَ إِلَى مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّاتِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى «الْأَرَائِكِ»: «السُّرُرِ»، وَالْأَرِيكَةُ مَعْرُوفَةٌ، فَهَمَّ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ، وَيَنْظُرُونَ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، يَنْظُرُونَ الرَّبَّ كَمَا فَسَّرَهُ بِذَلِكَ الْأَيْمَّةُ.

٥٤٦٠- اللَّهُ ذَاكَ الْفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ أشار المؤلف -رحمه الله- بقوله: «هو أهله» أن للفهم في كتاب الله أهلاً، وليس كلُّ أحدٍ يفهمُ كلامَ الله على ما أراد الله، ما يفهمه إلا مَنْ هو أهلٌ للفهم، ومتى؟ «مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ» يحتمل أن المعنى أن الله تعالى يجودُ عليهم بالإحسانِ بما يعطيهم من الفهم، ويحتملُ أن المرادُ أن الفهمَ يُؤْتِيهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ، وَأَحْسَنَ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَإِلَى عِبَادِ اللهِ فَإِنَّ اللهُ يُؤْتِيهِ مِنَ الْفَهْمِ بِقَدْرِ إِحْسَانِهِ، وَالْمَعْنِيَانِ كِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

- ٥٤٦١- وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِدًا عَنْ جَابِرٍ
خَبْرًا وَشَاهِدُهُ فِيهِ الْقُرْآنُ
٥٤٦٢- بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
وَنَعِيمِهِمْ فِي لَذَّةٍ وَمَتَانٍ
٥٤٦٣- وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ أَشْرَقَتْ
مِنْهُ الْجَنَانُ قَصِيئُهَا وَالِدَانِ
٥٤٦٤- رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَرَأَوْهُ نُورًا
رَ الرَّبِّ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانٍ
٥٤٦٥- وَإِذَا بِرَبِّهِمْ تَعَالَى فَوْقَهُمْ
قَدْ جَاءَ لِلتَّسْلِيمِ بِالْإِحْسَانِ
٥٤٦٦- قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَيَرُونَهُ
جَهْرًا تَعَالَى الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ
٥٤٦٧- مُضْدَاقٌ ذَا ﴿يَسْر﴾ قَدْ ضَمَّتْهُ عِنْدَ
سَدِّ الْقَوْلِ مِنْ رَبِّ بِهِمْ رَحْمَنٍ
٥٤٦٨- مَنْ رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَدٌّ
دَوْسُوفٌ عِنْدَ اللَّهِ يَلْتَقِيَانِ
٥٤٦٩- فِي ذَا الْحَدِيثِ عُلُوُّهُ وَجِئُّهُ
وَكَلامُهُ حَتَّى يُرَى بَعِيَانِ
٥٤٧٠- هَذِي أَصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ
لَا قَوْلَ جَهْمٍ صَاحِبِ الْبُهْتَانِ
٥٤٧١- وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ذَلِكَ الـ
خَبْرُ الطَّوِيلُ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
٥٤٧٢- فِيهِ تَجَلَّى الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَجِئُّهُ وَكَلامُهُ بَيِّنَانِ
٥٤٧٣- وَكَذَلِكَ رُؤْيِيَّتُهُ وَتَكْلِيمُ لِمَنْ
يَخْتَارُهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
٥٤٧٤- فِيهِ أَصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلَا
تَخْدَعُكَ عَنْهُ شَيْعَةُ الشَّيْطَانِ
٥٤٧٥- وَحَكَى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ تَجَدُّدَ الـ
غَضَبِ الَّذِي لِلرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
٥٤٧٦- إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعَزْمِ مِنْ رَسُولِ الْإِلَهِ
هُ وَذَلِكَ إِجْمَاعٌ عَلَى الْبُرْهَانِ

- ٥٤٧٧- لَا تُخَدَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ بِهَذِهِ الْآرَاءِ فَهِيَ كَثِيرَةُ الْهَذْيَانِ
 ٥٤٧٨- أَصْحَابُهَا أَهْلُ التَّخَرُّصِ وَالتَّنَاقُضِ وَالْتِهَاتِرِ قَائِلُو الْبُهْتَانِ قُضِيَ

الشرح

قوله: «أصحابها أهل التخرُّص والتناقض والتهاثر قائلو البهتان» صدق والله، هذا الوصف الذي لا ينطبق على سواهم.

- ٥٤٧٩- يَكْفِيكَ أَنْكَ لَوْ حَرَصْتَ فَلَنْ تَرَى فِتْنَيْنِ مِنْهُمْ قَطُّ تَتَفَقَّانِ
 ٥٤٨٠- إِلَّا إِذَا مَا قَلَدُوا لِلسَّوَاهِمَا فَتَرَاهُمْ جِيلاً مِنَ الْعُمَيَّانِ
 ٥٤٨١- وَيَقُودُهُمْ أَعْمَى يُظَنُّ كَمُبْصِرٍ يَا مِحْنَةَ الْعُمَيَّانِ خَلْفَ فُلَانِ
 ٥٤٨٢- هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرٌ رُشْدِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ

الشرح

يعني: لا يمكن أن يتفق اثنان إلا إذا كانا مُقلِّدين لواحد، لكن المُقلِّد يكون أعمى، وهذا هو الواقع، فالمجتهدون من أهل الكلام تجدُّهم متناقضين، بل تجد الواحد منهم يناقض نفسه؛ ففي كتاب يقول: هذا واجب، وفي آخر يقول: هذا ممتنع، وما أشبه ذلك، فهم عميان وراء أعمى.

- ٥٤٨٣- أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الْإِيمَانِ يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 ٥٤٨٤- يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعْدٌ
 ٥٤٨٥- قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا
 ٥٤٨٦- وَكَذَلِكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الْجَنَاتِ حَيْثُ
 ٥٤٨٧- فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آتَى أَنْ
 ٥٤٨٨- فَيَرُونَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ
 ٥٤٨٩- وَلَقَدْ آتَانَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» اللَّذِي
 ٥٤٩٠- بِرِوَايَةِ الثَّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ الْ
 ٥٤٩١- أَنَّ الْعِبَادَ يَرُونَهُ سُبْحَانَهُ
 ٥٤٩٢- فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاحْفَظُوا أَلْ
 ٥٤٩٣- وَلَقَدْ رَوَى بَعْضُ وَعِشْرُونَ امْرَأَةً
 ٥٤٩٤- أَخْبَارَ هَذَا الْبَابِ عَمَّنْ قَدْ آتَى
 ٥٤٩٥- وَالَّذِي لِقُلُوبٍ فَهَذِهِ الْ
- بِرُّ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 دٌ وَهُوَ مُنْحِرُهُ لَكُمْ بِضَمِّ
 أَعْمَانَا أَنْقَلْتِ فِي الْمِيزَانِ
 نَ أَجْرَتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النَّيْرَانِ
 أُعْطِيكُمْ مَوْهُ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي
 جَهْرًا رَوَى ذَا مُسْلِمٍ بِيَّانِ
 نِ هُمَا أَصْحَحُ الْكُتُبِ بَعْدَ قُرْآنِ
 بِجَلِّي عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
 رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ
 بَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ
 مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
 بِالْوَحْيِ تَفْصِيلًا بِلَا كِثْمَانِ
 أَخْبَارُ أَيْضًا بِهَجَّةِ الْإِيمَانِ

الشرح

قوله: «البردين»؛ يعني: الفجر والعصر.

- ٥٤٩٦- وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَةُ الرَّحْمَنِ فِي الْ-
جَنَّاتِ مَا طَابَتْ لِيَذِي الْعِرْفَانِ
- ٥٤٩٧- أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمٌ رُؤْيَا وَجْهِهِ
وَخِطَابُهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
- ٥٤٩٨- وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ
سُبْحَانَهُ عَنِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ
- ٥٤٩٩- وَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي
هُم فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
- ٥٥٠٠- فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى
لَذَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
- ٥٥٠١- فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ سِوَى
هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانِ
- ٥٥٠٢- أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفٍ خَلَقَهُ
بِجَلَالِهِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٥٥٠٣- شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي
بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
- ٥٥٠٤- فَالشُّوقُ لَذَّةٌ رُوحِيَّةٌ فِي هَذِهِ الدُّ-
نْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- ٥٥٠٥- تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ
دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ
- ٥٥٠٦- وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلْكُدُ
ذِمِّنِ اسْتِيْقَاقِ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
- ٥٥٠٧- وَكَذَلِكَ رُؤْيَا وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ
هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلْإِنْسَانِ
- ٥٥٠٨- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا
وَالْوَجْهَ أَيْضًا خَشْيَةَ الْحَدَثَانِ
- ٥٥٠٩- تَبَّالَهُ الْمَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ
وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدِّيَانِ
- ٥٥١٠- وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
وَالْعَرْشَ عَطَّلَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٥٥١١- فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسُلُ اللَّهِ فِي
وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرَانِ

الشرح

قوله: «... شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ»، وهذا في حديث: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ»^(١).

قوله: «تَبَّ لَهُ الْمَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدِّيَانِ» «تَبَّ لَهُ» أي: خسر الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه النسائي: كتاب السهو، بعد باب الذكر بعد التشهد، رقم (١٣٠٥).

فصل

في كلامِ الربِّ - جَلَّ جَلالُهُ - معَ أَهلِ الجَنَّةِ

- ٥٥١٢ - أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
حَقًّا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ بِجَنَانِ
- ٥٥١٣ - فَيَقُولُ جَلَّ جَلالُهُ هَلْ أَنْتُمْ
رَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذُو رِضْوَانِ
- ٥٥١٤ - أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا
مَا لَمْ يَنْلُكَ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ
- ٥٥١٥ - هَلْ نَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا فَيَكُونُ أَفْ
ضَلَّ مِنْهُ نَسَأَلُهُ مِنَ الْمَتَّانِ
- ٥٥١٦ - فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلَا
يَعْشَاكُمْ سَخَطٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٥٥١٧ - وَيَذَكِّرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا
قَدْ كَانَ مِنْهُ سَالِفَ الْأَزْمَانِ
- ٥٥١٨ - مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ نَمَّ وَسَاطَةٌ
مَا ذَاكَ تَوْبِيحًا مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٥٥١٩ - لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ
مِنْ فَضْلِهِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
- ٥٥٢٠ - وَيَسَلِّمُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلالُهُ
حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ
- ٥٥٢١ - وَكَذَلِكَ يُسْمِعُهُمْ لَدِيدَ خِطَابِهِ
سُبْحَانَهُ بِتِلَاوَةِ الْفُرْقَانِ
- ٥٥٢٢ - فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا
هَذَا رَوَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ
- ٥٥٢٣ - هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا الـ
قُرْآنَ فِي الدُّنْيَا فَنَوْعٌ ثَانِي
- ٥٥٢٤ - وَاللَّهُ يُسْمِعُ قَوْلَهُ بِوَسَاطَةٍ
وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ

٥٥٢٥- فَسَمِعَ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةٍ وَسَمَاعِنَا بِتَوْسُطِ الْإِنْسَانِ
٥٥٢٦- مِنْ صَيَّرَ النَّوْعَيْنِ نَوْعًا وَاحِدًا فَمُخَالَفٌ لِلْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ

الشرح

في هذا الفصلِ ذَكَرَ المَوْلَفُ - رحمه الله تعالى - أَنَّ اللهَ يُكَلِّمُ أَهْلَ الجَنَّةِ من وجوهٍ:

الوجه الأول: بيان ما مَنَّ اللهُ به عليهم من النعيم، فيقول لهم عزَّ وجلَّ: «هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَالْنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

الوجه الثاني: أَنَّهُ يُحَدِّثُ بَعْضَهُمْ بِمَا جَرَى مِنْهُ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ فِي الدُّنْيَا «فَعَلْتَ كَذَا، وَفَعَلْتَ كَذَا، وَفَعَلْتَ كَذَا» لا توبيخًا، ولكن لإظهار فضلِهِ عزَّ وجلَّ عليه حتَّى يزدادَ حُبًّا لَهِ، وتعظيمًا لَه، وشكرًا لَه سبحانه وتعالى، كما أَنَّهُ - جلَّ وعلا - يُسَلِّمُ على أَهْلِ الجَنَّةِ، وهو في القرآنِ في قولهِ تعالى: ﴿سَلِّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

الوجه الثالث: وهو على خِلافِ الأَوَّلِ أَنَّهُ - جلَّ وعلا - يُسَمِعُهُم القرآنَ، يقرأ القرآنَ وهم يسمعونَه، فيسمعون كلامَه عزَّ وجلَّ مِنْهُ، وهذا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ؛ يعني: أَنَّهُمْ يسمعونَه من الرَّبِّ - جلَّ وعلا - بدون واسطَةٍ، فيسمعون اللهُ يقرأ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦١٨٣)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، رقم (٢٨٢٩).

القرآن، فأفضل كتاب أنزل، وأفضل الذكر يقرؤه من تكلم به أولاً، أما السماع في الدنيا فنوع ثانٍ غير هذا السماع، فالذي نسمع ممن يقرأ القرآن ليس صوت الرب عز وجل، بل هو صوت القارئ، فالصوت صوت القارئ، واللفظ لفظ القارئ، والمقروء كلام الباري عز وجل؛ لأن سماعنا لكلامه بواسطة محمد ﷺ، وكل منا يسمع غيره بواسطة، فالمعلم يُسمع المتعلم كلام الله بواسطة، وهكذا إلى أن يصل إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ومن سوى بين النوعين، وقال: «الكل مخلوق» فمخالف للقرآن.

والذين قالوا بهذا هم الأشاعرة وأشباههم، يجعلونه شيئاً واحداً؛ يقولون: إن سماع موسى -عليه الصلاة والسلام- ليس سماعاً لكلام الرب، لكن يسمع أصواتاً خلقت لتعبر عما في نفس الله، هذا مذهبهم، يُصريحون به؛ لأن الكلام عندهم هو المعنى القائم بالنفس، ويسمونه الكلام النفسي، أما أن يسمع صوت من الله فهذا عندهم محال، فيقولون: إن الله خلق أصواتاً لتعبر عما في نفسه، كما يُخلق صوت الرعد في السحاب، وسمعه جبريل فتلقاه ونزل به إلى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ ولهذا هم والمعتزلة سواء في أن الذي في المصحف مخلوق، لكن المعتزلة أشجع من الأشاعرة، المعتزلة يقولون: هو مخلوق من جملة المخلوقات، وليس كلام الله، لكنهم يقولون: هو كلام الله، وأضيف إليه على سبيل التشريف والتعظيم، وأولئك يقولون: ليس كلام الله، هو عبارة عنه، والكلام هو: المعنى القائم بالنفس، فكأنهم يجعلون كلام الله علم الله القائم بنفسه.

ولا شك أن هذا خطأ عظيمٌ مُنافٍ للسمع والعقل، فيقال لهم: إما أن تُصريحوا بما صرحتم به المعتزلة وتقولوا: كلام الله مخلوق وهو المسموع بالأذان المُبصر بالعيان، قولوا: مخلوق كما قالت المعتزلة، أو أن تقولوا: الكلام غير مخلوق

وهو المعنى القائم بنفسه وما سمعه جبريلُ وما سمعه موسى كذلك، فهي أصواتٌ خُلِقَتْ لِتُعَبَّرَ عَنْهُ، فهذا تناقضٌ.

والفرقُ بين العبارة والحكاية: أنَّ الحكايةَ للكَلَابِيَّةِ، والعبارةَ للأشاعرةِ، الكَلَابِيَّةُ يقولون: إِنَّهُ حِكَايَةٌ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَكَلَّمَ فَإِنَّ الصَّدى يَحْكِي صَوْتَهُ، فَكَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ وَجَعَلَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ صدىً فَتَلَقَّاهُ جَبْرِيْلُ، فيقولون: حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، أَمَّا أَوْلَئِكَ فيقولون: لا، بل هو عبارةٌ عن كَلَامِ اللَّهِ، خَلَقَ اللَّهُ صَوْتًا مُسْتَقْلًا، وَأَمَّا اللَّهُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهُ صَوْتًا.

فصل

في يومِ المَزِيدِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الكَرَامَةِ

- ٥٥٢٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ المَزِيدِ - دِ وَأَنَّهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ الشَّانِ
 ٥٥٢٨- هُوَ يَوْمٌ جُمِعَتْنَا وَيَوْمٌ زِيَارَةُ الرِّ - رَحْمَنٍ وَقَتَّ صَلَاتِنَا وَأَذَانَ
 ٥٥٢٩- وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمُ الأُلَى - فَارْزُوا بِذَلِكَ السَّبْقِ بِالإِحْسَانِ
 ٥٥٣٠- سَبَقُ بِسَبْقٍ وَالْمُؤَخَّرُ هَاهُنَا - مُتَأَخِّرٌ فِي ذَلِكَ المَيْدَانِ
 ٥٥٣١- وَالأَقْرَبُونَ إِلَى الإِمَامِ فَهُمْ أَوْلُو الرِّ - زُلْفَى هُنَاكَ فَهَاهُنَا قُرْبَانَ
 ٥٥٣٢- قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالْمُبَاعَدُ مِثْلُهُ - بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ الدِّيَانِ

الشرح

يَبَيَّنُ المَوْئَلَّفُ - رحمه الله - أَنَّ يَوْمَ المَزِيدِ الَّذِي هُوَ يَوْمُ الجُمُعَةِ هُوَ يَوْمُ زِيَارَةِ أَهْلِ الجَنَّةِ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَكُونُ فِي وَقْتِ صَلَاةِ الجُمُعَةِ. إِذْ نَ يَوْمُ المَزِيدِ بِإِزَاءِ يَوْمِ الجُمُعَةِ، وَالزِّيَارَةُ بِإِزَاءِ وَقْتِ الأَذَانِ وَالصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ النَّاسُ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ فِي وَقْتِ الصَّلَاةِ، يَأْتُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالذِّكْرِ والقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؛ وَهَذَا كَانَ أَصْحَحُ الأَقْوَالِ أَنَّ سَاعَةَ الإِجَابَةِ مَا بَيْنَ مَجِيءِ الإِمَامِ إِلَى انْقِضَاءِ الصَّلَاةِ، هَذَا أَحْرَاهَا وَأَقْرَبُهَا، وَفِيهِ حَدِيثٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

(١) يعني حديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قال: قال لي عبد الله بن عمر: أسمعت أباك يحدث

- ٥٥٣٣- وَلَهُمْ مَنَابِرُ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرُ جَدِيدٍ
 وَمَنَابِرُ الْيَاقُوتِ وَالْعَقِيَانِ
 ٥٥٣٤- هَذَا وَأَذْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي
 مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمِسْكِ كَالْكُثْبَانِ
 ٥٥٣٥- مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
 مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 ٥٥٣٦- فَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً
 نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانَ
 ٥٥٣٧- وَيَحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا
 ضَرَةً الْحَبِيبِ يَقُولُ يَا ابْنَ فُلَانِ
 ٥٥٣٨- هَلْ تَذْكُرُ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيهِ
 مِبَارِزًا بِالذَّنْبِ وَالْعِضْيَانِ
 ٥٥٣٩- فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِعَفْوَةٍ
 قَدِمًا فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْعُفْرَانِ
 ٥٥٤٠- فَيَجِيبُهُ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي
 قَدْ أَوْصَلْتَكِ إِلَى الْمَحَلِّ الدَّانِي

الشرح

- ٥٥٣٣- وَلَهُمْ مَنَابِرُ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرُ جَدِيدٍ
 وَمَنَابِرُ الْيَاقُوتِ وَالْعَقِيَانِ
 ٥٥٣٤- هَذَا وَأَذْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي
 مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمِسْكِ كَالْكُثْبَانِ
 ٥٥٣٥- مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
 مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 إِذَنْ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسْمَيْنِ: قَسِمَ عَلَى مَنَابِرَ مِنَ اللَّؤْلُؤِ وَالزَّبَرُجِدِ وَمَنَابِرِ
 الْيَاقُوتِ وَالْعَقِيَانِ، وَقَسِمَ آخَرَ عَلَى الْأَرْضِ، لَكِنْ عَلَى أَرْضٍ تَرَاهُهَا الْمِسْكَ يَجْلِسُونَ

عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هِيَ مَا بَيَّنَّ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ». أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم (٨٥٣).

عليه، ومع ذلك لا يَرُونَ أَنَّ الَّذِينَ عَلَى مَنَابِرَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ رَأَوْا أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْهُمْ لَنَقَصَ الشُّرُورُ، لَكِنْ لَا يَرَوْنَهُمْ أَفْضَلَ.

٥٥٣٦- فَيَرُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً نَظَرَ الْعَيْنَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

٥٥٣٧- وَيَحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا ضَرَةً الْحَبِيبِ يَقُولُ يَا ابْنَ فُلَانِ

٥٥٣٨- هَلْ تَذْكُرُ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيهِ مَبَارِزًا بِالذَّنْبِ وَالْعُضَيَانِ

٥٥٣٩- فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِغُفْرَةٍ قَدِمًا فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

٥٥٤٠- فَيُحْيِيهِ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي قَدْ أَوْصَلْتَكِ إِلَى الْمَحَلِّ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «الْمَحَلِّ الدَّانِي»؛ أَي: الْقَرِيبُ مِنِّي، وَلَيْسَ الْمَعْنَى مِنَ الدُّنُو؛ يَعْنِي:

النَّازِلُ؛ بَلِ الْمَعْنَى: الْقَرِيبُ مِنِّي، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

فصل

في المطر الذي يصيبهم هناك

- ٥٥٤١- وَيُظِلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ مِنْهُ سَحَابَةٌ تَأْتِي بِمِثْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ
- ٥٥٤٢- بَيْنَاهُمْ فِي النُّورِ إِذْ غَشِيَتْهُمْ سُبْحَانَ مُنْشِئِهَا مِنَ الرُّضْوَانِ
- ٥٥٤٣- فَتَظَلُّ مُطْرُهُمْ بِطَيِّبٍ مَا رَأَوْا شَبَّهًا لَهُ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
- ٥٥٤٤- فَيَزِيدُهُمْ هَذَا جَمَالًا فَوْقَ مَا بِهِمْ وَتَلْكَ مَوَاهِبُ الْمَنَّانِ

الشرح

الأحسن الرجوع إلى كتاب «حادي الأرواح»؛ لأنَّ كُلَّ هذه المباحث

موجودة فيه.

فصل

في سوقِ الجَنَّةِ الَّذِي يَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ

- ٥٥٤٥- فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَيَّ
 ٥٥٤٦- يَأْتُونَ سُوقًا لَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
 ٥٥٤٧- قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَيْمِ
 ٥٥٤٨- اللَّهُ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَلَا
 ٥٥٤٩- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 ٥٥٥٠- كَلَّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ
 ٥٥٥١- فَيَرَى امْرَأًا مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ
 ٥٥٥٢- فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلِدُ
 ٥٥٥٣- وَاهَا لَذَا السُّوقِ الَّذِي مِنْ حِلِّهِ
 ٥٥٥٤- يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ
 ٥٥٥٥- وَتِجَارُهُ مَنْ لَيْسَ تُنْهِيهِ تَجَا
 ٥٥٥٦- أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ وَالتَّقَى
- مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلا أَثْمَانَ
 عِ بِعَقْدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 نِكَّةُ الْكِرَامِ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
 كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
 فَيَكُونُ عَنْهُ مُعَبِّرًا بِلِسَانِ
 فَيُرْوَعُهُ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنَانِ
 حَقُّ أَهْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْزَانِ
 نَالَ التَّهَانِي كُلَّهَا بِأَمَانِ
 صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيَّامَانِ
 رَاتٌ وَلَا يَبِيعُ عَنِ الرَّحْمَنِ
 وَالذِّكْرُ لِلرَّحْمَنِ كُلُّ أَوَانِ

- ٥٥٥٧- يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي رُكِّزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ
 ٥٥٥٨- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَاكَ السُّوقِ لَمْ تَرُكِّنْ إِلَى سُوْقِ الْكَسَادِ الْفَانِي

الشرح

- ٥٥٤٥- فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَيَّ مَا قَدْ دَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 ٥٥٤٦- يَأْتُونَ سُوقًا لَا يَبَاعُ وَيُشْتَرَى فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلا أَثْمَانِ
 ٥٥٤٧- قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَبِيِّ مَعَ بَعْقَدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 الله أكبر! انظر إلى النعيم، في الدنيا ينصرفون إلى الأسواق، قال الله تعالى:
 ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِهَا﴾ [الجمعة: ١٠]، وفي
 الآخرة هكذا، ينصرفون من الله عز وجل بعد أن ألقى عليهم هذا الرضوان،
 وأمطر عليهم هذا المطر إلى سوق فيه ما يشاؤون من أنواع النعيم، ويأخذونه بلا
 ثمن، لماذا؟ لأن الثمن مُقَدَّمٌ، فهم قدّموه في الدنيا، فهو بمنزلة السلم، يُعْطَى
 الفلاح دراهم ويأخذ منه الثمر بعد سنة أو سنتين.

- ٥٥٤٨- اللَّهُ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَلَا بَيْكَةَ الْكِرَامِ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
 ٥٥٤٩- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ كَلًّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
 ٥٥٥٠- كَلًّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ فَيَكُونُ عَنْهُ مُعَبِّرًا بِلِسَانِ
 ٥٥٥١- فَيَرَى امْرَأًا مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ فَيَرُوعُهُ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنَانِ
 ٥٥٥٢- فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلْ حَقُّ أَهْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْزَانِ

٥٥٥٣- وَاهَا لَذَا السُّوقِ الَّذِي مِنْ حِلِّهِ نَالَ التَّهَانِي كُتْلَهَا بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «وَاهَا»؛ يعني: عجبًا.

٥٥٥٤- يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيَّامِ

الأسواق في الدنيا فيها صَخَبٌ، وفيها غِشٌّ، وفيها كَذِبٌ، وفيها أَيَّامٌ؛ أي: أحلافٌ، لكن سوق الجنة ليس به هذا.

٥٥٥٥- وَتِجَارُهُ مَنْ لَيْسَ تُلْهِمِهِ تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنِ الرَّحْمَنِ

٥٥٥٦- أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ وَالتُّقَى وَالذِّكْرِ لِلرَّحْمَنِ كُلُّ أَوَانِ

٥٥٥٧- يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي رُكِّزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ

٥٥٥٨- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَلِكَ السُّوقِ لَمْ تَرَكْنِي إِلَى سُوقِ الْكَسَادِ الْفَانِي

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فصل

في حالهم عند رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم

- ٥٥٥٩- فَإِذَا هُمْ رَجَعُوا إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ
بِمَوَاهِبٍ حَصَلَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ
٥٥٦٠- قَالُوا لَهُمْ أَهْلًا وَرَحْبًا مَا الَّذِي
أُعْطَيْتُمْ مِنْ ذَا الْجَمَالِ الثَّانِي
٥٥٦١- وَاللَّهِ لَا زِدْتُمْ جَمَالًا فَوْقَ مَا
كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذَا الْآنِ
٥٥٦٢- قَالُوا وَأَنْتُمْ وَالَّذِي أَنْشَأَكُمْ
قَدْ زِدْتُمْ حُسْنًا عَلَى الْإِحْسَانِ
٥٥٦٣- لَكِنْ يَحِقُّ لَنَا وَقَدْ كُنَّا إِذَا
جُلَسَاءَ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الرِّضْوَانِ
٥٥٦٤- فَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ أَشَدُّ شَوْ
قًا مِنْ مُحِبِّ لِلْحَبِيبِ الدَّانِي

الشرح

الله أكبر! وهذا دائمٌ، كلما رجعوا من زيارة الله عز وجل في يوم المزيد، ثم إلى السوق الذي يتعارفون فيه، ثم إلى أهليهم، وجدوهم قد ازدادوا حسناً، إذن ازديادهم في الحسن لا نهاية له؛ لأن يوم المزيد ليس له نهاية، هم خالدون فيه أبداً.

فإن قيل: إذا كانوا يتلذذون بهذه الزيارة، فلماذا لا يطلبون استمرارها؟

نقول: لو استمرت لصارت معتادة ولم يكن لها هذا الشوق، ومعلوم أنهم إذا كانوا يتشوقون إليه ويتطلعون إليه ثم يحصل لهم صار ألد، وجرب هذا في

شيءٌ تُوعَدُ به، وشيءٌ يكونُ عندك دَائِمٌ؛ ولهذا ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي النِّظْمِ نَفْسَهُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَهُمْ: «قُومُوا إِلَيَّ مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ»^(١)، وهذا يدلُّ على أَنَّ الأَمْرَ لو كان راجِعًا إِلَيْهِمْ لَبَقُوا ولم ينصرفوا.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، رقم (٢٥٤٩)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم (٤٣٣٦).

فصل

في خلود أهل الجنة فيها، ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم،
واستحالة الموت والنوم عليهم

- ٥٥٦٥- هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ أَبَدًا بِدَارِ الْخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ
 ٥٥٦٦- أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الْإِيمَانِ يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانٍ
 ٥٥٦٧- لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بِهَا مَوْتُ وَعَا فِيهِ بِلَا سَقَمٍ وَلَا أَحْزَانٍ
 ٥٥٦٨- وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
 ٥٥٦٩- كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا نَوْمٍ وَمَوْتٍ بَيْنَنَا أَخْوَانِ
 ٥٥٧٠- هَذَا عَلِمْنَا هُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَافْتَهُم مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

الشرح

قوله: «هَذَا عَلِمْنَا هُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ» قال ذلك لأن القرآن فيه آيات كثيرة أنهم خالدون في الجنة أبداً، وهذا يقتضي أنهم لا ينامون وأنتهم لا يموتون، والنوم أخو الموت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فسَمِيَ النومَ وفاءً، فالنومُ أخو الموت؛ ولهذا لما لم يكن موتٌ في الجنة لم يكن نومٌ؛ ولأنَّ النومَ في الدنيا إننا نُضطرُّ إليه؛ لأنَّه يهدمُ التعبَ السابقَ ويُجدِّدُ

النَّشَاطُ لِلَّاحِقِ، فَهُوَ يُرِيحُ مِنْ عَمَلٍ سَابِقٍ وَيُجَدِّدُ النَّشَاطَ لِعَمَلٍ لَاحِقٍ، أَمَّا فِي
الْآخِرَةِ فَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

- ٥٥٧١- وَالْجَهَنَّمُ أَفْنَاهَا وَأَفْنَى أَهْلِهَا تَبَّ لِدَاكِ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ
٥٥٧٢- طَرْدًا لِنَفْسِي دَوَامِ فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْ- مَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الْأَزْمَانِ
٥٥٧٣- وَأَبُو الْهَدْيِيلِ يَقُولُ يَفْنَى كَلَّمَا فِيهَا مِنَ الْحَرَكَاتِ لِلشُّكَّانِ
٥٥٧٤- وَتَصِيرُ دَارُ الْخُلْدِ مَعَ سُكَّانِهَا وَثَمَارَهَا كَحِجَارَةِ الْبُيَّانِ
٥٥٧٥- قَالُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا رَبُّ لِأَجْلِ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ
٥٥٧٦- فَالْقَوْمُ إِمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ أَوْ مُنْكَرُونَ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ

الشرح

- ٥٥٧١- وَالْجَهَنَّمُ أَفْنَاهَا وَأَفْنَى أَهْلِهَا تَبَّ لِدَاكِ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ
٥٥٧٢- طَرْدًا لِنَفْسِي دَوَامِ فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْ- مَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الْأَزْمَانِ
قَوْلُهُ: «تَبَّ»؛ يَعْنِي: خُسْرَانًا.

أشار المؤلف -رحمه الله- إلى رأيين في دوام الجنة مقابليين لما دلَّ عليه الكتاب
والسنة وإجماع الأمة، وهما:

الرَّأْيُ الْأَوَّلُ: رَأْيُ جَهْمٍ، يَقُولُ: إِنَّ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا تَفْنَى كَالنَّارِ، كُلُّ شَيْءٍ
يَفْنَى وَلَا يَبْقَى إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ التَّسْلُسُلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَمْنُوعٌ كَالتَّسْلُسُلِ فِي

الماضي طردًا للقاعدة؛ يعني: تسلسل المخلوقات عندهم ممنوعٌ، فلا يمكن أن تبقى المخلوقات إلى ما لا نهاية له، هذا رأي الجهمية.

وهذا مُكذَّبٌ للقرآن؛ لأنَّ الله قال في أهل الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وإذا كان فعلاً لما يريد لزم أن يكون فعله قديماً أزلياً بخلاف المفعول، ويجب أن تُفَرَّقَ بين الفعلِ والمفعولِ، المفعولاتُ كُلُّهَا حادثةٌ بلا شكٍّ، وليس فيها شيءٌ قديمٌ لم يكن حادثاً من عدمٍ، بل كُلُّهَا حادثةٌ من عدمٍ، لكنَّ فعلَ الله عزَّ وجلَّ قديمٌ، متى شاءَ فَعَلَ فأحدثَ المفعولَ، ومتى شاءَ أبقى المفعولَ، لو شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ لأفنى كُلَّ شيءٍ إِلَّا نَفْسَهُ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، لكن هل معنى ذلك أننا إذا قلنا بدوامِ فاعليَّةِ الرَّبِّ نقولُ: بأنَّ الله معه إلهٌ كما زعم الجهم؟ الجوابُ: لا، نقولُ: فعله من أوصافه، وأوصافه لازمةٌ له أزلاً وأبداً.

٥٥٧٣- وَأَبُو الْهَذِيلِ يَقُولُ يَفْنَى كُلَّمَا فِيهَا مِنَ الْحَرَكَاتِ لِلسَّكَّانِ

٥٥٧٤- وَتَصِيرُ دَارُ الْخُلْدِ مَعَ سُكَّانِهَا وَثَمَارِهَا كَحِجَارَةِ الْبُنْيَانِ

وأما أبو الهذيل العلاف فجاء بقولٍ عجيبٍ، يقولُ: تَفْنَى الحركاتُ ونموُّ الأشجارِ، وَيَبْقَى الشَّيْءُ كالأحجارِ؛ يعني: أهلُ الجنةِ تَبْقَى أجسامُهُم لكن بدون حركةٍ، تَبْقَى الأشجارُ لكن بدون ثمارٍ، تَبْقَى الجنةُ لكن بدون أحجارٍ، حتَّى الرَّجُلُ إذا كان قد رفع اللُّقْمَةَ إلى فَمِهِ أو الفاكهةَ ثُمَّ قَضَى اللهُ عليهم بتبطلِ العملِ بَقِيَ بفاكهتهِ رافعاً يَدَهُ إلى متى؟ إلى ما لا نهاية له، إذا كان على زوجتهِ بَقِيَ عليها أبداً الأبدِين؛ لأنَّه يرى أن الحركاتِ تَفْنَى والأعيانُ تَبْقَى، لماذا؟ «حَدَّرًا مِنَ التَّسْلُسِلِ»؛ ولذا قال:

٥٥٧٥- قَالُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا رَبٌّ لِأَجْلِ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

يقولون: لو قلنا بتسلسل الأعيان لم يكن فرق بين الرب وبين المخلوق؛ لأن المخلوق يبقى والرب يبقى أبد الأبدين، فلو قلنا بالتسلسل لزم أن يكون الخالق والمخلوق شيئاً واحداً.

٥٥٧٦- فَالْقَوْمُ إِمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ أَوْ مُنْكَرُونَ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ

وهؤلاء كما قال ابن القيم: إمّا جاحدون لربهم، أو منكرون حقائق الإيمان؛ يعني: إن أقرّوا بالله ولكن استمرّوا على هذا القول فهم منكرون لحقائق الإيمان؛ لأنّ هناك فرقاً بين التسلسل الذي هو من فعل الله عزّ وجلّ وبين دوام الربّ عزّ وجلّ، فالربّ باقٍ بنفسه واجب البقاء بنفسه، وهذه الأشياء متسلسلة بفعل الله عزّ وجلّ، لو شاء لأفناها، ثمّ إن تسلسلها أيضاً يخلف بعضها بعضاً عينا، الثمرة إذا أخذت جاء بدلها ثمرة وإن كانت الأعيان مثل البشر والحوار وما أشبه ذلك باقية، لكنّها باقية ببقاء الله بقاءً عاجزاً وواجباً شرعاً، وواجباً شرعاً؛ لأنّه يجب أن نؤمن ببقائها، وأمّا عقلاً فإنّه يمكن أن الله يهلكها.

ونحن نقول: ماذا تقولون في الزمان: أمتسلسل هو أم لا؟ سيقولون: متسلسل بلا شك، من خلق الزمان؟ الله عزّ وجلّ، إذن يلزم من هذا أن التسلسل غير ممنوع، لكن نعلم أن الزمن ليس موجوداً فيما قبله، فالله أحدث الزمن وأبقى الزمن، ولكن الله لم يزل موجوداً، ولا يزال موجوداً، «هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ».

واعلم أن مثل هذه الأبحاث لا طائل تحتها، ولا فائدة منها، والجهل بها خير من العلم بها، لكن اضطرّ شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهما من أهل العلم

إلى البحث فيها؛ لأنهم دخلوا فيها بالقوة حيث إن الفلاسفة والمتكلمين وأهل المنطق أجزؤوهم إلى الدخول فيها، وكان دخولهم فيها واجباً؛ لئلا يكون المكان خالياً لهؤلاء الجهال من الفلاسفة والمناطقية، فلا بُدَّ أن ندخل معهم، وأن نخوض المعركة، وإلا لا يمكن أن تجد حرفاً واحداً عن الصحابة أنهم سألوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- هذا السؤال: هل الحوادث متسلسلة أو لا؟ إنما يأخذون القرآن على حسب ظاهره وكما يليق بالمتكلم به سبحانه وتعالى.

فصل

فِي ذَبْحِ الْمَوْتِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الذَّبْحَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ،
أَوْ إِنَّ ذَلِكَ مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ

- ٥٥٧٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ بَيْنَ
نَ الْمَنْزِلَيْنِ كَذَّبِحَ كَبْشِ الضَّانِ
٥٥٧٨- حَاشَا لِدَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا
هُوَ مَوْتُنَا الْمَحْتَمُومُ لِلْإِنْسَانِ
٥٥٧٩- وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبْشًا أَمْلَحًا
يَوْمَ الْمَعَادِ يَرَى لَنَا بَعِيَانِ
٥٥٨٠- يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا
بِالْعَكْسِ كُلُّ قَابِلٍ الْإِمْكَانِ
٥٥٨١- أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَا
دِ تُحَطُّ يَوْمَ الْعَرْضِ فِي الْمِيزَانِ
٥٥٨٢- وَلِذَاكَ تُثْقَلُ تَارَةً وَتُخَفُّ أُخْرَى
رَى ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ ذُو تَبْيَانِ
٥٥٨٣- وَلَهُ لِسَانٌ كِفْتَاهُ تُقِيمُهُ
وَالْكِفْتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ
٥٥٨٤- مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ الْ
مَحْسُوسُ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ
٥٥٨٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ تَسْبِيحَ الْعِبَا
دِ وَذِكْرَهُمْ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ
٥٥٨٦- يُنْشِئُهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِي صُورِ تَجَا
دِلُّ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
٥٥٨٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْ
شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوْرَانِ
٥٥٨٨- يَشْفَعْنَ عِنْدَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَيُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ

- ٥٥٨٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَانِ
 ٥٥٩٠- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ
 ٥٥٩١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي أَيَّامِ هَذَا الْعُمْرِ مِنْ قُرْآنِ
 ٥٥٩٢- يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلرُّحْمَنِ كَيْ يُنَجِّبَكَ مِنْ نِيرَانِ
 ٥٥٩٣- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاحِبٌ يَأْتِي بِذَلِكَ الشَّفِيعِ الدَّانِي

الشرح

في هذا الفصل بين المؤلف - رحمه الله - أنه «يؤتى بالموت كهَيْئَةٍ كَبَشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»^(١).

قولهم: «هَذَا الْمَوْتُ»؛ يعنون: هذا الذي جيء به على صورة كبشٍ أبيض، وليس هو مَلَكُ الْمَوْتِ، مَلَكُ الْمَوْتِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْمَوْتُ نَفْسُهُ، وَالْمَوْلُفُ - رحمه الله - يَقُولُ: وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: «إِنَّ الذَّبْحَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ وَأَنَّ ذَلِكَ مَجَازٌ»؛ أَي: إِنَّ إِطْلَاقَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ مَجَازٌ عَنِ مَلَكِ الْمَوْتِ.

(١) أخرج البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: «وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ» [مریم: ٣٩]، رقم (٤٤٥٣)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٤٩).

٥٥٧٧- أَوْ مَا سَمِعَتْ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ بَيِّنًا - مِنَ الْمَنْزِلَيْنِ كَذَبِحِ كَبُشِ الضَّانِ

قَوْلُهُ: «الْمَنْزِلَيْنِ»؛ أَي: مَنْزِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْزِلِ أَهْلِ النَّارِ.

٥٥٧٨- حَاشَا لِدَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْتُنَا الْمَحْتَمُومُ لِلْإِنْسَانِ

يعني: أَنْزَرُهُ أَنْ يَكُونَ الذَّبْحُ لِلْمَلِكِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْمَوْتِ الْمَحْتَمُومِ.

٥٥٧٩- وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبُشًا أَمْلَحًا يَوْمَ الْمَعَادِ يَرَى لَنَا بَعِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبُشًا أَمْلَحًا» «أَمْلَحًا» بِالضَّرْفِ وَالتَّنْوِينِ مِنْ أَجْلِ ضَرُورَةِ الشُّعْرِ، وَإِلَّا لَوْلَمْ يَكُنْ ضَرُورَةً لَكَانَ الصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: «أَمْلَح»، وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا ضَطْرَارَ أَوْ تَنَاسُبٍ ضَرَفٍ ذُو الْمَنْعِ وَالْمَضْرُوفُ قَدْ لَا يَنْصَرِفُ^(١)

٥٥٨٠- يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا بِالْعَكْسِ كُلُّ قَابِلٍ الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا بِالْعَكْسِ»؛ يَعْنِي: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا بِالْعَكْسِ؛ بِحَيْثُ يَجْعَلُ الْأَجْسَامَ أَعْرَاضًا.

قَوْلُهُ: «كُلُّ قَابِلٍ الْإِمْكَانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ قَلْبَ الْأَعْيَانِ إِلَى أَعْرَاضٍ، وَالْأَعْرَاضِ إِلَى أَعْيَانٍ أَمْرٌ مُمْكِنٌ قَابِلٌ الْإِمْكَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ أَتَى بِشَوَاهِدَ فَقَالَ:

٥٥٨١- أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَا دِ تَحُطُّ يَوْمَ الْعَرَضِ فِي الْمِيزَانِ

(١) انظر: شرح ابن عقيل (٣/٣٣٨).

الجواب: بلى، نُصَدِّقُ، والأدلة على هذا كثيرة، وأمّا المعتزلة فأنكروا الميزانَ الحسِّيَّ يوم القيامة، وقالوا: لا يوجد ميزان، كيف تُوزَنُ الأعمال وهي أعمالٌ ومعانٍ انتهت في الدنيا؟! وقالوا: إنَّ المرادَ بالميزانِ هو العدلُ، فلا ميزان له كِفَتَانِ، ولكنَّ هذا من تحريفهم والعياذُ بالله؛ لأنَّ النصوصَ واضحةٌ جليَّةٌ في أنَّ الأعمالَ تُوزَنُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

٥٥٨٢- وَلِذَلِكَ تَثْقُلُ نَارَةٌ وَتَخِفُّ أُخْرَى — رَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ ذُو تَبْيَانِ

وذلك كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) فهو في عيشته رَاضِيَةً (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾ [القارعة: ٦-٩].

٥٥٨٣- وَلَهُ لِسَانٌ كِفَتَاهُ تُقِيمُهُ وَالْكِفَّتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ

الميزان الذي يكون يوم القيامة له كِفَتَانِ تقيمه، وله لسانٌ أيضاً، وهل للموازنين السنة؟ الجواب: نعم، أرايتم الميزانَ سابقاً؟! الميزانُ سابقاً عبارة عن

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن، رقم (٧١٢٤)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم (٢٦٩٤).

حديدية ممدودة، وفي وسطها حديدية مركوزة، هذه الحديدية المركوزة مثبتة بمسار كالقوس على هذه الحديدية المنصوبة القائمة، والكفتان عن يمين وشمال، إذا رجحت إحدهما مال اللسان؛ أي: ظهر اللسان إليها، وإذا خفت إحدهما خرج اللسان منها، هذا الميزان سابقاً، وهو الآن معروف.

٥٥٨٤- مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ الْ- مَحْسُوسُ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ

هذا رد على المعتزلة الذين قالوا: إن الوزن يوم القيامة ليس محسوساً؛ ولكن المراد به: إقامة العدل، فهو عندهم أمر معنوي؛ ولذا قال: «مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا»؛ أي: «ما الوزن أمرًا معنويًّا، بل هو المحسوس حقاً عند ذي الإيمان»؛ أي: إنه ميزان حسيّ تُوزن به الأعمال، وإذا كانت تُوزن به الأعمال وهو حسيّ لزم أن يكون الموزون كذلك حسيًّا عيناً يرجح تارة ويخف أخرى.

٥٥٨٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ تَسْبِيحَ الْعِبَا دِ وَذَكَرَهُمْ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ

٥٥٨٦- يُنْشِئِهِ رَبُّ الْعَرْشِ فِي صُورِ نُجَا دِلْ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

الجواب: بلى.

٥٥٨٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْ شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوْرَانِ

التسبيح يدور حول عرش الرحمن عز وجل، وله صوت.

٥٥٨٨- يَشْفَعْنَ عِنْدَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَيُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ

أي: يُذَكِّرُونَ أَنَّهُ فَلَانُ بِنِ فُلَانٍ، وَأَنَّ هَذَا الذِّكْرُ جَاءَ مِنْهُ.

٥٥٨٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَانِ

٥٥٩٠- في صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ

يعني: العملُ الصَّالِحُ يأتي إلى الرَّجُلِ إذا دُفِنَ يُؤَنِّسُهُ، ويكونُ في صورةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يُؤَنِّسَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»^(١).

٥٥٩١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي أَيَّامِ هَذَا الْعُمُرِ مِنْ قُرْآنِ

٥٥٩٢- يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ كَيْ يُنَجِّبَكَ مِنْ نِيرَانِ

٥٥٩٣- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاخِبٌ يَأْتِي شَاخِبًا ذَلِكَ الشَّفِيعُ الدَّانِي

هَذَا أَيْضًا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ: أَنَّ الْقُرْآنَ «يَأْتِي شَاخِبًا لِأَصْحَابِهِ»^(٢).

٥٥٩٤- أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ

٥٥٩٥- فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ وَمِنْهُ الضُّوْءُ ذُو تَبْيَانٍ

٥٥٩٦- شَبَّهَهُمَا بِعِمَامَتَيْنِ وَإِنْ تَشَاءُ بِغَيَايَتَيْنِ هُمَا لِذَا مِثْلَانِ

٥٥٩٧- هَذَا مِثَالُ الْأَجْرِ وَهُوَ فِعَالُنَا كَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالْإِحْسَانِ

٥٥٩٨- فَالْمَوْتُ يُنْشِئُهُ لَنَا فِي صُورَةِ خَلَاقَةٍ حَتَّى يُرَى بِعِيَانٍ

٥٥٩٩- وَالْمَوْتُ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الْوَحْيِ وَالْمَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم (٨٠٤).

٥٦٠٠- فِي نَفْسِهِ وَبِنَشْأَةِ أُخْرَى بِقُدْرَةِ قَالِبِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ

الشرح

٥٥٩٤- أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ آتَى فِي سُورَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ وَهُمَا: البقرة، وآل عمران.

٥٥٩٥- فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ بَيْنَهَا شَرْقٌ وَمِنْهُ الضَّوْءُ ذُو تَبْيَانٍ

٥٥٩٦- شَبَّهَهُمَا بِغَمَّامَتَيْنِ وَإِنْ تَشَأْ بِغَيَّائَتَيْنِ هُمَا لِذَا مِثْلَانِ

٥٥٩٧- هَذَا مِثَالُ الْأَجْرِ.....

فالمؤلف -رحمه الله- بيّن أن الذي يأتي يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيائتان إنّها هو أجرهما، وليست «البقرة» و«آل عمران»؛ لأنّ البقرة وآل عمران كلام الله عزّ وجلّ، وهو غير مخلوق، وإنّما المراد بذلك الأجر، يأتي يوم القيامة «كأنّهما غمامتان أو غيائتان»^(١) أو كأنّهما فرقان^(٢) من طير صواف^(٣) يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا^(٤).

٥٥٩٧- وَهُوَ فِعَالُنَا كَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالْإِحْسَانِ

يعني: كما أنّ التلاوة فعلنا فما نراه يوم القيامة هو الأجر، واعلم أنّ القراءة

(١) الغيابة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها. انظر: النهاية: غيا.

(٢) أي قطعان. انظر: النهاية: فرق.

(٣) أي باسطات أجنحتها في الطيران، والصواف: جمع صافة. انظر: النهاية: صفف.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم

تشمّل على مقروءٍ وقراءةٍ؛ فأما المقروءُ -وأعني بذلك: القرآن- فهو غيرُ مخلوقٍ، وأما القراءةُ فهي مخلوقةٌ؛ لأنَّ القراءةَ صوتُ القارئِ وفعله، بالحركاتِ تظهرُ الأصواتُ، والصَّوتُ فعلُ الإنسانِ، فيجبُ أن نعرفَ الفرقَ بين اللَّفظِ والملفوظِ، وبين القولِ والمقولِ، وبين القراءةِ والمقروءِ، فما كان وصفًا لنا فهو مخلوقٌ، وما كان من كلامِ الله فهو غيرُ مخلوقٍ، وهذا واضحٌ، والحمدُ لله.

٥٥٩٨- فَالْمَوْتُ يُنْشِئُهُ لَنَا فِي صُورَةٍ خَلْقَةٍ حَتَّى يُرَى بِعَيَانٍ

٥٥٩٩- وَالْمَوْتُ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الْوَحْيِ وَالْمَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ

٥٦٠٠- فِي نَفْسِهِ وَبِنَشْأَةِ أُخْرَى بِقُدْرَةِ قَالِبِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْمَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ» «الْأَلْوَانِ»؛ يعني: الأصنافَ والأنواعَ؛

يعني: يقبلُ أن يكونَ كبشًا، وأن يكونَ جبلًا، وأن يكونَ أيَّ شيءٍ أَرَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فالألوانُ هنا ليست اللَّونَ الأصفرَ أو الأحمرَ أو الأسودَ، لا، بل الألوانُ: الأصنافُ، ومنه قولُ الإمامِ أحمدَ -رحمه اللهُ- فيما رُوِيَ عن الصَّحَابَةِ من قيامِ اللَّيْلِ، قال: «رُوِيَ فِي ذَلِكَ أَلْوَانٌ»؛ يعني: أنواعًا.

٥٦٠١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَلْبِهِ سُبْحَانَهُ الـ أَعْيَانَ مِنْ لَوْنٍ إِلَى أَلْوَانٍ

٥٦٠٢- وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ يَقْبَلُ رَبِّهَا أَعْيَانَهَا وَالْكُلُّ ذُو إِمْكَانٍ

٥٦٠٣- لَمْ يَفْهَمِ الْجُهَّالُ هَذَا كَلَّهُ فَاتَّوَابَتْ أَوِيلاتِ ذِي الْبُطْلَانِ

٥٦٠٤- فَمُكَذَّبٌ وَمُؤَوَّلٌ وَمُحَيَّرٌ مَا ذَاقَ طَعْمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ

- ٥٦٠٥- لَمَّا فَسَّ الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ أَعْمَوْهُ دُونَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ
 ٥٦٠٦- فَتَنَى لَنَا الْعِطْفَيْنِ مِنْهُ تَكْبَرًا وَتَبَخَّرًا فِي حُلَّةِ الْهَدْيَانِ
 ٥٦٠٧- إِنْ قُلْتَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ فَيَقُولُ جَهْلًا أَيْنَ قَوْلُ فُلَانٍ

الشرح

- ٥٦٠١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَلْبِهِ سُبْحَانَهُ ال- أَعْيَانَ مِنْ لَوْنٍ إِلَى أَلْوَانِ
 ٥٦٠٢- وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ يَقْلِبُ رُبَّهَا أَعْيَانَهَا وَالْكَوْلُ ذُو إِمْكَانٍ

بَيِّنَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - أَنَّ الَّذِي يُذْبِحُ هُوَ الْمَوْتُ نَفْسُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَى قَدْرَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْلِبُ الْأَعْمَالَ «الْمَعَانِي» أَجْسَامًا، كَمَا أَنَّهُ رَبُّهَا يُجْعَلُ الْأَعْمَالَ مَعَانِي فَقَطْ.

- ٥٦٠٣- لَمْ يَفْهَمِ الْجُهَّالُ هَذَا كُلَّهُ فَاتَّوَابَتِ أَوْلِيَاتُ ذِي الْبُطْلَانِ
 ٥٦٠٤- فَمَكَذَبَ وَمُؤَوَّلَ وَمُحَرِّفَ مَا ذَاقَ طَعْمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «مُؤَوَّلٌ» الْمَرَادُ بِالتَّأْوِيلِ: التَّحْرِيفُ؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ نَوْعَانِ: تَأْوِيلٌ حَقٌّ؛ وَهُوَ: أَنْ يُفَسِّرَ النَّصَّ بِمَا يَرِيدُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالثَّانِي: تَأْوِيلٌ بَاطِلٌ، وَهَذَا تَحْرِيفٌ؛ وَهَذَا سَمَّى أَهْلُ التَّحْرِيفِ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُؤَوَّلَةِ، تَلْطِيفًا لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّحْرِيفِ، وَإِلَّا فَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُمْ مُحَرِّفَةٌ، فَمَنْ قَالَ: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ أَيْ: اسْتَوَى عَلَيْهِ، لَا نَقُولُ: مُؤَوَّلٌ، بَلْ نَقُولُ: هَذَا مُحَرِّفٌ، لِأَشْكُ فِي هَذَا، وَمَنْ قَالَ: ﴿أَنَّى أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]؛ أَيْ: سَيِّئِي، نَقُولُ: هَذَا مُؤَوَّلٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ يَدُلُّ عَلَى: أَنَّ الْمَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَّى﴾: سَيِّئِي، وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ: ﴿فَإِذَا

قَرَأَتِ الْقُرْآنَ فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ ﴿ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردت أن تقرأ، نقول: هذا صحيح؛ لأنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - إِنَّمَا كَانَ يَتَعَوَّدُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ^(١)، فَصَرَفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ فَهُوَ تَأْوِيلٌ، وَإِنْ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ فَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَإِنْ سَمَّاهُ أَهْلُهُ تَأْوِيلًا.

٥٦٠٥- لَمَّا فَسَا الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ أَعْمَوْهُ دُونَ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

٥٦٠٦- فَثَنَى لَنَا الْعِظْفَيْنِ مِنْهُ تَكْبِيرًا وَتَبَخَّرْنَا فِي حُلَّةِ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «لَمَّا فَسَا الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ أَعْمَوْهُ»؛ يعني: أسمعوه، ولكنه جاء بهذه الصيغة تقييحاً لها، فأسمعوه خلاف الحقِّ فعَمِي، والعياذُ بالله.

٥٦٠٧- إِنْ قُلْتَ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ فَيَقُولُ جَهْلًا أَيْنَ قَوْلُ فُلَانٍ

أعوذُ بالله، يريد أن يقارن قول فلان بقول الله ورسوله.

(١) لعله يعني حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال له: «إذا افتتحت القراءة فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». ذكره السمعاني في تفسيره (٣/٢٠٠).

فصل

فِي أَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا الْكَلَامُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

- ٥٦٠٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانُ فَاغْ
 ٥٦٠٩- وَغِرَاسَهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّ
 ٥٦١٠- تَبًّا لِتَارِكِ غَرَسِهِ مَاذَا الَّذِي
 ٥٦١١- يَا مَنْ يَقْرُبُ بَدَا وَلَا يَسْعَى لَهُ
 ٥٦١٢- أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا
 ٥٦١٣- وَكَذَلِكَ لَوْ عَطَلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا
 ٥٦١٤- مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ
 ٥٦١٥- وَتَأَمَّلِ «الْبَاءَ» الَّتِي قَدْ عَيَّنْتَ
 ٥٦١٦- وَأَظُنُّ «بَاءَ» النَّفْيِ قَدْ غَرَّنَكَ فِي
 ٥٦١٧- لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَاتِ أَصْلًا كَادِحٌ
 ٥٦١٨- وَاللَّهُ مَا بَيْنَ النُّصُوصِ تَعَارُضٌ
 ٥٦١٩- لَكِنَّ «بَا» الْإِثْبَاتِ لِلتَّسْبِيحِ وَ«الـ
 ٥٦٢٠- وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرْقٌ ظَاهِرٌ
- رِسٌ مَا تَشَاءُ بِدَا الزَّمَانِ الْفَانِي
 تَحْمِيدٌ وَالتَّوْحِيدُ لِلرَّحْمَنِ
 قَدْ فَاتَهُ مِنْ مُدَّةِ الْإِمْكَانِ
 بِاللهِ قُلِّ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
 سِ مَا الَّذِي تَحْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ
 تَرْجُو الْمُغَلَّ يَكُونُ كَالْكِيَانِ
 هَذَا فَرَاغِعُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
 سَبَبَ الْفَلَاحِ لِحِكْمَةِ الْفُرْقَانِ
 ذَاكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
 بِالسَّعْيِ مِنْهُ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ
 وَالْكُلُّ مَضْرُوبٌ عَنِ الرَّحْمَنِ
 «بَاءَ» الَّتِي لِلنَّفْيِ بَا الْأَثْمَانِ
 يَدْرِيهِ دُو حَظٌّ مِنَ الْعِرْفَانِ

الشرح

٥٦٠٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانُ فَأَغْرِسْ مَا تَشَاءُ بِذَا الزَّمَانِ الْفَانِي

٥٦٠٩- وَغَرَّاسُهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّوْحِيدُ لِلرَّحْمَنِ

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانٌ^(١)؛ يَعْنِي: خَالِيَةً مِنَ النَّبَاتِ، وَأَنَّ غَرَّاسَهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ قَوْلُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ»، وَالتَّكْبِيرُ قَوْلُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، وَالتَّحْمِيدُ قَوْلُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، وَالتَّوْحِيدُ قَوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَرْبَعُ مَجْمُوعَةً فِي أَحَدِ أَنْوَاعِ الْأَذْكَارِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ مِنْ أَنْوَاعِهِ أَنْ يَقُولَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

٥٦١٠- تَبَّالْتَارِكِ غَرْسِهِ مَاذَا الَّذِي قَدْ فَاتَهُ مِنْ مُدَّةِ الْإِمْكَانِ

٥٦١١- يَا مَنْ يَقْرُبُ بَذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ بِاللَّهِ قُلِّ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

يعني: كيف يجتمع أن تُقَرَّرَ بأنَّ الجنة قيعانٌ وأنَّ غراسها العمل الصالح، ثم لا تسعى لهذا؟! هل هذا ممكن؟

الجواب: لا؛ لأنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَذَا، وَأَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانٌ، وَأَنَّهَا تَحْتَاجُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ يُغْرَسُ فِيهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَغْرَسَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِذَا كُنْتَ مُقَرِّراً بِهَذَا وَلَا تَسْعَى لَهُ، فَإِنَّ عَدَمَ سَعْيِكَ يُكْذِّبُ إِقْرَارَكَ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَقَرَّ بِهَذَا وَأَمَّنَ بِهِ فَلِمَاذَا لَا يَسْعَى؟!

(١) كما في حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَفَرِئُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةٌ التَّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غَرَّاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، رقم (٣٤٦٢).

ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلَيْنِ فَقَالَ:

٥٦١٢- أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا سِ مَّا الَّذِي تَجْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ

٥٦١٣- وَكَذَلِكَ لَوْ عَطَلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا تَرْجُو الْمُغَلَّ يَكُونُ كَالْكِيَانِ

هذان مثلان؛ الأول: «لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا سِ مَّا الَّذِي تَجْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ؟» الجواب: لا شيء.

الثاني: أو «عَطَلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا تَرْجُو الْمُغَلَّ يَكُونُ كَالْكِيَانِ؟» الجواب: لا يمكن، كيف ترجو أن يكون الزرع كالكيان؛ يعني: أكوامًا كثيرةً وأنت لم تبرز؟!!

٥٦١٤- مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ هَذَا فَرَا جِعَ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ هَذَا»؛ يعني: أَنْكَ تُعَطَّلُ، وتترك العمل وتفوز بالجنة، فراجع مقتضى الإيـان.

٥٦١٥- وَتَأَمَّلِ «الْبَاءَ» الَّتِي قَدْ عَيَّنْتَ سَبَبَ الْفَلَاخِ لِحِكْمَةِ الْفُرْقَانِ

٥٦١٦- وَأَظُنُّ «الْبَاءَ» النَّفْسِيَّ قَدْ غَرَّتَكَ فِي ذَاكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ

في القرآن الكريم آياتٌ متعددة؛ منها قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤]، وما أشبه ذلك من الآيات، فَأَثْبَتَتْ أَنَّ الْعَمَلَ يَدْخُلُ الْإِنْسَانَ بِهِ الْجَنَّةَ، ثُمَّ ثَبَتَتْ عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيهَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، فَقِيلَ لَهُ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ

مِنْهُ وَفَضْلٌ»^(١)، فالمهملُ قال: إِذَنْ لَا أَعْمَلُ مَا دَامَ الْعَمَلُ لَا يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُدْخِلُنِي رَحْمَةُ اللَّهِ، إِذَنْ لَا أَعْمَلُ؛ ولهذا قال: «وَأَظَنَّ «بَاءً» النَّفْيِ قَدْ عَرَّثَكَ فِي ذَاكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ»

ما هي «باءُ» النفي؟

الجوابُ: هي الموجودةُ في قوله: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، فغرَّثُهُ، وقال: لا أعملُ، ما دام الأمرُ راجعاً إلى مغفرةِ الله ورحمته فلا حاجةُ إلى العمل، ثم قال مبيناً وموضحاً:

٥٦١٧- لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَاتِ أَصْلًا كَادِحٌ بِالسَّعْيِ مِنْهُ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ
هذا النَّصُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ: أَنَّهُ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ».

٥٦١٨- وَاللَّهُ مَا بَيْنَ النَّصُوصِ تَعَارُضٍ وَالْكُلِّ مَصْدَرُهَا عَنِ الرَّحْمَنِ
قَوْلُهُ: «وَالْكُلُّ مَصْدَرُهَا عَنِ الرَّحْمَنِ» هذه الجملةُ يحتملُ أن تكونَ حاليةً؛ يعني: ليس فيها تعارضٌ، والحالُ أنَّها صادرةٌ من الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ويحتملُ أنَّها استثنائيةٌ؛ يعني: وإذا كان مصدرُها من الرَّحْمَنِ فَإِنَّهَا لَنْ تَتَعَارَضَ.

٥٦١٩- لَكِنَّ «بَاءً» الْإِثْبَاتِ لِلتَّسْبِيبِ وَ«الـ» سَبَاءٌ «الَّتِي لِلنَّفْيِ بِأَلْفِ الْأَمَانِ
٥٦٢٠- وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرْقٌ ظَاهِرٌ يَدْرِيه دُو حَظٍّ مِنَ الْعِرْفَانِ

«باءُ» الْإِثْبَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] لِلتَّسْبِيبِ؛

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم (٦٠٩٨)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، رقم (٢٨١٦).

يعني: أنها باء السببية، و«لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ» للأئمان؛ يعني: لن يكون العمل ثمناً لدخول الجنة؛ ولهذا يسمونها «باء» العوض.

إِذْنُ الْإِبْتِاطِ لِلْسَّبَبِ وَالنَّفْيِ لِلْعَوَضِ، وَحَيْثُ لَا تَعَارِضُ، إِذْنُ الدُّخُولِ لَيْسَ عَوَضًا عَنِ الْعَمَلِ، وَلَكِنْ دَخُولُ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ الْعَمَلِ، كَمَا لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا قَالَ: «أَنَا أُعْطِيكَ جَائِزَةً قَدْرُهَا مِئَةُ أَلْفٍ إِذَا كَتَبْتَ لِي هَذِهِ الْوَرَقَةَ»، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِئَةَ الْأَلْفِ لَا تَقَابِلُ كِتَابَةَ الْوَرَقَةِ، لَكِنْ هُوَ جَعَلَ ذَلِكَ سَبَبًا؛ أَي: إِنَّكَ إِذَا كَتَبْتَ هَذِهِ الْوَرَقَةَ فَقَدْ امْتَثَلْتَ أَمْرِي وَرَجَوْتَ ثَوَابِي، فَأَنَا أُعْطِيكَ هَذَا الثَّوَابَ، وَفَرَقٌ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ.

فصل

في إقامة المآتم على المتخلفين عن رفقة السابقين

- ٥٦٢١- بِاللّٰهِ مَا عُدْرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
 ٥٦٢٢- بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَإِذَا اسْتَفَا قَ قَلْبُسُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسْلَانِ
 ٥٦٢٣- تَاللّٰهِ لَوْ شَاقَتَكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ مِ طَلَبَتَهَا بِنَقَائِسِ الْأَثْمَانِ
 ٥٦٢٤- وَسَعَيْتَ جُهْدَكَ فِي وَصَالِ نَوَاعِمِ وَكَوَاعِبِ بِيضِ الْوُجُوهِ حَسَانِ
 ٥٦٢٥- جُلَيْتَ عَلَيْكَ عَرَائِيسُ وَاللّٰهُ لَوْ نُجَلَى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصَّوَّانِ
 ٥٦٢٦- رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لَوْقَتِهِ يَنْهَالُ مِثْلَ نَقْيِ مِنَ الْكُثْبَانِ
 ٥٦٢٧- لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَاَزَ حَدِّ دَ الصَّخْرِ وَالْحَضْبَاءِ فِي أَشْجَانِ
 ٥٦٢٨- لَوْ هَزَكَ الشُّوقُ الْمُقِيمُ وَكُنْتَ ذَا حِسِّ لَمَا اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَدْوَانِ
 ٥٦٢٩- أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةَ قَلْبِ بٍ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ لِهَذَا الشَّانِ
 ٥٦٣٠- خَوْدٌ تُزَفُّ إِلَى صَرِيرٍ مُقْعَدِ يَا مِحْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
 ٥٦٣١- شَمْسٌ لِعَيْنَيْنِ تُزَفُّ إِلَيْهِ مَا ذَا حِيلَةَ الْعَيْنَيْنِ فِي الْغَشْيَانِ

الشرح

قوله: «فصل في إقامة المآتم على المتخلفين عن رفقة السابقين» ليس معنى

ذلك أنه جائز أن يُقيّم الإنسان الماتَم عند الأحزان، لكن هذا بيانٌ للواقع أن النَّاسَ عند الأحزان يُقيّمون الماتَم، لكن شرعاً لا؛ لأنَّ الواجب الصَّبْرُ وعدمُ إظهارِ ما يدلُّ على التَّسَخُّطِ.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ لَوْ تَجَلَّى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصَّوَّانِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ ..» هذا من المبالغة من الشَّيْخِ رحمه الله، يقول: لو أنَّ هذه الحورَ زُفَّتْ إلى صخرٍ من الصَّوَّانِ «الحجرُ الصَّلْبُ»، لَرَقَّتْ حَوَاشِيهِ؛ يعني: صارت رقيقةً مثل الرَّمْلِ، ولكنَّ هذا من بابِ المبالغة في ضربِ الأمثالِ حتَّى يعرفَ الإنسانُ موضعَ قلبِهِ الذي زُفَّتْ إليه هذه العرائسُ، هل يلينُ قلبُهُ في الوصولِ إليها حتَّى يؤمنَ؟ جعلنا الله وإياكم من هؤلاء.

قَوْلُهُ: «شَمْسٌ لِعَيْنَيْنِ تُزَفُّ إِلَيْهِ...» الشَّمْسُ من جمالها وحُسنها ونورها تُزَفُّ إلى عَيْنَيْنِ؛ والعَيْنُ هو: الذي لا يستطيعُ الجماعُ؛ ولهذا قال: «مَا حِيلَةُ الْعَيْنَيْنِ فِي الْغُشْيَانِ؟»، الجوابُ: ليس له حيلةٌ.

- ٥٦٣٢- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ
- ٥٦٣٣- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا ائْتَانِ
- ٥٦٣٤- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَنْ ذَا كُفُوْهَا إِلَّا أَوْلُو التَّقْوَى مَعَ الْإِيمَانِ
- ٥٦٣٥- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقُكَ كَاسِدٌ بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ
- ٥٦٣٦- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمُشْتَرِي فَلَقَدْ عَرَضَتْ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
- ٥٦٣٧- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانِ

- ٥٦٣٨- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصَبَّرُ الـ حُطَّابٍ عَنْكَ وَهُمْ ذُووِ إِيْمَانٍ
- ٥٦٣٩- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
- ٥٦٤٠- مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي
- ٥٦٤١- لَكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ لِيَصَدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلَ الْمُتَوَانِي
- ٥٦٤٢- وَتَنَالَهَا الْهَمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى رُتَبِ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

٥٦٣٢- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ

وهذا صحيح، والله غالية على الكسلان، وأما على ذي الهمة فرخيصة؛ لأن العمل إلى الجنة أرخص من العمل إلى الدنيا وأسهل؛ فمثلاً: سُبْحَانَ اللَّهِ، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كم فيها من غراسٍ؟ الجواب: أربعة بدون تعب ولا مشقة، وفي مكان دائم، لكن في الدنيا اغرس أربع شجرات، تجد التعب في تحصيلها وغرسها وسقيها وملاحظتها.

فهي -والله- ليست رخيصة إلا على رجل كسلان، وربما نقول: إنها عند ذي الهمة فهي رخيصة؛ بمعنى أنها سهلة عليه، وليست رخيصة؛ يعني: لا قيمة لها عنده أبداً.

٥٦٣٣- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا ائْتِنَانِ

هذا جاء به الحديث: يقول الله عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ:

مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ»^(١)، فلا ينال الجنة من بني آدم إلا واحدٌ في الألف.

٥٦٣٤- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَنْ ذَا كَفُّوْهَا إِلَّا أَوْلُو التَّقْوَى مَعَ الْإِيْمَانِ
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

٥٦٣٥- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقِكَ كَاسِدٌ بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ» هذا صحيح؛ لأن الله تعالى وَصَفَ الْكَافِرِينَ بِأَتْمِهِمْ ﴿كَأَلَانَعِمٌ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]؛ أي: شرٌّ مِنْ بَرٍّ أَلَّهِ، فَالْكَفَّارُ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ سِفْلَةُ الْحَيَوَانِ، وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ فِي قِمَمِ الْمَعَالِي، فَهَمُ وَاللَّهُ تَحْتَ الْأَقْدَامِ، بَلْ إِنْ أَتْبَاعَهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]، اللَّهُمَّ اهْدِنَا يَا رَبُّ.

٥٦٣٦- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيَّنَ الْمُشْتَرِي فَلَقَدْ عَرِضَتْ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ

٥٦٣٧- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانٍ

ما هو المهر؟ الجواب: ما سبق؛ وهو: الإيْمَانُ وَالتَّقْوَى، وَمَعَ ذَلِكَ هَذَا الْمَهْرُ مَهْرٌ لِسِلْعَةِ الرَّحْمَنِ - اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مُشْتَرِيهَا - وَمَهْرٌ لِسِلْعَةِ الدُّنْيَا، حَتَّى الدُّنْيَا الْآنَ لَا تَجِدُ أَحَدًا أَطْيَبَ قَلْبًا، وَلَا أَحْسَنَ بَالًا مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى.

٥٦٣٨- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصَبَّرُ الْخُطَّابِ عَنْكَ وَهُمْ ذَوُو إِيمَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيْمَانِ، باب قوله: «يقول الله لأدم أخرج بعث النار»، رقم (٢٢٢).

٥٦٣٩- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهُمَا حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
٥٦٤٠- مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي

أشار هنا إلى معنى جليل جداً؛ وهو أن الجنة حُفَّتْ بالمكاره، لماذا؟ يقول:
لولا هذا ما كان للنار أهل؛ يعني: لو كانت الجنة محفوفةً بالشهوات كالنار ما بقي أحدٌ للنار، وقد أشار الله لهذا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مَخْلَفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَزَحَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ [هود: ١١٨]، فَحُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ
ينالها إِلَّا مَنْ تَجَشَّمَ هَذِهِ الْمَكَارِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] بلا أحد؛ ولهذا تجد المؤمن يكابدُ أشياء، وهذه الأشياء ليست سهلة، فهو يكابدُ نفسه، يصبرُ على الوضوء في المكاره، على الإتيان للمساجد، يصبرُ على ما يناله من أذى الناس، يصبرُ على ما يناله من تعب في العبادة أحياناً، فتجده يُصابِرُ، يصبرُ على كبح نفسه عن شهواتها، ليست المسألة هيئة؛ ولذلك كانت الجنة محفوفةً بالمكاره، ولكنها كما قال ابن القيم عدة مرات: «مَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي»، كُلُّ الْعَمْرِ الَّذِي مَضَى قَبْلَ سَاعَتِنَا هَذِهِ كَأَنَّهُ سَاعَةٌ، كَأَنَّا لَمْ نَعِشْ فِيهِ، فَهِيَ أَيَّامٌ يَسِيرَةٌ ثُمَّ ارْتِحَالٌ، وَيَنْقُضِي زَمَنُ الْعَمَلِ إِلَى زَمَنِ الْجَزَاءِ، وَلَكِنْ اصْبِرْ، وَصَابِرٌ حَتَّى تَنَالَ مَا يَنَالُهُ الصَّابِرُونَ ﴿إِنَّمَا يُوقِ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ، انظُرْ إِلَى آبَائِكَ، انظُرْ إِلَى إِخْوَانِكَ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُ مِنْكَ، انظُرْ إِلَى أَقْرَانِكَ، انظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، كُلُّهُمْ رَحَلُوا عَنِ الدُّنْيَا وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا فِيهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

بَيْنَا يَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يَرَى خَبْرًا مِنْ الْأَخْبَارِ (١)

(١) البيت لابن الحسن التهامي يرثي ولده، كما في نفع الأزهار في منتخبات الأشعار، لشاكر البتلوني (ص: ١٠٣).

وما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي، هذه المكارهُ اصبرِ عليها، اصبرِ على كبح نفسك عن شهواتها، اصبرِ على الواجبات التي أمرك الله بها، اصبرِ على البلايا التي تصيبك من نفسك، أو من الله عزَّ وجلَّ، أو من النَّاسِ، اصبرِ حتى تنالَ دَارَ الرَّاحَةِ، نسألُ اللهَ أن يكتبَ لنا ولكم هذه الدَّارَ.

٥٦٤١- لِكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ لِيُصَدَّ عَنْهَا الْمُبْطَلُ الْمُتَوَانِي

٥٦٤٢- وَتَنَالُهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى رُتَبِ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

إذا قال: «تَسْمُو إِلَيْهَا الْهِمَمُ» قَيَّدَ ذلك بمشيئة الرَّحْمَنِ، مشيئة الرَّحْمَنِ ليست مشيئةً مجردةً، بل هي مشيئةٌ مَبْنِيَّةٌ على الحكمة، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿التكوير: ٢٧-٢٨﴾، وقال تعالى في آخر سورة «الإنسان»: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿[الإنسان: ٣٠]﴾، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿[الأنفال: ٢٣]﴾، فلهذا قَيَّدَ المؤلِّفُ -رحمه الله- ذلك بمشيئة الرَّحْمَنِ، نسألُ اللهَ أن يشاءَ لنا ولكم ما فيه الخيرُ والصَّلاحُ.

٥٦٤٣- فَانْتَعَبَ لِيَوْمِ مَعَادِكَ الْأَذْنَى تَجِدُ رَاحَتِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

٥٦٤٤- وَإِذَا أَبَتْ ذَا الشَّانِ نَفْسُكَ فَاتَّهِمِهَا ثُمَّ رَاجِعْ مَطْلَعَ الْإِيمَانِ

٥٦٤٥- فَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ بَعْدُ وَصَبْحَهُ مَا انْشَقَّ عَنْهُ عَمُودُهُ لِأَذَانِ

٥٦٤٦- وَالنَّاسُ قَدْ صَلَّوْا صَلَاةَ الصُّبْحِ وَإِنْ تَحَظَّرُوا طُلُوعَ الشَّمْسِ قُرْبَ زَمَانِ

- ٥٦٤٧- فَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَا
 شَدَّ رَبِّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ
 ٥٦٤٨- وَاسْأَلْهُ إِيْمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبَكَ الْ-
 مَحْجُوبَ عَنْهُ لِتَنْظُرَ الْعَيْنَانِ
 ٥٦٤٩- وَاسْأَلْهُ نُورًا هَادِيًا يَهْدِيكَ فِي
 طُرُقِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ كُلِّ أَوَانٍ
 ٥٦٥٠- وَاللَّهُ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَايْتِمَنَّا
 لَعَلِّي طَرِيقَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
 ٥٦٥١- لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ
 تَحْكَيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 ٥٦٥٢- وَرِضًا بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرِصَهَا
 لَا كَانَ ذَلِكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ٥٦٤٣- فَاتَّعَبَ لِيَوْمِ مَعَادِكَ الْأَذْنَى تَجِدُ
 رَاحَاتِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي
 ٥٦٤٤- وَإِذَا أَبَتْ ذَا الشَّانِ نَفْسُكَ فَاتِّمَنَّا
 هَاهُنَا ثُمَّ رَاجِعَ مَطْلَعِ الْإِيْمَانِ
 ٥٦٤٥- فَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ بَعْدَ وَصْبَحِهِ
 مَا انْشَقَّ عَنْهُ عَمُودُهُ لِأَذَانِ
 ٥٦٤٦- وَالنَّاسُ قَدْ صَلَّوْا صَلَاةَ الصُّبْحِ وَإِنَّا
 تَنْظُرُوا طُلُوعَ الشَّمْسِ قُرْبَ زَمَانِ
 ٥٦٤٧- فَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَا
 شَدَّ رَبِّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ
 ٥٦٤٨- وَاسْأَلْهُ إِيْمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبَكَ الْ-
 مَحْجُوبَ عَنْهُ لِتَنْظُرَ الْعَيْنَانِ
 ٥٦٤٩- وَاسْأَلْهُ نُورًا هَادِيًا يَهْدِيكَ فِي
 طُرُقِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ كُلِّ أَوَانٍ
- قَوْلُهُ: «فَنَاشِدُ رَبِّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ»، «الْمَعْرُوفَ» صِفَةٌ لـ«رَبِّ»،

وليست مفعول «نَاشِدُ».

والله هذه أبياتٌ عظيمةٌ، إذا رأيتَ من نفسك التَّخَلُّفَ وَأَبْتُ نَفْسِكَ أَنْ تُعَانِقَ مَنْ وَفَّقُوا لِلْخَيْرِ وَرَأَوْا أَنْوَارَ الصَّبَاحِ فاعلم بأنَّ العينَ قد عَمِيَتْ، فَنَاشِدُ رَبَّكَ المعروفَ بالإحسانِ؛ يعني: الذي عُرِفَ بالإحسانِ عَزَّ وَجَلَّ، واسأله إيمانًا يُبَاشِرُ قَلْبَكَ المحجوبَ عنه لتنظر العينان؛ أي: أسأله إيمانًا يباشِرُ القلبَ؛ لأنَّ هذا هو النَّافِعُ، أمَّا الإيْمَانُ الذي لا يتجاوزُ الحناجرَ فليس بإيمانٍ، الإيْمَانُ هو الذي يُبَاشِرُ القلبَ مُباشرةً، فإذا رأيتَ من نفسك أنَّ الإيْمَانَ لم يُباشِرْ قَلْبَكَ فعليك باللُّجُوءِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، أسأله وأنت ساجدٌ في آخِرِ اللَّيْلِ، أسأله بين الأذانِ والإقامةِ، أسأله في أوقاتِ الإجابةِ أن يَمُنَّ عليك بإيمانٍ يُبَاشِرُ قَلْبَكَ ويحيي به قَلْبَكَ، هذا هو المقصودُ.

الإيْمَانُ الذي لا يتجاوزُ الحناجرَ كُلُّ يَدْرُكُهُ حَتَّى الْمُنَافِقِ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ولكن الإيْمَانَ الذي يباشِرُ القلبَ ويصلُ إلى القلبِ حَتَّى يكونَ بينه وبين الله سببٌ، هذا هو الذي يَنْفَعُ، فإذا لم تجد نفسك على هذا الوجهِ فَاتَّهَمُها، وَمَنْ الذي يهْدِيكَ من ضلالِكَ؟ الجوابُ: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ارجع إلى الله، لا تيأس، لا تقل: دَعَوْتُ، ولم أجد إيمانًا، ولم أجد خشوعًا، ولم أجد يقينًا، لا تَيْئَسْ، كَرَّرَ سؤَالَ اللهِ، كَرَّرَ، «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّعَاءِ»^(١)، رَبِّمَا يكونُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قد منعك أوَّلَ مَرَّةٍ لمصلحتِكَ حَتَّى يعلمَ عَزَّ وَجَلَّ صدقَكَ في الطَّلَبِ؛ لأنَّ الصَّادِقَ في الطَّلَبِ يُلْحَقُ، وإذا تأخَّرَ أَلْحَ، وإذا عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ منك صدقَ النِّيَّةِ فهو والله أكرمُ منك، أنت تسأله لتلجأَ إليه وتتعرفَ به رَبًّا، فهو أكرمُ منك، لكن لا تُلْحِقْ نَفْسَكَ اليأسَ أبدًا، لا تقل: أنا والله دَعَوْتُ لكن ما وجدتُ الإيْمَانَ، كما يشكو بهذا كثيرٌ من النَّاسِ الآن.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيْمَانِ (٢/٣٨، رقم ١١٠٨).

كثيرٌ من النَّاسِ يَتَّصِلُونَ بنا: ما وجدتُ الإيمانَ، ما بَاشَرَ الإيمانُ قلبي، ما وَجَدْتُ طَعْمَهُ، الجأ إلى الله، وأكثر من الذكر، أكثر من الصَّلَاةِ، أكثر من قراءة القرآن، أكثر من فعلِ الخيرِ والإحسانِ لإخوانك، تجد هذا، أمَّا كونُ الإنسانِ يريدُ أن يأتيه الشَّيْءُ بدونِ تعبٍ فهذا لا يمكنُ.

اسألوا الله عزَّ وجلَّ، ولا تياسوا من رحمةِ الله؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَكْرَمُ مِنَّا، «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ شَبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَاهُ يَمْشِي أَتَاهُ هَرْوَلَةً»^(١)، فهو أسرعُ إلى عبده من عبده إليه، ولكنَّ المسألةَ تحتاجُ إلى المصابرةِ، وإلى انتظارِ الفرجِ، وإلى عدمِ اليأسِ من رحمةِ الله عزَّ وجلَّ.

٥٦٥٠- وَاللهَ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى طَرِيقِ العَفْوِ وَالغُفْرَانِ

نعم، الذُّنُوبُ سهلةٌ بالنسبةِ لما هو أعظمُ منها ممَّا يذكره المؤلفُ؛ لأنَّها على طريقِ العفوِ والغفرانِ من الله مِنَّةٌ وتفضُّلاً، فالذُّنُوبُ -والحمدُ لله- ما عدا الشُّرْكَ بين خوفٍ ورجاءٍ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، قد يَمُنُّ اللهُ عزَّ وجلَّ على الإنسانِ بكلمةٍ واحدةٍ من رضاه يبلغُ بها رضاه، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ﴾ [هود: ١١٤]، امرأةٌ دخلت الجنةَ وغُفِرَ لها حيث سَقَتْ كَلْبًا يلهثُ من العطشِ^(٢)، فعَلَّ يسيرُ، فالذُّنُوبُ في الحقيقةِ كما قال

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى رقم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، رقم (٣١٤٣)، ومسلم: كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، رقم (٢٢٤٥).

المؤلف: «عَلَى طَرِيقِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ»، فهي بين عفوٍ في تركٍ واجبٍ، أو غفرانٍ في فعلٍ مُحَرَّمٍ، لكن الخوفُ الذي يُحْشَى منه هو ارتفاعُ الإيمانِ من القلبِ، هذا هو الذي يُحْشَى منه كثيرًا، ويجبُ أن يكونَ الإنسانُ منه على حذرٍ، أجازنا الله وإياكم من ذلك، هذا هو الذي يجبُ أن تحذره أن يرتفعَ الإيمانُ من قلبك، فهذا هو الذي نسألُ الله أن يجعله عنا وعنكم، وأن يبعده عنا وعنكم.

٥٦٥١- لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ» يحتتملُ أن يكونَ عطفَ مرادفٍ على مرادفه؛ كقول
الشاعرِ:

فَأَلْقَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا^(١)

ويحتتملُ أن يريدَ بالوحيِ السُّنَّةَ؛ لأنَّها الوحيُّ الثاني، ويكونُ القرآنُ هو كلامَ الله عزَّ وجلَّ، وأُيِّها أولى إذا دار الأمرُ بين كَوْنِ الكلامِ مؤسَّسًا أو مؤكَّدًا؟ الجوابُ: الأوَّلُ؛ لأنَّنا إذا حملناه على التأسيسِ لم يكن هناك تكرارًا، وإذا حملناه على التوكيدِ صار هناك تكرارًا.

هذا أيضًا ممَّا يُحْشَى منه خشيةٌ عظيمةٌ؛ لأنَّ الذي لا يُحْكَمُ القرآنَ منسلخٌ خارجٌ من الإيمانِ، ولو صَلَّى وَصَامَ وَزَكَّى وَفَعَلَ كُلَّ الطَّاعَاتِ وهو لا يُحْكَمُ القرآنَ فإنه كافرٌ مرتدٌّ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ ولهذا قال: «لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ».

(١) هذا عجز بيت لعدي بن زيد العبادي، كما في المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم الزمخشري (١/٢٤٣)، وصدرة: فَقَدَّتْ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ

٥٦٥٢- وَرِضًا بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرَصَهَا لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَرِضًا بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرَصَهَا»؛ يعني: الآراء المبنية على الخرص والتخمين، لا على الحكمة واليقين.

قَوْلُهُ: «لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ» هذه الجملة دعائية، يقول: أسأل الله ألا يكون ذلك بمنته.

وقَوْلُهُ: «لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ» «لَا كَانَ ذَاكَ» بنفسه أو بنفسه هو وإخوانه؟ الجواب: العموم أولى، فهو يسأل الله تعالى ألا يكون هذا في قلبه ولا في قلب إخوانه، وهو الإعراض عن الكتاب والسنة وتحكيم آراء الرجال.

قد يقول قائل: إن الإنسان قد يُعرض عن تحكيم القرآن ولا يُحكّم آراء الرجال، فنقول: هذا محال، لا بُدّ للإنسان من طريق، فإمّا طريق خير وإمّا طريق شر؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الْضَلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، وجاء في الحديث: «أَصْدَقُهَا -أي: الأسماء- حَارِثٌ وَهَمَامٌ»^(١)؛ لأنّ كلّ إنسان له همّة وله عمل، فإذا أعرّض عن تحكيم القرآن فلا بُدّ أن يمشي على طريق، إلى أين يذهب إذا ترك القرآن؟ إلى هوى نفسه أو إلى آراء غيره.

وإذا نظرنا إلى بعض الحكّام اليوم في الدول الإسلامية وجدنا أنّ هذا الوصف ينطبق عليهم تمامًا، فقد أعرضوا عن تحكيم القرآن وحكموا بآراء الرجال، ومن الرجال الذين حكموا بآرائهم؟ الجواب: كُفَّارٌ، قد نقول: إنّ هذا الذي حكموا به في زمانهم ومكانهم وأمّتهم مناسب، لكن هل يبقى مناسبًا للأمم

(١) أخرجه أحمد (٣١/٣٧٧، رقم ١٩٠٣٢). وأبو داود: كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم

في كُلِّ زمانٍ وفي كُلِّ مكانٍ؟ الجواب: أبدًا، لا يمكن، إلا كلامَ الله عزَّ وجلَّ، وكلامَ رسوله، فهو صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وأُمَّةٍ، لكن هذه القوانينُ المستوردةُ من الشَّرْقِ أو من الغربِ كُلُّها من وضعِ الرِّجالِ في وقتٍ قد يكونُ مناسبًا وقد يكونُ غيرَ مناسبٍ أيضًا، حتَّى وضعها في زمانهم ومكانهم وأُممهم قد يكونُ غيرَ مناسبٍ؛ لأنَّهم غيرُ معصومين ولا مُدْرِكِينَ لكلِّ الأمورِ والمشاكلِ، ومع ذلك يأتي هؤلاء الجُهَّالُ فيتلقَّفون هذه القوانينَ ويُطبِّقونها على شعبٍ مسلمٍ يتناقضُ غايةَ التَّنَاقُضِ مع الأُممِ التي سُنَّتْ فيها هذه القوانينُ، وهذا من جهلهم، نسألُ اللهَ أن يهديهم صراطه المستقيمَ، وأن يوليَّ على المسلمين خيارهم.

فالقلبُ إذا انسَلَخَ -والعياذُ بالله- من تحكيمِ القرآنِ والسُّنَّةِ صارَ القرآنُ في نظره أساطيرَ الأوَّلِينَ، وصارت السُّنَّةُ بنظره آراءَ الرِّجالِ والعياذُ بالله، وصارت الشَّرِيعَةُ في نظره شريعةَ عصرٍ مَضَى، كما هو موجودٌ الآن في كثيرٍ من الأُممِ الإسلاميَّةِ يَدْعُونَ القرآنَ والسُّنَّةَ ويحكمون بآراءِ الخلقِ، مع أن آراءَ الخلقِ قاصرةٌ؛ أوَّلاً: لأنَّ المخلوقَ لا يمكنُ أن يُحِيطَ بكلِّ مصالحِ الخلقِ لا زمانًا ولا مكانًا.

ثانيًا: لو فُرِضَ أَنَّهُ أَحَاطَ فَإِنَّهُ يَحِيطُ بِمَحِيطِهِ فَقَطْ، فَيَمَنُ حَوْلَهُ، لَكِنْ مَنْ كَانُوا بَعِيدِينَ عَنْهُ أَوْ إِذَا تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ هَلْ يُدْرِكُ مَا يَصْلِحُ النَّاسَ؟ أَبَدًا؛ وَلِذَلِكَ لَا شَكَّ فِي ضَلَالِ هَؤُلَاءِ فِي دِينِهِمُ الَّذِينَ يُحَكِّمُونَ قَوَانِينِ وَضَعَهَا الْفَرَنْسِيُّونَ أَوْ الْإِنْجِلِيزِيُّونَ أَوْ الْأَمْرِيكَانُ أَوْ الْأُمَّمُ الْمُتَّحِدَةُ، وَيَدْعُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، مِنْ قَوَانِينِ الْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ -لَا أَقَامَ اللَّهُ لَهَا قَانُونَهَا- أَنَّ الْإِنْسَانَ حُرٌّ فِي رَأْيِهِ، حُرٌّ فِي عَقِيدَتِهِ، حُرٌّ فِي خُلُقِهِ، حُرٌّ فِي عَمَلِهِ، يَكْفُرُ يَكْفُرُ، يَقُولُ مَا شَاءَ، يَقُولُ مَا شَاءَ، وَلَا أَحَدٌ يَتَعَرَّضُ لَهُ، يَفْجُرُ وَيَكُونُ عَاهِرًا، وَلَا أَحَدٌ يَتَعَرَّضُ لَهُ.

والعجائبُ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ حَقُوقَ الْإِنْسَانِ، وَسَبَّحَانَ اللَّهِ هَذَا الَّذِي أَقُولُهُ الْآنَ سَمِعْتُهُ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ إِذَاعَةِ لَنْدُنْ، فَقَدْ ذَكَرْتُ مَعَاهِدَةَ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ؛ مِنْهَا هَذَا الْبَنْدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ حُرٌّ وَلَا أَحَدٌ يَتَعَرَّضُ لَهُ، يَكْفُرُ، يُشْرِكُ، يَزْنِي، يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَلَا أَحَدٌ يَتَعَرَّضُ لَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ حُرِيَّةُ الْإِنْسَانِ، أَيُّ فَوْضَى وَأَيُّ فَسَادٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؟! فَيَقُولُ الْمَوْلُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَخْشَى أَنْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ».

كَذَلِكَ أَيْضًا أَهْلُ الْكَلَامِ فِي الْعَقَائِدِ تَرَكَوْا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَالُوا: إِنَّ الْيَقِينَ لَا يَحْصُلُ بِالْقُرْآنِ وَلَا بِالسُّنَّةِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ عَقِيدَةٍ، مِنْ أَيْنَ نَأْخُذُهَا؟ قَالُوا: مِنَ الْفَلَسْفَةِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ وَأَرَآءِ الرِّجَالِ، أَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ يَفِيدُ الْيَقِينَ فِي ثُبُوتِهِ فَإِنَّهُ لَا يَفِيدُ الْيَقِينَ فِي دَلَالَتِهِ، يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ لَيْسَ عِنْدَنَا إِشْكَالٌ فِي ثُبُوتِهِ وَهُوَ مَتَيِّقٌ مُتَوَاتِرٌ غَايَةَ التَّوَاتُرِ، لَكِنْ لَا يَفِيدُ الْيَقِينَ فِي دَلَالَتِهِ، وَأَمَّا السُّنَّةُ فَقَالُوا:

أَوَّلًا: نَنْظُرُ هَلْ تَفِيدُ الْيَقِينَ فِي ثُبُوتِهَا أَوْ لَا؟ يَقُولُونَ: الْمَتَوَاتِرُ يَفِيدُ الْيَقِينَ، وَأَمَّا الْآحَادُ أَضْرَبُوا بِهِ عَرَضَ الْحَائِطِ، لَا تَقْبَلُوهُ فِي الْعَقَائِدِ، ثُمَّ الْمَتَوَاتِرُ مَتَيِّقٌ الثُّبُوتِ لَكِنْ هَلْ هُوَ مَتَيِّقٌ الدَّلَالَةِ؟ يَقُولُونَ فِيهِ مِثْلَ الْقُرْآنِ، لَيْسَ مَتَيِّقٌ الدَّلَالَةِ، إِذَنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفِيدَ الْقُرْآنُ وَلَا السُّنَّةُ الْيَقِينَ فِي جَانِبِ الْعَقَائِدِ، وَتَكُونُ كُلُّ الْعَقَائِدِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مَبْنِيَّةً عَلَى ظَنْ، إِذَنْ إِلَى أَيْنَ نَرْجِعُ إِذَا لَمْ نَسْتَفِدِ الْيَقِينَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟ إِلَى الْعُقُولِ، الْعُقُولِ الْمَتَنَاحِرَةِ الْمَخْتَلِفَةِ؟! كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُضَلُّ الْآخَرَ، بَلِ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ يَتَنَاقِضُ فِي مَوْلَفَاتِهِ فِي أَوَّلِ عَمْرِهِ وَفِي آخِرِ عَمْرِهِ، فَكَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ شَيْءٍ يُوزَنُ

الكتاب والسُّنَّة؟»^(١) بعقلٍ زِيدٍ أو بعقلٍ عبيدٍ؟ وقال الإمام مالك: «أفكلَّمَّا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكَنَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ لِقَوْلِ هَذَا الْمَجَادِلِ؟!»^(٢)، هل هذا لائقٌ؟! الجواب: لا.

إِذَنْ الَّذِي يُجَافُ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ: «لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكَيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ وَرِضَا بَأْرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرْصِهَا».

- ٥٦٥٣- فَبِأَيِّ وَجْهِهِ أَلْتَقِيَ رَبِّي إِذَا
أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانٍ
- ٥٦٥٤- وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لِأَجْلِهِ
عَزْلًا حَقِيقِيًّا بِبَلَاكِتْمَانٍ
- ٥٦٥٥- صَرَخْتُ أَنْ يَقِينَنَا لَا يُسْتَفَا
دُبِهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ إِنْقَانٍ
- ٥٦٥٦- أَوْلَيْتُهُ هَجْرًا وَتَأْوِيلًا وَتَحْمًا
رِيفًا وَتَفْوِيضًا بِبَلَا بُرْهَانٍ
- ٥٦٥٧- وَسَعَيْتُ جُهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُنْسِكٍ
بِعُرَاهُ لَا تَقْلِيدَ رَأْيِي فُلَانٍ

الشرح

- ٥٦٥٣- فَبِأَيِّ وَجْهِهِ أَلْتَقِيَ رَبِّي إِذَا
أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانٍ
- ٥٦٥٤- وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لِأَجْلِهِ
عَزْلًا حَقِيقِيًّا بِبَلَاكِتْمَانٍ
- بأي شيء؟ بالإيمان أو بالكفر؟ الجواب: بالكفر.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥ / ٢٩).

(٢) انظر: المصدر السابق.

٥٦٥٥- صَرَّحْتُ أَنَّ يَقِينَنَا لَا يُسْتَفَا دُبِهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ إِنْقَانِ

٥٦٥٦- أَوْلَيْتُهُ هَجْرًا وَتَأْوِيلًا وَتَحْ رِيْفًا وَتَفْوِيْضًا بِلَا بُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «وَتَفْوِيْضًا بِلَا بُرْهَانَ»؛ أَي: بلا دليل.

وَقَوْلُهُ: «بِلَا بُرْهَانَ» لا يعني أَنَّ هناك تفويضًا ببرهانٍ، لكن هذا كقولهِ تعالى: ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، فهو بيان للواقع، وَأَنَّ كُلَّ تفويضٍ لا دليل عليه.

يشيرُ -رحمه الله- إلى طريق أهل الكلام في آيات الصفات وأحاديثها، هذه طريقٌ، منهم مَنْ يهجرها ولا يلتفت إليها، ويقول: اسكت، لا تتكلم، ولا بمعانيها، ومنهم مَنْ يؤوِّلها، ولكنه تأويل تحريفٍ، ومنهم مَنْ يُفَوِّضُ المعاني، فهذا لا يسكت، لكنه يقول: هذه الله أعلم بمرادها، ولا أعلم ماذا أراد.

واعلم أَنَّ بعض العلماء -رحمهم الله- من المحققين يظنون أَنَّ مذهب أهل السنة والجماعة هو التفويض في آيات الصفات وأحاديثها؛ أَي: تفويض المعنى؛ بمعنى: أَنَّك إذا سألت الرَّجُلَ من أهل السنة والجماعة: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؟ قال: الله أعلم بما أراد، ما تقول في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؟ قال: الله أعلم بما أراد، يظنون أَنَّ هذا مذهب السلف، وهذا إمَّا كذبٌ وإمَّا جهلٌ، إن كان الإنسان يعلم أَنَّ مذهبهم خلاف ذلك فهو كاذبٌ، وإن كان لا يدري فهو جاهلٌ؛ ولهذا كان السلفُ مجتمعين على أَنَّها معلومة المعنى، أجمعوا على قولهم: «أمرؤها كما جاءت بلا كيف»^(١)؛

(١) أخرجه الأجرى في الشريعة (٣/١١٤٦، رقم ٧٢٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٥٨٢، رقم ٩٣٠).

يعني: آيات الصفات وأحاديثها، إذا أمرزناها كما جاءت فهل هي ألفاظٌ جوفاءٌ ليس لها معنى؟ الجواب: لها معنى، إذن قولهم: «أمرؤها كما جاءت»؛ يعني: أثبتوا معناها، ولا تفوضوا.

أيضاً وجهٌ آخرٌ في هذه الجملة: «بلا كيف»؛ لأن نفي الكيف يدل على وجود الأصل، ولو لم يكن الأصل موجوداً لكان قولهم: «بلا كيف» لغواً لا فائدة منه، فأهل السنة مطبقون على أنهم لا يفوضون المعنى؛ بل يثبتونه، ولهم عليه شروحٌ وتقسيماتٌ، يُقسّمون العزّة إلى أقسام، والعلو إلى أقسام، والنظر إلى أقسام، والكلام إلى أقسام؛ كلام رضاء، وكلام غضب، وما أشبه ذلك، لكنهم يفوضون شيئاً واحداً وهو الكيفية، فالكيفية لا يتعرّضون لها، ولا يسألون عنها، ولا يجيبون عنها، وينكرون على من سأل عنها، وسواء كانت الكيفية في الصفة أو في العدد، فمن قال مثلاً: كم أصابع الله؟ ننكرُ عليه، ونقول له: ليس لك حق أن تسأل هذا السؤال، أثبت ما جاء في الكتاب والسنة من العدد، ولكن لا تسأل عن غيره، ومن سأل عن كيفية وجهه أنكرنا عليه؛ لأن هذا ليس معلوماً لنا.

٥٦٥٧- وَسَعَيْتُ جُهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُمَسِّكِ بِعُرَاهُ لَا تَقْلِيدَ رَأْيِي فُلَانٍ

قوله: «سَعَيْتُ جُهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُمَسِّكِ» يريد بذلك الإشارة إلى الوشاة الذين وشوا إلى السلاطين والخلفاء في أهل السنة أن يعاقبوه، وألا يعاقبوا من قلّد فلاناً وفلاناً، فما حبس الإمام أحمد ولا شيخ الإسلام ابن تيمية ولا غيرهما إلا بوشاية إلى السلاطين، نسأل الله أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن يجعلنا وإياكم من الدعاة إلى الحق على بصيرة، إنه جواد كريم.

- ٥٦٥٨- يَا مُعْرِضًا عَمَّا يُرَادُ بِهِ وَقَدْ
 ٥٦٥٩- جَذْلَانِ يَضْحَكُ أَمِنَّا مُتَبَخِّرًا
 ٥٦٦٠- خَلَعَ الشُّرُورَ عَلَيْهِ أَوْفَى حُلَّةِ
 ٥٦٦١- يَخْتَالُ فِي حُلَلِ الْمَسْرَةِ نَاسِيًا
 ٥٦٦٢- مَا سَعِيهِ إِلَّا لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدُّ
 ٥٦٦٣- قَدْ بَاعَ طِيبَ الْعَيْشِ فِي دَارِ النَّعِيمِ
 ٥٦٦٤- إِنِّي أَظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ
 ٥٦٦٥- بَلْ قَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةُ
 ٥٦٦٦- وَالْوَقْفُ مَذْهَبُكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ
 ٥٦٦٧- أَمْ تُؤَثِّرُ الْأَدْنَى عَلَيْهِ وَقَالَتِ النَّ
 ٥٦٦٨- أَتَبِيْعُ نَقْدًا حَاصِلًا بِنَسِيئَةٍ
 ٥٦٦٩- لَوْ أَنَّهُ بِنَسِيئَةِ الدُّنْيَا لَهَا
 ٥٦٧٠- دَعُ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ وَحُذْ
 ٥٦٧١- وَاللَّهِ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا
 ٥٦٧٢- لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا وَلَوْ
 ٥٦٧٣- هَذَا هُوَ السَّرُّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اخُ
- جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُتَّهَاهُ دَانِ
 فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانِ
 طَرَدَتْ بِجَمِيعِ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ
 مَا بَعْدَهَا مِنْ حُلَّةِ الْأَكْفَانِ
 دُنْيَا وَلَوْ أَفْضَى إِلَى النَّيْرَانِ
 مِمَّا بَدَا الْحُطَامِ الْمُضْمَحِلِّ الْفَانِ
 بِالْقُرْبِ بَلْ ظَنَّ بِبِلَا إِيقَانِ
 أَيُّضًا وَنَارًا بَلْ لَهُمْ قَوْلَانِ
 وَإِذَا انْتَهَى الْإِيمَانُ لِلرُّجْحَانِ
 نَفْسُ الَّتِي اسْتَعَلَّتْ عَلَى الشَّيْطَانِ
 بَعْدَ الْمَمَاتِ وَطَيِّ ذِي الْأَكْوَانِ
 نَ الْأَمْرُ لَكِنَّ فِي مَعَادِ ثَانِ
 مَا قَدْ رَأَيْتَ مُشَاهِدًا بِعِيَانِ
 وَبَحْتَهَا بِحُثًّا بِلَارَوْعَانِ
 أَمَنْتَ لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ
 تَارَتْ عَلَيْهِ الْعَاجِلَ الْمُتَدَانِ

٥٦٧٤- نَقَدْ قَدِ اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْهَا وَلَمْ يَحْضُلْ لَهَا بِهَوَانٍ

الشرح

٥٦٥٨- يَا مُعْرِضًا عَمَّا يُرَادُ بِهِ وَقَدْ جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُنْتَهَاهُ دَانٍ

قَوْلُهُ: «يَا مُعْرِضًا» يَخَاطَبُ أَيَّ مُعْرِضٍ، وَهَذَا صَارَتْ مَنْصُوبَةً؛ لِأَنَّهَا نَكْرَةٌ غَيْرٌ مَقْصُودَةٌ.

قَوْلُهُ: «عَمَّا يُرَادُ بِهِ؟» وَمَا الَّذِي يُرَادُ بِهِ؟

الجواب: عبادة الله عز وجل التي غايتها الجزاء؛ إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًا فشرٌ، وما أكثر هؤلاء الذين لا يهتمهم إلا الدنيا، فتجدهم مُعْرِضِينَ عَمَّا يُرَادُ.

قَوْلُهُ: «وَقَدْ جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُنْتَهَاهُ دَانِي» الْمَسِيرُ الَّذِي نَسِيرُهُ نَحْنُ إِلَى الْآخِرَةِ جَادٌّ جَدًّا لَيْلًا وَنَهَارًا يَقْظَةً وَمَنَامًا، وَكُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَّ، لِاسِيًّا رَاحِلٌ لَا يَسْتَرِيحُ فِي كُلِّ اللَّحْظَاتِ، فِي كُلِّ السَّاعَاتِ، فِي كُلِّ الْحَالَاتِ؛ وَهَذَا قَالَ: «فَمُنْتَهَاهُ دَانِي».

٥٦٥٩- جَدَّلَانٌ يَضْحَكُ آمِنًا مُتَبَخِّرًا فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانٍ

قَوْلُهُ: «جَدَّلَانٌ»، وَيَجُوزُ «جَدَّلَانٌ» عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ، وَالْجَدَّلَانُ؛ أَي: الْفَرِحُ فَرِحًا كَثِيرًا.

قَوْلُهُ: «يَضْحَكُ آمِنًا مُتَبَخِّرًا فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانٍ» كَأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَطُولِ أَمَلِهِ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانٍ أَنَّهُ لَنْ يَرْتَحِلَ عَنْهَا مَعَ أَنَّ الْمُنْتَهَى قَرِيبٌ.

٥٦٦٠- خَلَعَ السُّرُورَ عَلَيْهِ أَوْفَى حُلَّةٍ طَرَدَتْ جَمِيعَ الهمِّ وَالْأَحْزَانِ
قَوْلُهُ: «أَوْفَى حُلَّةٍ»؛ أَي: أَطِيبَ حُلَّةٍ.

يعني: أَنَّهُ مَغْتَبِطٌ بِالدُّنْيَا مَسْرُورٌ بِهَا، طَرَدَتْ عَنْهُ جَمِيعَ الهمومِ وَالْأَحْزَانِ، لَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ تَطْرُدُ الهمومَ وَالْأَحْزَانِ فِي لِحْظَةٍ، ثُمَّ تَعُودُ الْأَحْزَانُ، فَهَذِهِ الْمَسْرَاتُ هِيَ كَالدَّوَاءِ الْمَهْدِي إِذَا انْتَهَى مَفْعُولُهُ عَادَ الْأَلَمُ أَشَدَّ؛ وَلِهَذَا قَالَ الشَّاعِرُ وَهُوَ صَادِقٌ:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مُنْعَصَةً لَذَاتُهُ بِادِّكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ^(١)

الْمُنْتَهَى إِذَا مَاتَ عَاجِلٌ أَوْ هَرَمَ يَصِلُ الْإِنْسَانُ بِهِ إِلَى حَالَةِ الطُّفُولَةِ، وَيَمْلَأُهُ حَتَّى أَهْلُهُ، أَشْفَقُ النَّاسِ عَلَيْهِ يَمْلُونَهُ، الطُّفْلُ يُحْنُ عَلَيْهِ وَيُحْمَلُ بِالْيَدَيْنِ وَعَلَى الْأَكْتَاFِ، وَالْهَرَمُ يُلْقَى فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ ثَوْبٌ خَلِقَ لَا يَهْتَمُونَ بِهِ، وَلَا يُؤْمَلُونَ لَهُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَرْجُونَهُ.

٥٦٦١- يَخْتَالُ فِي حُلِّ الْمَسْرَةِ نَاسِيًا مَا بَعْدَهَا مِنْ حُلَّةِ الْأَكْفَانِ

يعني: أَنْتَ الْآنَ عَلَيْكَ ثِيَابٌ جَمِيلَةٌ وَنَظِيفَةٌ وَحَسَنَةٌ وَبِهِيَّةٌ، تَذَكَّرَ حُلَّ الْأَكْفَانِ، تَذَكَّرَ حِينَمَا تُدْرَدُجُ بَثَلَاثَ لِفَائِفَ، وَلَيْسَ فِيهَا مَا تُوَضَعُ فِيهِ النَّفْقَةُ، وَلَيْسَ فِيهَا حُلِيٌّ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا.

٥٦٦٢- مَا سَعِيهِ إِلَّا لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ أَفْضَى إِلَى النَّيْرَانِ

يَقُولُ: أَنَا أَعِيشُ فِي الدُّنْيَا فِي سُرُورٍ، وَفِي الْآخِرَةِ وَلَوْ فِي النَّارِ، وَهَذِهِ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ وَلِهَذَا نَعَى بَعْضَ أَصْحَابِنَا الَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ دَائِمًا فِي الرَّفَاهِ وَالتَّرْفِيهِ، وَنَضَارَةِ الْعَيْشِ، وَنَعِيمِ الْحَيَاةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

(١) البيت في توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، بلا نسبة (٣/١٦٧٨).

والحقيقة أننا ينبغي أن نُذَكِّرَ النَّاسَ بهذا وبشيءٍ آخَرَ؛ وهو: نعيم الآخرة، نرفل بالعملِ الصَّالِحِ، والدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ لأنَّنا لم نُخْلَقْ إِلَى الدُّنْيَا، ولو كان البَشَرُ مَخْلُوقِينَ لِلدُّنْيَا لكان أولاهم بالبقاء الأنبياء والرُّسُلَ، وقد قال اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايِنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]؟ الجواب: لا، لن يُخَلَّدَ أَحَدٌ، فإذا كُنَّا لم نُخْلَقْ لِلدُّنْيَا فلماذا نزاحم أهلها عليها؟ ولماذا ننسى الآخرة؟ لماذا لا يذكرُ الإنسانُ وهو يلبسُ الثَّوبَ الجَدِيدَ أَنَّهُ رَبِّمَا يَلْبَسُ الكَفْنَ فِي آخِرِ النَّهَارِ، وإن كان في اللَّيْلِ رَبِّمَا يَلْبَسُهُ قَبْلَ الصَّبَاحِ؟ لكنَّ القلوبَ في غفلةٍ، نسألُ اللهُ أَنْ يَجِييَ قلوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

٥٦٦٣- قَدْ بَاعَ طَيْبَ الْعَيْشِ فِي دَارِ النَّعِيمِ مِ بَذَا الْحُطَامِ الْمُضْمَحِلِّ الْفَائِي

وهل هذه البيعة خاسرة أو رابحة؟ الجواب: خاسرة غاية الخسران، فهذا المسكينُ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، لم ينتفع ببقائه في الدُّنْيَا ولم ينتفع في الآخرة.

٥٦٦٤- إِنْ أظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ بِالْقُرْبِ بَلْ ظَنُّ بِلَا إِيقَانِ

كَأَنَّهُ يُحَاطِبُ نَفْسَهُ، يقولُ: أظنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ بِالْقُرْبِ، بل ظنُّ بِلَا إِيقَانِ، فأنت تظنُّ ظنًّا، تشكُّ في اليومِ الآخِرِ، ليس عندك إيمانٌ ولا يقينٌ.

٥٦٦٥- بَلْ قَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةً أَيُّضًا وَنَارًا بَلْ لَهُمْ قَوْلَانِ

هكذا تقولُ النَّاسُ لهم قولان في الجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ هل هي موجودةٌ أو غيرُ موجودةٍ؟ هل هناك جزاءٌ أم لا؟ والذي يخالفُ في ذلك الكُفَّارُ، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتَبَرُوا﴾ [التَّغَابُنِ: ٧]، فَالْكَفَّارُ يَقُولُونَ: لَا يُوْجَدُ بَعَثٌ وَلَا جَنَّةٌ

ولا ناراً، والمؤمنون يقولون: تُوجَدُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَالنَّاسُ الآنَ لَهُمُ قَوْلَانِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَمَذْهَبُكَ أَنْتَ الْوَقْفُ؛ وَلِذَا قَالَ:

٥٦٦٦- وَالْوَقْفُ مَذْهَبُكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ وَإِذَا انْتَهَى الْإِيمَانُ لِلرُّجْحَانِ

يعني: هذا مذهبك، إِذَا رَأَيْتَ خِلَافَ النَّاسِ تَوَقَّفْتَ حَتَّى وَإِنْ انْتَهَى الْإِيمَانُ لِلرُّجْحَانِ، فَابْقَ مَتَوَقِّفًا، وَالشَّيْطَانُ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَأْتِي لِلْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الْوَسَاوِسِ، وَكَذَلِكَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا.

٥٦٦٧- أَمْ تُؤَثِّرُ الْأَذَنَى عَلَيْهِ وَقَالَتِ النَّفْسُ الَّتِي اسْتَعَلَّتْ عَلَى الشَّيْطَانِ

٥٦٦٨- أَتَبِيعُ نَقْدًا حَاصِلًا بِنَسِئَةٍ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَطَيِّ ذِي الْأَكْوَانِ

أَيُّهَا أُولَى؟ الْبَيْعُ بِالنَّقْدِ أَوْ بِالْمَوْجَلِ؟ الْجَوَابُ: بِالنَّقْدِ أُولَى، يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: أَنْتَ عِنْدَكَ نَقْدٌ الْآنَ، سُرُورٌ فِي الدُّنْيَا، امْرَحُ، وَافْرَحُ، وَاسْرَحُ؛ لِأَنَّ الَّذِي فِي الْآخِرَةِ مُؤَجَّلٌ «نَسِئَةٌ»، وَإِذَا كَانَ فِي شَكٍّ مِنْهُ قَدْ يُوفَى وَقَدْ لَا يُوفَى عَلَى زَعْمِهِمْ، فَهَذَا حَالٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ النَّاسِ، يَقُولُونَ: النَّقْدُ أُولَى مِنَ النَّسِئَةِ، وَالشَّيْءُ الْحَاضِرُ أُولَى مِنَ الْغَائِبِ، وَمَا تُوعَدُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ شَيْءٌ غَائِبٌ، وَمَا نَحْنُ فِيهِ شَيْءٌ حَاضِرٌ، فَكَيْفَ نَبِيعُ الشَّيْءِ الْحَاضِرِ بِشَيْءٍ مُؤَجَّلٍ؟ هَكَذَا يَقُولُ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»^(١).

٥٦٦٩- لَوْ أَنَّهُ بِنَسِئَةِ الدُّنْيَا لَهَا نَ الْأَمْرُ لَكِنْ فِي مَعَادِ ثَانِ

تَقُولُ لَهُ النَّفْسُ: لَوْ أَنَّهُ نَسِئَةٌ فِي الدُّنْيَا كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ هَيْئَةً؛ لِأَنَّ النَّسِئَةَ فِي

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آنية الحوض، رقم

الدُّنْيَا تَجِيءُ، فَاَلْمَوْجَلُ يَجُلُّ وَتَأْخُذُهُ، لَكِنْ هَذِهِ النَّسِيئَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَتَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ هَكَذَا تَقُولُ النَّفْسُ.

٥٦٧٠- دَعُ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ وَخُذْ مَا قَدَرَأَيْتَ مُشَاهِدًا بَعِيَانِ

قَوْلُهُ: «دَعُ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ» مَاذَا يَرِيدُ بِهِ؟ الْجَوَابُ: الْجَزَاءُ؛ وَهُوَ: النَّارُ أَوْ الْجَنَّةُ، وَخُذْ مَا شَاهَدْتَ الْآنَ.

٥٦٧١- وَاللَّهُ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا وَبَحَثْتَهَا بِحُثَا بِلَارَوْغَانِ

٥٦٧٢- لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا وَلَوْ أَمَنْتَ لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا... لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا»؛ يَعْنِي: لَوْ أَنَّكَ خَلَوْتَ بِنَفْسِكَ وَتَجَرَّدْتَ عَنِ الشَّرْعِ وَعَنِ دَلِيلِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ لَرَأَيْتَ الْكَامِنَ فِي نَفْسِكَ هُوَ هَذَا، أَنْ تُؤَثِّرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْ تَبْقَى فِي شَكٍّ مِنَ الْآخِرَةِ إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَالْمُرَادُ بِالنَّفْسِ هُنَا: الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ، أَمَّا النَّفْسُ ذَاتُ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ فَلَا تَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ.

قَوْلُهُ: «وَلَوْ أَمَنْتَ لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ»؛ يَعْنِي: لَوْ أَمَنْتَ النَّاسَ وَرَمَيْتَهُمْ إِلَيْهِ بِالْكَفْرِ، وَقَتْلَهُ إِنْ اسْتَطَاعُوا لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ؛ أَي: لَتَكَلَّمْتُ وَأَسْمَعْتُ.

٥٦٧٣- هَذَا هُوَ السِّرُّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اخْتَارَتْ عَلَيْهِ الْعَاجِلَ الْمُتَمَدِّنِي

٥٦٧٤- نَقَدُ قَدْ اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْهَا وَلَمْ يَحْضُلْ لَهَا بِهَوَانِ

يَعْنِي: لَمْ يَحْضُلْ لَهَا بِشَيْءٍ هَيِّنٍ، فَهِيَ قَدْ أَدْرَكَتْهُ بِمَشَقَّةٍ فَأَثَرَتْهُ عَلَى الْآخِرَةِ.

- ٥٦٧٥- أَتْبِعُهُ بِنَسِيئَةٍ فِي غَيْرِ هَـ
- ٥٦٧٦- هَذَا وَإِنْ جَزَمْتَ بِهَا قَطْعًا وَكَـ
- ٥٦٧٧- مَا ذَاكَ قَطْعِيًّا لَهَا وَالْحَاصِلُ الـ
- ٥٦٧٨- فَتَأَلَّفْتُ مِنْ بَيْنِ شَهَوَاتِهَا وَشُبـ
- ٥٦٧٩- وَاسْتَنْجَدْتُ مِنْهَا رِضًا بِالْعَاجِلِ الـ
- ٥٦٨٠- وَأَتَى مِنَ التَّأْوِيلِ كُلُّ مُلَائِمِـ
- ٥٦٨١- وَصَعْتُ إِلَى شُبُهَاتِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَاللـ
- ٥٦٨٢- وَاسْتَنْقَصْتُ أَهْلَ الْهُدَى وَرَأَيْتُهُمْ
- ٥٦٨٣- وَرَأَتْ عُقُولَ النَّاسِ دَائِرَةً عَلَىـ
- ٥٦٨٤- وَعَلَى الْمَلِيحَةِ وَالْمَلِيحِ وَعِشْرَةَ الـ
- ٥٦٨٥- فَاسْتَوْعَرَتْ تَرَكَ الْجَمِيعِ وَلَمْ تَحِدْ
- ٥٦٨٦- فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا فِي إِنَا
- ٥٦٨٧- يَبْغِي لَهُ سَكَنًا يَلْدُ بِقُرْبِهِ
- ٥٦٨٨- فَيُحِبُّ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ
- ٥٦٨٩- لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَرِيَاسَةٍ
- ٥٦٩٠- بَلْ لَوْ يَنَالُ بِأَسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَا
- لِذِي الدَّارِ بَعْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- كِنْ حَظُّهَا فِي حَيِّزِ الْإِمْكَانِ
- مَوْجُودٌ مَشْهُودٌ بِرَأْيِ عِيَانِ
- هَتَّهَا قِيَاسَاتٌ مِنَ الْبُطْلَانِ
- أَدْنَى عَلَى الْمَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانِ
- لِمُرَادِهَا يَارِقَّةُ الْإِيمَانِ
- تَعْطِيلٍ مَعَ نَقْصٍ مِنَ الْعِرْفَانِ
- فِي النَّاسِ كَالْغُرَبَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
- جَمْعِ الْحُطَامِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ
- أَحْبَابِ وَالْأَضْحَابِ وَالْإِخْوَانِ
- عَوْضًا تَلْدُ بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ
- فَهُوَ دُونَ الْجِسْمِ دُونَ جَوْلَانِ
- فَرَاهُ شِبْهُ الْوَالِدِ الْحَيْرَانِ
- فَيَظْلُ مُنْتَقِلًا مَدَى الْأَزْمَانِ
- لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوْرَانِ
- قَرَّتْ بِمَا قَدْ نَالَ الْعَيْنَانِ

- ٥٦٩١- نَقَّلَ فُوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَىٰ
وَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الْإِنْسَانِ
- ٥٦٩٢- فَالْقَلْبُ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ مَحْبُوبِهِ الْـ
أَعْلَىٰ فَلَا يُغْنِيهِ حَبٌّ ثَانِ
- ٥٦٩٣- وَصَلَاحُهُ وَفَلَاحُهُ وَنَعِيمُهُ
تَجْرِيدُ هَذَا الْحُبِّ لِلرَّحْمَنِ
- ٥٦٩٤- فَإِذَا تَخَلَّىٰ مِنْهُ أَصْبَحَ حَائِرًا
وَيَعُودُ فِي ذَا الْكَوْنِ ذَا هَيِّانِ

الشرح

- ٥٦٧٥- أَتَبِعُهُ بِسَيِّئَةٍ فِي غَيْرِهَا
لِذِي الدَّارِ بَعْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- ٥٦٧٦- هَذَا وَإِنْ جَزَمْتَ بِهَا قَطْعًا وَكَـ
كِنْ حَظُّهَا فِي حَيْزِ الْإِمْكَانِ
- ٥٦٧٧- مَا ذَاكَ قَطْعِيًّا لَهَا وَالْحَاصِلُ الْـ
مَوْجُودُ مَشْهُودٌ بِرَأْيِ عِيَانِ

صحيح، فما قاله المؤلفُ فيمن تعلق قلبه بغير الله فإنه لن يستقرَّ أبدًا.

- ٥٦٧٨- فَتَأَلَّفَتْ مِنْ بَيْنِ شَهَوَاتِهَا وَشُبْـ
هَتَهَا قِيَاسَاتٌ مِنَ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ بَيْنِ شَهَوَاتِهَا»؛ أي: هواها.

قَوْلُهُ: «وَشُبْهَاتِهَا»؛ أي: جهلها.

يعني: تولد من هوى النفس وجهلها قياسات من البطلان؛ أي: أقيسة باطلة في أن هذا هو الأولى وهذا هو الأولى، كما فصلت الدنيا على الآخرة.

- ٥٦٧٩- وَاسْتَنْجَدَتْ مِنْهَا رِضًا بِالْعَاجِلِ الْأُـ
أَدْنَىٰ عَلَىٰ الْمَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانِ

قَوْلُهُ: «بِالْعَاجِلِ الْأَدْنَىٰ»، «العاجل الأدنى» هو: الدنيا.

قَوْلُهُ: «الْمَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانٍ»؛ أي: الآخرة.

٥٦٨٠- وَأَتَى مِنَ التَّأْوِيلِ كُلِّ مُلَائِمٍ لِمُرَادِهَا يَا رِقَّةَ الْإِيْمَانِ

يعني: أتتها تبعت كل ما يلائمها؛ بسبب: ما عندها من هذه التأويلات والأقيسة الفاسدة، ونسيبت الآخرة.

٥٦٨١- وَصَعَتْ إِلَى شُبُهَاتِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالذَّنِّ تَعْطِيلِ مَعَ نَقْصِ مِنَ الْعِرْفَانِ

٥٦٨٢- وَاسْتَنْقَصَتْ أَهْلَ الْهُدَى وَرَأَتْهُمْ فِي النَّاسِ كَالْغُرَبَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَرَأَتْهُمْ»، وفي نسخة: «وَرَأَيْتُهُمْ».

هذا هو الواقع على كثير من الناس اليوم، يستنقصون أهل الخير وأهل الهدى وأهل الحق، ويقولون: هذا غريب لا يعرف الناس، ولا يعرف أحوالهم، هذا أبله، هذا درويش، وما أشبه ذلك.

٥٦٨٣- وَرَأَتْ عُقُولَ النَّاسِ دَائِرَةً عَلَى جَمْعِ الْحُطَامِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «جَمْعِ الْحُطَامِ»؛ أي: الدنيا.

قَوْلُهُ: «وَوَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ»؛ بأن يكونوا حول السلطان؛ لأنهم يزعمون أنهم إذا كانوا حوله فإنهم ينالون بذلك شرفاً وعلوًّا.

٥٦٨٤- وَعَلَى الْمَلِيحَةِ وَالْمَلِيحِ وَعِشْرَةِ الْ- أَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ

المليحة؛ يعني: الأنتى، والمليح؛ يعني: الذكرك، ولا شك أن الإنسان إذا كان له أبناء وبنات أنه يميل إلى المليحة والمليح أكثر من غيره، هذا إذا حملنا هذا الكلام على الشيء المباح، أمّا إذا كانت المليحة؛ يعني: المرأة المليحة، والمليح؛ يعني: الأمرد المليح، فالمسألة موجودة، فلا نقول: إن كلام ابن القيم -رحمه الله- أمر

فَرَضِيٌّ، بل هو أمرٌ واقعٌ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ابْتَلَوْا بِهَذَا الْأَمْرِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَتَجِدُهُ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِزَوْجَةٍ صَالِحَةٍ خَلْقَةً وَخُلُقًا، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ ابْتُلِيَ بِالنَّظَرِ إِلَى مَنْ سِوَاهَا.

فَالنِّسَاءُ لَيْسَ لَهُنَّ هَمٌّ إِلَّا بَطْلِبِ الْمَلِيحِ، وَالرِّجَالُ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا بَطْلِبِ الْمَلِيحَةِ مِنَ النِّسَاءِ، وَعَشْرَةَ الْأَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ.

٥٦٨٥- فَاسْتَوْعَرَتْ تَرَكَ الْجَمِيعَ وَلَمْ تَجِدْ عِوَضًا تَلَذُّ بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ
يعني: رأت أن هجر الجميع صعبًا؛ لأنها لم تجد بدله عوضًا، ولو وجدت بدله عوضًا؛ وهو الاقتصارُ على محبة الله عز وجل، واللجوء إليه ورجائه والخوف من عقابه ما همها كلُّ هذا.

٥٦٨٦- فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقَرُّ إِلَّا فِي إِنَاءٍ ۚ فَهَوَ دُونَ الْجِسْمِ ذُو جَوْلَانٍ
قَوْلُهُ: «فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقَرُّ إِلَّا فِي إِنَاءٍ» سبحان الله! هذه حكمة عظيمة
«الْقَلْبُ لَا يَقَرُّ إِلَّا فِي إِنَاءٍ»، لكن ما هذا الإناء الذي يَقَرُّ فيه؟ الجواب: قد يكون إناءً خيرٍ وقد يكون إناءً شرًّا.

قَوْلُهُ: «فَهَوَ دُونَ الْجِسْمِ ذُو جَوْلَانٍ»، وهذا صحيحٌ مطابقٌ للواقع، نحن الآن جالسون هنا، وقلوبٌ بعضنا في الشَّرْقِ وأخرى في الغربِ، فالقلبُ يتجوَّلُ والبدنُ في مكانٍ واحدٍ؛ ولهذا يقولُ: «فَهَوَ دُونَ الْجِسْمِ ذُو جَوْلَانٍ»، فالقلبُ يتجوَّلُ؛ ولهذا جاء في الحديثِ الصَّحِيحِ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»^(١).

(١) أخرجه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، رقم (٢١٤٠).

٥٦٨٧- يَبْغِي لَهُ سَكَنًا يَلْدُ بِقُرْبِهِ
فَتَرَاهُ شِبْهَ الْوَالِيهِ الْحَيْرَانَ

الْوَالِيَهُ هُوَ: الْمُتَحَيِّرُ، وَالْحَيْرَانُ تَوْكِيدٌ.

٥٦٨٨- فَيَحِبُّ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ
فَيَظَلُّ مُنْتَقِلًا مَدَى الْأَزْمَانِ

ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا؛ فَقَالَ:

٥٦٨٩- لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَرِيَّاسَةٍ
لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوْرَانَ

لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَكُلَّ رِئَاسَةٍ تَمَنَّى أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْمَلِيحَةِ وَأَوْسَعَ مِنَ الرَّئَاسَةِ، قَالَ: أَنَا -مَثَلًا- أَمِيرٌ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ، كَيْتَنِي مِثْلُ فَلَانٍ، فَإِنَّهُ أَمِيرٌ عَلَى مَنْطِقَةٍ كَبِيرَةٍ، وَقَالَ: كَيْتَ عِنْدِي امْرَأَةٌ أَجْمَلُ مِنْ هَذِهِ؛ لِأَنَّ الَّتِي عِنْدِي كَبِيرَةٌ فِي السِّنِّ، تَجْعَدُ شَعْرُهَا، وَأُرِيدُ شَابَّةً، مَعَ أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ بِالْأَوَّلِ شَابَّةً قَدْ أَرْضَتْهُ، لَكِنْ تَغَيَّرَتِ الْحَالُ، فَهُوَ يَطْلُبُ أَحْسَنَ مِنْهَا.

٥٦٩٠- بَلْ لَوْ يَنَالُ بِأَسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَّا
قَرَّتْ بِمَا قَدْ نَالَهُ الْعَيْنَانِ

صَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَوْ يُعْطَى الدُّنْيَا كُلُّهَا لَبَغَى دُنْيَا أَعْظَمَ مِنْهَا، فَلَا يَسْتَقِرُّ، لَكِنْ مَا الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ الْقَلْبُ؟ قَالَ:

٥٦٩١- نَقَّلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى
وَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الْإِنْسَانِ»؛ يَعْنِي: أَنْ تَكُونَ أَحْسَنَ بَنِي آدَمَ.

٥٦٩٢- فَالْقَلْبُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَحْبُوبِهِ الـ
قَوْلُهُ: «مَحْبُوبِهِ الْأَعْلَى» مِنَ الْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى؟ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ

يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مَمَّنْ مَلَأَ قَلْبَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «حِبُّ ثَانٍ» «حِبٌّ» بالكسر؛ يعني: محبوبه، ومنه قولهم: «أسامه ابنُ زيد بن حارثة حِبُّ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وابنُ حَبِّه»، فحِبُّ ثَانِي؛ أي: محبوبٌ آخَرُ.

٥٦٩٣- وَصَلَاحُهُ وَفَلَاحُهُ وَنَعِيمُهُ تَجْرِيدُ هَذَا الْحُبِّ لِلرَّحْمَنِ صَدَقَ رَحْمَهُ اللهُ؛ الذي يريدُ الفلاحَ والسَّعادةَ والهناءَ والرَّاحةَ فليُجَرِّدْ حُبَّهُ لله يستريحُ ويطمئنُّ؛ لأنَّه لا يهْمُهُ أحدٌ، ويُحِبُّ الغيرَ؛ يُحِبُّه اللهُ، وفي الله، ولا يُحِبُّه مع الله؛ بحيثُ تُزَاحِمُ محبَّته لهذا المخلوقِ محبَّةَ اللهِ؛ لأنَّ هذا نوعٌ من الشُّركِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦].

ويُوجدُ بعضُ النِّساءِ - كما نسمعُ من الأسئلةِ - تُحِبُّ زوجها حُبًّا شديدًا، أحيانًا تبوحُ بها في قلبها، تقولُ: أنت عندي أحبُّ من كُلِّ شيءٍ حتَّى من الله؛ لأنَّ القلبَ - والعياذُ بالله - إذا امتلأ بحبِّ المخلوقِ نَسِيَ كُلَّ شيءٍ، لكن إذا امتلأ بحبِّ الله ذَكَرَ كُلَّ شيءٍ، وصار يسيرُ على هُدًى من الله ونورٍ، لا يُحِبُّ إلاَّ الله، ولا يكره إلاَّ الله، ولا يُوالِي إلاَّ الله، ولا يُعَادِي إلاَّ الله، ولهذا أنا أدعو نفسي وإياكم إلى إخلاصِ المحبَّةِ لله عزَّ وجلَّ، اجعلوا ربَّكم أحبَّ شيءٍ إليكم حتَّى تُحِبُّوا مَنْ يُحِبُّه اللهُ، وتكرهوا مَنْ يكرهه اللهُ وتستريحوا، أمَّا المحبَّةُ المَبْنِيَّةُ على ما في الدُّنيا فهي في الحقيقةِ مُتَعَبَّةٌ، وكما قال بعضهم: «عذبُ الحُبِّ عذابٌ» إلاَّ من الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ محبَّته راحةٌ في القلبِ وسكونٌ للقلبِ.

وليس معنى ذلك أنَّك لا تُحِبُّ أحدًا إذا أَحْبَبْتَ اللهُ عزَّ وجلَّ، بالضرورةِ إذا أَحْبَبْتَ اللهُ سوف تُحِبُّ مَنْ يُحِبُّه اللهُ، ولهذا جاء في الحديثِ: «رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ

اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»^(١)، ضرورة أن تُحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ، لكن محبتك لمن يُحِبُّهُ اللهُ تابعة لمحبة الله، وحينئذ لا يمكن أن تزاحمها، بل هي فرع عنها؛ ولهذا تجدد نُحْبُ هذا المرء ما دام أهلاً للحُبِّ في الله، فإذا انحرف - والعياذُ بالله - فإنك ستكرهه، لا تحبه، لا بدد أن تكرهه، إذن املأ قلبك بمحبة الله تسترخ، حتى تكون أقوالك وأفعالك ومشيتك ومجيئك وقعودك ونومك كله نافعا لك؛ لأنك تستحضر أنك تفعله لله عز وجل.

٥٦٩٤- فَإِذَا تَحَلَّى مِنْهُ أَصْبَحَ حَائِرًا وَيَعُودُ فِي ذَا الْكُونِ ذَا هَيْمَانَ
قَوْلُهُ: «فَإِذَا تَحَلَّى مِنْهُ»؛ أي: تحلَّى من حُبِّ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ.

صحيح، إذا خلا قلبه من محبة الله صار حائراً هائماً، مرةً هنا، ومرةً هنا، ومرةً هنا.

فعلیکم بتجريد المحبة لله، وأيضاً عظّموا الله عز وجل؛ فبالمحبة يكون فعل الطاعة، وبالتعظيم يكون ترك المعصية؛ لأنك إذا علمت عظمة الرب هبته وخفت من معصيته، وإذا أحببته رغبت فيه وطلبته؛ ولهذا لا يمكن أن تتم العبادة إلا على هذين الأساسين: المحبة والتعظيم، ولا تقبل ولا تصح إلا بشرطين أساسين أيضاً؛ وهما: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، فهناك مبنی أصل، وهناك مُصَحِّح، ما هو المبنى الأصل؟ الحب والتعظيم، الحب والتعظيم هو مبنی العبادة، بالحب تكون الطاعة وفعل الأوامر طلباً لهذا المحبوب، لو قال لك مَنْ نُحِبُّ مِنَ الْبَشَرِ: «افعل كذا، افعل كذا»، على قدر محبتك

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم (٦٦٠). ومسلم: كتاب الكسوف، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١).

يكونُ امتثالُك وطاعتُك، إذا كنت تحبُّه لو يدعوك بالليلِ الظلماءِ أجبْت، لو يقولُ: نم فوق السطحِ في الليلةِ الثالِجةِ نمتَ؛ لأنَّك تُحبُّه وتطلبُ الوصولَ إليه وإلى رضاه، لكن إذا لم يكن في قلبك تعظيمٌ له لا يهْمُك أن تعصيه؛ لأنَّك آمنٌ، أمَّا إذا كان محبَّةً وتعظيمٌ فإنَّك لن تعودَ عاصياً له؛ ولهذا لا تقومُ العبادةُ لله عزَّ وجلَّ إلَّا على هذين الأساسين، ولا تصحُّ إلَّا بشرطينِ أساسين أيضًا؛ هما: الإخلاصُ والمتابعةُ.

والحقيقةُ: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لكتبتُ مثل هذه الأبياتِ من النونيةِ؛ لأنَّ هذه في الحقيقةِ جواهرٌ قد تعدلُ كلَّ النونيةِ، كلُّ ما سبقَ من خلافاتِ المعطلَّةِ والمعتزلةِ وغيرهم، هذه في الحقيقةِ في فصولِ ما أعدَّ اللهُ من الكرامةِ لأهلِ الجنةِ، فهو - رحمه اللهُ تعالى - ذكَّرَ أبياتًا عظيمةً تنفعُك في السيرِ إلى الله عزَّ وجلَّ، نسألُ اللهَ أن يلهمنا وإياكم الرِّشادَ والسَّدادَ.

فصل

في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على الخزف الفاني

- ٥٦٩٥- لَكِنَّ ذَا الْإِيمَانِ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَالظَّلَالِ وَكُلُّ هَذَا فَإِنْ
 ٥٦٩٦- كَخَيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَمَّتْ زِيَارَةٌ
 ٥٦٩٧- وَسَحَابَةٍ طَلَعَتْ يَوْمَ صَائِفٍ
 ٥٦٩٨- وَكَزَهْرَةٍ وَافَى الرَّبِيعُ بِحُسْنِهَا
 ٥٦٩٩- أَوْ كَالسَّرَابِ يُلُوحُ لِلظَّمْآنِ فِي
 ٥٧٠٠- أَوْ كَالْأَمَانِيِّ طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا
 ٥٧٠١- وَهِيَ الْغُرُورُ رُؤُوسُ أَمْوَالِ الْمَفَا
 ٥٧٠٢- أَوْ كَالطَّعَامِ يَلْدُ عِنْدَ مَسَاغِهِ
 ٥٧٠٣- هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُولُ
- إِلَّا وَصُحِّحَ رَحِيلُهُ بِأَذَانٍ
 فَالظُّلُّ مَنْسُوحٌ بِقُرْبِ زَمَانٍ
 أَوْ لَامِعًا فَكِلَاهُمَا أَخْوَانٌ
 وَسَطِ الْهَجِيرِ بِمُسْتَوَى الْقِيَعَانِ
 بِالْقَوْلِ وَاسْتِحْضَارُهَا بِحِنَانٍ
 لَيْسَ الْأَلَى اتَّجَرُوا بِإِلَا أَنْهَانَ
 لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ
 لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلِّ فِي زُهْدِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَإِيثَارِهِمُ الذَّهَبَ الْبَاقِيَ عَلَى الْخَزْفِ الْفَانِي» هَذَا زُهْدٌ وَوَرَعٌ مِنْهُمْ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الزُّهْدَ تَرَكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوَرَعَ تَرَكُ مَا يَضُرُّ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوَاسِطَةُ بَيْنَهُمَا: مَا لَا نَفْعَ فِيهِ وَلَا ضَرَرَ،

فالزاهدُ يتركه والورعُ لا يتركه، هذا هو الفرقُ بينهما.

وأما قوله: «الحزف، والذهب» فالفرقُ بينهما: أن الحزفَ من الطين المشوي، وأما الذهبُ فمعروفٌ.

٥٦٩٥- لَكِنَّ ذَا الْإِيمَانِ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَالظَّلَالِ وَكُلُّ هَذَا فَإِنَّ

أصحابُ الإيمانِ يعلمون أنَّ ما ذكِرَ من وصفِ الدنيا أنَّ هذا كالظلالِ، ونحن نعلمُ جميعاً أنَّ الظلَّ يزولُ، كلما ارتفعت الشمسُ زالَ حتى ينمحي كالظلالِ، وكلُّ هذا فإن.

٥٦٩٦- كَخَيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَمَّتْ زِيَارَةٌ إِلَّا وَصَبْحُ رَحِيلِهِ بِأَذَانٍ

خيالُ الطَّيْفِ؛ يعني: أنَّ الإنسانَ تخيلَ طائفاً به، أو أنَّ طائفاً طافَ به، ثمَّ في مدَّةٍ يسيرةٍ صارَ صبحُ رحيله بأذانٍ؛ أي: بإعلانٍ، ف قيل له: ارحل، فما تمتَّ الزيارةُ إلا وقيلَ له: ارحل.

٥٦٩٧- وَسَحَابَةٌ طَلَعَتْ بِيَوْمٍ صَائِفٍ فَالظَّلُّ مَنْسُوحٌ بِقُرْبِ زَمَانٍ

سحابةُ الصَّيْفِ المعروفُ أنَّها سريعةُ الجري، وأنَّ ظلَّها مع حرارةِ الشمسِ مفيدٌ جدًّا، لكن سحابةُ الشِّتَاءِ لا يُستفادُ من ظلَّها كثيراً؛ لأنَّ الصَّحْوَ قد يكونُ أفضلَ من ظلَّها، لكن سحابةُ الصَّيْفِ لذيدةٌ، وهي أيضاً سريعةٌ تزولُ سريعاً، هكذا الدنيا كذلك كما جاء وصفُها.

٥٦٩٨- وَكَزَهْرَةٍ وَافَى الرَّبِيعُ بِحُسْنِهَا أَوْ لَامِعًا فَكِلَاهُمَا أَخْوَانٍ

الزَّهْرَةُ في الرَّبِيعِ تكونُ حسنةً متفتحةً رطبةً، لكن إذا جاء الصَّيْفُ زالت كُلُّها، كذلك تكونُ لامعةً، ثمَّ بعد ذلك تذبلُ وتزولُ.

٥٦٩٩- أَوْ كَالسَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمَانِ فِي وَسْطِ الهَجِيرِ بِمُسْتَوَى القِيَعَانِ

قَوْلُهُ: «القِيَعَانِ» جمعُ «قاع»؛ وهو: الأرضُ المستويةُ.

إذا كنت في قاع واسع تظنُّ أن هذا القاع ماءٌ ولكنه سرابٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْبًا﴾ [النور: ٣٩]، وإذا خرَّجت في أيام الصَّيفِ وجاء الهجيرُ -وهو: وسطُ النَّهارِ- ورأيت القيعانَ تظنُّ أنَّها ماءٌ، وليست كذلك، فإذا كان الإنسانُ في حرارةِ الشَّمسِ وفي يبس الكبدِ وفي العطشِ الشَّدِيدِ تجده يفرُّ من هنا ومن هنا هذه القيعانِ يظنُّ أنَّها ماءٌ، فإذا هي ليست بشيءٍ، هكذا الدنيا وغرورها.

٥٧٠٠- أَوْ كَالأَمَانِي طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا بِالْقَوْلِ وَاسْتِحْضَارُهَا بِجِنَانِ

قَوْلُهُ: «طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا بِالْقَوْلِ»؛ أي: باللسانِ.

قَوْلُهُ: «وَاسْتِحْضَارُهَا» يجوزُ بالجرِّ، ويجوزُ بالرفعِ.

قَوْلُهُ: «بِجِنَانِ»؛ أي: بالقلبِ.

من التَّمَنِّي أن يفكرَ الإنسانُ أحياناً؛ فيقولُ: سأفعلُ، سأكونُ كذا، سأنجحُ، ثُمَّ أَخَذُ المرتبةَ العاشرةَ، ثُمَّ بعد ذلك أصيرُ مدرساً، وإن كان يهوى القضاءَ يقولُ: أصيرُ قاضياً، أو أصيرُ وزيراً... إلى آخره، فالدُّنيا هكذا.

٥٧٠١- وَهِيَ الغُرُورُ رُؤُوسُ أَمْوَالِ المَفَا لَيْسِ الأَلَى التَّجْرُؤُا بِلا أَثْمَانِ

هذا المثلُ معروفٌ عندنا، لكن حتَّى في زمنِ المؤلِّفِ، عندنا مثلٌ يقولُ:

«التَّمَنِّي رَأْسُ مالِ المَفَالِيسِ»، والتَّجْرُؤُا بِلا أَثْمَانِ أين له الرِّيحُ؟!

٥٧٠٢- أَوْ كَالطَّعَامِ يَلْدُ عِنْدَ مَسَاغِهِ لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ
قَوْلُهُ: «لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ»؛ يعني: عقباه وخيمته.

الإنسان يأكل طعامًا لذيذًا فتجده يملأ بطنه منه، ثم يعود هذا الطعام إلى تخمة وأدى، وإلى بولٍ وغائطٍ، وربما إلى ضررٍ، لكنه عند أكله كان يتلذذ به، فأول ما تأكله لذيذ الطعام، طيب الرائحة، وعلى خوانٍ، وآخر الأمر في المراحضِ منتن الرائحة.

٥٧٠٣- هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُولُ لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
قَوْلُهُ: «هَذَا هُوَ الْمَثَلُ» يحتمل أن المراد به: آخر مثلٍ، فتكون الإشارة تعود إلى أقرب مذكورٍ كالضمير يعود إلى أقرب مذكورٍ، ويحتمل أن يكون المراد: هذا جنس الأمثال السابقة.

يعني: هذه الأمثال ضربها الرسول -عليه الصلاة والسلام- لهذه الدنيا.

- ٥٧٠٤- وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَهَا فَحُذْ مِنْهُ مِثَالًا وَاحِدًا ذَا شَانِ
٥٧٠٥- أَدْخِلْ بِجُهِدِكَ إِصْبَعًا فِي الِيَمِّ وَأَنْظُرْ مَا تَعَلَّقَهُ إِذَا بَعِيَانِ
٥٧٠٦- هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُولُ لُ مِثْلًا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ
٥٧٠٧- وَكَذَلِكَ مِثْلَهَا بِظِلِّ الدَّوْحِ فِي وَقْتِ الْحَرِّ وَلِقَائِلِ الرُّكْبَانِ
٥٧٠٨- هَذَا وَلَوْ عَدَلْتَ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَقُّ فِي الْمِيزَانِ
٥٧٠٩- لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِرًا مِنْ شَرْبَةٍ مَاءً وَكَانَ أَحَقُّ بِالْحِرْمَانِ

- ٥٧١٠- تَاللهَ مَا عَقَلَ امْرُؤٌ قَدْ بَاعَ مَا
 يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَجِلٌ فَانِ
 ٥٧١١- هَذَا وَيُفْتِي ثُمَّ يَقْضِي حَاكِمًا
 بِالْحَجْرِ مِنْ سَفِهِ لَذَا الْإِنْسَانَ
 ٥٧١٢- إِذْ بَاعَ شَيْئًا قَدْرُهُ فَوْقَ الَّذِي
 يَعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَثْمَانِ
 ٥٧١٣- فَمَنْ السَّفِيهِ حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا
 عَقْلٍ وَأَيْنَ الْعَقْلَ لِلْسَّكْرَانِ
 ٥٧١٤- وَاللهَ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ شَهِدْنَ مِنْ
 نَا كَانَ شَأْنٌ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ
 ٥٧١٥- نَفْسٌ مِنَ الْأَنْفَاسِ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ
 قَسَنَاهُ بِالْعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي
 ٥٧١٦- يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعَ عَدَمِ الْوَفَا
 ءِ وَطُولِ جَفَوْتِهَا مِنَ الْهَجْرَانِ
 ٥٧١٧- هَلْ فِيكَ مُعْتَبَرٌ فَيَسْأَلُوا عَاشِقُ
 بِمَصَارِعِ الْعُشَاقِ كُلِّ زَمَانِ
 ٥٧١٨- لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ
 وَعَلَى الْقُلُوبِ أَكِنَّةُ النِّسْيَانِ

الشرح

هذه الأبيات يريدُ بها المؤلفُ -رحمه الله- بيانَ حقيقةِ الدُّنيا ونسبِها إلى الآخرة، يقولُ رحمه الله:

- ٥٧٠٤- وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَهَا فَخُذْ مِنْهُ مِثَالًا وَاحِدًا ذَا شَانَ
 ٥٧٠٥- أَدْخِلْ بِجُهِدِكَ إِصْبَعًا فِي الْيَمِّ وَأَنْظُرْ مَا تَعَلَّقَهُ إِذَا بَعِيَانِ
 ٥٧٠٦- هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُولُ لُمِثْلًا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ

إذا أردتَ نسبةَ الدُّنيا إلى الآخرةِ فاعمسُ أصبعَكَ في اليمِّ -يعني: في البحرِ- وانظرِ بِمِ يَرجعُ؟ الجوابُ: لا يَرجعُ بشيءٍ بالنسبةِ للبحرِ، فهكذا نسبةُ

الدُّنْيَا إِلَى الْأُخْرَى، وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَوْضِعْ سَوَاطِيفُ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١).

٥٧٠٧- وَكَذَلِكَ مَثَلُهَا بِظِلِّ الدَّوْحِ فِي وَقْتِ الْحَرِّ وَلِقَائِلِ الرُّكْبَانِ

قَوْلُهُ: «مَثَلُهَا»؛ يَعْنِي: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: «الدَّوْحِ» الدَّوْحَةُ: شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ اسْتِظَلَّ بِهَا الرَّكْبُ عَنِ الْحَرِّ فَقَطَّ، ثُمَّ قَامَ وَتَرَكَهَا.

قَوْلُهُ: «لِقَائِلِ»؛ أَي: الَّذِي نَامَ فِي الْقَائِلَةِ.

٥٧٠٨- هَذَا وَلَوْ عَدَلَتْ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَقِّ فِي الْمِيزَانِ

٥٧٠٩- لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِرًا مِنْ شَرْبَةٍ مَاءً وَكَانَ أَحَقَّ بِالْحِرْمَانِ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تُسَاوِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مَا سَقَى مِنْهَا أَعْدَاءَهُ شَرْبَةَ مَاءٍ.

٥٧١٠- تَاللهَ مَا عَقَلَ امْرُؤٌ قَدْ بَاعَ مَا يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَحِلٌّ فَإِنْ

أَقْسَمَ بِأَنَّ الْعَقْلَ مُتَّبَعٌ عَنِ شَخْصٍ بَاعَ الَّذِي يَبْقَى بِالَّذِي هُوَ فَاِنِ.

٥٧١١- هَذَا وَيُفْتَى ثُمَّ يَقْضَى حَاكِمًا بِالْحَجَرِ مِنْ سَفَهٍ لِدَا الْإِنْسَانِ

يَعْنِي: هَذَا الَّذِي بَاعَ مَا يَبْقَى بِمَا يَفْنَى تَجِدُهُ يُفْتَى عَلَى السَّفَهِيِّ بِالْحَجَرِ وَالْمَنْعُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ إِذَا كَانَ دَيْنُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَالِهِ، فَكَيْفَ لَا تَحْجَرُ عَلَى نَفْسِكَ وَتَمْنَعُهَا مِنَ الْإِنْهَاكِ فِي الدُّنْيَا؟! فَهَذَا هُوَ السَّفَهُ فِي الْوَاقِعِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم (٢٨٩٢).

ثُمَّ ذَكَرَ وَجَهَ الْقَضَاءِ بِالْحَجْرِ؛ فَقَالَ:

٥٧١٢- إِذْ بَاعَ شَيْئًا قَدْرَهُ فَوْقَ الَّذِي يَعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَثْمَانِ

فيقول: هذا هو السَّفِيه، قال ابن القيم:

٥٧١٣- فَمَنْ السَّفِيه حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَأَيْنَ الْعَقْلُ لِلسَّكْرَانِ

هل السَّفِيه الذي بَاعَ الآخِرَةَ بالدُّنْيَا، أو الذي بَاعَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ؟ الجواب: الأوَّل، الذي اعْتَاضَ الدُّنْيَا وَتَرَكَ الآخِرَةَ هو السَّفِيه، والذي اعْتَاضَ الآخِرَةَ عَنِ الدُّنْيَا هو العَاقِلُ الرَّشِيدُ.

٥٧١٤- وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ شَهِدْنَ مِنْ نَا كَانَ شَأْنٌ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ

يعني: لو حضرت القلوبُ وتأمَّلَ الإنسانُ وتَفَكَّرَ لكانَ شَأْنٌ آخَرَ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ.

٥٧١٥- نَفْسٌ مِنَ الْأَنْفَاسِ هَذَا الْعَيْشِ إِنْ قَسَنَاهُ بِالْعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي

والنَّفْسُ - كما نَعْلَمُ - قَلِيلٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ لزمانِ الدُّنْيَا، فَضلاً عَنِ زَمَانِ الآخِرَةِ.

٥٧١٦- يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعَ عَدَمِ الْوَفَا ءِ وَطُولِ جَفْوَتِهَا مِنَ الْهَجْرَانِ

يقول: ما أَحْسَسَ الشُّرَكَاءُ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَفَاءً وَطَالَتِ الْجَفْوَةُ مَعَ الْهَجْرَانِ! فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَفَاءً وَطَالَتِ الْجَفْوَةُ مَعَ الْهَجْرَانِ لِلشُّرَكَاءِ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهم شُرَكَاءُ رَغِبُوا بِالْأَدْنَى عَنِ الْأَعْلَى.

٥٧١٧- هَلْ فِيكَ مُعْتَبَرٌ فَيَسْأَلُو عَاشِقُ بِمَصَارِعِ الْعُشَّاقِ كُلِّ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «هَلْ فِيكَ مُعْتَبَرٌ؟» الاستفهامُ هنا: للتشويق.

يعني: هل أحد منكم يعتبر بعشاق الدنيا كيف صرعتهم ولم يستفيدوا منها شيئاً؟!

٥٧١٨- لَكِنْ عَلَى نَلِكِ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ وَعَلَى الْقُلُوبِ أَكِنَّةُ النَّسِيَانِ
يعني: التَّرك، فالعيون لا تُبصر، والقلوب لا تذكر، فعلى العيون غشاوة، وعلى القلوب أكِنَّةُ النَّسِيَانِ.

- ٥٧١٩- وَأَخُو الْبَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَيَقِّظٌ
٥٧٢٠- يَسْمُو إِلَى ذَاكَ الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ الـ
٥٧٢١- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيْبَانٌ وَإِنْ
٥٧٢٢- وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَ مَوْ
٥٧٢٣- وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الْجِحَاحَ أَعَاضَهَا
٥٧٢٤- وَيَرَى مِنَ الْخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ الـ
٥٧٢٥- وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ
٥٧٢٦- حَسْرَاتُهَا هُنَّ الْوَقُودُ فَإِنْ خَبَتْ
٥٧٢٧- جَاؤُوا فِرَادَى مِثْلَ مَا خُلِقُوا بِلَا
٥٧٢٨- مَا مَعَهُمْ شَيْءٌ سِوَى الْأَعْمَالِ فَهـ
٥٧٢٩- تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقًا إِلَى الدُّ
- مُتَفَرِّدٌ عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
أَعْلَى وَخَلَّى اللَّعْبَ لِلصَّبِيَّانِ
بَلَّغُوا سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانِ
عِدْكَ الْجِنَانَ وَجَدَّ فِي الْأَثْمَانِ
بِالْعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ
بِقَافِي بِهِ يَا ذَلَّةَ الْخُسْرَانِ
وَقُلُوبِهِمْ كَمَرَا جِلِ النَّيْرَانِ
زَادَتْ سَعِيرًا بِالْوَقُودِ الثَّانِي
مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا إِخْوَانِ
سِي مَتَاجِرٍ لِلنَّارِ أَوْ لِجِنَانِ
دَارَيْنِ سَوْقَ الْخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ

- ٥٧٣٠- صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَأَوْا دَائِمًا
 يَأْخُذُونَ التَّوْفِيقَ لِلْإِنْسَانِ
 ٥٧٣١- مَجِدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَوْتِ كَذَا السُّرَى
 عِنْدَ الصَّبَاحِ فَحَبِّدَا الْحَمْدَانَ
 ٥٧٣٢- وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَى
 وَسَرُّوا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ
 ٥٧٣٣- بَاعُوا الَّذِي يَفْنَى مِنَ الْخَزْفِ الْحَسْبِ
 سِ بَدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ الْعِيقَانِ
 ٥٧٣٤- رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا
 دَةِ وَالْهُدَى يَا ذِلَّةَ الْحَيْرَانَ
 ٥٧٣٥- فَتَسَابَقَ الْأَقْوَامُ وَابْتَدَرُوا لَهَا
 كَتَسَابَقِ الْفَرَسَانِ يَوْمَ رِهَانَ
 ٥٧٣٦- وَأَخُو الْهُوَيْنَى فِي الدِّيَارِ مَخْلَفٌ
 مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الْكَسْلَانَ

الشرح

٥٧١٩- وَأَخُو الْبَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَيَقِّظٌ
 مُتَفَرِّدٌ عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
 قَوْلُهُ: «الْبَصَائِرِ» جمعُ بصيرة، والبصيرةُ بصرُ القلبِ، والبصرُ بصرُ العينِ.
 فذوو البصائرِ حاضرون متيقظون متفرِّدون عن زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ.

٥٧٢٠- يَسْمُو إِلَى ذَلِكَ الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ الـ
 أَعْلَى وَخَلَّى اللَّعْبَ لِلصَّبِيَّانِ

قَوْلُهُ: «الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ الْأَعْلَى»؛ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى هو: الْجَنَّةُ، وَنَعِيمُ الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ: «وَخَلَّى اللَّعْبَ» «اللُّعْبُ» هو الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

لَعِبٌ وَلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٦].

قَوْلُهُ: «لِلصَّبِيَّانِ»؛ يَعْنِي بِهِمْ: صِبْيَانَ الْعُقُولِ لَا صِبْيَانَ الْأَعْمَارِ، فَهَمْ شَيْخٌ
 لَكِنَّ عَقُولَهُمْ عَقُولُ الصَّبِيَّانِ.

٥٧٢١- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيبَانُ وَإِنْ بَلَغُوا سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانَ

قَوْلُهُ: «وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيبَانُ وَإِنْ بَلَغُوا»؛ يعني: وإن كبروا.

قَوْلُهُ: «سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانَ»؛ يعني: إلا الأفراد والوحدان؛ يعني: إلا

القليلين.

إِذَنْ النَّاسُ كُلُّهُمْ صِيبَانٌ وَلَوْ بَلَغُوا، وَلَوْ وَصَلُوا عَشْرِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ إِلَّا الْأَفْرَادَ وَالْوَحْدَانَ، فَوَاحِدٌ مِنَ الْأَلْفِ هُوَ الْعَاقِلُ، وَتِسْعُمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ هُمُ السُّفَهَاءُ وَالصُّبَّيَانُ، وَهَؤُلَاءِ الْقَلِيلُونَ.

٥٧٢٢- وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَ مَوْ عِدُّكَ الْجَنَانُ وَجِدَّ فِي الْأَثْمَانِ

إِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الدُّنْيَا قَالَ: «مَوْعِدُكَ الْجَنَانُ»، وَهَذَا مَا أَخُوذُ مِنْ كَوْنِ

النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يَعْجَبُهُ مِنَ الدُّنْيَا يَقُولُ: «لَبَيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ»^(١)،

و«لَبَيْكَ»؛ أَي: إِجَابَةٌ لَكَ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ قَدْ تَطْمَحُ وَتَهْرَبُ، فَيَقُولُ: «لَبَيْكَ»؛ يَعْنِي:

أَجَبْتُكَ، «إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ»، أَمَّا عَيْشُ الدُّنْيَا مَهْمَا كَانَ فَإِنَّهُ عَيْشُ زَائِلٌ لَا

خَيْرَ فِيهِ، وَمَا أَعْظَمَ حَسْرَةَ الَّذِينَ أَضَاعُوا دِينَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ، لَكِنْ مَتَى يَعْلَمُونَ

الحسرة؟

الجواب: عند الموت، ويوم القيامة؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَذَلِكَ

يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، نَسَأَلَ اللَّهُ

أَنْ يَحْمِيَنَا وَإِيَّاكُمْ، وَأَنْ يَجْزِيَ شَيْخَنَا ابْنَ الْقِيَمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - خَيْرَ الْجَزَاءِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال، رقم (٢٦٧٩)، ومسلم:

كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم (١٨٠٥).

٥٧٢٣- وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الْجَمَاحَ أَعَاضَهَا بِالْعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ
يعني: إن أبت نفسه إلا أن تجمع ولا تذلل فإنه يعيضاها بالعلم بعد حقائق
الإيمان ويرجع إلى العلم الشرعي مع حقيقة الإيمان، وحينئذ يميل إلى المنزل أو
الرّفيق الأعلى.

٥٧٢٤- وَيَرَى مِنَ الْخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ الـ بَاقِي بِهِ يَا ذَلَّةَ الْخُسْرَانِ
٥٧٢٥- وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ وَقُلُوبَهُمْ كَمَرَاجِلِ النَّيِّرَانِ
قَوْلُهُ: «وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا»؛ أي: الدنيا.

قَوْلُهُ: «وَقُلُوبَهُمْ كَمَرَاجِلِ النَّيِّرَانِ»؛ يعني: من الحرارة والقلق وعدم الثبات؛
لأن المِرْجَل هو القِدْرُ الذي يفورُ بها يُوقَدُ تحته.

وكلُّ هذا وصفٌ للدُّنيا، فقلوبهم ليس فيها فرحٌ ولا سُرورٌ، بل مهما
ازدانت لهم الحياةُ الدُّنيا فقلوبهم غيرُ مسرورةٍ كمراجلِ النَّيِّرَانِ.

٥٧٢٦- حَسْرَاتُهَا هُنَّ الْوَقُودُ فَإِنْ حَبَّتْ زَادَتْ سَعِيرًا بِالْوَقُودِ الثَّانِي
وكلُّ هذا وصفٌ للدُّنيا أيضًا؛ يعني: الحسرةُ إذا هانت جاءت حسرةً
أخرى، فتجدُ صاحبَ الدُّنيا دائمًا في حسرةٍ لما فاته من الرِّيحِ، أو لما حَصَلَ عليه
من الخسرانِ.

٥٧٢٧- جَاؤُوا فُرَادَى مِثْلَ مَا خُلِقُوا بِلا مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا إِخْوَانٍ
قَوْلُهُ: «جَاؤُوا فُرَادَى» الضَّمِيرُ يعودُ على أهلِ الدُّنيا، بل وعلى أهلِ الآخرةِ،
قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ
ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

٥٧٢٨- مَا مَعَهُمْ شَيْءٌ سِوَى الْأَعْمَالِ فَهِيَ - سِي مَتَاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِجِنَانٍ
 إن كانت صالحة فهي متاجرٌ للجنان، وإن كانت سيئةً فمتاجرٌ للنيران،
 نسأل الله العافية.

٥٧٢٩- تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقًا إِلَى الدُّ - دَارَيْنِ سَوْقِ الْخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ
 ٥٧٣٠- صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَأَحُوا دَائِمًا - يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلْإِنْسَانِ
 قَوْلُهُ: «يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلْإِنْسَانِ»؛ يعني: ما أعزها وأقلها! فإنَّ الموفقين من
 النَّاسِ قَلِيلُونَ.

الذين صبروا قليلاً ثم استراحوا دائماً هم أهل الخير والسعادة، صبروا في
 هذه الدنيا على الطاعة، صبروا عن المعصية، صبروا على الأقدار المؤلمة، ثم
 استراحوا، فهؤلاء هم أهل الآخرة الذين عرفوا الدنيا ولم يأخذوا منها إلا بما
 ينفعهم في الآخرة.

٥٧٣١- حَمِدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ كَذَا السَّرَى - عِنْدَ الصَّبَاحِ فَحَبَّذَا الْحَمْدَانِ
 قَوْلُهُ: «حَمِدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ» عند المماتِ حَمِدُوا التَّقَى؛ لِأَنَّهَا ﴿تَنْزَلُ
 عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾
 [فصلت: ٣٠]، وقد جاء في الحديث الصحيح قول النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا
 كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ
 الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ
 الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ،
 فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ

تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ
 طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفْنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا
 كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مِسْكِ وَوَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي
 انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ،
 مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ
 عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَعَظَبِ، قَالَ:
 فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا
 أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا
 كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَوَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ...»^(١).

إِذَنْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ إِذَا بُشِّرَتْ بِهَذَا خَرَجَتْ مِنَ الْبَدَنِ بِسَهُولَةٍ؛ لِأَنَّهَا سَتَفَارِقُ
 الْمَأْلُوفَ لَكِنْ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فَيَسْهَلُ عَلَيْهَا أَنْ تَخْرُجَ، بِخِلَافِ رُوحِ الْكَافِرِ
 وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا إِذَا بُشِّرَتْ بِالنَّارِ تَفَرَّقَتْ فِي الْبَدَنِ فَتُؤْخَذُ مِنْهُ بِشِدَّةٍ، نَسَأَلُ اللَّهَ
 الْعَافِيَةَ، هَذَا حَمْدٌ عِنْدَ الْمَمَاتِ؛ وَهَذَا يُشَاهَدُ بَعْضُ الْأَمْوَاتِ حَسِيًّا اسْتِنَارَةً وَجْهَهُ.

وَحَدَّثَنِي شَخْصٌ وَهُوَ ثِقَةٌ لِاسِيًّا فِي هَذَا الْقَوْلِ، وَقَدْ حَضَرَ جَنَازَةَ رَجُلٍ
 مُحْتَضِرٍ أَعْرَفُهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَمِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، يَقُولُ: إِنَّهُ فِي غُرْفَةٍ
 بِالْمُسْتَشْفَى، فَإِذَا بَنُورٌ مَلَأَ الْغُرْفَةَ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْفَهُ؛ لِأَنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَقُولُ:
 فَبَدَأَ الْمَوْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ، سَبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزَلَتْ بَنُورٍ لِهَذَا
 الْمَيِّتِ، وَهَذَا شَيْءٌ أَنَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَعْرَفُ حَالَ الْمَشْهُودِ لَهُ بِأَنَّهُ رَجُلٌ حَرِيٌّ
 بِذَلِكَ، غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ.

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٨٧، رقم ١٨٥٥٧).

قَوْلُهُ: «كَذَّا الشَّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ» عند الصَّبَاحِ متى؟ يوم القيامة تتلقَّاهم الملائكة: ﴿يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢]، وهذه لا شكَّ أنَّها بُشْرَى بخلافِ الذين يُدْعَوْنَ إلى نارِ جهنَّمَ دَعَاً، والعياذُ بالله، وَيُلْقَوْنَ فِيهَا إِقَاءً، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من شِدَّةِ غِيظِهَا تَكَادُ تَقْطَعُ، ﴿كَلِمًا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ﴾، فَالتَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٦-٩]، إِذَنْ هُوَءَاءِ يَحْمَدُونَ التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ وَكَذَلِكَ الشَّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

إِذَنْ هُوَءَاءِ لَمَّا حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ حَمِدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّقْوَى وَالْإِيْمَانِ؛ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَنَّهُمْ رَابِحُونَ، بِخِلَافِ مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ لَنْ يَحْمَدَ نَفْسَهُ.

٥٧٣٢- وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَى وَسَرَوْا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ
يعني: أَنَّهُمْ جَدُّوا فِي السَّيْرِ، وَحَدَّثَ بِهِمُ الْعَزَمَاتُ مِنَ الْحُدَاءِ لِلْإِبْلِ؛ يَعْنِي:
أَنَّهَا أَسْرَعَتْ بِهِمْ، وَسَرَوْا فِي اللَّيْلِ فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ؛ وَنُعْمَانُ وادٍ مَعْرُوفٌ فِيهِ
الْأَرَاكُ الْكَثِيرَةُ، يَنْزُلُ بِهِ الْمَسَافِرُ لِلرَّاحَةِ، فَهَؤُلاءِ جَدُّوا فِي السَّيْرِ، وَلَمْ يَنْزَلُوا
لِلْإِسْتِرَاحَةِ.

٥٧٣٣- بَاعُوا الَّذِي يَفْنَى مِنَ الْخَزْفِ الْحَسِيِّ سِيسِ بَدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ
قَوْلُهُ: «الْعِقْيَانُ»؛ أَي: الذَّهَبُ.

فَهُمْ بَاعُوا الْأَدْنَى مِنَ الْخَزْفِ بِالْأَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الثَّمَنَيْنِ؛ خَزْفٌ
خَسِيسٌ يَفْنَى بَدَائِمٍ خَالِصٍ نَقِيٍّ، وَأَيُّهَا أَوْلَى؟ الْجَوَابُ: الثَّانِي بِلَا شَكِّ.

٥٧٣٤- رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا دَةَ وَالْمُهْدَى يَا ذَلَّةَ الْحَيْرَانِ

يعني: فَاهْتَدَوْا بِهَا، لَمَّا رُفِعَتْ لَهُمْ أَعْلَامُ السَّعَادَةِ وَالْمُهْدَى اهْتَدَوْا بِهَا، وَبَقِيَ الْحَيْرَانُ فِي ذُلٍّ.

٥٧٣٥- فَتَسَابِقَ الْأَقْوَامِ وَابْتَدَرُوا لَهَا كَتَسَابِقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ

قَوْلُهُ: «كَتَسَابِقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ»؛ يَعْنِي: الْمَسَابِقَةَ عَلَى الْفَرَسِ بِعَوَضٍ تُسَمَّى مَرَاهِنَةً، وَهِيَ جَائِزَةٌ شَرْعًا.

٥٧٣٦- وَأَخُو الْهُوَيْنِيِّ فِي الدِّيَارِ مُحْلَفٌ مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]؛ السَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْأَعْمَالِ هُمُ السَّابِقُونَ لِلثَّوَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَحَاصِلُ الْأَبْيَاتِ هُوَ: ذَمُّ الدُّنْيَا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا، وَذَمُّ أَهْلِهَا، وَمَدْحُ الْآخِرَةِ وَالنُّهُوضُ إِلَيْهَا وَالْمَسَارَعَةُ فِيهَا، وَمَدْحُ أَهْلِهَا، ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَكَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَكَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

فصل

فِي رَغْبَةٍ قَائِلَهَا إِلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْ يَتَجَرَّدَ لِلَّهِ ،
وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا بِمَا يُوْجِبُهُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ ؛ فَإِنْ رَأَى حَقًّا قَبْلَهُ وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَيْهِ ،
وَإِنْ رَأَى بَاطِلًا عَرَفَ بِهِ وَأَرشَدَ إِلَيْهِ

- ٥٧٣٧- يَا أَيُّهَا الْقَارِي لَهَا اجْلِسْ مَجْلِسَ الـ حَكَمِ الْأَمِينِ أَتَى لَهُ الْخَصْمَانِ
- ٥٧٣٨- وَاحْكُمْ هَذَاكَ اللَّهُ حُكْمًا يَشْهَدُ الـ عَقْلُ الصَّرِيحُ بِهِ مَعَ الْقُرْآنِ
- ٥٧٣٩- وَاصْبِرْ وَلَا تَعْجَلْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي قَدْ قَالَهَا جَهْلًا بِلَا بُرْهَانَ
- ٥٧٤٠- وَاحْبِسْ لِسَانَكَ بُرْهَةً عَنْ كُفْرِهِ حَتَّى تُعَارِضَهَا بِلَا عُذْوَانَ
- ٥٧٤١- فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْدَهُ أَمْثَالُهَا فَتَزَالِ آخِرُ دَعْوَةِ الْفَرَسَانَ
- ٥٧٤٢- فَالْكُفْرُ لَيْسَ سِوَى الْعِنَادِ وَرَدَّ مَا جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لِقَوْلِ فَلَانِ
- ٥٧٤٣- فَانظُرْ لَعَلَّكَ هَكَذَا دُونَ الَّذِي قَدْ قَالَهَا فَتَقْضَى بِالْخُسْرَانِ
- ٥٧٤٤- فَالْحَقُّ شَمْسٌ وَالْعُيُونُ نَوَاطِرٌ لَا تَحْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَانَ
- ٥٧٤٥- وَالْقَلْبُ يُعْمَى عَنْ هُدَاهُ كَمِثْلِ مَا نُعْمَى وَأَعْظَمَ هَذِهِ الْعَيْنَانَ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِي رَغْبَةٍ قَائِلَهَا إِلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْ

يَتَجَرَّدَ لِلَّهِ؛ يعني: ويتبعده عن الهوى.

قَوْلُهُ: «وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا بِمَا يُوجِبُهُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ؛ فَإِنْ رَأَى حَقًّا قَبْلَهُ وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَإِنْ رَأَى بَاطِلًا عَرَّفَ بِهِ وَأَرشَدَ إِلَيْهِ» وهذا هو الإنصافُ والحقُّ، فابنُ القَيِّمِ الآن يطلبُ مِنَّا أن ننظرَ في هذه القصيدة العظيمة، إن كانت حقًّا قبلناها وإلا رَدَدْنَاهَا، وبيِّنَّا الباطلَ منها؛ من أجل أن يُسْتَدْرَكَ ويُرشدَ إليه، فقال:

٥٧٣٧- يَا أَيُّهَا الْقَارِي لَهَا اجْلِسْ مَجْلِسَ الْحَكَمِ الْأَمِينِ أَتَى لَهُ الْخَصْمَانِ
الْحَكْمُ الْأَمِينُ، ولا بُدَّ أن يكونَ عنده علمٌ؛ لأنَّه لا يصلُ إلى الْحَكْمِ إِلَّا بعلمٍ، فإذا كان عنده علمٌ وأمانةٌ فهو حَكْمٌ أَمِينٌ.

٥٧٣٨- وَاحْكُمْ هَذَاكَ اللَّهُ حُكْمًا يَشْهَدُ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ بِهِ مَعَ الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «وَاحْكُمْ... حُكْمًا يَشْهَدُ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ بِهِ مَعَ الْقُرْآنِ»؛ يعني: يشهدُ به العقلُ والسَّمْعُ.

وَقَوْلُهُ: «الْعَقْلُ الصَّرِيحُ» هذه دائمًا نقرؤها في كلام ابن القَيِّمِ وشيخ الإسلامِ رحمهما اللهُ؛ والمرادُ بالعقلِ الصَّرِيحِ: السَّالِمُ من الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ، وهو مأخوذٌ من الماءِ الصَّرِيحِ أو اللَّبَنِ الصَّرِيحِ الذي لم يُخَلَطْ معه شيءٌ، فهو السَّالِمُ من الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ، والشُّبُهَاتُ منشؤها الجهلُ، والشَّهَوَاتُ منشؤها: الهَوَى مع العلم؛ لأنَّ آفاتِ العقولِ إمَّا جهلٌ بالحقِّ، وإمَّا هوى يُرَدُّ به الحقُّ، لو تأملتَ كُلَّ الصَّلَاةِ وَجَدْتَهَا لا تخرجُ عن هذا، فالنَّصاري عِلَّتْهُمُ الشُّبُهَاتُ إِلَّا بعد أن عِلِمُوا الحقَّ، واليهودُ عِلَّتْهُمُ الشَّهَوَاتُ.

٥٧٣٩- وَاصْبِرْ وَلَا تَعْجَلْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي قَدْ قَالَهَا جَهْلًا بِلَا بُرْهَانَ

٥٧٤٠- وَاحْبِسْ لِسَانَكَ بُرْهَةً عَنْ كُفْرِهِ حَتَّى تُعَارِضَهَا بِلا عُدْوَانٍ

قَوْلُهُ: «احْبِسْ لِسَانَكَ بُرْهَةً عَنْ كُفْرِهِ»؛ يعني: احبس لسانك، ولا تستعجل إذا رأيت فيها ما لا ترضاه فتكفّر صاحبها كما هو شأن أهل البدع يكفّرون من عاداهم.

قَوْلُهُ: «حَتَّى تُعَارِضَهَا»؛ يعني: حتى يتسنى لك أن تعارضها وتبطل ما فيها بلا عدوانٍ.

٥٧٤١- فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْدَهُ أَمْثَالُهَا فَزَالِ آخِرُ دَعْوَةِ الْفُرْسَانِ

٥٧٤٢- فَالْكُفْرُ لَيْسَ سِوَى الْعِنَادِ وَرَدَّ مَا جَاءَ الرَّسُولَ بِهِ لِقَوْلِ فُلَانٍ

٥٧٤٣- فَانظُرْ لَعَلَّكَ هَكَذَا دُونَ الَّذِي قَدْ قَالَهَا فَتَفُوزَ بِالْحُسْرَانِ

٥٧٤٤- فَالْحَقُّ شَمْسٌ وَالْعُيُونُ نَوَاطِرٌ لَا تَحْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْدَهُ أَمْثَالُهَا»؛ يعني: جلست هذا المجلس عند الحكم عليها فإنّ عنده أمثالها، عند من؟ الظاهر: أنّها عند مؤلّفها؛ يعني أنّ عندنا أمثالها ممّا نبين به الحقّ.

قَوْلُهُ: «فَنَزَالِ آخِرُ دَعْوَةِ الْفُرْسَانِ» ما معنى نزالٍ؟ نزالٍ: اسم فعل أمرٍ من النزول؛ وهي كلمة يتداعى بها الفُرسان عند القتال، هذه آخر دعوة الفُرسان، إذا تقابلوا قال: انزل، فقد حلّ القتال، وهذا يُشبهه المبارزة، وكان ذلك مألوفاً في القتال، إذا تقابل الصّفان طلب الأشدّاء منهم والشجعان المبارزة، فيبرز واحدٌ من هؤلاء وواحدٌ من هؤلاء، ثمّ يتقاتلان، ومعلومٌ أنّ من يُقتل سوف يكون ذلك هزيمة لقومه؛ إذ تنكسر قلوبهم وينهزمون.

٥٧٤٥- وَالْقَلْبُ يُعْمَى عَنْ هُدَاهُ كَمِثْلِ مَا تُعْمَى وَأَعْظَمَ هَذِهِ الْعَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَعْظَمَ» بِالنَّصْبِ؛ يَعْنِي: يَعْمَى عَمَىٰ أَعْظَمَ.

قَوْلُهُ: «هَذِهِ الْعَيْنَانِ» فَاعِلٌ «تَعْمَى».

يعني: القلب يعمى عن رؤية الحق أشد من عمى العينين.

٥٧٤٦- هَذَا وَإِنِّي بَعْدُ مُتَحَنِّبٌ بَارَ بَعَا وَكُلُّهُمْ ذُو أَوْضَغَانِ

٥٧٤٧- فَظٌّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ ضَحْمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأَرْذَانِ

٥٧٤٨- مُتَفَيِّهٌ مُتَضَلِّعٌ بِالْجَهْلِ ذُو ضَلَعٍ وَذُو جَلْحٍ مِنَ الْعِرْفَانِ

٥٧٤٩- مُزَجِي الْبِضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ وَإِنَّهُ رَاجٍ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَذْيَانِ

٥٧٥٠- يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْحُقُوقَ تَظَلُّمًا مِنْ جَهْلِهِ كَشَاكَاةِ الْأَبْدَانِ

٥٧٥١- مِنْ جَاهِلٍ مُتَطَبَّبٍ يُفْتِي الْوَرَى وَيُحِيلُ ذَاكَ عَلَى قَضَا الرَّحْمَنِ

٥٧٥٢- عَجَّتْ فُرُوجُ الْخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ وَحُقُوقُهُمْ مِنْهُ إِلَى الدِّيَانِ

٥٧٥٣- مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ سِوَى التَّكْفِيرِ وَالتَّبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْبُهْتَانِ

٥٧٥٤- فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْمَغْلُوبُ عِنْدَ سَدِّ تَقَابُلِ الْفُرْسَانِ فِي الْمَيْدَانِ

٥٧٥٥- قَالَ: اشْكُوهُ إِلَى الْقَضَاةِ فَإِنَّهُمْ حَكَمُوا وَإِلَّا اشْكُوهُ لِلسُّلْطَانِ

٥٧٥٦- قُولُوا لَهُ هَذَا يُحِلُّ الْمُلْكَ بَلْ هَذَا يُزِيلُ الْمُلْكَ مِثْلَ فُلَانِ

- ٥٧٥٧- فَأَعِزَّهُ مِنْ قَبْلِ اسْتِدَادِ الْأَمْرِ مِنْهُ
 ٥٧٥٨- وَإِذَا دَعَاكُمْ لِلرَّسُولِ وَحُكْمِهِ
 ٥٧٥٩- وَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي الْمَجَالِسِ فَأَلْعَطُوا
 ٥٧٦٠- وَاسْتَنْصَرُوا بِمَحَاضِرٍ وَشَهَادَةٍ
 ٥٧٦١- لَا تَسْأَلُوا الشُّهَدَاءَ كَيْفَ تَحْمَلُوا
 ٥٧٦٢- وَارْفُوا شَهَادَتَهُمْ وَمَشُوا حَالَهَا
 ٥٧٦٣- وَإِذَا هُمْ شَهِدُوا فَزَكَّوهُمْ وَلَا
 ٥٧٦٤- قُولُوا الْعَدَالََةَ مِنْهُمْ قَطْعِيَّةً
 ٥٧٦٥- ثَبَّتْ عَلَى الْحُكَّامِ بَلَّ حَكْمُوا بِهَا
 ٥٧٦٦- مَنْ جَاءَ يَقْدَحُ فِيهِمْ فَلْيَتَّخِذْ
 ٥٧٦٧- وَإِذَا هُوَ اسْتَعْدَاهُمْ فَجَوَابُكُمْ
- هُ بِقُوَّةِ الْاِتِّبَاعِ وَالْأَعْوَانِ
 فَادْعُوهُ كُلُّكُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ
 وَالغَوَا إِذَا مَا احْتَجَّ بِالْقُرْآنِ
 قَدْ أَضْلَحَتْ بِالرَّفْقِ وَالِإِثْقَانِ
 وَبِأَيِّ وَقْتٍ بَلَّ بِأَيِّ مَكَانٍ
 بَلَّ أَضْلِحُوهَا غَايَةَ الْإِمْكَانِ
 تَصْغُوا الْقَوْلِ الْجَارِحِ الطَّعَّانِ
 لَسْنَا نُعَارِضُهَا بِقَوْلِ فُلَانٍ
 فَالطَّعْنُ فِيهَا لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ
 ظَهْرًا كَمِثْلِ حِجَارَةِ الصَّوَّانِ
 أَتَرُدُّهَا بِعِدَاوَةِ الْأَدْيَانِ

الشرح

- ٥٧٤٦- هَذَا وَإِنِّي بَعْدُ مُتَّحِنٌ بِأَرْبَعَةٍ وَكُلُّهُمْ ذُوو أَضْغَانٍ
 قَوْلُهُ: «هَذَا وَإِنِّي بَعْدُ مُتَّحِنٌ بِأَرْبَعَةٍ» لَمَّا ذَكَرَ وَحَثَّ عَلَى الْحَكَمِ الْأَمِينِ ذَكَرَ
 أَنَّ هُنَا أَرْبَعَةَ أَشْخَاصٍ؛ وَالْمُرَادُ: أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ بِأَوْصَافِهِمْ يَخْشَى مِنْهُمْ، مُتَّحِنٌ بِهِمْ.
 قَوْلُهُ: «وَكُلُّهُمْ ذُوو أَضْغَانٍ»؛ أَي: أَحْقَادٍ.

٥٧٤٧- فَظُّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ ضَخْمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأَرْدَانِ

قَوْلُهُ: «فَظُّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ» «فَظُّ غَلِيظٌ»؛ يعني: ليس في قلبه لين، فهو فَظٌّ في قوله، غليظٌ في طبعه، «مُتَمَعِّلٌ»؛ يعني: يدعي العلم وليس بعالم.

قَوْلُهُ: «ضَخْمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأَرْدَانِ»؛ يعني: عمامته كبيرة، وأردانه واسعة؛ يعني: أكمامه، وكانوا يفعلون هذا في المشايخ الكبار، يكبرون عمامتهم ويوسعون أردانهم وأكمامهم حتى تكاد تقول: إن هذا الكم يصلح أن يكون قميصاً من سعته.

وهذا من وقت ابن القيم - رحمه الله - أن هؤلاء الذي يعتقدون أنهم الشيوخ وأئمة الأولياء يفعلون هذا.

٥٧٤٨- مُتَفَيِّهُقٌ مُتَضَلِّعٌ بِالْجَهْلِ ذُو ضَلَعٍ وَذُو جَلْحٍ مِنَ الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَفَيِّهُقٌ»؛ معناه: أنه كأنما يمشي على قفاه من شدة إعجابه بنفسه والعياذ بالله.

قَوْلُهُ: «ضَلَعٌ» قال في «القاموس»: «ضَلَعٌ كَمَنْعَ: مَالٌ وَجَنَفَ وَجَارَ،... وَالضَّلْعُ: الْجَائِرُ»^(١).

قَوْلُهُ: «ذُو جَلْحٍ مِنَ الْعِرْفَانِ»؛ يعني: أنه خالٍ من العرفان، ليس عنده علم.

٥٧٤٩- مُزَجِي الْبِضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ وَإِنَّهُ زَاجٍ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «مُزَجِي الْبِضَاعَةِ»؛ يعني: قليل البضاعة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْحَلَةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]؛ أي: قليلة.

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة: ضلع.

قَوْلُهُ: «وَإِنَّهُ زَاجٍ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَدْيَانِ»؛ يعني: هو في العلوم قليل، لكن الهديان والإيهام والتشكيك هو مملوء منها.

٥٧٥٠- يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْحُقُوقَ تَظَلُّمًا مِنْ جَهْلِهِ كَشِكَايَةِ الْأَبْدَانِ

يشكو إلى الله الحقوق من جهله؛ يعني: أنه دائماً يشكو الحقوق تظلماً؛ لأنه جاهل، وهذه حال كثير من الناس، فهو يقول: أضاع الناس الحقوق، أو أضاعوا حقوقي، أو ما أشبه ذلك.

٥٧٥١- مِنْ جَاهِلٍ مُتَطَبَّبٍ يُفْتِي الْوَرَى وَيُحِيلُ ذَاكَ عَلَى قَضَاءِ الرَّحْمَنِ

هذا من أوصافه أنه جاهل ومتطبب، وهل هو طبيب علم أو طبيب بدن؟ الظاهر أنه طبيب علم يفتي الورى، ويحيل ذلك على قضاء الرحمن، فيقول: «هذا حكم الله»، «هذا شرع الله».

وإن كان طبيب بدن جاهلاً فإنه يهلك الورى، يقول مثلاً: هذا فيه داء في القلب، ويشق القلب، فإذا شقّه ومات الرجل قال: والله هذا قضاء الله وقدره، وهو لا يعرف شيئاً من الطب؛ ولهذا قال شيخ الإلام ابن تيمية في آخر الفتوى الحموية: «وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي»^(١)، فهؤلاء الأربعة أفسدوا الدنيا كلها، نصف الفقيه أفسد البلدان؛ لأنه يحكم لهذا على هذا وهو ليس عنده علم، فتفسد البلدان فتحصل الفوضى والعدوان، نصف المتكلم أفسد الأديان والعقائد، ونصف الطبيب أفسد الأبدان، ونصف النحوي أفسد اللسان، وهذا صحيح، تجده مثلاً عنده علم يسير بالنحو، فإذا أعرب فإذا به ينصب المرفوع ويرفع المنصوب.

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٥٤).

٥٧٥٢- عَجَّتْ فُرُوجُ الْخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ وَحُقُوقُهُمْ مِنْهُ إِلَى الدَّيَّانِ

قَوْلُهُ: «عَجَّتْ فُرُوجُ الْخَلْقِ»؛ يعني: أَنَّهُ يَحْكُمُ بِالْأَنْكِحَةِ وَالطَّلَاقِ فَيَقُولُ لِهَذَا: «بَانَتْ زَوْجَتُكَ مِنْكَ»، وَإِذَا بَانَتْ مِنْهُ حَلَّتْ لِلثَّانِي، فَيُحِلُّهَا لِمَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ، أَوْ يَفْسَخُ نِكَاحَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْفَسْخَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

٥٧٥٣- مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ سِوَى التَّكْفِيرِ وَالتَّوْبَةِ تَبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبُهْتَانِ

٥٧٥٤- فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْمَغْلُوبُ عِنْدَ تَقَابُلِ الْفُرْسَانِ فِي الْمَيْدَانِ

٥٧٥٥- قَالَ: اشْتَكُوهُ إِلَى الْقَضَاةِ فَإِنَّهُمْ حَكَمُوا وَإِلَّا اشْكُوهُ لِلسُّلْطَانِ

فِي الْأَوَّلِ يَصِيحُ فِي خَصْمِهِ: هَذَا كَفَرٌ، أَنْتَ كَافِرٌ، أَنْتَ مُبْتَدِعٌ، أَنْتَ ضَالٌّ، وَإِذَا عَرَفَ أَنَّهُ مَغْلُوبٌ مَاذَا يَصْنَعُ؟ يَقُولُ: نَذَهَبُ إِلَى الْمَحْكَمَةِ، إِلَى الْقَاضِي، إِنْ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنْتَهَى الْأَمْرَ، وَإِنْ لَمْ يَحْكَمُوا عَلَيْهِ قَالَ: «ارْفَعُوهُ لِلسُّلْطَانِ»، وَهَذَا وَاقِعٌ، فَمَثَلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَابْنِ تَيْمِيَّةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ حَبَسَهُمُ السُّلْطَانُ وَعَذَّبُوهُمْ بِسَبَبِ الْوَشَايَةِ.

٥٧٥٦- قُولُوا لَهُ هَذَا يَحِلُّ الْمُلْكُ بَلْ هَذَا يُزِيلُ الْمُلْكَ مِثْلَ فُلَانِ

٥٧٥٧- فَأَعْقَرَهُ مِنْ قَبْلِ اسْتِدَادِ الْأَمْرِ مِنْهُ هُوَ بِقُوَّةِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَعْوَانِ

إِذَا قَالُوا: هَذَا يَحِلُّ لِمُلْكِكَ وَيُزِيلُ لِمُلْكِكَ فَأَعْقَرَهُ حَتَّى لَا يَمْشِيَ قَبْلَ اسْتِدَادِ الْأَمْرِ مِنْهُ بِقُوَّةِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَعْوَانِ؛ أَي: قَبْلَ أَنْ يَكْثَرَ أَتْبَاعُهُ وَيَلْتَفِ النَّاسُ حَوْلَهُ، ثُمَّ يُزِيلُونَكَ، وَالسُّلْطَانُ خَائِفٌ لِاسْمِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ، أَمَّا مَنْ عِنْدَهُ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ اتَّقَاهُ كُلَّ شَيْءٍ، لَكِنْ كَثِيرٌ مِنَ السُّلْطَانِ لَيْسُوا عَلَى هَذَا الْوَصْفِ، فَتَجِدُهُ يَخَافُ، يَقُولُونَ

له: الشيخُ فلانٌ، شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ له أتباعٌ كثيرون، احذَر منه، لكن ما العملُ؟ يقولون: السَّجْنُ، اعقره حتَّى لا يُزيِلَ الملكَ عنكَ.

٥٧٥٨- وَإِذَا دَعَاكُمْ لِلرَّسُولِ وَحُكْمِهِ فَادْعُوهُ كُلُّكُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ

٥٧٥٩- وَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي الْمَجَالِسِ فَالْغَطُوا وَالْغَوُوا إِذَا مَا احْتَجَّ بِالْقُرْآنِ

٥٧٦٠- وَاسْتَنْصَرُوا بِمَحَاضِرٍ وَشَهَادَةٍ قَدْ أَصْلَحَتْ بِالرَّفْقِ وَالْإِتْقَانِ

فهؤلاء قد أعدوا أنفسهم من قبل وكتبوا على تأنٍ، وأثقلوا حججهم، لكنها كلها حججٌ باطلةٌ.

٥٧٦١- لَا تَسْأَلُوا الشَّهَدَاءَ كَيْفَ تَحْمَلُوا وَبِأَيِّ وَقْتٍ بَلَّ بِأَيِّ مَكَانٍ

٥٧٦٢- وَارْزُقُوا شَهَادَتِهِمْ وَمَشُوا حَالَهَا بَلَّ أَصْلِحُوهَا غَايَةَ الْإِمْكَانِ

٥٧٦٣- وَإِذَا هُمْ شَهِدُوا فَزَكُّوهُمْ وَلَا تَصْغُرُوا لِقَوْلِ الْجَارِحِ الطَّعَّانِ

٥٧٦٤- قُولُوا الْعَدَالََةَ مِنْهُمْ قَطْعِيَّةٌ لَسْنَا نُعَارِضُهَا بِقَوْلِ فُلَانٍ

٥٧٦٥- ثَبَّتْ عَلَى الْحُكَّامِ بَلَّ حَكَمُوا بِهَا فَالطَّعْنُ فِيهَا لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ

٥٧٦٦- مَنْ جَاءَ يَقْدَحُ فِيهِمْ فَلْيَتَّخِذْ ظَهْرًا كَمَثَلِ حِجَارَةِ الصَّوَّانِ

٥٧٦٧- وَإِذَا هُوَ اسْتَعْدَاهُمْ فَجَوِّبْكُمْ أتردُّها بعداوة الأديان

قوله: «وَمَشُوا حَالَهَا» هذه العبارة ما كنا نعلم أنها قديمةٌ.

فصل

في حال العدو الثاني

- ٥٧٦٨- أَوْ حَاسِدٌ قَدْ بَاتَ يَغْلِي صَدْرُهُ
بِعَدَاوَتِي كَالْمِرْجَلِ الْمَلَانِ
- ٥٧٦٩- لَوْ قُلْتُ هَذَا الْبَحْرُ قَالَ مُكَذِّبًا
هَذَا السَّرَابُ يَكُونُ بِالْقِيَعَانِ
- ٥٧٧٠- أَوْ قُلْتُ هَذِي الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتًا
الشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ إِلَى ذَا الْآنِ
- ٥٧٧١- أَوْ قُلْتُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
غَضِبَ الْخَبِيثُ وَجَاءَ بِالْكِتْمَانِ
- ٥٧٧٢- أَوْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَوْضِعِهِ
تَحْرِيفَ كَذَابٍ عَلَى الْقُرْآنِ
- ٥٧٧٣- صَالَ النُّصُوصَ عَلَيْهِ فَهُوَ بِدَفْعِهَا
مُتَوَكِّلٌ بِالذَّابِ وَالذَّيْدَانِ
- ٥٧٧٤- فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ
مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَانِ
- ٥٧٧٥- فَالْقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَدْلُولِهِ
كَيْلًا يَصُولُ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ

الشرح

هذا الثاني، الثاني ليس متمعلماً، ولا متشيخاً، وليس عليه أردانٌ واسعةٌ، ولا يدعي أنه العالمُ الفذُّ، لكنه حاسدٌ، لا يريد أن يكون لابنِ القيمِ فضلٌ، قال رحمه الله:

٥٧٦٨- أَوْ حَاسِدٌ قَدْ بَاتَ يَغْلِي صَدْرُهُ
بِعَدَاوَتِي كَالْمِرْجَلِ الْمَلَانِ

٥٧٦٩- لَوْ قُلْتُ هَذَا الْبَحْرُ قَالَ مُكَذَّبًا هَذَا السَّرَابُ يَكُونُ بِالْقِيَعَانِ

أعوذُ بالله، هذا الحاسدُ، هكذا يكونُ، يُخْفِي كُلَّ شَيْءٍ، بل تجده يمدحُ الإنسانَ، هذا رجلٌ فيه كذا، فيه كذا، فيه كذا، حتى إذا أَوْصَلَهُ الثُّرَيَّا رَمَى بِهِ، وقال: «لَكِنَّ»، وإذا جاءت «لَكِنَّ» تَوَقَّعَ ما بعدها، فَيَحُطُّ قَدْرَهُ، وهكذا يفعلُ الحَسَّادُ والعياذُ بالله، تقولُ: هذا البحرُ، قال: لا، هذا سرابٌ بالقاع، مع أن البحرَ أمامه.

٥٧٧٠- أَوْ قُلْتُ هَذِي الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتًا الشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ إِلَى ذَا الْآنِ

وإذا قلتُ له: «هذه الشمسُ»، قال: لم تطلع الشمسُ بعدُ إلى الآن.

٥٧٧١- أَوْ قُلْتُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ غَضِبَ الْخَبِيثُ وَجَاءَ بِالْكِتْمَانِ

٥٧٧٢- أَوْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَوْضُوعِهِ تَحْرِيفَ كَذَابٍ عَلَى الْقُرْآنِ

وإذا قلتُ له: «هذا كلامُ الله ورسوله» حينئذٍ يغضبُ والعياذُ بالله، ويأتي بالكتمانِ، وإذا كان حديثًا قال: هذا خبرٌ آحادٍ لا يصحُّ، وإذا كان لا يمكنُ دفعه من حيث الثبوتُ ذهبَ يُحَرِّفُ؛ وتأمَّلْ لَمَّا جاء إلى «قال الله وقال رسوله» وَصَفَهُ: بالخبيثِ، وإلا ففي الأوَّلِ لَمَّا جَحَدَ طُلُوعَ الشَّمْسِ أو وجودَ البحرِ لم يَصِفْهُ بهذا؛ لأنَّ غضبَ الخبيثِ أشدُّ من قوله: «لم تطلع الشمسُ، أو ليس هذا البحرُ».

٥٧٧٣- صَالَ النَّصُوصَ عَلَيْهِ فَهَوَّ بِدَفْعِهَا مُتَوَكِّلٌ بِالذَّبِّ وَالذَّيْدَانِ

قَوْلُهُ: «صَالَ النَّصُوصُ» أصلها: «صَالَتِ النَّصُوصُ»، لكن جمعُ التَّكْسِيرِ يجوزُ فيه التَّذْكِيرُ والتَّأْنِيثُ لاسيما أنَّ ضرورةَ الشُّعْرِ تدعو إلى ذلك.

قَوْلُهُ: «فَهَوَ يَدْفَعُهَا مُتَوَكِّلٌ بِالذَّأْبِ وَالذَّيْدَانِ»؛ أَي: مُتَوَكِّلٌ بِالْعَادَةِ؛ يَعْنِي: هُوَ يَدْفَعُهَا كِعَادَتِهِ، وَ«الذَّأْبُ»؛ بِمَعْنَى: الْعَادَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال: ٥٢]؛ أَي: عَادَتِهِمْ، وَ«الذَّيْدَانِ»؛ أَي: دَيْدَنُهُ أَنَّهُ يَدْفَعُ النُّصُوصَ، وَدَابَّهَ أَنَّهُ يَدْفَعُهَا كَذَلِكَ.

٥٧٧٤- فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَانِ

قَوْلُهُ: «فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ»؛ يَعْنِي: إِذَا خَالَفَهُ النَّصُّ مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَانِ؛ وَلِذَا تَجَدُّهُ يَلْتَزِمُ أَحْيَانًا أَشْيَاءَ لَا يَلْتَزِمُهَا عِنْدَ السَّعَةِ؛ يَعْنِي: فِي الْمُنَاطَرَاتِ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا أُتِيَ إِلَيْهِ بِالنُّصُوصِ وَقِيلَ: «كَلَامُكَ يَلْتَزِمُ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا» التَّزَمَهُ، مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ السَّعَةِ لَا يَلْتَزِمُ هَذَا الشَّيْءَ، لَكِنْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ رُبَّمَا يَلْتَزِمُ هَذَا الشَّيْءَ فَتَجَدُّهُ يُقَابِلُ النُّصُوصَ إِذَا خَالَفَتْهُ فَيَدْفَعُهَا مَدَافِعَةَ الصَّائِلِ.

٥٧٧٥- فَالْقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَدْلُولِهِ كَيْلَا يَصُولَ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ

تَجَدُّ الْحِصْمِ إِذَا أُورِدَتْ عَلَيْهِ النَّصِّ يَحْمِلُهُ عَلَى مَحْمَلٍ لَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ، حَتَّى هُوَ لَوْ قِيلَ لَهُ: أَتَقُولُ بِهَذَا فِي حَالِ الطَّمَأِينَةِ وَالرَّاحَةِ؟ قَالَ: لَا أَقُولُ بِهَذَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ النَّصِّ عَلَيْهِ، لِمَاذَا؟ كَدْفَعِ الصَّائِلِ، وَالَّذِي يَدْفَعُ الصَّائِلَ يَدْفَعُهُ بِكُلِّ سِلَاحٍ حَتَّى وَلَوْ بِأَظْفَارِهِ.

خِلَاصَةُ هَذَا الْعَدُوِّ: أَنَّهُ رَجُلٌ حَاسِدٌ، لَوْ يُرَى الْحَقَائِقَ الْحَسِيَّةَ وَالسَّمْعِيَّةَ مَا قَبِلَ، إِذَا قِيلَ: هَذَا الْبَحْرُ، قَالَ: لَا، هَذَا سِرَابٌ، قِيلَ: هَذِهِ الشَّمْسُ، قَالَ: الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ بَعْدُ، هَذَا الْقُرْآنُ، ذَهَبَ يَحْرِفُهُ عَنِ مَوَاضِعِهِ، كُلُّ هَذَا مُضَادَّةٌ لِمَنْ؟ لِابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فصل

في حال العدو الثالث

- ٥٧٧٦- وَالثَّالِثُ الْأَعْمَى الْمُقَلَّدُ ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ قَائِدُ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
 ٥٧٧٧- فَاللَّعْنُ وَالتَّكْفِيرُ وَالتَّبْدِيعُ وَالتَّضَلِيلُ وَالتَّفْسِيقُ بِالْعُدْوَانِ
 ٥٧٧٨- فَإِذَا هُمْ سَأَلُوهُ مُسْتَنَدًا لَهُ قَالَ اسْمَعُوا مَا قَالَه الرَّجُلَانِ

الشرح

استَعَاذَ ابْنُ الْقَيْمِ - رحمه الله - من ثلاثة من الأعداء؛ الأول: مُتَفَيْقُهُ مُتَعِيلِمٌ يرى أنه لا أحد مثله ولا أحد أكبر منه، والثاني: حاسدٌ، والثالث: مُقَلَّدُ أَعْمَى، وهذا المقلدُ يَصِفُ ابْنَ الْقَيْمِ بأنه كافرٌ مُبْتَدِعٌ ضالٌّ، وما أشبه ذلك، فيقال له: ما مُسْتَنَدُكَ؟ قال: اسمعوا ما قاله الرَّجُلَانِ؛ أي: المُتَعِيلِمُ والحاسدُ، إذن ليس عنده شيءٌ؛ لأنه مُقَلَّدُ أَعْمَى.

فصل

في حال العدو الرابع

- ٥٧٧٩- هَذَا وَرَابِعُهُمْ وَلَيْسَ بِكَلْبِهِمْ
حَاشَا الْكِلَابَ الْآكِلِي الْأَتْنَانِ
- ٥٧٨٠- خِنْزِيرُ طَبَعٍ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ
مُتَسَوِّفٍ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
- ٥٧٨١- كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُهُمْ يُمَشِّشُ أَعْظَمًا
يَرْمُونَهَا وَالْقَوْمُ لِلْحِجْمَانِ
- ٥٧٨٢- يَتَفَكَّهُونَ بِهَا رَخِصًا سِعْرُهَا
مَيْتًا بِلا عِوَضٍ وَلَا أُنْثَمَانِ
- ٥٧٨٣- هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاسِ لَا عِلْمٌ وَلَا
دِينَ وَلَا تَمَكِينَ ذِي سُلْطَانِ
- ٥٧٨٤- فَإِذَا رَأَى شَرًّا تَحَرَّكَ يَبْتَغِي
ذِكْرًا كَمَثَلِ تَحَرُّكِ الثُّعْبَانِ
- ٥٧٨٥- لِيَزُولَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ فَيُنْفِقَ الـ
كَلْبُ الْعُقُورَ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ
- ٥٧٨٦- فَبَقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ
مَنْ عَسَكَرٍ يُعْزَى إِلَى غَازَانِ
- ٥٧٨٧- هَدِي بِضَاعَةٌ ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَبِي
سُغِي تَاجِرًا يَبْتَاعُ بِالْأَتْنَانِ
- ٥٧٨٨- وَجَدَ التَّجَارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافَرُوا
عَنْ هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَالْأَوْطَانِ
- ٥٧٨٩- إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا
أَنْ يُتَجَرُّوا فَيَنَابِلَا أُنْثَمَانِ
- ٥٧٩٠- فَهُمْ الزَّبُونُ لَهَا فَبِاللَّهِ ارْحَمُوا
مَنْ بَيْعَةٍ مِنْ مُفْلِسٍ مَدْيَانِ
- ٥٧٩١- يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ تَاجِرًا
قَدْ طَافَ بِالْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ

٥٧٩٢- مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٌ ذَهَبًا يَرَاهُ خَالِصَ الْعِثْيَانِ
٥٧٩٣- وَكَذَا الزُّجَاجُ وَدُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي تَمْيِيزِهِ مَا إِنْ هُمَا مِثْلَانِ

الشرح

٥٧٧٩- هَذَا وَرَابِعُهُمْ وَلَيْسَ بِكَلْبِهِمْ حَاشَا الْكِلَابِ الْآكِلِي الْأَتْنَانِ
يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، لكن يقول: هذا ليس بكلب، فالكلاب تُنَزَّه عنه، حَاشَا الْكِلَابِ الْآكِلِي الْأَتْنَانِ، فالكلابُ خيرٌ من هذا.

٥٧٨٠- خِنْزِيرٌ طَبَعَ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ مُتَسَوِّفٍ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «خِنْزِيرٌ طَبَعَ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ»؛ يعني: خَلِيقَتُهُ إِنْسَانٌ إِلَّا أَنَّ طَبِيعَتَهُ طَبِيعَةُ الْخِنَازِيرِ.

قَوْلُهُ: «مُتَسَوِّفٍ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ» «مُتَسَوِّفٌ»؛ من التَّسْوِيفِ؛ يعني: أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ.

٥٧٨١- كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُهُمْ يُمَشِّشُ أَعْظَمًا يَرْمُونَهَا وَالْقَوْمُ لِلْحِمَانِ

٥٧٨٢- يَتَفَكَّهُونَ بِهَا

هذا تابعٌ وليس كالمقلد، فهو يرى ما يقول الناس فيقولُه؛ مثل: الْكَلْبِ يَتَّبِعُ النَّاسَ يُمَشِّشُ أَعْظَمًا تُرْمَى، وَالْكِلَابُ الْآنَ تَجِدُونَهَا إِذَا رُمِيَتِ الْعِظَامُ تُمَشِّشُهَا؛ تَشْمُّهَا أَوَّلًا، ثُمَّ تَأْكُلُ مَا فِيهَا مِنَ اللَّحْمِ، وَالْقَوْمُ الْآخَرُونَ يَتَفَكَّهُونَ بِاللَّحْمِ.

٥٧٨٢- رَخِيصًا سَعْرُهَا مَيْتًا بِلا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

هذا الرَّجُلُ هو الذي يَغْتَابُ، ليس له رصيدٌ من العلم ولا تقليدٌ ولا هدفٌ، فهو إنسانٌ يَغْتَابُ، إِذَا حَضَرَ مجلسًا يمدحُ ابنَ القِيَمِ مَدَحَ، وَإِذَا حَضَرَ مجلسًا يذمه ذَمًّا، ليس عنده قاعدةٌ يَبْنِي عليها عداوةً أو صداقةً، لكنّه كالكلبِ يَتَّبِعُ هؤلاء النَّاسَ الذي يأكلون اللَّحْمَ ويرمون العظامَ فَيَمْسُشُهَا.

٥٧٨٣- هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاسِ لَا عِلْمٌ وَلَا دِينَ وَلَا تَمَكِينَ ذِي سُلْطَانِ

وهؤلاء موجودون كثيرًا في عامّة النَّاسِ، فَضْلَةٌ يَتَّبِعُ كُلَّ نَاعِقٍ، وليس عنده عِلْمٌ وَلَا دِينَ وَلَا تَمَكِينَ ذِي سُلْطَانِ.

٥٧٨٤- فَإِذَا رَأَى شَرًّا تَحَرَّكَ يَبْتَغِي ذِكْرًا كَمَثَلِ تَحَرُّكِ الثُّعْبَانِ

إِذَا سَمِعَ فِي الْمَجْلِسِ غَيْبَةً شَرَعَ يَتَكَلَّمُ وَيَأْتِي بِالْكَذِبِ وَالْبَهْتَانِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، هَذَا رَجُلٌ بَلِيغٌ فِي الْمَجْلِسِ، هَذَا رَجُلٌ لَهُ كَلِمَةٌ، وَيَكُونُ لَهُ ذِكْرٌ فِي النَّاسِ، كِفَاكَ اللَّهُ لِسَانَهُ، وَهَكَذَا.

٥٧٨٥- لِيَزُولَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ فَيُنْفِقَ الْكَلْبُ الْعُقُورَ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ

قَوْلُهُ: «لِيَزُولَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ» يَقُولُ هَذَا وَهُوَ مَا فِيهِ خَيْرٌ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ، كَيْفَ أَدَى الْكَسَادِ؟ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ فِي الْمَجْلِسِ لَا يَتَكَلَّمُ، قِيلَ: هَذَا خَشْبَةٌ، وَلَا يُرْفَعُ لَهُ رَأْسٌ، لَكِنْ لَوْ تَكَلَّمَ لَوْ بِالْبَاطِلِ انْتَفَتِ النَّاسُ إِلَيْهِ، مَاذَا يَقُولُ؟ فَيُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا يُذَكِّرُ بِهِ وَيَكُونُ لَهُ بِهِ شَأْنٌ فِي الْمَجْلِسِ فَيَزُولُ كَسَادُهُ.

قَوْلُهُ: «فَيُنْفِقَ الْكَلْبُ الْعُقُورَ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ» الْكَلْبُ الْعُقُورُ إِذَا وَجَدَ ذُكُورَ

الضَّانِ - وَالضَّانُّ مَعْرُوفَةٌ بِالذُّلِّ وَالْجَبَنِ - فَإِذَا أَتَاهَا كَلْبٌ عَقُورٌ فَيَا وَيَلِهَا مِنْهُ.

٥٧٨٦- فَبَقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ مِنْ عَسْكَرٍ يُعْزَى إِلَى غَازَانَ
قوله: «غَازَانَ» أَحَدُ مَلُوكِ التَّتَارِ.

يعني: بقاء هذا الرَّجُلِ مِحْنَةٌ، وليس في كلامه - رحمه الله - اعتراضٌ على القَدْرِ، لكن محاولة لإصلاح أمثال هؤلاء في النَّاسِ.

٥٧٨٧- هَذِي بِضَاعَةٌ ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَبِيءُ - غِي تَاجِرًا يَبْتَاعُ بِالْأَثْمَانِ

٥٧٨٨- وَجَدَ التَّجَارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافَرُوا - عَنِ هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَالْأَوْطَانِ

٥٧٨٩- إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا - أَنْ يُنْجِرُوا فِينَا بِلَا أَثْمَانِ

وَبُسَّتِ الْبِضَاعَةُ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ مَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ لِيَقَعَ فِي أَعْرَاضِهِمْ، تَجِدُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَطْلُبُ مَنْ هَذَا دَأْبُهُ إِلَّا الصَّعَافِقَةَ؛ وَلِذَا قَالَ: «إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا أَنْ يَتَجَرَّوْا فِينَا بِلَا أَثْمَانٍ»؛ يَعْنِي: لَيْسَ لَدَيْهِمْ فِلُوسٌ.

٥٧٩٠- فَهُمْ الزَّبُونُ لَهَا فَبِاللَّهِ ارْحَمُوا - مِنْ بَيْعَةٍ مِنْ مُفْلِسٍ مِديَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ مُفْلِسٍ مِديَانِ»؛ يَعْنِي: كَثِيرِ الدُّيُونِ.

٥٧٩١- يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ تَاجِرًا - قَدْ طَافَ بِالْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ

قوله: «يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا»؛ الظَّاهِرُ: أَنَّهُ يَرِيدُ الْمَنْظُومَةَ.

قَوْلُهُ: «بِحَقِّكَ» هُنَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ - سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - بِحَقِّهِ، فَمَا هُوَ حَقُّهُ؟ حَقُّهُ أَنْ نَعْبُدَهُ، وَالْعِبَادَةُ مِنْ فِعْلِ الْعِبَادِ، وَالتَّوَسَّلُ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ لَيْسَ شَرْعِيًّا؛ لِأَنَّ

فَعَلَ الْعِبَادِ لَا يَنْفَعُ الْعِبَادَةَ، لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَنْ فَعَلَهُ، وَلَكِنْ يُقَالُ: «يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ»؛ أَي: الَّذِي أَوْجَبَتْهُ عَلَى نَفْسِكَ؛ وَهُوَ مَا قَالَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فَكَأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ هُوَ: إِجَابَةُ الدُّعَاءِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ...»^(١)، وَحَقُّ السَّائِلِينَ عَلَيْهِ إِجَابَتُهُمْ، فَهُوَ تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِفِعْلِهِ.

فَالْمَوْلُوفُ يَدْعُو اللَّهَ وَيَسْأَلُهُ بِحَقِّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ: إِجَابَةُ الدَّاعِي - أَنْ يَرْزُقَهَا تَاجِرًا قَدْ طَافَ بِالْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ، وَلَكِنَّهُ تَاجِرٌ ذُو خَبْرَةٍ.

٥٧٩٢ - مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٌ ذَهَبًا يَرَاهُ خَالِصَ الْعَقِيَانِ قَوْلُهُ: «مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٌ ذَهَبًا»؛ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ الذَّهَبَ مِنْ غَيْرِهِ.

٥٧٩٣ - وَكَذَا الزُّجَاجُ وَدُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي تَمْيِيزِهِ مَا إِنْ هُمَا مِثْلَانِ قَوْلُهُ: «وَكَذَا الزُّجَاجُ وَدُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي تَمْيِيزِهِ» أَيُّهَا أَحْسَنُ: الزُّجَاجُ الْمَصْنُوعُ مِنَ الْخَزْفِ أَوْ دُرَّةُ الْغَوَاصِ؟ الْجَوَابُ: الثَّانِي، فَيُمَيِّزُ بَيْنَ الزُّجَاجَةِ وَبَيْنَ الدُّرَّةِ.

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ هُمَا مِثْلَانِ» «إِنْ» هُنَا زَائِدَةٌ؛ وَالتَّقْدِيرُ: «مَا هُمَا مِثْلَانِ»، وَابْنُ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ:

إِعْمَالٌ لَيْسَ أُعْمِلَتْ «مَا» دُونَ «إِنْ» مَعَ بَقَا النَّفْسِ وَتَرْتِيبِ زُكْنِ^(٢) هُنَا هَلْ تَعْمَلُ أَوْ لَا تَعْمَلُ؟

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، رقم (٧٧٨).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل (١/ ٣٠١).

الجوابُ: لا تعملُ؛ لأنَّ فيها «إن»، فهو كقولِ الشَّاعرِ:

بَنِي غُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبٌ وَلَا صَرِيفٌ وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْخَزَفُ^(١)

وهذه القصيدةُ جديرةٌ بأن يُغاليَ فيها الإنسانُ ويتفهَّمَهَا؛ لأنَّهَا عَذْبَةُ المنطقِ، مملوءةٌ المعاني، وفيها أشياءٌ لا تجدها في غيرها.

فصل

فِي تَوَجُّهِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ
وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ

- ٥٧٩٤- هَذَا وَنَصْرُ الدِّينِ فَرَضٌ لَزِمٌ
لِلْكَفَايَةِ بَلْ عَلَى الْأَعْيَانِ
٥٧٩٥- بِيَدٍ وَإِمَّا بِاللِّسَانِ فَإِنْ عَجَزُ
تَ فَبِالتَّوَجُّهِ وَالِدُّعَا بِخَنَانِ
٥٧٩٦- مَا بَعْدَ ذَا وَاللَّهُ لِلْإِيمَانِ حَبٌ
بَّةُ خَرَدَلٍ يَا نَاصِرَ الْإِيمَانِ
٥٧٩٧- بِحَيَاةٍ وَجْهَكَ خَيْرٌ مَسْئُولٍ بِهِ
وَبُنُورِ وَجْهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
٥٧٩٨- وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا
مِنْ غَيْرِ مَا عَوِضٍ وَلَا أَثْمَانِ
٥٧٩٩- وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ جَمِيعَ
عَ الْخَلْقِ مُحْسِنُهُمْ كَذَلِكَ الْجَانِي
نِيهَا نُعُوتِ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ
٥٨٠٠- وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَى مَعَا
أَكْوَانِ بَلْ أَضْعَافُ ذِي الْأَكْوَانِ
٥٨٠١- وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ الـ
بُودِ الْوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ثَانِ
٥٨٠٢- وَبِأَنَّكَ اللَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ مَعَا
مِنْ دُونَ عَرْشِكَ لِلشَّرَى التَّحْتَانِي
بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ
٥٨٠٣- سَتَ غِيَاثُ كُلِّ مُلَدِّدٍ لَهْفَانِ
وَبِكَ الْمَعَاذُ وَلَا مَلَاذَ سِوَاكَ أَنْ
٥٨٠٤- كَ يُجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِضْيَانِ
٥٨٠٥- مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا

- ٥٨٠٦- إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ تُرْضِيكَ طَالِبَهَا أَحَقُّ مُعَانِ
- ٥٨٠٧- فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي سَبَعْتَ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ
- ٥٨٠٨- أَنْصُرْ كِتَابَكَ وَالرَّسُولَ وَدِينَكَ الـ عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ
- ٥٨٠٩- وَاخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَ مَقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
- ٥٨١٠- وَرَضِيْتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ هَذَا الْوَرَى هُوَ قِيَمُ الْأَدْيَانِ
- ٥٨١١- وَأَقْرَبَ عَيْنَ رَسُولِكَ الْمَبْعُوثِ بِالْـ دِينِ الْحَنِيفِ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِي
- ٥٨١٢- وَأَنْصُرُهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمَا أَنْصُرُهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمَا قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلِّ فِي تَوَجُّهِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ» التَّوَجُّهُ: صرفُ الوجهِ إلى الشيءِ؛ والمعنى: أن أهلَ السُّنَّةِ يتوجَّهون إلى الله عزَّ وجلَّ بما تَضَمَّنَهُ هذا الفصلُ، قال المؤلفُ:

٥٧٩٤- هَذَا وَنَصْرُ الدِّينِ فَرَضٌ لَارِئٌ لَا لِلْكَفَايَةِ بَلْ عَلَى الْأَعْيَانِ

يعني: يجبُ على كُلِّ واحدٍ من المسلمين أن ينصرَ دينَ الله بالقولِ وبالفعلِ وبكُلِّ ما يستطيعُ، ينصرُ الدِّينَ في نفسه وفي أهله وفي قومه وفي سائرِ المسلمين، ونصرُ الدِّينِ بالدِّفاعِ عنه والدَّعوةِ إليه، والغَيْرَةُ عليه والجهادِ دونه بِقَدْرِ ما يستطيعُ الإنسانُ من قوَّةِ حسب ما وجَّهه اللهُ تعالى إليه من الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، والجدالِ بالتي هي أحسن، وإذا نَصَرْتَ دينَ الله نَصَرَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٥٧٩٥- بِيَدٍ وَإِمَّا بِاللِّسَانِ فَإِنْ عَجَزَ تَ فَبِالتَّوَجُّهِ وَالدُّعَا بِحَنَانِ

يعني: تنصره بيديك أو بلسانك أو بالدعاء، وهذه المراتب الثلاث هي التي قال فيها رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْيِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»^(١)، والإنكار بالقلب لا يكفي أن يكون الإنسان كارهاً للمُنْكَرِ، بل لا بُدَّ مع ذلك من مفارقة أهلِ المُنْكَرِ، فَمَنْ جَلَسَ معهم وهو يقول: «إِنِّي مُنْكَرٌ بقلبي» فهو كاذب؛ لقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فعليك أن تقوم، أمَّا إنْ أكرهت على البقاء وهددت إذا خَرَجْتَ فهذا يكون الإنسان معذورًا فيه عند الله؛ لأنَّه مُكْرَهُ على هذا الشَّيءِ.

٥٧٩٦- مَا بَعْدَ ذَا وَاللَّهِ لِلْإِيمَانِ حَبٌ بَهُ حَرْدَلٍ يَا نَاصِرَ الْإِيمَانِ

يعني: الإنكار بالقلب والتوجه إلى الله بالدعاء ما بعده شيءٌ.

ثم بدأ المؤلف -رحمه الله- يتوسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ بما ذَكَرَ لدعائه من الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ فقال:

٥٧٩٧- بِحَيَاةِ وَجْهِكَ خَيْرٌ مَسْئُولٍ بِهِ وَبِنُورِ وَجْهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «بِحَيَاةِ وَجْهِكَ خَيْرٌ مَسْئُولٍ بِهِ» حياةُ وجهِ الله عزَّ وجلَّ يجوزُ التَّوَسُّلُ بها؛ لأنَّها من صفاته؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَبَتَّيْنِ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، والتَّوَسُّلُ إلى الله بصفاته جائزٌ، وفي الحديثِ الصَّحِيحِ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم (٤٩).

الغَيْبَ وَقَدَّرْتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(١)، فقال: «بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ» و«وعلم» هنا: صفةٌ، فالمؤلفُ -رحمه الله- سأل الله بحياة الوجه؛ أي: ببقائه.

قَوْلُهُ: «وَبِنُورِ وَجْهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ» ونورٌ وجهه نورٌ عظيمٌ، قال النبي ﷺ: «حِجَابُهُ -أي: الرَّبِّ- النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ -أي: بهاؤه وعظمته ونوره- مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢)، وبصره ينتهي إلى كُلِّ شيءٍ؛ يعني: لَأَحْرَقَتْ كُلَّ شَيْءٍ، ولكنه عزَّ وجلَّ احتجَبَ عن خَلْقِهِ بحجبٍ عظيمٍ من النُّورِ، ولهذا لَمَّا قِيلَ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٣)؛ يعني: أَنَّهُ حَالِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَنْوَارٌ عَظِيمَةٌ.

٥٧٩٨- وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانٍ حَقُّ النُّعْمَةِ هُوَ الشُّكْرُ، وَالشُّكْرُ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِهَا، وَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ قِصَّةَ رَجَالٍ ثَلَاثَةٍ وَقَعُوا فِي هَلَكَةٍ وَتَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، وَهُمْ الَّذِي انطَبَقَ عَلَيْهِمُ الْغَارُ، فَتَوَسَّلَ أَحَدُهُمْ إِلَى اللَّهِ بِالْبِرِّ الْعَظِيمِ التَّامِّ، وَالثَّانِي بِالْعَفَّةِ التَّامَّةِ، وَالثَّلَاثُ بِالْوَفَاءِ التَّامِّ، تَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ حَتَّى أَزَاكَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَذِهِ الصَّخْرَةَ^(٤)، فَالتَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ جَائِزٌ.

(١) أخرجه أحمد (٣٠/٢٦٥، رقم ١٨٣٢٥). والنسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، رقم (١٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيثار، باب في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ»، وفي قوله: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، رقم (١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيثار، باب في قوله ﷺ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، رقم (١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٦٥). ومسلم: كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، رقم (٢٧٤٣).

والشُّكْرُ دِينٌ وَعِبَادَةٌ أَيْضًا، وَالتَّوَسُّلُ بِالذِّينِ وَالْعِبَادَةِ جَائِزٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي صِفَاتٍ مَنْ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ ذُوو أَلْبَابٍ، قَالَ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

٥٧٩٩- وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ جَمِيعَ خَلْقِكَ مُحْسِنُهُمْ كَذَلِكَ الْجَانِي

يعني: رحمته وَسِعَتْ الْمُحْسِنِينَ مِنَ الْخَلْقِ وَالْجَانِي، وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا وَسِعَتْ كُلَّ الْخَلْقِ، حَتَّى الْكُفَّارَ مَرْحُومِينَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْغَيْثُ، وَلَا نَبَعَ لَهُمُ الْمَاءُ، وَلَا أَثْمَرَتْ لَهُمُ الْأَشْجَارُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَحِمَهُمْ رَحْمَةً بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْبَتِهَا، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ءِتَ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، لَكِنَّ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ خَاصَّةً بِالَّذِينَ يَتَّقُونَ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٥٨٠٠- وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَىٰ مَعَا نِيهَا نَعُوتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَىٰ» أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَىٰ يُتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي»^(١)، هَذَا تَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ.

(١) أخرجه أحمد (١/٤٥٢، رقم ٤٣١٨).

وأَسَاءَ اللهُ تَعَالَى كَمَا وَصَفَهَا عَزَّ وَجَلَّ حُسْنَى؛ أَي: مُشْتَمَلَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْمَعَانِي وَالْأَوْصَافِ؛ فَمَثَلًا: «الْقَدِيرُ» مِنْ أَسْمَائِهِ، مُتَضَمِّنٌ لِقُدْرَةٍ هِيَ أَكْمَلُ قُدْرَةٍ، لَا يَعْتَرِيهَا الْعَجْزُ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجُوهِ.

وَكذَلِكَ أَيْضًا «الْعَلِيمُ» مِنْ أَسْمَائِهِ مُتَضَمِّنٌ لِلْعِلْمِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْعُلُومِ شَمُولًا وَعُمُقًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْعِلْمُ الْكَامِلُ.

قَوْلُهُ: «مَعَانِيهَا نُعُوتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ»؛ يَعْنِي: هَذِهِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا نِعُوتٌ، وَهَذَا فِيهِ الرَّدُّ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَجْرَدُ أَعْلَامٍ لَا تَحْمَلُ مَعَانِي، فَ«عَلِيمٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ» مَعْنَاهُ: الْمُسَمَّى بِهَذَا الْإِسْمِ فَقَطْ، لَا مُتَّصِفٌ بِصِفَةِ السَّمْعِ وَالْعِلْمِ وَالْبَصْرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ أَعْلَامٌ فَقَطْ، أَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، وَهِيَ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَى الذَّاتِ مُتْرَادِفَةٌ، وَبِاعْتِبَارِ دَلَالَةِ كُلِّ اسْمٍ مِنْهَا عَلَى مَعْنَاهُ مُتَبَايِنَةٌ، فَاللهُ، وَالرَّحْمَنُ، وَالرَّحِيمُ، وَالسَّمِيعُ، وَالْبَصِيرُ، تَدُلُّ عَلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ، إِذَنْ هِيَ بِهَذَا الْمَعْنَى مُتْرَادِفَةٌ، لَكِنْ اسْمُ «اللهِ» يَدُلُّ عَلَى الْأَلُوْهِيَّةِ، وَ«الرَّحْمَنُ» عَلَى الرَّحْمَةِ، وَ«الرَّحِيمُ» عَلَى فِعْلِ، وَ«السَّمِيعُ» عَلَى السَّمْعِ، وَ«الْبَصِيرُ» عَلَى الْبَصْرِ، فَهِيَ مِنْ حَيْثُ هَذَا الْمَعْنَى تَكُونُ مُتَبَايِنَةً، كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا لَهُ مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى الْإِسْمِ الْآخَرِ.

٥٨٠١- وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ الـ أَكْوَانِ بَلْ أَضْعَافُ ذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «بِحَقِّ حَمْدِكَ» إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِحَمْدِهِ حَمْدَ النَّاسِ إِيَّاهُ فَإِنَّ حَمْدَهُمْ إِيَّاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ التَّوَسُّلِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْحَمْدِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ فَهَذَا مِنْ بَابِ التَّوَسُّلِ بِصِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَ«حَمْدِكَ» الْآنَ مُصَدَّرٌ مُضَافٌ إِمَّا لِلْفَاعِلِ وَإِمَّا لِلْمَفْعُولِ، فَاللهُ -سُبْحَانَهُ- حَامِدٌ وَمَحْمُودٌ.

وحمْدُ الله تعالى: «مِلءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءَ الأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شئتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»^(١).

٥٨٠٢- وَيَأْنِكَ اللهُ الإِلَهَ الحَقُّ مَعُ — بُودُ الوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَن ثَانِ

هذا توَّسَّلُ إلى الله بصفاته، وهو تفرُّدُه بالألوهية؛ ولذا قال: «وَيَأْنِكَ»؛ يعني: وأسألك بأنك الله، فإنَّ الله تعالى متفرِّدٌ بالألوهية مَعْبُودُ الوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَن ثَانٍ؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٥٨٠٣- بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلثَّرَى التَّحْتَانِي

كُلُّ مَعْبُودٍ مِنَ العَرْشِ إِلَى أَسْفَلِ الثَّرَى سِوَى اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللهُ هُوَ الحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

٥٨٠٤- وَبِكَ المَعَادُ وَلَا مَلَادَ سِوَاكَ أَنْ — سَتَ غِيَاثُ كُلِّ مُلَدِّدٍ لَهْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِكَ المَعَادُ»؛ يعني: لا نستعيدُ بغيرك؛ والمرادُ: فيما لا يَقْدِرُ عليه إِلَّا اللهُ، وَأَمَّا مَا يَقْدِرُ عليه البَشَرُ فَإِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِالإنْسَانِ؛ أي: بالبشرِ منه، لكن ما لا يَقْدِرُ عليه إِلَّا اللهُ لا يمكنُ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِأحدٍ سِوَاهُ؛ وعلى هذا فَمَنْ استعاذَ بِمِيَّتٍ فهو مشرِكٌ؛ لأنَّ الميِّتَ لا يَقْدِرُ أَنْ يُعِيدَ أَحَدًا؛ إذ كيف يعيده وهو بِنَفْسِهِ مِيَّتٌ؟!

وَقَوْلُهُ: «بِكَ المَعَادُ وَلَا مَلَادَ سِوَاكَ» قَدَّمَ الخَبَرَ لِإفَادَةِ الحَصْرِ، وَالمَعَادُ؛ يعني: العيادَ، فهو مصدرٌ ميميٌّ؛ يعني أَنَّنَا لا نَعُوذُ إِلَّا بِكَ، وَلا نَلُوذُ إِلَّا بِكَ، قال أهلُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم (٢٨٤٥)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، رقم (٢٤٩٤).

العلم: والفرق بين العيادِ والليادِ: أنَّ العيادَ مَّا يُخَافُ، والليادَ مَّا يُرْجَى؛ يعني: إذا كنت ترجو شيئاً فقل: «لُدْتُ بِفُلَانٍ حَتَّى تَحَقَّقَ لِي مَا أَرْجُوهُ»، وإذا كنت تخشى من شيءٍ فقل: «عُدْتُ بِهِ حَتَّى يُنْجِيكَ مِمَّا تَكْرَهُ»؛ وعلى هذا قال أحدُ الشعراءِ يمدحُ مدوحاً له يقولُ:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ^(١)

وهذا الوصفُ لا يستحقُّه إلا اللهُ عزَّ وجلَّ.

المهمُّ أنَّه قال: «يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ، وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ فِيمَا أَحَازِرُهُ».

قَوْلُهُ: «أَنْتَ عِيَاثٌ»؛ يعني: أنت الذي تُغيثُ، والغوثُ: إزالةُ الشدَّةِ؛ ومنه

دعاؤنا: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا»؛ أي: أزل شدتنا.

٥٨٠٥- مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَاكَ يُجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِضْيَانِ

قَوْلُهُ: «لِلْمُضْطَرِّ» المضطرُّ؛ يعني: الذي أُلجأته الضَّرورةُ إلى دعاءِ الله.

فإنَّ اللهَ تعالى يجيبُ دعاءه ولو كان عاصياً، قال اللهُ تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ

الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وهذا عامٌّ، حتَّى العاصي يُجيبُ اللهُ دعوته؛ لأنَّ

ضرورته جعلته يصدِّقُ في اللُّجوءِ إلى الله فأجاب اللهُ دعوته، وانظر إلى المشركين

إذا غشيهم موجٌ كالظُّلِّ دَعَوْا اللهُ مخلصينَ له الدينَ فلما نجَّاهم إلى البرِّ أشركوا،

وهو - سبحانه وتعالى - يعلمُ أنَّهم سيُشركون، يُجيبُهُم وهو عالمٌ أنَّهم سيُشركون،

(١) البيتان للمتنبي، كما في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني

لكن لماذا؟ لضرورتهم وصدق لجوئهم في تلك الحال، يُجيبهم عز وجل لأنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فيجيبهم مع علمه بعصيانهم، ومع علمه أنهم سيرجعون إلى شركهم إذا نجوا.

٥٨٠٦- إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ تَرْضِيكَ طَالِبَهَا أَحَقُّ مُعَانِ

يعني: أننا توجهنا إليك بهذه الأشياء التي توسلنا بها لحاجة ترضيك ولا تغضبك، وطالب هذه الحاجة أحق من يعان، ثم بدأ المؤلف بما يدعو به فقال:

٥٨٠٧- فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعِمِكَ الَّتِي سَبَعْتَ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ

يعني: اجعل قضاء هذه الحاجة بعض أنعمك التي سبعت علينا؛ أي: تمت وشملت، وإنما قال: «بعض أنعمك»؛ لأن نعمة الله لا تُحصى، لكن ما هذه الحاجة؟ قال:

٥٨٠٨- انْصُرْ كِتَابَكَ وَالرَّسُولَ وَدِينَكَ الـ عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ

قوله: «انصر كتابك»، فإن قال قائل: هل يصح أن يقول: «انصر نفسك يا رب»؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]؟ فالجواب: لا، بهذا اللفظ لا؛ لأن المراد بنصر الله نصر الدين الذي ارتضاه والكتاب الذي أنزله؛ ولهذا عدل ابن القيم عن قوله: «انصر نفسك».

قوله: «ودينك العالی»؛ لأن الله يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ لماذا؟ قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصَّف: ٩].

قوله: «أنزلت بالبرهان» «البرهان»؛ أي: الدليل، فإن آيات النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كلها تدل على أن القرآن حق، وأن الدين حق.

هذه الحاجة التي لنا، وهذه يجب أن تكون حاجة لكل مسلم أن ينصر الله تعالى، وأن ينصر كتابه ورسوله ودينه الذي أنزلت بالبرهان.

٥٨٠٩- وَأَخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَأَصْطَفَيْتَ مَنِ مَقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ»؛ يعني: وَأَخْتَرْتَ الْإِسْلَامَ دِينًا لِنَفْسِكَ يَدِينُ بِهِ عِبَادُكَ لَكَ؛ وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قَوْلُهُ: «وَأَصْطَفَيْتَ مَقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ»، «أَصْطَفَيْتَ مَقِيمَهُ»؛ يعني: مقيم هذا الدين، فمقيم الدين مُصْطَفَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْإِنْسَانِ، وَأَقْوَمُهُمْ بَدِينِ اللَّهِ هُوَ أَعْظَمُهُمْ اصْطِفَاءً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فمقيم هذا الدين هو الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأُمَّتُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَاهُمْ عَلَى كُلِّ الْخَلْقِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ هِيَ الْوَسْطُ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أَي: عُدُولًا خَيْرًا مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ.

٥٨١٠- وَرَضِيتُهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ هَذَا الْوَرَى هُوَ قِيَمُ الْأَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «رَضِيتُهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ هَذَا الْوَرَى»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَكُلُّ إِنْسَانٍ وَفَّقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَهُ.

قَوْلُهُ: «هُوَ قِيَمُ الْأَدْيَانِ» وَلَا شَكَّ أَنَّ أَقْوَمَ الْأَدْيَانِ بِمِصَالِحِ الْعِبَادِ هُوَ الْإِسْلَامُ؛ وَهَذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ دِينًا لِلْعِبَادِ مِنْذُ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى

قيام السّاعة، فلولا أنّه صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ لكان اللهُ -تبارك وتعالى- يُحدِثُ بعد محمّدٍ رسولاً؛ لأنَّ الأزمانَ تتغيَّرُ والأماكنَ تتغيَّرُ، والأُمَمَ تتغيَّرُ، ولكن يجب أن نعلمَ أنّ معنى قولنا: «صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ» أنّ تطبيقه صالحٌ للزمانِ والمكانِ، وليس المعنى أنّه خاضعٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ كما يريدُ بعضُ النَّاسِ، فبعضُ النَّاسِ يقولُ: «صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ»؛ يعني مثلاً: يتبعُ حاجةَ النَّاسِ، وهذا غلطٌ؛ بل المعنى: أنّ إقامتهِ صالحَةٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وبين المعنيين فرقٌ؛ لأنّه على القولِ الأوَّلِ يكونُ الدِّينُ ليس له ضوابطُ، بل ربّما يكونُ ديناً في بقعةٍ، وسواه ديناً في بقعةٍ أخرى، أو في زمانٍ دون زمانٍ.

٥٨١١- وَأَقْرَعَ عَيْنَ رَسُولِكَ الْمَبْعُوثِ بِالْأُذُنِ الْحَنِيفِ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِي

قَوْلُهُ: «الْمُتَدَانِي»؛ أَي: الْقَرِيبُ.

قَوْلُهُ: «أَقْرَعَ عَيْنَ رَسُولِكَ» كيف قال: «أَقْرَعَ عَيْنَ رَسُولِكَ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِي» مع أنّ الرّسولَ ﷺ ميّتٌ؟ الجوابُ عن هذا أن نقول: إنّ الرّسولَ -عليه الصّلاة والسّلام- تُعرَضُ عليه أعمالُ أمّته، فإذا عُرِضَ عليه النّصرُ فلا شكَّ أنّ عينه -صلواتُ الله وسلامه عليه- ستقرُّ بذلك؛ لأنّه يَرْضَى بما يرضاه اللهُ، ولا يَرْضَى بما لا يرضاه اللهُ، هذا توجيهُ كلامِ ابنِ القيمِ رحمه اللهُ.

٥٨١٢- وَأَنْصَرُهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمِثْلِ مَا قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانٍ

أَي: أَنْصَرُ الدِّينَ الْحَنِيفَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ «كَمِثْلِ مَا قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانٍ».

إِذْ انتصارُ الفرقةِ الإسلاميّةِ في أيِّ مكانٍ أو زمانٍ هو نصرٌ للرّسولِ ﷺ؛ لأنَّ النّصرَ لأتباعه شهادةٌ بأنّ دينه حقٌّ، ومن ثمَّ قال العلماءُ رحمهم اللهُ: «إِنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ آيَاتٌ لِمَتْبُوعِيهِمْ»، فإذا حَصَلَ كراماتٌ لهذه الأُمَّةِ فهي في الحقيقةِ

آيَاتٍ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهَا شَهَادَةٌ مِنْ اللهُ عَلَى أَنْ مَا
حَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْكِرَامَةُ عَلَى حَقٍّ.

- ٥٨١٣- يَا رَبِّ وَأَنْصُرْ- خَيْرِ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
- ٥٨١٤- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدَى لِحِيَارِهِمْ وَلِعَسْكَرِ الْقُرْآنِ
- ٥٨١٥- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْلَ سَلِّ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ
- ٥٨١٦- يَا رَبِّ وَاحْمِهِمْ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلِّ زَمَانٍ
- ٥٨١٧- يَا رَبِّ جَنِّبْهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النَّيْرَانِ
- ٥٨١٨- يَا رَبِّ وَاهْدِهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ كَيْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيُظْفَرُوا بِجَنَانِ
- ٥٨١٩- يَا رَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفِتَانِ
- ٥٨٢٠- وَأَنْصُرْهُمْ يَا رَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ يَا مُنْزِلَ الْقُرْآنِ
- ٥٨٢١- يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ لَجَّوْا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
- ٥٨٢٢- يَا رَبِّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلِّ هَذَا الْخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الْإِيمَانِ
- ٥٨٢٣- قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
- ٥٨٢٤- وَرَضُوا وَلا يَتَكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانٍ
- ٥٨٢٥- وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَدْيَانِ
- ٥٨٢٦- يَا رَبِّ بَثِّبْتَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجْعَلْهُمْ هُدَاةَ النَّاسِ الْحَيْرَانِ

- ٥٨٢٧- وَأَنْصُرْ عَلَى حِزْبِ النُّفَاةِ عَسَاكِرِ الْإِثْبَاتِ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ
- ٥٨٢٨- وَأَقِمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْإِنصَارَ وَأَنْصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ
- ٥٨٢٩- وَاجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أُمَّةً وَأَرْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ
- ٥٨٣٠- تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا وَدَعَاوِ الْإِنْسَانِ بِالْعُدْوَانِ
- ٥٨٣١- وَأَعِزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنْصُرْهُمْ بِهِ نَصْرًا عَزِيزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
- ٥٨٣٢- وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
- ٥٨٣٣- وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ
- ٥٨٣٤- مِلءَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْمَوْجُودِ بَعْدُ وَمُنْتَهَى الْإِمْكَانِ
- ٥٨٣٥- مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَمْدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ بِزَمَانِ
- ٥٨٣٦- وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالنَّسَلِ تَسْلِيمٍ مِنْكَ وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ
- ٥٨٣٧- وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا وَالْأُولَى تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِحْسَانِ

الشرح

- ٥٨١٣- يَا رَبِّ وَأَنْصُرْ- خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
- وهذا من عدل الناظم رحمه الله؛ حيث قال: «أَنْصُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ»، ولم يقل: «أَنْصُرْنَا، أَوْ أَنْصُرْ حِزْبَنَا»، ومن المعلوم أن الله تعالى يعلم من هو خير من الحزبين فينصره على الحزب الآخر الذي هو حزب الضلال، وهذا كقول زعيم قريش حينما تقابل الصفان قال: «اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا الرَّحِمَ، وَأَنَا بَمَا

لَا نَعْرِفُهُ، فَأَخِزِهِ الْغَدَاةَ»^(١)؛ يعني: أَهْلِكَهُ، ومعلومٌ أَنَّ الرَّسُولَ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هو أَوْصَلُهُم لِلرَّحِمِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، فابْنُ الْقِيَمِ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى وَقَالَ: «يَا رَبِّ وَأَنْصُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ»، وهذا من بابِ مُرَاعَاةِ الْحِصْمِ، ومن بابِ الْعَدْلِ.

٥٨١٤- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدَى لِيخِيَارِهِمْ وَلِعَسْكَرِ الْقُرْآنِ

وهذا عكسُ الأوَّلِ؛ بأنْ يَنْصُرَ خَيْرَ الْحِزْبَيْنِ، وَيَجْعَلُ شَرَّهُمَا فِدَى لِلْآخِرِ، ولذا نحن نقول: آمين، ثُمَّ آمين.

٥٨١٥- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْلَ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ

لَمَّا سَأَلَ اللَّهُ لَهُمُ النَّصْرَ سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا بَيْنَهُمْ عَلَى وَجهِ الْإِسْتِقَامَةِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونُوا أَهْلَ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ؛ أَي: تَقَارِبٍ؛ لِأَنَّهُ أحيانًا يَحْصُلُ بَيْنَ الْحِزْبِ الْمَنْصُورِ الَّذِي عَلَى الْحَقِّ يَحْصُلُ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ وَفِرْقَةٌ، فَدَعَا ابْنَ الْقِيَمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْحِزْبَ الْمُبَارَكَ أَهْلَ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ.

٥٨١٦- يَا رَبِّ وَاجْمِهِمْ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلِّ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ»، أَمَّا الْبِدْعُ الَّتِي أُحْدِثَتْ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ تَكُونُ خَيْرًا، لَكِنِ الْبِدْعُ الَّتِي هِيَ شَرٌّ مُحْضٌ هِيَ الْبِدْعُ فِي الدِّينِ، وَيَدُلُّ لِهَذَا أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا حَثَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٥/٤٣١، رقم ٢٤٠٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/٣٧٣، رقم ١٧١٤٤). وأبو داود: كتاب السنَّة، باب في لزوم السنَّة، رقم

(٤٦٠٧).

٥٨١٧- يَا رَبِّ جَنَّبَهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «جَنَّبَهُمْ طَرَائِقَهَا»؛ أي: طرائق البدع.

وهذا أخذَه من قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١)، ولا شكَّ أنَّ صاحبَ البدعِ على خطرٍ؛ لأنَّه يكونُ -والعياذُ بالله- إمامًا في الشرِّ والمخالفةِ في الدِّينِ والابتداعِ فيه.

٥٨١٨- يَا رَبِّ وَاهِدِهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ كَيْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيُظْفَرُوا بِجَنَانِ

٥٨١٩- يَا رَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفِتَانِ

٥٨٢٠- وَأَنْصُرْهُمْ يَا رَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ يَوْمَ نُزِلَ الْقُرْآنِ

٥٨٢١- يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ لَجَّوْا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ لَجَّوْا إِلَيْكَ» هذا من بابِ التَّوَسُّلِ بِالْحَالِ، أن يتوسَّلَ الإنسانُ إلى الله بحالِهِ، والتَّوَسُّلُ إلى الله بالحالِ جائزٌ، ومنه قولُ موسى عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فإذا تَوَسَّلَ الإنسانُ بحالِهِ إلى الله فإنَّ هذه الحالُ سببٌ لعطفِ الله عزَّ وجلَّ عليه وعنايته به.

قَوْلُهُ: «هُمْ الْغُرَبَاءُ»؛ يعني: بين أهلِ البدعِ، ولا شكَّ أنَّ أهلَ السُّنَّةِ -جعلنا اللهُ وإياكم منهم- لا شكَّ أنَّهم غرباءُ بين أهلِ البدعِ، وأنَّ أهلَ البدعِ يرمونهم بكُلِّ لقبٍ سيِّئٍ، فابنُ القَيِّمِ -رحمه اللهُ- يقولُ: «إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ لَجَّوْا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ»؛ يعني: فَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ، واحمِهِمْ من أعدائِهِمْ.

(١) أخرجه النسائي: كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، رقم (١٥٧٨).

٥٨٢٢- يَا رَبِّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلِّ هَـ ذَا الْخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الْإِيمَانِ

وهذا هو الواجب؛ أن أهل السنة يُعَادُونَ جميع البشرِ إِلَّا صادقَ الإيمانِ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْتُمْ فِيهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾؛ أي: تجعلونها بين أيديهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١]، فكيف تحبُّون هؤلاء أو تؤادونهم وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق؟!!

٥٨٢٣- قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

يعني: أنهم فارقوا أعداء الله مع أنهم محتاجون إليهم في أمور الدنيا، لكن من أجل رضا الله عادوهم وفارقوهم.

٥٨٢٤- وَرَضُوا وَإِلَيْكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانٍ

قَوْلُهُ: «نَالَ الْأَمَانَ»، «الْأَمَانُ» ضِدُّ الْخَوْفِ.

وقَوْلُهُ: «وَنَالَ كُلَّ أَمَانٍ»؛ أي: كُلُّ أَمْنِيَّةٍ؛ أي: كُلُّ ما يَتَمَنَّى، وليس قولُهُ: «كُلُّ أَمَانٍ» الأمان الذي هو ضِدُّ الْخَوْفِ؛ لِئَلَّا يَكُونَ الْبَيْتُ مُكْرَّرًا.

٥٨٢٥- وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَدْيَانِ

يعني: صاروا يتحاكمون إلى الوحي لا إلى آراء الرجال.

٥٨٢٦- يَا رَبِّ ثَبَّتْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجِبِ عَلَهُمْ هُدَاةَ التَّائِبِ الْحَيْرَانِ

٥٨٢٧- وَانْصُرْ عَلَى حِزْبِ النُّفَاةِ عَسَاكِرَ الْإِثْبَاتِ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «حِزْبِ النُّفَاةِ» يُرِيدُ بِهَذَا: نِفَاةَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، سِوَاهُ نَفْوَا ذَلِكَ جُحُودًا وَإِنْكَارًا أَمْ نَفْوَا ذَلِكَ تَحْرِيفًا؛ لِأَنَّ نِفَاةَ الصِّفَاتِ بَعْضُهُمْ يَنْفِيهَا إِِنْكَارًا

وجحدًا؛ كالذين يقولون: «إِنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ لَا تُثَبِّتُ بِهَا الصِّفَاتُ» هذا إنكارٌ، أو تحريفًا؛ إذا عَجَزُوا عن إنكارها حَرَّفُوهَا وَصَرَّفُوهَا عن مرادها، فكلامه -رحمه الله- يشمل النوعين؛ أي: مَنْ نفاها إنكارًا وجحودًا، وَمَنْ نفاها تحريفًا وتأويلًا كما يدَّعي.

٥٨٢٨- وَأَقِمَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْـ أَنْصَارِ وَأَنْصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ

سأل الله أن يُقِيمَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ الْأَنْصَارَ؛ ومنهم السُّلَاطِينُ وَالْأَمْرَاءُ، فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا أَنْصَارًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ نَفَعُوا أَهْلَ السُّنَّةِ، وَلَا يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْكُمْ مَا حَصَلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ، لَمَّا تَوَلَّاهُ السُّلْطَانُ، وَصَارَ نَاصِرًا لَهُ انْتَصَرَ الْحَقُّ، وَلَا يَخْفَى أَيْضًا مَا حَصَلَ مِنْ تَوَلَّى الْإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ سَعُودٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، فَإِنَّ اللَّهَ نَصَرَهُ حَيْثُ نَصَرَهُ الْإِمَامُ.

٥٨٢٩- وَأَجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أَيْمَةً وَأَرْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أَيْمَةً»، إِمَامَةُ الْمُتَّقِينَ لَيْسَتْ بِالسَّهْلَةِ، إِمَامَةُ الْمُتَّقِينَ تَحْتَاجُ إِلَى عِبَادَةٍ وَعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ؛ حَتَّى يَكُونَ إِمَامًا بِقَوْلِهِ وَإِمَامًا بِفِعْلِهِ.

قَوْلُهُ: «وَأَرْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ»؛ هَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ وَكَانُوا بِبَايَعَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿[السَّجْدَةُ: ٢٤]﴾، وَمِنْ كَلِمَاتِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ»^(١).

٥٨٣٠- تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا وَدَعَاؤِ إِلَيْهِ النَّاسِ بِالْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا»؛ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا

(١) انظر: قاعدة في الصبر (ص: ٩٤).

مِنْهُمْ أَيْمَةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴿٥٨٣١﴾؛ يعني: ويهدون النَّاسَ بِأَمْرِنَا؛ أي: بشرعنا، وبأمرنا الكونيِّ أَيضًا ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ وَكَانُوا بِثَابِتِنَا يُوقِنُونَ ﴿[السَّجدة: ٢٤]﴾، لا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا، وَالصَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى النَّاسِ؛ أي: أَحَدَثَ النَّاسُ، وليس المرادُ أَحَدَثَ الْأَيْمَةَ؛ لِأَنَّ الْأَيْمَةَ فِي الدِّينِ لَا يُحَدِّثُونَ شَيْئًا فِي دِينِ اللَّهِ.

٥٨٣١- وَأَعَزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَانصُرَهُمْ بِهِ نَصْرًا عَزِيزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ قَوْلُهُ: «أَعَزَّهُمْ بِالْحَقِّ»؛ يعني: اجعل لهم الغلبة بالحق.

قَوْلُهُ: «وَانصُرَهُمْ بِهِ»؛ أي: وانصُرْهم بالحق نصرًا عزيزًا؛ وهذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣].

٥٨٣٢- وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ قَوْلُهُ: «وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ...»؛ هذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

وَقَوْلُهُ: «وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ»؛ وذلك بالتَّقْوَى، والقولِ السَّدِيدِ.

٥٨٣٣- وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ

٥٨٣٤- مِلءَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْمَوْجُودِ بَعْدُ وَمُنْتَهَى الْإِمْكَانِ

٥٨٣٥- بِمَا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَمْدًا بِغَيْرِ نِهَائِيَّةٍ بِزَمَانِ

نعم، له المحامدُ كُلُّهَا، لا يَفْنَى أَبَدًا؛ وذلك مأخوذٌ من قولِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مِلءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا

شَتَّتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»^(١)، فهو يعلمُ الزَّمانَ والمكانَ.

٥٨٣٦- وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالْتِ تَسْلِيمٍ مِنْكَ وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ

٥٨٣٧- وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا وَالْأَلَى تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدُ بِالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمِ» هذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قَوْلُهُ: «وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا» الرِّضْوَانُ عليه وعلى صحابته؛ مأخوذٌ من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ولا شكَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُهَاجِرٌ؛ إِذْ نَ يَدْخُلُ فِي الرِّضْوَانِ.

قَوْلُهُ: «وَالْأَلَى تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدُ بِالْإِحْسَانِ»؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.

نسمعُ كثيرًا من بعض المتكلمين بالوعظِ والإرشادِ يقولُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ»، وهذا لا ينبغي؛ لأنَّه إطلاقٌ لما قيَّده اللهُ، لكن ماذا نقولُ؟

نقولُ: «والتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحْسَانٍ» كما قيَّده اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ولكن يُقالُ في العُدْرِ عن هؤلاء: إِنَّكَ لو سَأَلْتَهُمْ: هل تريدُ التَّابِعِينَ زَمَنًا أو التَّابِعِينَ عَمَلًا بِإِحْسَانٍ؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم (٢٨٤٥)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ﷺ، رقم (٢٤٩٤).

لقال: أريدُ الثاني، إلا أنه ينبغي التّصريحُ بالمراد، حتّى لا ينالَ الإنسانُ شيءً من النّقص.

والحقيقة: أنّ هذه القصيدةَ قصيدةٌ رائعةٌ، ولا يُعابُ عليها إلا أنّ أفهامنا قاصرةٌ دونها، كما أنّه يكونُ فيها تكرارٌ أحياناً من أجلِ تثبيتِ المعاني، والتّكرارُ من أجلِ التّثبيتِ، ولأهميّةِ الموضوعِ أمرٌ مألوفٌ حتّى في القرآنِ الكريمِ من الأشياءِ المكرّرةِ معانيها ما هو معلومٌ؛ بل في بعضِ الآياتِ تجدُ التّكرارَ، بل تجدُ الآيةَ برُمّتها مكرّرةً؛ مثل قوله تعالى: ﴿بَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، وكلُّ هذا من أجلِ تثبيتِ الأمورِ المهمّةِ في أذهانِ النَّاسِ.

وبذلك انتهت القصيدةُ النّويّةُ، وعلّقنا عليها بما فتحَ اللهُ به علينا، ونسألُ اللهَ أن ينفَعَ به، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

تمَّ بحمدِ الله وتوفيقِهِ المُجلَّدُ الرَّابِعُ وَهُوَ الْأَخِيرُ
 مِنْ شَرَحِ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ فِي الْإِنْتِصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمُّ الصَّالِحَاتُ
 وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
 وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

أبيات مختارات من النونية
بقلم فضيلة الشيخ الشارح رحمه الله تعالى

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله رب العالمين ابتدأنا قرة العيون بعد العشر يومين في الاسبوع من ٢٠ ذي الحجة ١٤١٩
 زان الله أن ينفعنا بما، وهذه أبيات مختارات مما يمر بنا جعلناها فضلا

فصل في مذهب جهم في الصفات

جهم بن صفوان وشيعته الأول	جهم وأصحابه القائلون بالريان
قالوا ليس لربنا سمع ولا	بضرورة لوجه فكيف يدان
كلامه لا وصف يقيم به سوى	ذات بجمرة بغير معان
وعياته هي نفسه وكلامه	هو غير ما يحب للأبيات
وكلامه مذل غير أن محض	لوقاله من جملة الزكوان

فصل في مذهب جهم في أفعال العبد

والعبد عندهم فليس يفعل	بل فعله كتحريك الريحان
والجبر مذهب الذي قرئ به	عبد العصاة وشيعة الشيطان
فلذا قال بأن طاعت الذي	وكذلك ما فعل من عسيان
هي عيب فعل الرب لأفعالهم	فيصعب عندهم عند الفسيان
ففي قدرتهم عليها أنكر لا	وصدرها عنهم بنفشان
فيقال ما صعدوا ولا صعدوا ولا	زكوا ولا ذبحوا ولا قربان
الأعلى وجه المجاز لأنها	قاصت بهم كالطعم والأوان

فصل في مذهب جهم في الإيمان

قالوا وأقرب العباد رآه	فلا تهم هو منزه الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد	كالشط عند تماثل الأستان

فصل في مذهب جهم في فعل الله

وقضى بأن الله كان معطلا	والفعل مستع بلا إمكان
-------------------------	-----------------------

- وحياة قلب المرد في مشيئتين من
 - ذكر الاله وحيه من غير ذكر
 - من صاعب التعطيل حقا كانتنا
 - يا من تعز عليهم أمروا هم
 - ويرون أن أمامهم يوم القا
 - ما ذا عمدتم ثم ما ذا أقدم
 - ها توأجوا بالسؤال وحيثوا

يوزقها يحي مدى الأزمان
 رآك به وهما تمتنعان
 ع الطائر المقصود من طيران
 ويرون غيبا ببعك بهوان
 بترمسأ لتان شاملتان
 تم مع أن بالحق والبرهان
 أيضا صوابا بالحب يدان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبيات مختارات من النونية

بقلم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين، ابتدأنا قراءة النونية بعد العصر، يومين في الأسبوع، من ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١ هـ، نسأل الله أن ينفعنا بها، وهذه أبيات مختارات مما يمر بنا، جعلناها فصولاً.

فصل في مذهب جهم في الصفات

جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَشِيعَتُهُ الْأُولَى جَحَدُوا صِفَاتِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
قَالُوا وَلَيْسَ لِرَبِّنَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا وَجْهٌ، فَكَيْفَ يَدَانِ
كَلًّا، وَلَا وَصْفٌ يَقُومُ بِهِ سِوَى ذَاتِ مُجَرَّدَةٍ بَغَيْرِ مَعَانِ
وَحَيَاتِهِ هِيَ نَفْسُهُ، وَكَلَامُهُ هُوَ غَيْرُهُ فَأَعْجَبَ لِهَذَا الْبُهْتَانِ
وكلامه مذ كان غيرًا كان مخد لوقاله من جملة الأكوان

فصل: في مذهب جهم في أفعال العبد

وَالْعَبْدُ عِنْدَهُمْ فَلَيْسَ بِفَاعِلٍ بَلْ فِعْلُهُ كَتَحَرُّكِ الرَّجْفَانِ
وَالجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الْعَصَاةِ، وَشِيعَةُ الشَّيْطَانِ

فَلِذَلِكَ قَالَ بِأَنَّ طَاعَاتِ الْوَرَى هِيَ عَيْنُ فِعْلِ الرَّبِّ لَا أفعالُهُمْ
 وَكَذَلِكَ مَا فَعَلُوهُ مِنْ عَصِيَانِ نَفْسِي لِقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا أَوْلًا
 فَيَصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفْيَانِ وَيُقَالُ مَا صَامُوا وَلَا صَلَّوْا وَلَا
 وَصُدُّوْهَا عَنْهُمْ بِنَفْسِي نَّانِ زَكَّوْا وَلَا ذَبَحُوا مِنْ الْقُرْبَانِ
 قَامَتْ بِهِمْ كَالطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ؛ لِأَنَّهَا

فصل: في مذهب جهنم في الإيمان

قَالُوا: وَإِقْرَارُ الْعِبَادِ بِأَنَّهُ خَلَقَهُمْ هُوَ مُتْتَهَى الْإِيمَانِ
 وَالنَّاسُ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ كَالْمُشْطِ عِنْدَ تَمَائِلِ الْأَسْنَانِ

فصل: في مذهب جهنم في فعل الله

وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطًى ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ
 وَالْفِعْلُ مُتْتَبِعٌ بِإِلَّا إِمْكَانٍ بَلْ حَالُهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَاتِهِ
 مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ قَامَ بِالذِّيَّانِ وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
 قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهُ سَيَّانٍ بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ
 فِعْلًا يَقُومُ بِهِ بِإِلَّا بُرْهَانٍ وَقَضَى بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا
 كَالْوَصْفِ غَيْرِ الذَّاتِ فِي الْحُسْبَانِ جَنَاتٌ عَذِنَ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمِ مَعَادِنَا
 وَلَا جِلِّ ذَلِكَ لَمْ يُقَرَّرِ الْجَهْمُ بِالْ
 لَكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ بِهَا
 وَقَضَى عَلَى أَسْمَائِهِ بِخُدُوثِهَا
 فَانظُرْ إِلَى تَعْطِيلِهِ الْأَوْصَافِ وَالْ
 وَلِذَا تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ
 لَمْ يَنْجُ مِنْ أَقْوَالِهِ طُرًّا سِوَى

فَهُمَا عَلَى الْأَوْقَاتِ فَايْتَانِ
 أَرْوَاحٍ خَارِجَةً عَنِ الْأَبْدَانِ
 قَامَتْ، وَذَا فِي عَايَةِ الْبُطْلَانِ
 وَبِخَلْقِهَا مِنْ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ
 أَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ لِلرَّحْمَنِ
 وَتَوَارُثُوهُ إِزْثَ ذِي الشُّهُمَانِ
 أَهْلُ الْحَدِيثِ وَشِيعَةِ الْقُرْآنِ

فصل: في مقدمة قبل التحكيم

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ
 كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا
 وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
 وَائْتَبْتُ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى
 وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا
 ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ
 وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرِ حُلَّةٍ
 وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمتَحَنٌ، فَلَا

اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانِ
 بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الْهَدْيَانِ
 جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
 فَإِذَا أَصَبْتَ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
 يَلْقَ الرَّدَى بِمَدْمَمَةٍ وَهَوَانِ
 ثَوْبُ التَّعْصَبِ، بِشَسْتِ الثَّوْبَانِ
 زَيْنَتْ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتِفَانِ
 تَعَجَّبْ؛ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

وَيَذَاكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَرْبِهِ
 لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ إِنَّ
 وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ، وَلَا تَنْمِ
 فَالْهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْ
 وَالْهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْ
 وَشَجَاعَةِ الْفُرْسَانِ نَفْسُ الزُّهْدِ فِي
 وَشَجَاعَةُ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ زُهْدُ
 وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقَلَّتَيْنِ، كِلَاهُمَا
 فَانظُرْ بَعَيْنِ الْحُكْمِ وَازْجَمُهُمْ بِهَا
 وَانظُرْ بَعَيْنِ الْأَمْرِ وَاحْمِلُهُمْ عَلَى
 وَاحْذَرُ كَمَا إِنَّ نَفْسِكَ اللَّائِي مَتَى
 وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَغَى

وَلَا أَجَلَ ذَاكَ النَّاسُ طَائِفَتَانِ
 فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ
 فَهُمَا عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَانِ
 إِخْلَاصٍ فِي سِرٍّ، وَفِي إِعْلَانِ
 حَقِّ الْمُبِينِ وَوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
 نَفْسٍ، وَذَا مَحْدُورٍ كُلِّ جَبَانِ
 دُّ فِي الثَّمَانِ مِنْ كُلِّ ذِي بَطْلَانِ
 بِالْحَقِّ فِي ذَا الْخَلْقِ نَاطِرَتَانِ
 إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ الدِّيَانِ
 أَحْكَامِهِ، فَهُمَا إِذَنْ نَظْرَانِ
 خَرَجَتْ عَلَيْكَ كُسْرَتَ كَسْرٍ- مُهَانِ
 طَفِي الدُّخَانِ بِمَوْقِدِ النَّيْرَانِ

فصل: في عقد مجلس التحكيم

فَاجْلِسْ إِذَنْ فِي مَجْلِسِ الْحَكَمَيْنِ لِلرِّ
 الْأَوَّلِ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَبَعْدَهُ الْ
 رَحْمَنِ، لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
 عَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

وَاحْكُمُ إِذْنَ فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا يَبْعُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
فَتَرَفَّقُوا فِي سَبِيلِهِمْ، وَتَفَارَقُوا عِنْدَ افْتِرَاقِ الطَّرِيقِ بِالْحَيْرَانِ

فَصْلٌ: فِي قُدُومِ الرِّكْبِ الْأَوَّلِ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ

فَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ هَذَا الْوُجُودَ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
فَهُوَ السَّمَاءُ بِعَيْنِهَا وَنُجُومُهَا وَكَذَلِكَ الْأَفْلَاكُ وَالْقَمَرَانِ
وَالْكُفْرُ عِنْدَهُمْ هُدًى، وَلَوْ أَنَّهُ دِينَ الْمَجُوسِ وَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
قَالُوا: وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ، وَإِنَّمَا ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الْأَعْيَانِ
لَوْ أَنَّهُمْ عَمُوا وَقَالُوا: كُلُّهَا مَعْبُودَةٌ مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ
فَالْكُلُّ عَيْنُ اللَّهِ عِنْدَ مُحَقِّقِ وَالْكُلُّ مَعْبُودٌ لِذِي الْعِرْفَانِ
يَا أُمَّةً مَعْبُودَهَا مَوْطُؤُوهَا أَيَّنَ الْإِلَهِ، وَتُغْرَةُ الطَّعَّانِ؟

فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ آخَرَ، وَهُمْ حُلُولِيَّةُ الْجَهْمِيَّةِ

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانِ
هُوَ كَالْهَوَاءِ بِعَيْنِهِ لَا عَيْنُهُ مَلَأَ الْحَلَاءَ، وَلَا يُرَى بِعِيَانِ
وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أُصُولَهَا لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ فِي الْأَوْزَانِ

فصل: في قدوم ركب آخر، وهم معطلة الجهمية

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَارَبَ وَضَعُهُ هَذَا، وَلَكِنْ جَدَّ فِي الْكُفْرَانِ
فَأَسْرَّ قَوْلَ مُعْطَلٍ وَمُكْذِبٍ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ
إِذْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجٌ عَن جُمَّةِ الْأَكْوَانِ
بَلْ قَالَ: لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلَا فِيهَا، وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بَيِّنَانِ
وَاللَّهِ مَا يَرْضَى بِهَذَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الْإِيمَانِ
وَاللَّهِ مَا بُلِيَ الْمُجَسِّمُ قَطُّ ذِي الْبَلْوَى وَلَا أَمْسَى بِذِي الْخُدْلَانِ

فصل: في قدوم ركب آخر، وهم الدهرية

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَارَبَ وَضَعُهُ هَذَا، وَزَادَ عَلَيْهِ فِي الْمِيمِزَانِ
قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمُ لَا تُنْهَيْكُمْ مَا هَذِي الْأَمَانِي هُنَّ شَرُّ أَمَانِ
فَتَشْتُ فَوْقَ وَتَحْتَ، ثُمَّ أَمَانَنَا وَوَرَاءَ، ثُمَّ يَسَارَ مَعَ أَيْمَانِ
مَا دَلَّنِي أَحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمْ مَا كَلَّا، وَلَا بَشَّرُ إِلَيْهِ هَدَانِي
إِلَّا طَوَائِفُ بِالْحَدِيثِ تَمَسَّكَتْ تَعْزِي مَذَاهِبَهَا إِلَى الْقُرْآنِ
فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ رُفْقَتِي وَأَجَبْتِي أَصْحَابَ جَهْمٍ حِزْبَ جِنَكِرْ خَانَ
مَنْ هُوَ لَاءٍ وَمَنْ يُقَالُ لَهُمْ؟ فَقَدْ جَاؤُوا بِأَمْرِ مَالِي الْأَذَانِ

جَاؤُوكُمْوَا بِالْوَحْيِ لَكِنْ جِئْتُمْوَا
 قَالُوا: مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ، فَلَا
 فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِهِمْ فَعَالِطُهُمْ عَلَى الْـ
 وَكَذَلِكَ غَالِطُهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلـ
 وَإِذَا اجْتَمَعَتْ وَهُمْ بِمَجْلِسٍ مُشْهَدٍ
 هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ أَوْصَانَا بِهِ
 فَرَجَعْتُ مِنْ سَفَرِي، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي
 عَطَّلْ رِكَابَكَ وَاسْتَرِحْ مِنْ سَيْرِهَا
 مَا نَمَّ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَمْ
 فَدَعَ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامِ لِأَهْلِيهِ
 وَاقْطَعْ عِلَاقَتَكَ الَّتِي قَدْ قَيَّدَتْ
 لِتَصِيرَ حُرًّا لَسْتَ تَحْتَ أَوْامِرٍ
 فَذَرُوا الْمِرَاءَ، وَصَرَّحُوا بِمَذَاهِبِ الْـ
 أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالْتَشِّـ
 أَوْ لَا فَالَا تَتَلَاعَبُوا بِعُقُولِكُمْ
 فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ

بُنْحَاتَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ
 تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَوَانَ
 تَأْوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 أَخْبَارِ، ذَانِ لِصَاحِبِنَا أَضْلَانِ
 فَأَبْدُرُ بِإِيرَادِ وَشَغْلِ زَمَانِ
 أَشْيَاخُنَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 وَمَطِيَّتِي قَدْ آذَنْتُ بِحِرَانِ
 مَا نَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذِي الْأَكْوَانِ
 يَتَكَلَّمُ الرَّحْمَنُ بِالْقُرْآنِ
 فَهِيَ السِّيَاحُ لَهُمْ عَلَى الْبُسْتَانِ
 هَذَا الْوَرَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 كَلًّا، وَلَا نَهْيٍ، وَلَا فُرْقَانِ
 قُدَمَاءَ، وَأَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ
 بِهِ تَحْتَ لِيَوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ
 وَكِتَابِكُمْ، وَسَائِرِ الْأَدْيَانِ
 وَكَلَامِهِ، وَعُلُوِّهِ بَيَانِ

وَالنَّاسُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ أَوْ جَاحِدٍ
يَا وَيْحَ جَهْمٍ وَابْنِ دِرْهَمٍ وَالْأُولَى
بَقِيَّتْ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيهِ بَقِيَّةٌ
يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ لَا
وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى
وَبِنْفِيهِ التَّجْسِيمِ يَضْرُخُ فِي الْوَرَى
لَكِنَّا قُلْنَا: مُحَالٌ كُلُّ ذَا
أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَوْ شَبِيهَهُ أَتَانِ
قَالُوا بِقَوْلِهِمَا مِنَ الْخُورَانِ
نَقَضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
يَلْوِي عَلَى خَيْرٍ وَلَا قُرْآنِ
وَكَذَاكَ يَعْلَمُ سِرَّ كُلِّ جَنَانِ
وَاللَّهُ مَا هَذَا مِنْ مُتَّفَقَانِ
حَذَرًا مِنَ التَّجْسِيمِ وَالْإِمْكَانِ

فصل: في قدوم ركب أهل العلم والإيمان

وَأَتَى فَرِيقًا، ثُمَّ قَالَ: أَلَا اسْمَعُوا
مِنْ أَرْضِ طَيْبَةَ مِنْ مُهَاجِرِ أَحْمَدٍ
سَافَرْتُ فِي طَلَبِ الْإِلَهِ فَدَلَّنِي أَلِ
مَعَ فِطْرَةَ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ
شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
وَهُوَ الْإِلَهِ الْحَقُّ لَا مَعْبُودَ إِلَّا
وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ
قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ مَطَّلَعِ الْإِيمَانِ
بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ وَالتَّبَيَّانِ
— هَادِي عَلَيْهِ وَحُكْمُ الْقُرْآنِ
وَصَرِيحِ عَقْلِي، فَاعْتَلَى بَيَّانِ
مُتَّفَرِّدًا بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
لَا وَجْهَهُ الْأَعْلَى الْعَظِيمُ الشَّانِ
مَعَ ذَلِكَ عَابِدِهِ، هُمَا قُطْبَانِ

وَالنَّاسُ بَعْدُ فَمُشْرِكٌ بِإِلَهِهِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ يَرَى وَيَسْمَعُ خَلْقَهُ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَدًا وَمَا
 وَهُوَ الْقَدِيرُ، فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مُقَدَّرٌ
 وَلَهُ الْحَيَاةُ كَمَا لَهَا فَلِأَجْلِ ذَا
 وَكَذَلِكَ الْقِيُومُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 وَلَهُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَةُ وَالرِّضَا
 وَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الْعَارِي عَنِ النَّاسِ
 وَكَمَالٌ مَنْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ لِنَفْسِهِ
 وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا
 صِدْقًا وَعَدْلًا أَحْكَمَتْ كَلِمَاتُهُ
 وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ عَيْنُ كَلَامِهِ الَّتِي
 لَكِنَّ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَفِعْلَهُمْ
 هَدَى مَقَالَةً أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ
 إِحْدَاهُمَا زَعَمَتْ بِأَنَّ كَلَامَهُ
 وَالْآخَرُونَ أَبَوْا وَقَالُوا شَطْرُهُ
 أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ، أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ
 مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ، فَوْقَ سِتِّ ثَمَانِ
 قَدْ كَانَ وَالْمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ
 دُورٌ لَهُ طَوْعًا بِإِلَّا عِضْيَانِ
 مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 مَا لِلْمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غِشْيَانِ
 وَلَهُ الْمَحَبَّةُ، وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ
 تَشْبِيهِهِ وَالتَّمثِيلِ بِالْإِنْسَانِ
 أَوْلَى وَأَقْدَمُ، وَهُوَ أَعْظَمُ شَأْنِ
 وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
 طَلَبًا وَإِخْبَارًا بِإِلَّا نَقْصَانِ
 مَسْمُوعٍ مِنْهُ حَقِيقَةٌ بَيِّنَانِ
 كَمَدَادِهِمْ وَالرَّقِّ مَخْلُوقَانِ
 وَخُصُومُهُمْ مِنْ بَعْدِ طَائِفَتَانِ
 خَلَقَ لَهُ الْفَاطَةُ وَمَعَانِي
 خَلْقٌ، وَشَطْرٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ

زَعَمُوا الْقُرْآنَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً
 هَذَا الَّذِي تَتْلُوهُ مَخْلُوقٌ كَمَا
 وَالْآخِرُ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ فَقَائِمٌ
 وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُ قَالِهِ
 وَالْخُلْفُ بَيْنَهُمْ فَقِيلَ مُحَمَّدٌ
 وَالْآخِرُونَ أَبَوْا وَقَالُوا: إِنَّمَا
 وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى، وَقَالَتْ: إِنَّهُ
 قُلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ
 قَالَ الْوَلِيدُ وَبَعْدَهُ الْفِتْنَانِ
 بِالنَّفْسِ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ
 فِيهَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي
 أَنْشَأَهُ تَعْبِيرًا عَنِ الْقُرْآنِ
 جِرِيْلُ أَنْشَأَهُ عَنِ الْمَنَانِ
 نَقَلَ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ

فصل: في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

وَإِذَا أَرَدْتَ مَجْمَعَ الطُّرُقِ الَّتِي
 فَمَدَارُهَا أَضْلَانِ قَامَ عَلَيْهِمَا
 هَلْ قَوْلُهُ بِمَشِيئَةٍ أَمْ لَا؟ وَهَلْ
 أَضْلًا اخْتِلَافِ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْأُ
 ثُمَّ الْأَلَى قَالُوا بِغَيْرِ مَشِيئَةٍ
 إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مَعْنَى قَائِمًا
 وَاللَّهُ أَحَدٌ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ كُنِي
 فِيهَا افْتِرَاقُ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ
 هَذَا الْخِلَافُ هُمَا لَهُ رُكْنَانِ
 فِي ذَاتِهِ أَمْ خَارِجٌ؟ هَذَانِ
 قُرْآنِ، فَاطْلُبْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ
 وَإِرَادَةَ مِنْهُ، فَطَائِفَتَانِ
 بِالنَّفْسِ، أَوْ قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانِ
 تُبْدِيهِ مَعْقُولًا إِلَى الْأَذْهَانِ

وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فَقِيلَ حِكَايَةٌ
وَالْآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا الْبَحْثَ لَفًّا
وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى فَقَالَتْ: إِنَّهُ
وَاللَّفْظُ كَالْمَعْنَى، قَدِيمٌ قَائِمٌ
فَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَا مَسْبُوقَةٌ
وَالْقَائِلُونَ بِذَا فَقَالُوا إِنَّهَا
وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ
إِحْدَاهُمَا جَعَلْتُهُ خَارِجَ ذَاتِهِ
فَالْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ قَائِمٌ
قَالُوا: وَصَارَ كَلَامُهُ بِإِضَافَةِ التَّو
هَذِي مَقَالَةٌ كُلُّ جَهْمِيٍّ وَهُمْ
لَكِنَّ أَهْلَ الْإِعْتِزَالِ قَدِيمُهُمْ
لَكِنَّمَا مُتَأَخَّرُوا وَهُمْ بَعْدَ ذَا
وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ
إِحْدَاهُمَا جَعَلْتُهُ مَبْدُوءًا بِهِ
هَذِي مَقَالَاتُ ابْنِ كَرَّامٍ وَمَا

عَنْهُ، وَقِيلَ عِبَارَةٌ لِيَبَّانِ
ظِيًّا، وَمَا فِيهِ كَبِيرٌ مَعَانِ
لَفْظٌ وَمَعْنَى، لَيْسَ يَنْفَصِلَانِ
بِالنَّفْسِ لَيْسَ بِقَابِلِ الْجِدْثَانِ
لَكِنَّ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ
تَرْتِيبُهُمَا بِالسَّمْعِ وَالْأَذَانِ
وَإِرَادَةٌ أَيْضًا، فَهُمْ صِنْفَانِ
كَمَشِيئَةٍ لِلْخَلْقِ وَالْأَكْوَانِ
بِالْغَيْرِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ
تَشْرِيفٌ مِثْلَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلِّمُو الصَّبِيَّانِ
لَمْ يَذْهَبُوا ذَا الْمَذْهَبِ الشَّيْطَانِي
قَدْ وَافَقُوا جَهْمًا عَلَى الْكُفْرَانِ
فِي ذَاتِهِ أَيْضًا فَهُمْ نَوْعَانِ
نَوْعًا حِدَارًا تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ
رَدُّوا عَلَيْهِ قَطُّ بِالْبُرْهَانِ

وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدٍ
 قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ
 وَاللَّهُ قَالَ وَقَائِلٌ، وَكَذَا يَقُو
 وَمُحَمَّدٍ وَأَيْمَّةَ الْإِيمَانِ
 مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَيَبَيِّنُ
 لُ الْحَقَّ، لَيْسَ كَلَامُهُ بِالْفَانِي

فصل

وَإِذَا انْتَمَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ كَذَلِكَ الْ
 فَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ تَبْلِيغُ كَلَا
 وَحَقِيقَةُ الْإِرْسَالِ نَفْسُ خِطَابِهِ
 نَوْعٌ بَغَيْرِ وَسَاطَةِ كَلَامِهِ
 وَالْآخِرُ التَّكْلِيمُ مِنْهُ بِالْوَسَا
 وَحِيٍّ وَإِرْسَالٍ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي الشُّ
 وَإِذَا انْتَمَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ فَضِدُّهَا
 فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي
 وَالرَّبُّ لَيْسَ بِقَابِلٍ صِفَةَ الْكَلَا
 فَيَقَالُ: سَلْبُ كَلَامِهِ وَقَبُولُهُ
 إِذْ أَخْرَسُ الْإِنْسَانَ أَكْمَلُ حَالَةً
 إِرْسَالٍ مَنْفِيٍّ بِلَا فُرْقَانٍ
 مَ الْمُرْسِلِ الدَّاعِي بِلَا نُقْصَانٍ
 لِلْمُرْسَلِينَ وَإِنَّهُ نَوْعَانِ
 مُوسَى وَجِبْرِيلَ الْقَرِيبَ الدَّانِي
 طَةً، وَهُوَ أَيْضًا عِنْدَهُ ضَرْبَانِ
 شُورَى آتَى فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ
 خَرَسٌ، وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ
 هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَيَوَانِ
 مِ فَنَفِيَّهَا مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
 صِفَةَ الْكَلَامِ أَتَمُّ لِلنُّقْصَانِ
 مِنْ ذَا الْجَمَادِ بِأَوْضَحِ الْبُرْهَانِ

فَجَحَدَتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ مَخَافَةَ التَّوْبِ
وَوَقَعَتْ فِي تَشْبِيهِهِ بِالنَّاقِصَا
تَجَسِّمِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْإِنْسَانِ
تِ الْجَامِدَاتِ، وَذَا مِنْ الْخِذْلَانِ

فُصِّلْ

وَاللَّهُ أَخْبَرَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُ
عَيْنٌ وَوَصَفُ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ فَالْ
وَالْوَصْفُ بِالْمَجْرُورِ قَامَ لِأَنَّهُ
وَنَظِيرُ ذَا أَيْضًا سِوَاءَ مَا يُضَا
فَانظُرْ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِ وَعِلْمِهِ
وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ لَنَا
لِكِنَّمَا الْمَمْتَلُوءُ وَالْمَكْتُوبُ وَالْ
هَذَا الَّذِي نَصَّتْ عَلَيْهِ أُمَّةُ الْ
مِنْهُ وَجَمْرُورٌ بِـ (مِنْ) نَوْعَانِ
أَعْيَانُ خَلْقِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
أُولَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ
فُ إِلَيْهِ مِنْ صِفَةِ وَمِنْ أَعْيَانِ
لَمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ
وَكَذَا الْكِتَابَةُ، فَهِيَ خَطُّ بَنَانِ
مَحْفُوظٌ قَوْلُ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
إِسْلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

فُصِّلْ

وَأَتَى ابْنُ سِينَا الْقُرْمِطِيُّ مُصَانِعًا
فَرَأَهُ فَيَضًا فَاصٌّ مِنْ عَقْلِ هُوَا
حَتَّى تَلَقَّاهُ زَكِيٌّ فَاصِلٌ
لِلْمُسْلِمِينَ بِإِفْكَ ذِي بُهْتَانِ
فَعَالٌ عَلَّةٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
حَسَنُ التَّخْيِيلِ جَيِّدُ التَّبْيَانِ

فَأَتَى بِهِ لِلْعَالَمِينَ خَطَابَةً وَمَوَاعِظًا عَرِيَّتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

فصل

وَأَنْتَ طَوَائِفُ الْإِتِّحَادِ بِمِلَّةٍ
 قَالَتْ: كَلَامُ اللَّهِ كُلُّ كَلَامٍ هَـ
 هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ أَضْلُهُمْ
 إِذْ أَضْلَهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ حَقِيقَةٌ
 فَأَعْطَفَ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْأَلَى
 أَفْسَدْتُمْ الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَ وَالْأَيُّ
 أَيُّ صَحَّ وَصَفُ الشَّيْءِ بِالْمُشْتَقِّ لِلْأَيُّ
 أَيُّ صَحَّ صَبَّارٌ وَلَا صَبْرٌ لَهُ
 وَمُخَالَفُ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْأَيُّ
 مَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ
 وَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَيْسَتْ بَعْدَهَا
 أَوْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ
 وَكَلَامَهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْدُ

طَمَّتْ عَلَى مَا قَالَ كُلُّ لِسَانٍ
 لَذَا الْخَلْقِ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ إِنْسَانٍ
 وَعَلَيْهِ قَامَ مُكَسِّحُ الْبُنْيَانِ
 عَيْنُ الْوُجُودِ وَعَيْنُ ذِي الْأَكْوَانِ
 خَرَقُوا سِيَاحَ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ
 مَسْمُوعٌ مِنْ لُغَةٍ بِكُلِّ لِسَانٍ
 مَسْلُوبٌ مَعْنَاهُ لِذِي الْأَذْهَانِ
 وَيَصِحُّ شَكَارٌ بِلَا شُكْرَانِ
 فِطْرَاتٍ وَالْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ
 وَصَفٌ قَدِيمٌ، أَحْرَفٌ وَمَعَانٍ
 لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ
 مَعْنَى قَدِيمٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ
 دُورًا لَهُ، بَلْ لَازِمُ الرَّحْمَنِ

لَا تَنْصُرَنَّ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ
 وَتَحْيَ زَنِّ إِلَيْهِمْ لَا غَيْرِهِمْ
 هَذَا وَقَدْ فَطَرَ إِلَاهُ عِبَادَهُ
 أَوْلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلِ كُلِّ مُوَحِّدٍ
 مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةً
 وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي
 هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ
 وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ؛ لِأَنَّهُ
 وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ
 لَمَّا بَرَأَهُ اللَّهُ قَالَ: (اَكْتُبْ كَذَا)
 فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى
 فَاَعْلَمَ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَسْسُوا
 وَعَنِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ، بَلْ
 وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ
 يَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ
 وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ
 هُمْ عَسْكَرُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
 لِتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ
 أَنَّ الْمُهَيِّمِينَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
 يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ
 فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصِي ثَانِ
 كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
 قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمْدَانِيِّ
 قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ
 إِجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانِ
 فَعَدَا بِأَمْرِ اللَّهِ ذَا جَرِيَانِ
 يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ
 عِلْمَ الْكَلَامِ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ
 عَنْ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ
 قَسْرًا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْبُطْلَانِ
 جَهْلِ الصَّديقِ وَبَغْيِ ذِي طُغْيَانِ
 وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

لَتَحْطَفَتْ أَعْدَاؤُنَا أَرْوَاحَنَا
وَاللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا
وَأَصْبَحَ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا
إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ
أَضْحَى كَنْصَ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التَّ
فَتَأَمَّلِ الْأَلْفَاظَ وَانظُرْ مَا الَّذِي
فَالرُّسُلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أَصْو
كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَا جُ وَذَا
فَالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ
عَقْلَانِ عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ
وَاللَّهُ مَا اسْتَوَيَا، وَلَنْ يَتَلَاقِيَا
يَا قَوْمَنَا وَاللَّهُ إِنَّ لِقَوْلِنَا
عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الـ
كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ
أَفَمَنْ حَوَالَتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالـ

وَلَقَطَعَتْ مَنَا عُرَى الْإِيمَانِ
طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
يُيَدِي الْمُرَادِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
تَأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أُولُو الْأَذْهَانِ
سَيَقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
لِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ، فَانْهَمُ ذَانِ
لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِي
حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغُرْبَانِ
أَلْفَاتِدُلُّ عَلَيْهِ، بَلْ أَلْفَانِ
أُولَى وَذَوْقِ حَالَاوَةِ الْقُرْآنِ
فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ مُسْتَوِيَانِ
وَوَحْيِ الْمُبِينِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

كَمُحَيَّرٍ أَضَحَتْ حَوَالَتُهُ عَلَى
 أَمَّ كَيْفَ يَشْعُرُ تَائِبُهُ بِمُصَابِهِ
 قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ، فَوْقَهُ
 وَمَفَاتِيحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التَّوَكُّلُ
 فَاسْأَلْهُ فَتَحَ الْقُفْلِ مُجْتَهِدًا عَلَى الْوَعْدِ
 وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 لَكِنَّ بِمِخْنَةِ حَرْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ
 أَمْثَالِهِ، أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟!
 وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ
 قُفْلُ التَّعَصُّبِ، كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ؟!
 تَصْرِيْفِ سُبْحَانَهُ عَظِيمِ الشَّانِ
 أَسْنَانِ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ
 وَرُسُولِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 ذَا حِكْمَةٍ مُذْ كَانَتْ الْفِتْنَانِ

فصل

هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ
 وَجْمِعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدْعٍ وَأَحَدٍ
 فَاسَّاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو الْبُطْلَانِ لَا
 وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرَّجُوعُ
 تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ
 فَجَعَلْتُمْ لِلْفِظِ مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى
 تَأْوِيلِ ذِي التَّحْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ^(١)
 سَدَاتِ تُخَالِفُ مُوجِبَ الْقُرْآنِ
 تَأْوِيلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 عِزِّي الْحَقِيقَةُ لَا إِلَى الْبُطْلَانِ
 سَدَاتِ أُمَّةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ
 نَاهُ لَدَيْهِمْ بِأَصْطِلَاحِ ثَانِ

(١) قد ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - أمثلة كثيرة من البليات من أجل تأويل التحريف.

وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى
 كَذَبْتُمْ عَلَى الْأَلْفَاظِ مَعَ كَذِبِ عَلَيَّ
 تَى جَاءَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مُحْذِرَانِ
 وَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ أَفْبَحُ مِنْهُمَا
 مَنْ قَالَهَا، كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ
 إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ
 جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ
 غَيْرُ الْحَقِيقَةِ، وَهِيَ ذُو بَطْلَانِ

فصل

وَعَلَيْكُمْ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعٌ
 مِنْهَا دَلِيلٌ صَارِفٌ لِلْفِظِّ عَنْ
 وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِ يَدَانِ
 مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ
 هَيْهَاتَ! طَوَّلْتُمْ بِأَمْرِ ثَانِ
 قُلْتُمْ: هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّبْيَانِ
 رِثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي
 ذَا دَلَلِكُمْ؟ أَتَحْرُصُ الْكُهَّانِ؟!
 كِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِ
 فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا
 وَهُوَ اِحْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي
 فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَلِكَ طَوَّلْتُمْ بِأَمْرِ
 إِذْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا، فَمَا
 هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَـ

فصل

وَكَذَا نَطَّالِبِكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ
 وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمُعَارِضِ إِذْ بِهِ الدُّ
 وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانِ
 سَدَعُوِي تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ

فصل

قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْإِلَٰهَ لِحِفْظِ هَـ	ذَا الدِّينِ مِنْ ذِي بِدْعَةِ شَيْطَانِ
وَأَقَامَهُمْ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّ	تَحْرِيفِ وَالتَّتْمِيمِ وَالتَّقْصَانِ
بَزَلٌ عَلَى الْإِسْلَامِ، بَلْ حِصْنٌ لَهُ	يَأْوِي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الْفِرْقَانِ
فَإِذَا تَعَارَضَ نَصٌّ لَفْظٍ وَارِدٍ	وَالْعَقْلُ حَتَّى لَيْسَ يُلْتَقِيَانِ
فَالْعَقْلُ إِمَّا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الرَّأ	ئِي صَاحِحًا وَهُوَ ذُو بُطْلَانِ
أَوْ أَنَّ ذَاكَ النَّصَّ لَيْسَ بِثَابِتٍ	مَا قَالَهُ الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ
وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ يُعَارِضُ بَعْضُهَا	بَعْضًا، فَسَلْ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانِ
وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا	مِنْ آفَةِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ
أَوْ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ	مَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

فصل

وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النُّصُ	صَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي
إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّ لَهُمْ لِمَجَازِهَا أَل	مُضْطَرٌّ مِنْ حِسِّ وَمِنْ بُرْهَانِ
فَهَنَّاكَ عِضْمَتُهَا أَبَاحَتْهُ	بِغَيْرِ تَجَانُفٍ لِلْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُكْفِرُوا	نَكْمٌ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ

إِذْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ
لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْكُفْرَانِ بَلْ
إِلَّا إِذَا عَانَدْتُمْ وَرَدَدْتُمْ
فَهُنَاكَ أَنْتُمْ أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ
لَسْتُمْ أَوْلِي كُفْرٍ وَلَا إِيمَانٍ
لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
قَوْلَ الرَّسُولِ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ
إِنْسٍ وَجِنٍّ سَاكِنِي النَّيْرَانِ

فصل

هَذَا وَمِنْ تَوْحِيدِهِمْ إِبْتِثَاتٌ أَوْ
وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ
هُوَ أَوَّلٌ، هُوَ آخِرٌ؛ هُوَ ظَاهِرٌ،
مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ، كَذَا مَا بَعْدَهُ
مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ، كَذَا مَا دُونَهُ
وَهُوَ الْعَلِيُّ، فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْـ
وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّـ
وَهُوَ الْجَلِيلُ، فَكُلُّ أَوْصَافِ الْجَلَا
وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، كَيْفَ لَا
صَافِ الْكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
قَدْ قَامَ بِالتَّذْيِيرِ لِلْأَكْوَانِ
ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَخَنَانٍ
هُوَ بَاطِنٌ، هِيَ أَرْبَعُ بَوْرَانٍ
شَيْءٌ، تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
شَيْءٌ، وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ
مَعْلُومٌ لَهُ فَنَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ
تَعْظِيمٍ لَا يُخَصِّصُهُ مِنْ إِنْسَانٍ
لِ لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلَا بَطْلَانِ
وَجَمَالَ سَائِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ؟! فَرُبُّهَا
 فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْـ
 وَهُوَ الْمَجِيدُ، صِفَاتُهُ أَوْصَافُ نَعْمَ
 وَهُوَ السَّمِيعُ، يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا
 وَهُوَ الْبَصِيرُ، يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّـ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ، أَحَاطَ عِلْمًا بِالَّذِي
 أَوْلَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ
 أَعْمَالِ وَالْأَسْمَاءِ بِالْبُرْهَانِ
 ظِيمٍ، فَشَأْنُ الْوَصْفِ أَعْظَمُ شَأْنِ
 فِي الْكَوْنِ، مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
 سَوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرَةِ الصَّوَّانِ
 فِي الْكَوْنِ، مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

فَصْلٌ

وَهُوَ الْحَمِيدُ، فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ
 هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَيَحْمَدُهُ
 وَهُوَ الْمُكَلَّمُ عَبْدُهُ مُوسَى بِتَكْ
 وَهُوَ الْقَدِيرُ، وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا
 وَهُوَ الْقَوِيُّ، لَهُ الْقُوَى جَمْعًا تَعَا
 وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ، فَعِنَاهُ ذَا
 وَهُوَ الْعَزِيزُ، فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَلَّابُ، لَمْ
 أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الْأَرْمَانِ
 كُلُّ الْمَحَامِدِ وَصَفُ ذِي الْإِحْسَانِ
 لِيمِ الْخِطَابِ وَقَبْلَهُ الْأَبْوَانِ
 مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانِ
 لِي اللَّهُ ذُو الْأَكْوَانِ وَالسُّلْطَانِ
 تِيٌّ لَهُ كَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ
 أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
 يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، هَذِهِ صِفَتَانِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةِ هِيَ وَضْفُهُ
 وَهُوَ الْحَكِيمُ، وَذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِهِ
 حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا
 وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَوْنِيٌّ، وَلَا
 بَلْ ذَاكَ يُوجَدُ دُونَ هَذَا مُفْرَدًا
 وَهُوَ الْحَيِيُّ، فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ
 وَهُوَ الْحَلِيمُ، فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ
 وَهُوَ الْعَفْوُ، فَعَفْوُهُ وَسِعَ الْوَرَى
 وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِ
 وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاللَّوَا
 وَهُوَ الْحَفِيزُ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ الْـ
 وَهُوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ
 إِذْرَاكَ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَبْرَةٍ
 فَيُرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ
 وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفَقِ، بَلْ
 وَهُوَ الْقَرِيبُ، وَقُرْبُهُ الْمُخْتَصُّ بِالذِّ

فَالْعِزُّ حِينَئِذٍ ثَلَاثٌ مَعَانٍ
 نَوْعَانِ أَيْضًا، مَا هُمَا عَدَمَانِ
 نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا الْبُرْهَانِ
 يَتَلَازَمَانِ، وَمَا هُمَا سَيَّانِ
 وَالْعَكْسُ أَيْضًا ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
 عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِصْيَانِ
 بِعُقُوبَةٍ؛ لِيَتَّوَبَ مِنْ عِصْيَانِ
 لَوْلَاهُ غَارَ الْأَرْضُ بِالسُّكَّانِ
 شَتْمُوهُ، بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
 حِظٌّ، كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ
 كَفَيْلٌ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَانِ
 وَاللُّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
 وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ
 وَالْعَبْدُ فِي الْغَفَلَاتِ عَنِ ذَا الشَّانِ
 يُعْطِيهِمْ بِالرَّفَقِ فَوْقَ أَمَانِ
 دَاعِي وَعَابِدُهُ عَلَى الْإِيمَانِ

وَهُوَ الْمُحِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْ
 وَهُوَ الْجَوَادُ، فَلَا يُحِيبُ سَائِلًا
 وَهُوَ الْمُغِيثُ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ
 وَهُوَ الْوَدُودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ
 وَهُوَ الشَّكُورُ، فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ
 وَهُوَ الْغَفُورُ، فَلَوْ أَتَى بِقُرَابِهَا
 لَأَقَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِثْلَ قُرَابِهَا
 وَكَذَلِكَ التَّوَابُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 إِذْ بَتَوَابَةٍ عَبْدِهِ وَقَبُولِهَا
 وَهُوَ الْإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمْدُ الَّذِي
 الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ
 وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ عَدَا
 وَالثَّانِ جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي
 وَلَهُ مُسَمًّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ
 هُ، أَنَا الْمُحِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
 وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ
 وَكَذَا يُحِيبُ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ
 أَحْبَابُهُ، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ
 لِكِنْ يُضَاعِفُهُ بِأَلَا حُسْبَانَ
 مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ
 سُبْحَانَهُ، هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 وَالتَّوَابُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
 بَعْدَ الْمَتَابِ بِمِنَّةِ الْمَنَانِ
 صَمَدٌ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالْإِذْعَانِ
 هُ، كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
 فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ
 وَالجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
 ذَا كَسْرَةٍ، فَالجَبْرُ مِنْهُ دَانِي
 لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
 فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ

مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الْـ
 وَهُوَ الْحَسِيبُ حِمَايَةٌ وَكِفَايَةٌ
 وَهُوَ الرَّشِيدُ، فَقَوْلُهُ وَفِعَالُهُ
 وَكِلَاهُمَا حَقٌّ، فَهَذَا وَصَفُهُ
 وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ
 فَعَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَهَنَا
 هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقُدُّوسُ ذُو النَّ
 وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَالِمٌ
 وَالْبِرُّ مِنْ أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ
 وَكَذَلِكَ الْوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 وَكَذَلِكَ الْفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 فَتَحَ بِحُكْمٍ، وَهُوَ شَرَعُ إِلَهِنَا
 وَكَذَلِكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 رَزَقَ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
 رَزَقَ الْقُلُوبَ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالرَّ
 وَالثَّانِي سَوَّقُ الْقُوتِ لِلْأَعْضَاءِ فِي

عُليَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ
 وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلُّ أَوَانٍ
 رُشْدٌ، وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الْحَيْرَانِ
 وَالْفِعْلُ لِلْإِزْشَادِ، ذَاكَ الثَّانِي
 وَمَقَالِهِ، وَالْحُكْمُ فِي الْمِيْزَانِ
 قَوْلًا وَفِعْلًا، ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ
 تَنْزِيهِهِ بِالْتَّعْظِيمِ لِلرَّحْمَنِ
 مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
 هُوَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ
 فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
 وَالْفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
 وَالْفَتْحُ بِالْأَقْدَارِ، فَتَحَ ثَانِ
 وَالرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ
 نَوْعَانِ أَيْضًا، ذَانِ مَعْرُوفَانِ
 رِزْقَ الْمُعَدِّ لِهَدَاهِ الْأَبْدَانِ
 تِلْكَ الْمَجَارِي سَوَّقُهُ بِوِزَانِ

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقِيَوْمُ وَالْـ
 إِحْدَاهُمَا الْقِيَوْمُ قَامَ بِنَفْسِهِ
 وَالْحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الْكَمَا
 فَالْحَيُّ وَالْقِيَوْمُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الْـ
 هُوَ قَابِضٌ، هُوَ بَاسِطٌ، هُوَ خَافِضٌ،
 وَهُوَ الْمُعِزُّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا
 وَهُوَ الْمُذِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذَلِكَ الدُّ
 هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ
 وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا، وَمِنْ
 نُورِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى مِنْ نُورِهِ
 وَكِتَابُهُ نُورٌ كَذَلِكَ شَرُّعُهُ
 وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى
 وَالنُّورُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَضُـ
 وَكَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْـ
 أَحْذَرُ تَزَلُّ؛ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ
 مِنْ عَابِدٍ بِالْجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ

قِيَوْمٌ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
 وَالْكَوْنُ قَامَ بِهِ، هُمَا الْأَمْرَانِ
 لِي هُمَا لِأَفُقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ
 أَوْصَافُ أَصْلًا عَنْهُمَا بَيَّانِ
 هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 عِزٌّ حَقِيقِيٌّ بِإِلَابُطْلَانِ
 دَارَيْنِ ذَلَّ شَقًّا وَذَلَّ هَوَانِ
 وَالْمَنْعُ عَيْنُ الْعَدْلِ لِلْمَنَانِ
 أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي الْبُرْهَانِ
 وَالْأَرْضُ، كَيْفَ النَّجْمُ وَالْقَمَرَانِ؟
 نُورٌ كَذَا الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ
 نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ الْقُرْآنِ
 فَمَا هُمَا وَاللَّهُ مُتَّحِدَانِ
 سُوسٌ وَمَعْقُولٌ هُمَا شَيْئَانِ
 كَمْ قَدْ هَوَى فِيهَا عَلَى الْأَزْمَانِ
 فَهَوَى إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِي

صِفَتَانِ لِلْأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ
 بِالذَّاتِ لَا بِالغَيْرِ قَائِمَتَانِ
 نَبِيٌّ وَدِينِيٌّ، هُمَا نَوْعَانِ
 سَبِيٌّ، وَلَا يَحْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ
 رَدُّ بَلٍ يُقَالُ إِذَا أَتَى بِقِرَانِ
 إِفْرَادَهَا خَطَرٌ عَلَى الْإِنْسَانِ
 بُ الْعَرْشِ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ
 هُوَ نَافِعٌ وَكَمَالُهُ الْأَمْرَانِ
 ثٌ، كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ بَيِّنَانِ
 وَكَذَا التِّرَامُّمَا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
 فَمِثَالُ ذَلِكَ لَفْظَةُ الرَّحْمَنِ
 فَهِيَ لِهَذَا اللَّفْظِ مَذْلُولَانِ
 سِي تَضَمُّنٌ، ذَا وَاضِحُ التَّبْيَانِ
 مَعْنَى لُزُومِ الْعِلْمِ لِلرَّحْمَنِ

وَهُوَ الْمُقَدَّمُ وَالْمُؤَخَّرُ، ذَانِكَ الضُّ
 وَهُمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أَيْضًا، إِذْهُمَا
 وَالْوَصْفُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ كَوُ
 وَكِلَاهُمَا أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ وَنَسْبٌ
 هَذَا وَمِنْ أَسْمَائِهِ مَا لَيْسَ يُفَى
 وَهِيَ الَّتِي تُدْعَى بِمُزْدَوَجَاتِهَا
 إِذْ ذَاكَ مُوْهَمٌ نَوْعِ نَقْصٍ جَلَّ رَبُّ
 كَالْمَانِعِ الْمُعْطِيِّ وَكَالضَّارِّ الَّذِي
 وَدِلَالَةُ الْأَسْمَاءِ أَنْوَاعٌ ثَلَا
 دَلَّتْ مُطَابَقَةً كَذَلِكَ تَضَمُّنًا
 وَإِذَا أَرَدْتَ لِذَا مِثَالًا بَيْنَنَا
 ذَاتُ الْإِلَهِ وَرَحْمَةٌ مَذْلُولُهَا
 إِحْدَاهُمَا مَعْنَى لِذَا الْمَوْضُوعِ فَهِيَ
 لَكِنَّ وَصْفَ الْحَيِّ لَا زِمَ ذَلِكَ الْ

فصل

لَا تُوحِشَنَّكَ غُرْبَةٌ بَيْنَ الْوَرَى
أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ أَلْ
قُلْ لِي: مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ
مِنْ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ
أَتَظُنُّ أَنَّكَ وَارِثٌ لَهُمْ وَمَا
كَأَنَّكَ، وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ
مَتَّكَ وَاللَّهِ الْمُحَالَ النَّفْسُ فَاسِدٌ
لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لِأَنَّكَ الْأَلَى

فَالنَّاسُ كَالْأَمْوَاتِ فِي الْحُسْبَانِ
غُرْبَاءُ حَقًّا عِنْدَ كُلِّ زَمَانٍ
وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ
وَمُحَارِبٌ بِالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ
ذُقْتَ الْأَذَى فِي نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ
فِي اللَّهِ لَا يَبِيدُ وَلَا بِلِسَانِ
تَحَدِّثُ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
وَرِثُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ

فصل

هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ تَوْ
وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ رُكْنَا ذَلِكَ التَّ
وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ تَوْحِيدُ الْمَرَا
وَالصِّدْقُ تَوْحِيدُ الْإِرَادَةِ وَهُوَ بَدْ
وَالسُّنَّةُ الْمُثَلَّى لِسَالِكِيهَا فَتَوْ

حَيْدُ الْعِبَادَةِ مِنْكَ لِلرَّحْمَنِ
تَوْحِيدِ كَالرُّكْنَيْنِ لِلْبُنْيَانِ
د، فَلَا يُزَاجِمُهُ مُرَادُ ثَانِ
لُ الْجَهْدِ لَا كَسَلًا وَلَا مُتَوَانِ
حَيْدُ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِ

فَلَوْ أَحَدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ
فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلِّ مَكَانِ

فَصْلٌ

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ، هُمْ أَوْلُو الْعِرْقَانِ
مَا الْعِلْمُ نَضْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةٌ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ

فَصْلٌ

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ بِسِجْنِ اللَّفْظِ مَسْ جُونُونَ خَوْفَ مَعَرَّةِ السَّجَّانِ
وَالْكُلُّ إِلَّا الْفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَبًا فِي قَالِبٍ وَيَرُدُّهُ فِي ثَانِ
وَالْقَصْدُ أَنَّ الذَّاتَ وَالْأَوْصَافَ وَالْ أَفْعَالَ لَا تُنْفَى بِذَا الْهَدْيَانِ
سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الِ أَسْمَاءِ، بَلْ فِي مَقْصَدٍ وَمَعَانِ
الْحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، وَنَقْيُهَا عَيْنُ الْمُحَالِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
فَالْجِسْمُ إِمَّا لَازِمٌ لِثُبُوتِهَا فَهُوَ الصَّوَابُ وَلَيْسَ ذَا بَطْلَانِ
أَوْ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ فَشَنْعَةُ الْإِلْزَامِ بِالْبُهْتَانِ

فصل

وَرَسُولُهُ فَهُوَ الْمُطَاعُ وَقَوْلُهُ الْـ
 مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُتْنَا عَلَى
 إِنْ وَافَقَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ
 أَوْ خَالَفَتْ هَذَا رَدَدْنَا هَا عَلَى
 أَوْ أَشَكَلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ
 هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا
 فَهُوَ الْمُطَاعُ وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى
 مَقْبُولٌ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ
 أَقْوَالِهِ بِالسَّيْرِ وَالْمِيمِزَانِ
 فَعَلَى الرَّؤُوسِ تُشَالُ كَالْتِيْجَانِ
 مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانِ
 نَجْزِمُ بِهَا عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانِ
 وَبِهِ نَدِينُ اللَّهَ كُلَّ أَوَانِ
 أَمْرِ الْوَرَى وَأَوَامِرِ السُّلْطَانِ

فصل

مَاذَا تَرَى فَرَضًا عَلَيْكَ مُعَيَّنًا
 عَرَضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ
 هِيَ مَفْرُقُ الطَّرِيقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا
 وَحَيَاةِ قَلْبِ الْمَرءِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ
 ذَكَرُ الْإِلَهِ، وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْـ
 مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَأَمْتِنَا
 إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ وَذَا إِيْمَانِ
 أَوْ عَكْسَ ذَلِكَ؟ فَذَانِكَ الْأَمْرَانِ
 وَطَرِيقِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْعُدْوَانِ
 يُرْزَقُهُمَا يَحْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ
 رَاكِ بِهٍ، وَهَمَّا فَمُمْتِنَعَانِ
 عِ الطَّائِرِ الْمَقْصُوصِ مِنْ طَيْرَانِ

يَا مَنْ تَعَزُّ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ
وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللَّقَا
وَيَرُونَ عَيْبًا بَيْنَهَا بِهَوَانِ
مَآذَا عَبَدْتُمْ؟ ثُمَّ مَآذَا قَدْ أَجَبَ
لِلَّهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ
هَاتُوا جَوَابًا لِلسُّؤَالِ وَهَيُّوا
تُمْ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ؟
أَيْضًا صَوَابًا لِلجَوَابِ يَدَانِ

فهرس الآيات

الآية	الصفحة
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ .. ١٥، ١٤٨	
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .. ٢٠	
﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ .. ٢٤	
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .. ٢٧	
﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ .. ٣١	
﴿ حَقَّ إِذَا مَا جَاءَ وَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ ﴾ .. ٣١	
﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ ﴾ .. ٣١	
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ .. ٣٢	
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .. ٤٠	
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ .. ٤٠	
﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ .. ٤١	
﴿ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .. ٤١، ٨٥	
٤٤٨	
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ .. ٤٢	
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ	

- سَنَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا ﴿ ٤٧
- ﴿ وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ٤٩
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّتِهِ ﴾ ٥٠
- ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ ٥٥
- ﴿ وَلَا يُظَلِّمُونَ تَقِيرًا ﴾ ٥٥
- ﴿ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَانًا ﴾ ٥٥
- ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾ ١١٧، ٦١
- ٣٨٢
- ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ٤٦٩، ٦٢
- ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ ٦٢
- ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ ٦٢
- ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ ٦٥
- ﴿ أَكْفَرُوا فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ ٧١
- ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾ ٧٧
- ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ ﴾ ٧٧
- ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ ٧٧
- ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ١٥٢، ٧٧
- ٤٦٩
- ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ٧٨

- ٧٨ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾
- ٧٨ ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾
- ٨١ ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٨٢ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾
- ٨٢ ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾
- ٨٣ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
- ٨٣ ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْكَ رِيكَ﴾
- ٨٣ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾
- ١٣٣، ٨٤ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾
- ٨٤ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ... ٨٤
- ١٠٣ ﴿إِن أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾
- ١٠٨ ﴿فَإِن نَّزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ... ١٠٨
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
- ١٠٨ ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
- ١٠٩ ﴿وَلَا تَطْعَمَنَّ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾
- ١٠٩ ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَشَهِدَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾
- ١١٠ ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾
- ١١٤ ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾

- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ١١٥
- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْهُمُ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ إِذَا لُؤُوا
بِهِمْ هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١١٧
- ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ ١١٧
- ﴿وَعَزَّكُم بِاللَّهِ الْعَزُّورِ﴾ ١١٨
- ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ١١٨
- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ١٢١
- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ
بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ ١٢١
- ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ١٢٣
- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٢٣
- ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٢٣
- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ ١٢٣
- ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ١٢٣
- ﴿مَنْ مِمَّنْ دَاخِلِهِ إِلاَّ هُوَ أَخَذُ بِنَاصِيئَتَيْهَا﴾ ١٢٤
- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ١٢٨
- ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ١٢٨
- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ١٢٨
- ﴿يَسْتَلْهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ١٢٩

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ .. ١٣٧، ١٩٢

٤١٠، ٢٠١

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا

مِن لَّعُوبٍ ﴿٤﴾ .. ١٣٧

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴿٥﴾ .. ١٣٨

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿٦﴾ .. ١٣٨

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَيْكَ بِاللَّهِ رَمْحِي ﴿٧﴾ .. ١٤٤

﴿وَأَجَلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴿٨﴾ .. ١٥٢

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٩﴾ أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ

هُم قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿١٠﴾ .. ١٥٤

﴿كُنْتُ أَنزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِّدَبَّرُوا أَيْتِيهِ وَلَسْتَ دَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ .. ١٥٦

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٤﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ

شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿١٥﴾ .. ١٥٩، ١٧٠

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٦﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ .. ١٥٩، ١٧٠

١٧٧

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١٨﴾ .. ١٦٤

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴿١٩﴾ .. ١٦٥

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴿٢٠﴾ .. ١٦٩

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا

يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴿٢١﴾ .. ١٧٠

- ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝ ١٧١ ﴾
- ﴿ فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۝ ١٧١ ﴾
- ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ ١٧٦ ﴾
- ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ۝ ١٧٦ ﴾
- ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ ١٧٧ ﴾
- ﴿ إِنَّكَ حَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ۝ ١٧٧ ﴾
- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۝ ١٧٨ ﴾
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ۝ ١٨١ ﴾
- ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ ١٨١ ﴾
- ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيَّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ ١٨٥ ﴾
- ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ ۝ ١٨٥ ﴾
- ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝ ١٨٥ ﴾
- ﴿ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ اجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنْ هَذَا الشَّقِيُّ عَجَابٌ ۝ ١٨٦ ﴾
- ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۝ ١٨٧ ﴾
- ﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝ ١٩٢ ﴾
- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ ٢٠١ ﴾
- ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ ٢٠١ ﴾

- ﴿ تَبَّتْ ﴾ ٤١٠، ٢٠١
- ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ٢٠٢
- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ٢٠٢
- ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ٢٠٧
- ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ ﴾ ٢٠٩
- ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ٢٠٩
- ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ ٢١٢
- ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ٢١٢
- ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ ٢١٣
- ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ ٢١٣
- ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ ٢١٣
- ﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ٢١٣
- ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ ٢١٦
- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ٢١٧
- ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ ﴾ ٢١٧
- ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

- نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٢١٨﴾ ٢١٨
- ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ٢٢٠
- ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ٢٢٠
- ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ٢٢٢
- ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ٢٢٢
- ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ٢٣٣
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٣٤﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ ٢٣٤
- ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿٢٣٥﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٣٦﴾ فِي جَنَّةٍ النَّعِيمِ ﴿٢٣٧﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ
- الْأُولَئِينَ ﴿٢٣٨﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ٢٩٠، ٢٣٧
- ٤٩٩
- ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ ٢٣٩
- ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ٢٥٢
- ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ ٢٥٣
- ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٢٥٥
- ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥٦﴾ الَّذِينَ
- ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٢٥٥
- ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ ٢٥٥

- ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾
- ٣٣٨، ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهِمُ زَوْجَانِ﴾
- ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾
- ٣١٧، ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا فَنَكِهِمُ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾
- ٣٣٧
- ٣٧٢، ٢٥٦ ﴿فِيهِنَّ فَصْرَتٌ أَلْطَرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾
- ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِيءَ آءِآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي
الْحَيَامِ﴾
- ٣١٧، ٢٥٦ ﴿الْحَيَامِ﴾
- ٣٣١
- ٢٥٦ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾
- ٢٥٧ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾
- ٢٥٨ ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾
- ٢٦١ ﴿الَّذِينَ لِنُوفِهِمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾
- ٢٦٤ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾
- ٢٦٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
- ٢٧٤ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾
- ٢٧٥ ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾
- ٢٨٣ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾
- ٢٨٣ ﴿تُرَاوًا مِنْ عَفْوَهِمْ رَحِيمٍ﴾
- ٣٤٢، ٢٨٤ ﴿فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

- ﴿ قُلْ مَنْ يُبَدِّلُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ٢٨٥
- ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ ﴾ ٢٨٥
- ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ ٢٨٥
- ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ٢٨٧
- ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ ٢٩٠
- ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ٢٩٢
- ﴿ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ٢٩٤
- ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ ٢٩٤، ٣٤٣
- ٣٩٦، ٣٥٤
- ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمُ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا ﴾ ٢٩٧
- ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ ٣١٤
- ﴿ وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٍ ﴾ ٣١٥
- ﴿ خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٣١٦
- ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ ٣٢١
- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ٣٢٣
- ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ٣٢٣
- ﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ٣٢٥
- ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ ٣٣٦
- ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ ٣٣٧

- ٣٣٧ ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾
- ٣٣٨ ﴿وَأَنْوَاءَ مِمَّنْشَبِهَهَا﴾
- ٣٣٩ ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهَهَا﴾
- ٣٤٠ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾
- ٣٤٢ ﴿وَذَلَّلَتْ فَطْرُهَا نَذِيلًا﴾
- ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٣٤٨
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ٣٤٩، ٤٨٢
- ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاءُ﴾ ٣٥٢ ..
- ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَّدُوٍّ لِّلشَّرِبِ بَيْنَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ ٣٥٢
- ﴿مِن تَسْنِينٍ ﴿١٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٣٥٦
- ﴿يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ آسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ... ٣٦٥
- ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ٣٦٧
- ٣٧٣ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾
- ٣٧٦ ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾
- ٣٧٨ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ ٣٧٨
- ٣٧٩ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ
- ٣٧٩ ﴿الْمَلِكِ الْحَقِّ﴾

- ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ ٣٧٩، ٤٠٨
- ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُورٍ﴾ ٣٨٠
- ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ٣٨٠
- ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٣٨٠
- ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ ٣٨٠
- ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٣٨٠
- ﴿لَوْلَا أَعْرَضْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٣٨٠
- ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ٣٨٢
- ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَلَّنَاهُنَّ أُنثَىٰ﴾ ٣٨٦، ٣٩٠
- ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ﴾ ٣٨٦
- ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُوشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٣٩٥
- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ ٣٩٦
- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقَّانِ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ٣٩٨
- ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرَآ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ٣٩٨
- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ ٣٩٩
- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ ٣٩٩
- ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ٣٩٩

- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ ٤٠١
- ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوْنُونَ ﴾ ٤١٤ ، ٤٠٤
- ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ ٤٠٤
- ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ۚ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۖ أَتُمْ نَحْنُ الزَّرْعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا ﴾ ٤٠٥
- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي فَشَرْتُمْ ﴿٦٨﴾ ۖ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ فَنَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ٤٠٥
- ﴿ لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ٤٠٦
- ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ٤٠٧
- ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ مِنَ الْمُهَجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ ٥٣٧ ، ٤٠٧
- ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ٤٠٨
- ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ ٤٠٨
- ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ ﴾ ٤٠٨
- ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ ٤١١ ، ٤٠٩
- ﴿ وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ﴾ ٤٠٩
- ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ٤١٠
- ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ٤١٠
- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ٤١٠
- ﴿ الْكَوْثَرِ ﴾ ٤١٠

- ﴿الْمَاعُونَ﴾ ٤١٠
- ﴿لَا يَلْفُ قَرْشٍ ①﴾ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿ ٤١٠
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ٥١٧، ٤١١
- ﴿بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ ٤١١
- ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤١٢
- ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤١٢
- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ٤١٢
- ﴿أَفَأَمَرَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ٤١٢
- ﴿كَلَّا إِنْ كُنَّ الْفُجَارِ لَعَى سَجِينٍ ⑦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ⑧ ﴿كِنَّبٌ مَرْقُومٌ ⑨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑩﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ٤١٤
- ﴿قَالِيَوْمَ الدِّينِ ءَامَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ⑪﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ ٤١٥
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ⑫﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿ ٤١٦
- ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ ٤٢٣
- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ﴾ ٤٣١
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ ٤٣٥
- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ٤٣٥
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑭﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ ٤٤٣

- ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْزِلَ بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ ٤٤٣
- ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ ﴾ ٤٤٣
- ﴿ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۗ ﴾ ٤٤٨
- ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۗ ﴾ ٤٤٨
- ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٤٥٢
- ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ٤٥٢
- ﴿ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ٤٥٣
- ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ٤٥٣
- ﴿ كَأَلَّا نَعْمٌ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ٤٥٨
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ
شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ ٤٥٨
- ﴿ رَبَّنَا آرِنَا الَّذِينَ أَضَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ
الْأَسْفَلِينَ ﴾ ٤٥٨
- ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَرَاؤُنَّ مُحْتَلِفِينَ ﴿١٣٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴾ ٤٥٩
- ﴿ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ﴾ ٤٥٩
- ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّادِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٤٥٩

- ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦٠﴾ ٤٦٠
- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٦٠﴾ ٤٦٠
- ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٦٠﴾ ٤٦٠
- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴿٤٦٢﴾ ٤٦٢
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٤٦٣﴾ ٤٦٣
- ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴿٤٦٣﴾ ٤٦٣
- ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٦٤﴾ ٤٦٤
- ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴿٤٦٥﴾ ٤٦٥
- ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿٤٦٩﴾ ٤٦٩
- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٤٧٤﴾ ٤٧٤
- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذَّبُوا ﴿٤٧٤﴾ ٤٧٤
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَلَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴿٤٨٧﴾ ٤٨٧
- ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴿٤٩٣﴾ ٤٩٣
- ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٤٩٤﴾ ٤٩٤
- ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿٤٩٥﴾ ٤٩٥
- ﴿تَنْزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤٩٦﴾ ٤٩٦
- ﴿يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ﴿٤٩٨﴾ ٤٩٨
- ﴿إِذَا الْقُوفَىٰ سِعُوهَا سَعِيْقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٤٩٨﴾ ٤٩٨

- ﴿سَأَلْتُمْ خَزَائِنَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ٤٩٨
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٠﴾ ٤٩٩
- ﴿وَجِئْنَا بِضُرَّةٍ مُّزْجَلَةٍ ﴿١١﴾ ٥٠٥
- ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴿١٢﴾ ٥١١
- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴿١٣﴾ ٥١٤
- ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ٥٢٠
- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴿١٥﴾ ٥٢١
- ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٦﴾ ٥٢١
- ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيَنَّمَا وَقَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧﴾ ٥٢٣
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴿١٨﴾ ٥٢٣
- ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَأُمَلِي لَهُمْ إِيَّاتٍ كِيدِي مَتِينٌ ﴿٢٠﴾ ٥٢٣
- ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٥٢٣
- ﴿وَاللَّهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ٥٢٥
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴿٢٣﴾ ... ٥٢٥
- ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴿٢٤﴾ ٥٢٦
- ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴿٢٥﴾ ٥٢٧

- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ٥٢٧
- ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ٥٢٨
- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ٥٢٨
- ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ٥٢٨
- ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ٥٣٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَهَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ٥٣٤
- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .. ٥٣٥
- ﴿ وَنَصْرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ ٥٣٦
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ٥٣٦
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ٥٣٧
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ؤ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ٥٣٨

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
١٤	«لَا تَمْتَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»
٢٢	«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»
٢٣	«يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا نَزَلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ؛ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» ...
٢٣	«اقتدوا باللذنين من بعدي: أبي بكرٍ وعمر»
٢٣	«إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا»
٤٦	«وَاللَّهُ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَنْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْفِرْدَةِ وَالْحَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَلَّا أَعْدِلَ بَيْنَكُمْ»
٥٦، ٥٤	«يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»
٥٧	«إِنَّهُمْ مِنَ الْكُفْرِ قَرُّوا»
٦٢	«مَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»
٦٣	«ها أنا أموت على عقيدة أمي»
٧٧	«كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»
٧٩	«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ عَيْنِي الرَّحْمَنِ»
٨٠، ٧٩	«إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»

- «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ» ٨٠
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ١٢٩، ٨١
- ٤٠٤
- «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دَوْمَهَا سَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» ١٢٩، ٤٠٤
- «لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ٩٢
- «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» ١٠٦
- «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ» ١٠٨
- «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» ١١٠
- «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّهَا طَيِّبَةً» ١١٤
- «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» ١١٥
- «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» ١١٥
- «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» ١١٦
- «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تُضَرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» ١١٦
- «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا» ١٢٥
- «بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ» ١٢٥
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ إِلَّا تَغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ١٢٩

- ١٣١ «أَعْتَقَهَا فَإِنَّمَا مُؤْمِنَةٌ»
- «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ قَالَ: سَبْعَةٌ: سِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ،
 ١٣١ قَالَ: مَنْ تُعَدُّ لِرَغَبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ»
- ١٣٨ سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ
- ١٣٩ «مَنْ تَعَلَّمَ الْكَلَامَ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ»
- «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنُّعَالِ، وَيَطَافَ
 بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ،
 ١٣٩ وَأَقْبَلَ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ»
- ١٤٤ «لَوْ أَعْلَمُ أَنْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لَصَرَفْتُهَا لِلسُّلْطَانِ»
- ١٥٠ «إِنَّهُ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْإِلْحَادِ»
- «كُنْتُ أَظُنُّ دَائِمًا أَنَّ الْمَنْطِقَ الْيُونَانِيَّ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ وَلَا يَحْتَاجُ
 ١٦٤ إِلَيْهِ الذِّكْرِيُّ»
- «مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ
 ١٧٤ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُبْتَدَعٌ»
- «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ إِلَى
 ١٨٤ السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا لِلنَّاسِ»
- «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ
 شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ
 ١٨٦ دُونَكَ شَيْءٌ»
- ١٨٧ «فَضَّلَ الْعَرْشَ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضَّلَ الْفَلَاحَةَ عَلَى الْحَلَقَةِ»

- ٢٠٢ قراءته ﷺ في سنة الفجر
- ٢١٣ في ضحضاح من نار عليه نعلان يغلي منهما دماغه
- لو دعاه أهل الأرض وأهل السماء الإنس والجن وأعطى كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر ٢٢١
- إن المتمسك بالسنة عند فساد الزمان له أجر خمسين من أصحاب النبي ﷺ ٢٤١، ٢٣٣
- ٢٤٨
- ٢٣٣ إن العبادة في زمن الهرج كهجرة إلى الرسول ﷺ
- ٢٣٥ شبه النبي - عليه الصلاة والسلام - أمته بالغيث
- الغرباء هم: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» ٢٣٨
- «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء» .. ٢٣٨
- «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» ٢٤١
- «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم» ٢٤٢
- «إني لأحسب الشيطان يفرق منك يا عمر» ٢٤٦
- «من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة» ٢٤٦
- «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» ٢٤٧
- «يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم» ٢٥٢

- ٢٥٧ «أَحْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ»
- ٢٥٨ «سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا»
- ٢٦٠ «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَةَ»
- ٢٦٢ «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»
- ٢٦٥ «العَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»
- «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» ٢٦٧، ٤٩٠
- ٢٩٥ ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها
- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فَتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» ٢٧٤
- «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ... إلخ؟» ٢٧٥
- «اكتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى» ٢٨٢
- منهم من يمر على الصراط كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالإبل ٢٨٣
- «وَيَوْمَ مَرُّ بَارِعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِبَ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» ٢٨٤
- «هُوَ لَاءٌ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهُوَ لَاءٌ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي» ٢٨٤

- «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ
وَسَعْدَيْكَ» ٢٨٧، ٤٥٧
- «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» ٢٨٩
- «بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» ... ٢٩٢
- ينظرُ إلى الله تعالى كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ ٢٩٣
- «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» .. ٢٩٤، ٣٤٠
- «أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزَلَةٌ هُوَ الَّذِي تَكُونُ مَسَافَةٌ مُلْكِهِ أَلْفِي عَامٍ،
يَرَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ» ٢٩٣
- «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ٢٩٥
- «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا أَبْنَاءَ عَشْرِ وَعِشْرِينَ ٢٩٧
- «إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ٢٩٧
- «إِنَّ السُّتَيْنِ فِي الطُّوْلِ ثَابِتَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ ٣٠٠
- «رِيحُ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ ٣٠٤
- «رِيحُ الْجَنَّةِ يُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا ٣٠٤
- «رِيحُ الْجَنَّةِ يُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِئَةِ عَامٍ ٣٠٥
- «رِيحُ الْجَنَّةِ يُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ ٣٠٥
- «سَفَرُ الْمَرْأَةِ بِلَا مَحْرَمٍ جَاءَ مُقَيَّدًا بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ٣٠٦
- «سَفَرُ الْمَرْأَةِ بِلَا مَحْرَمٍ جَاءَ مُقَيَّدًا بِيَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ٣٠٦
- «سَفَرُ الْمَرْأَةِ بِلَا مَحْرَمٍ جَاءَ مُطْلَقًا ٣٠٦

- «لَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ» ٣٠٦
- إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ الْفُقَرَاءُ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِئَةِ عَامٍ ٣٠٨
- إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ الْفُقَرَاءُ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ عَامًا ٣٠٨
- أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْفِرْدَوْسَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣١١
- «أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ» ٣١١
- «وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... وَلَيَبْعَثُنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ» ٣١٢
- أول الفقراء فقير ذو عيال ٣١٣
- العبد المملوك الذي قام بحق الله وحق سيده هو أول المماليك ٣١٣
- «ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ» ٣١٦
- «خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ - لِمُوسَى - بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ» ٣٢٠
- لَمَّا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْغُرْسَ قَالَ لِلْجَنَّةِ: تَكَلَّمِي، فَتَكَلَّمَتْ ... ٣٢٣
- «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ، ... ٣٢٤، ٣٨١
- «لَمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى

- بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» ٣٢٩
- «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ يُشْبَهُ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ» ٣٨٧، ٣٤١
- في الجنة شجرةٌ يسيرُ الرَّاكِبُ العجلانُ فيها مئةَ سنةٍ لا يقطعُ ظلَّها ٣٤٣
- «لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسُّيوفِ» ٣٧٨، ٣٥٠
- «تَبْلُغُ الحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ» ٣٦٦
- كان ﷺ يديرُ الماءَ على مِرْفَقِيهِ ٣٦٧
- «غَسَلَ يَدَهُ اليُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي العَضْدِ، ثُمَّ يَدَهُ اليُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي العَضْدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ اليُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ اليُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ» ٣٦٨
- «فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ عُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ فَلْيَفْعَلْ» ٣٧٠، ٣٦٩
- «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجُلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» ٣٧٢
- «فَإِنَّهُمْ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ نُقِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ» ٣٧٤
- «مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» ٣٧٥
- «إِنْ تَقَمَّهَا تَكْسِرُهَا، وَإِنْ تَتْرَكْتَهَا تَسْتَمْتِعُ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ» ٣٧٦

- «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ» ٣٧٨
- كانت زوجة الزبير بن العوام تحمل النوى من المدينة إلى بستانه خارج المدينة ٣٩٢
- «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي» ٣٩٨
- «...وَلَكِنْ لَا مَنِيٍّ وَلَا مَنِيَّةٍ» ٤٠٠
- «مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ صَرِيحَ الْقُرْآنِ وَصَرِيحَ السُّنَّةِ» ٤٠٤
- «فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» ٤٠٤
- «إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ حَرِيًّا بِأَنْ يُحْرَمَهَا» ٤١٣
- «وَأَسْأَلُكَ لَدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ» ٤٢١
- «هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَالْنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَآيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» ٤٢٣
- «قُومُوا إِلَيَّ مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ» ٤٣٤
- «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ،

- فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ٤٤١
- «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» ٤٤٣
- «مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ» ٤٤٥
- «الْقُرْآنُ يَأْتِي شَافِعًا لِأَصْحَابِهِ» ٤٤٥
- «تَأْتِي سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ كَأَنَّهَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَّائَتَانِ أَوْ كَأَنَّهَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا» ٤٤٦
- «كَانَ ﷺ يَتَعَوَّذُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ» ٤٤٩
- «إِنَّ الْجَنَّةَ قِيعَانٌ» ٤٥١
- «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ» ٤٥٢
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ» ٤٦٢
- «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ شَبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَاهُ يَمْسِي أَتَاهُ هَرَوَلَةً» ٤٦٣
- «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ الْجَنَّةَ وَغَفَرَ لَهَا حَيْثُ سَقَتْ كَلْبًا يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ» ٤٦٣
- «أَصْدُقُهَا - أَي: الْأَسْمَاءُ - حَارِثٌ وَهَمَامٌ» ٤٦٥
- «يَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ شَيْءٍ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؟» ٤٦٧

- «أفكلّمنا جاءنا رجلٌ أجدلٌ من رجلٍ تركنا الكتابَ والسُّنَّةَ
 لقولِ هذا المجادلِ؟!» ٤٦٨
- «أمرُّوها كما جاءتِ بلا كيفٍ» ٤٦٩
- «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» ٤٧٥
- «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» ٤٨٠
- «رَجُلَانِ نَحَابَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» ٤٨٢
- «لَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ٤٩٠
- «لَبَيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ» ٤٩٤
- «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ
 الْآخِرَةِ ٤٩٦
- «وقد قال النَّاسُ: أكثرُ ما يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نصفُ متكلمٍ، ونصفُ
 متفكِّهٍ، ونصفُ مطبَّبٍ، ونصفُ نحويٍّ» ٥٠٦
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ...» ٥١٧
- «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ
 لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ» ٥٢١
- «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْسِنِي مَا عَلِمْتَ
 الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي» ٥٢١
- «حِجَابُهُ - أَي: الرَّبِّ - النُّورُ» ٥٢٢
- «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» ٥٢٢

«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا
مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ
عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي» ٥٢٣

«مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا
شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» ٥٣٧، ٥٢٥

«اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا الرَّحِمَ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ، فَأَخِنِهِ الْغَدَاةَ» ٥٣١

«إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ٥٣٢

«كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» ٥٣٣

«بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ» ٥٣٥

فهرس الموضوعات والفوائد

الصفحة	الموضوع
٥	فَصْلٌ: فِي بَيَانِ شُرُوطِ كِفَايَةِ النَّصِّينِ وَالِاسْتِغْنَاءِ بِالْوَحْيَيْنِ
٦	شروطِ الاكتفاءِ بالنَّصِّينِ
٦	الأوَّلُ: تجريدُ التَّلَقِّي
٦	الثَّاني: خلْعُ القيودِ
٧	إذا تعارَضَ العقلُ والنَّقْلُ فِي بَابِ الصِّفَاتِ
٧	هؤلاءِ يُقَعِّدُونَ قواعدَ ما أنزل اللهُ بها من سُلْطَانٍ
٧	الثَّالثُ: هدمُ القواعدِ التي ما أنزل اللهُ بها من سُلْطَانٍ
٨	الرابع: أن تُقَدِّمَ على الآراءِ المخالفةِ بالرَّدِّ والإبطالِ
٨	القيودُ والقواعدُ التي أصْلَوْها ضَيَّقَتْ البِطَانَ
٩	قولهم أن الإنسانَ إذا خلعَ الحَقَّينِ بعدَ مسحِهما بطلَ الوضوءُ
١٠	قولهم: كُلُّ النُّصوصِ المثبِّتَةِ للصِّفاتِ مجازٌ
١٠	بماذا يكونُ تقييدُ المطلقِ؟
١١	فرقٌ بينَ المطلقِ والعامِّ، وبينَ المخصِّصِ والمقيِّدِ
١٤	الصحابَةُ أنكروا معارضةَ النَّصِّ بالآراءِ
١٥	الاختلافُ بينَ أهلِ الآراءِ
١٦	مثالٌ عجيبٌ منضبطٌ ضربه ابنُ القيمِ رحمه اللهُ

- الإيمان يُغرسه اللهُ تعالى في قلبِ الإنسانِ ١٦
- فَصْلٌ ١٨
- منهج السلف في الطعن في الأقوال ١٩
- أقوال النَّاسِ ثلاثةٌ أقسام: ١٩
- إذا رَأَيْتَ رَأْيًا فإنه لا يحلُّ لك أن تُنْزِمَ النَّاسَ به ٢٠
- كُلُّ شخصٍ يريدُ من النَّاسِ أن يتَّبِعُوا قولَه ٢١
- التحذير من أن يترك الإنسانُ النَّصَّ ٢٢
- الكلام عن الاشتراكية ٢٤
- فَصْلٌ: في لَازِمِ المَذْهَبِ هلْ هُوَ مَذْهَبٌ أمْ لا؟ ٢٥
- مَنْ الذي يعرفُ بلوازمِ كلامِه؟ ٢٦
- إنَّ اللهُ تعالى خالقُ كُلِّ شيءٍ، فهل يلزمُ أن يكونَ عالمًا بأحوالِ
العبادِ؟ ٢٧
- أولًا: هل لازمُ الكلامِ ملزومٌ للقائلِ أو لا؟ ٢٧
- الأقوالُ المنكَّرةُ في بابِ الصِّفاتِ وغيرها إذا كان يلزمُ عليها لوازمُ
باطلةٌ لماذا لم يرجع عنها أصحابُها؟ ٣٠
- إذا جاءت «مَا» بعد «إِذَا» فهي زائدةٌ ٣١
- دلالةُ النُّصوصِ على اللازمِ تجعلُ اللازمَ حُكْمًا ثابتًا ٣٢
- قولهم: أنتم ممثلةٌ، وهل يلزمنا أن نقولَ بالتَّجسيمِ؟ ٣٣
- أقوال المعطلة في أهل السنة، وإلزامهم بما لا يلزم ٣٣

- ٣٦ قولهم لأهل السنّة: أنتم كُفّارٌ؛ لأنكم تمثّلون الله بخلقه.....
- من قال: إنَّ الله - سبحانه وتعالى - لا يُوصَفُ بوجودٍ ولا عَدَمٍ،
ولا سمعٍ ولا بصيرٍ، .. إلخ ٣٧
- من قال: السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ مخلوقان قبل العرشِ بالإجماع ٣٩
- تأويل المعطلة لآيات الاستواء ٤٠
- التَّهَكُّمُ بالإنسانِ وراذُ حتّى في القرآن ٤٢
- فَصْلٌ: فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي تَكْفِيرِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَذِكْرِ انْقِسَامِهِمْ إِلَى
أَهْلِ الْجَهْلِ وَالتَّفْرِيطِ وَالبِدْعَةِ وَالكُفْرَانِ ٤٣
- أهل البدع والضلال ليس لهم سيرٌ ولا سلاحٌ إلاّ التَّكْفِيرُ
والتَّشْهِيرُ ٤٤
- مِيزَانُ الدِّينِ عندهم هو الموافقةُ والمخالفةُ ٤٥
- سببُ تكفيرهم لأهل السنة تركُ الوحيين «الكتاب والسنة» للآراء... ٤٥
- الذين كَفَرُوا أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعةِ قسماً: أهلُ جهالةٍ وذوو العنادِ ٤٨
- المعاندون كُفّارٌ من وجهين: ٤٩
- الجاهلون نوعان: ٤٩
- القسم الأول من الجهال ٤٩
- تفسيق ابن القيم للعوام في بلد البدع أو بلد الشرك ٥٠
- هل التوقف قولٌ أو جهلٌ؟ ٥١
- ماذا قال النبي ﷺ في الخوارج؟ ٥٣

- ٥٥ النَّوَاةُ فِيهَا ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ: النَّقِيرُ وَالْفَتِيلُ وَالْقَطْمِيرُ
- أَقْسَمَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ مَا زَادُوا عَلَى الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ نَقِيرًا ٥٥
- الخَوَارِجُ لَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ، لَكِنَّهُمْ عَزَلُوا نصوصَ الرَّجَاءِ عَمَّا
أَرَادَ اللَّهُ بِهَا وَرَسُولُهُ ٥٦
- هل الخوارج كُفَّارٌ؟ واختلاف العلماء في ذلك ٥٧
- فَصُلِّ ٥٨
- القسم الثاني من الجهال ٥٩
- الفرق بين «إِذْ» و«إِنْ»؟ ٦٠
- إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ هُمُ أَهْلُ الْكَلَامِ ٦٢
- هؤلاء لهم أربع حالات ٦٣
- نعذرُ جاهلهم الحريصَ على طلبِ الحقِّ ٦٤
- قاعدة مفيدة مهمّة «الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولُهُ» ٦٥
- إثباتُ الأجرِ يَدُلُّ على أَنَّ المَاجورَ مؤمنٌ ٦٧
- فَصُلِّ: فِي تَلَاعُبِ الْمُكْفِرِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِيْمَانِ بِالَّذِينَ كَتَلَعَبِ الصَّبِيَانِ ... ٦٨
- ردُّهم الكتابَ والسُّنَّةَ ٦٩
- الخفافيش ٧٠
- معاداة أهل البدع لأهل السنة في كل حال ٧١
- أعداءُ الرَّسولِ عابوا على النَّبِيِّ ﷺ الخُلْفَ لشيوخهم ٧٣

- ٧٣ جواز مخالفة الشيوخ إذا كانوا على باطل
- لو وزنًا عقول جميع أهل الأرض بنص صح عن النبي - عليه
 الصلاة والسلام - ما ساوته ٧٤
- ٧٦ خلاف أهل ابلدع في فوقية الله عز وجل
- ٧٧ القول في إثبات اليدين
- ٧٧ نصوص إثبات اليدين في القرآن الكريم والسنة على أوجه ثلاثة ..
- ٧٨ إلزام المثني بالألف بين الضرورة الشعرية، ولغة الإثبات مطلقًا ..
- ٧٩ وردت العينان بصفة التثنية في السنة على وجهين ..
- ٨٠ الأشعريُّ مُصرِّحٌ بأنَّ الله أصابع، والأشاعرة ينكرونها ..
- ٨١ إنكار أهل البدع للرؤية ..
- ٨٢ هل الرؤية مستحيلة لكونها نقصًا في حق الله تعالى ..
- ٨٤ الأشعري صرح بثبوت الرؤية يوم القيامة والأشاعرة ينكرونها ..
- ٨٤ إنكار الأشاعرة والمعتزلة للاستواء ..
- ٨٥ مثل لبيان صفة ثبوت الرؤية ..
- يقول أبو الحسن الأشعريُّ: إنَّ الله لا يتكلَّم بحرفٍ وصوتٍ
 مسموعٍ ٨٧
- ٨٧ المعتزلة يقولون: إنَّ القرآنَ كلامُ الله، لكنَّه خَلَقَ من مخلوقاته ..
- فَصَلِّ: فِي أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ هُمْ أَنْصَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَاصَّتُهُ، وَلَا يُبْغِضُ
 الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ٩١

- أهل الحديث هم أنصارُ دينِ الله والإيمانِ والقرآنِ ٩٢
- شَهِدَ الرَّسُولُ بَأَنَّهُ لَا يُبْغِضُهُمْ مُؤْمِنٌ ٩٣
- الأنصارُ قبيلتان: الأوسُ والخزرجُ، فهل هذا يختصُّ بتلك القبيلتين؟ ٩٣
- المعطلةُ أخذوا بأقوالِ الشيوخِ وتركوا ما قاله النبي ﷺ ٩٤
- انتسابُ أولي التفرُّقِ: موافقةُ الكتابِ ومخالفتهُ، وموافقةُ السُّنَّةِ ... ٩٤
- «اللِّقْبُ» عند أهل النَّحوِ ٩٥
- أهل الحديث ربحوا الدنيا والآخرة ٩٧
- مَثَلُ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ٩٩
- أهل البدعِ في قلوبِهِمْ غُلٌّ على السُّنَّةِ ١٠٢
- الجاهلون شرارُ أهلِ الحقِّ ١٠٣
- فَصْلٌ: فِي تَعْيِينِ الْهَجْرَةِ مِنَ الْأَرَءِ وَالْبِدْعِ إِلَى سُنَّتِهِ كَمَا كَانَتْ فَرَضًا مِنَ الْأَمْصَارِ إِلَى بَلَدْتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ١٠٥
- معنى قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» ١٠٦
- الحبُّ والبغضُ أصلانِ للولايةِ والعداوةِ ١٠٧
- الإخلاصُ والمتابعةُ هما الإحسانُ ١٠٨
- كيف تهاجرُ إلى النبي ﷺ؟ ١٠٩
- ذكرُ الله تعالى باللِّسانِ يُعِينُ على ذكرِهِ بالقلبِ ١٠٩
- سيرُ الدَّلالِ سيرٌ بطيءٌ، والدَّمَلانِ سيرٌ سريعٌ ١١٢

- ١١٢ إِنَّ أَعْلَامَ السُّنَّةِ لَا يَرَاهَا إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ مَكْحُولَتَانِ بِمَرَاوِدِ السُّنَّةِ
- ١١٥ أَصْحَابُ بَدْرِ
- ١١٥ يَبْعَةُ الرُّضْوَانِ
- ١١٦ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ
- ١١٧ أَنْ يُعْرِضَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَحْنَةً
- ١١٨ يَجِبُ الرَّجُوعُ فِي التَّحَاكُمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ
- ١١٩ أَهْلُ التَّعْطِيلِ يُحْكَمُونَ الْعَقْلَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ
- ١٢٣ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسِمُ الْفَضْلَ بَيْنَ النَّاسِ
- ١٢٤ سَاكِنُو الْجَنَّاتِ وَعَامُرُوهَا هُمْ أَهْلُ الْهُدَى
- ١٢٥ «هُوَ الشَّرَّانِ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «هُمَا الشَّرَّانِ»
- ١٢٥ التَّكْبُرُ وَالْهُوَى
- ١٢٧ فَصْلٌ: فِي ظُهُورِ الْفَرْقِ الْمُبِينِ بَيْنَ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَدَعْوَةِ الْمُعْطَلِينَ
- ١٢٧ وَجْهَ الْفَرْقِ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ
- ١٢٨ انْقِسَامِ النَّاسِ فِيمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ إِلَى قَسْمَيْنِ:
- ١٣٠ أَتَى الرُّسُلُ بِإِبْثَابِ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ وَالْكَلامِ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ
- ١٣١ مِنَ الَّذِي قَالَ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»
- ١٣٢ الرُّسُلُ أَتَوْا بِالْتَّبَيِّنِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ
- ١٣٤ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مِنْ مَقَوِّمَاتِ اللَّفْظِ:
- ١٣٥ سَخْرِيَّةُ الْمُصَنِّفِ مِنَ الْمُعْطَلَةِ

- الرُّسُلُ أَتَوْا بِإِثْبَاتِ الْمُفْصَلِ غَالِبًا، وَنَفِيِ الْمُجْمَلِ ١٣٦
- أَهْلُ التَّعْطِيلِ سَلَكَوا طَرِيقًا مُخَالَفًا لَطَرِيقِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ١٣٧
- أَهْلُ التَّعْطِيلِ أَفْرَاحٌ لِلْيَهُودِ ١٣٨
- الْجَعْدُ بْنُ دَرَهْمٍ وَوَلِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ ١٣٨
- عِلْمُ الْكَلَامِ عِنْدَ الْأَثَمَةِ مَذْمُومٌ ١٣٩
- قَوْلُ الْمُعْطَلَةِ: إِنَّ اللَّهَ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مَتَّصِلٌ وَلَا
مَنْفُصِلٌ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا مَبَايِنٌ وَلَا
مَحَايِثُ ١٤٠
- فَصْلٌ: فِي شَكْوَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ أَهْلَ التَّعْطِيلِ وَالْآرَاءِ الْمُخَالَفَةِ لَهُمَا
إِلَى الرَّحْمَنِ ١٤٢
- الْمُعْطَلَةُ يَشْكُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِلَى السُّلْطَانِ ١٤٢
- تَلْبِيسُهُمْ عَلَى أَهْلِ السَّنَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ ١٤٣
- يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَدْعُوَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ أَنْ يَرُدَّهُمُ اللَّهُ عَنْ بَاطِلِهِمْ إِلَى الْحَقِّ
هَجْرَانِهِمُ الْوَحِيِّينَ إِلَى الْآرَاءِ وَالْعَقْلِ ١٤٤
- قَوْلُهُمْ: فِي الْقُرْآنِ مَا يَخَالَفُ الْعُقُولَ، وَيَجِبُ فِيهِ أَحَدُ امْرَيْنِ: ١٤٨
- قَوْلُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عَنْ قَوْلِ أَهْلِ التَّفْوِيزِ ١٥٠
- النُّفَاةُ مَا تَرَكَوا النَّاسَ بِلَا شَرٍّ وَلَا عَدْوَانٍ ١٥١
- عَوَامِهِمْ لَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يُشْبِعُوا بَطُونَهُمْ ١٥٦
- الَّذِينَ يَعْتَنُونَ بِالْفَاطِظِ الْقُرْآنِ وَتَجْوِيدِهِ وَنَغْمَاتِهِ الصَّوْتِيَّةِ ١٥٧

- قول المعطلة: إنَّ المصاحفَ ما فيها من القرآنِ إلاَّ المدادُ وهذه
الأوراقُ ١٥٨
- المعطلةُ الذين ينكرون كلامَ الله انقسموا ثلاثة أقسامٍ ١٦٠
- القرآنُ عند المعتزلة، وعند الأشاعرة ١٦١
- الفرقُ بين العبارة والحكاية ١٦١
- قولهم: القرآنُ دلالتُهُ ظنيَّةٌ ليست قطعِيَّةً ١٦٣
- إنَّ إعراضَ النَّاسِ عن القرآنِ من علاماتِ رفعِهِ في آخرِ الزَّمانِ .. ١٦٤
- فصلٌ: في أذانِ أهلِ السُّنَّةِ الأعلامِ بِبَصْرِ-يَحْهَا جَهْرًا عَلَى رُؤُوسِ مَنَابِرِ
الإِسْلامِ ١٦٧
- اتِّفاقُ المعتزلة والأشعرية على أنَّ ما نقرؤه في هذا المصحفِ مخلوقٌ
الأصنامُ لا تصلحُ أن تكونَ آلهةً ١٦٧
- الارتباطُ بين اللَّفْظِ والمعنى ١٧٣
- هل القرآنُ المكتوبُ في هذا الكتابِ مخلوقٌ أو لا؟ ١٧٤
- كلامُ الإمامِ أحمد - رحمه الله تعالى - في مسألة خلق القرآن ١٧٤
- ثبوتُ الفوقيةِ بجميعِ المعاني ١٧٧
- قاعدة مفيدة: «كُلُّ ما أضافه الله لِنَفْسِهِ فالمرادُ لذاتِهِ» ١٧٨
- الأدلة على علوِّ الله عزَّ وجلَّ ١٨١
- آياتُ المعراج ١٨١
- كلمة «إِصْبَع» فيها عشرُ لغاتٍ ١٨٣

- المنكرون للعلوِّ يقولون: مَنْ رَفَعَ إصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مَشِيرًا إِلَى
 ١٨٤ عَلُوِّ اللَّهِ وَجَبَ قَطْعُهَا.
- لا يمكنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْإِنْسَانُ عَظْمَ الْكُرْسِيِّ وَلَا عَظْمَ الْعَرْشِ ١٨٧
- ١٨٨ قَوْلِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ: إِنَّ اللَّهَ بَدَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.
- ١٨٩ الْمَشْبَهَةُ وَالْمُمَثَّلَةُ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ -سَبْحَانَهُ تَعَالَى- مِمَّا تُثَلِّخُ لَخْلِقِهِ.
- ١٨٩ كُلُّ مِمَثَّلٍ مَعْطَلٌ مِنْ ثَلَاثَةِ وَجُوهِ:
- ١٩٠ الْمَعْطَلُ مِمَثَّلٌ.
- ١٩٢ الْمَعْطَلَةُ زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ.
- ١٩٦ **فَصْلٌ: فِي تَلَازِمِ التَّعْطِيلِ وَالشَّرْكِ**
- ١٩٧ الْمَعْطَلُ مُشْرِكٌ.
- ١٩٨ تَعْطِيلُ الْأَوْصَافِ وَتَعْطِيلُ التَّوْحِيدِ.
- ٢٠١ سُورَةُ الْأَخْلَاصِ تُسَنُّ فِي أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ السُّنَنِ.
- ٢٠٤ الْمَشْرِكُ فِي الْعِبَادَةِ الَّذِي تَضَمَّتْهُ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ.
- ٢٠٤ التَّعْطِيلُ يَلْزِمُ مِنْهُ الْإِشْرَاقُ.
- ٢٠٥ **فَصْلٌ: فِي بَيَانِ أَنَّ الْمَعْطَلَّ شَرٌّ مِنَ الْمَشْرِكِ.**
- ٢٠٦ الْمَعْطَلُّ جَا حِدٌ لِدَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ لِلصِّفَاتِ الَّتِي بِهَا كَمَالُ الدَّاتِ ..
- ٢٠٧ الْمَشْرِكُ مُثَبَّتٌ لِلدَّاتِ وَالصِّفَاتِ، لَكِنَّهُ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ ..
- ٢٠٧ الشَّرْكَ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ، لَكِنَّهُ تَعْظِيمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْجَهْلِ.
- ٢٠٨ الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ مَلُوكِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ ..

- ٢١١ في بيانِ توحيدِ الألوهية
- ٢١٢ الشفاعةُ لا بُدَّ فيها من شرطين:
- ٢١٤ إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - أذنَ في الشفاعةِ لسببَيْنِ
- ٢١٤ للشفاعةِ فائدتان:
- ٢١٦ إذا تولَّى الإنسانُ غيرَ اللهِ ولأه اللهُ إيَّاه
- ٢١٨ مسألة: هل تولَّى غيرَ الله عزَّ وجلَّ يُعذَّرُ فيه الإنسانُ بالجهلِ؟
- ٢٢١ الكفيلُ من أسماءِ الله
- ٢٢٢ لا حاجةَ لوسيطٍ بينَ الله وبينَ العبادِ
- ٢٢٣ المعطلُّ لا يصفُ اللهُ إلا بالنفي
- ٢٢٣ القلبُ لا بُدَّ له من معبودٍ
- ٢٢٤ **فصلٌ: في مثلِ المشركِ والمعطلِّ**
- ٢٢٩ من الأشدَّ جرماً المشركُ أو المعطلُّ
- **فصلٌ: فيما أعدَّ اللهُ تعالى من الإحسانِ للمتمسكينَ بكتابهِ وسُنَّةِ رَسولِهِ**
- ٢٣١ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عندَ فسادِ الزَّمانِ
- ٢٣٢ فضلُ العبادةِ في زمنِ الهَرَجِ
- ٢٣٥ الفضلُ في أوَّلِ الأُمَّةِ وفي آخِرِها
- ٢٣٨ الغربةُ ليست غربةَ الوطنِ، ولكنَّها غربةُ الدِّينِ
- ٢٣٩ فضلُ التمسكِ بالدِّينِ وقتِ الغربةِ
- ٢٤١ فضلُ الصحابةِ على من دونهم

- المبادرة بردّ الشيء الذي لم تُحط به علمًا سبب إلى الحرمان وعدم الوصول إلى الحق ٢٤٢
- الفضل المُقيّد لا يُوجب أن يكونَ الفاضلُ أفضلَ من ذي الفضلِ المُطلقِ ٢٤٣
- الرُّسلُ من بعد آدم لهم خصائصُ ليست لمحمدٍ عليه الصّلاة والسّلامُ ٢٤٥
- الفضلُ نوعان: فضلٌ مُطلقٌ، وفضلٌ مُقيّدٌ ٢٤٦
- فضل عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٢٤٦
- فضل عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٢٤٧
- ما حكمُ الاستهزاء والتّعيرِ بالسُّنّةِ؟ ٢٤٨
- المشاق التي يتعرض لها المتمسك بدينه ٢٤٩
- الرَّجلُ القابضُ على الجمرِ يجدُ حرًّا لا يعلمُه إلا اللهُ ٢٥١
- الفضلُ بحقائقِ الإيِّانِ لا بصورةِ الأعمالِ ٢٥٢
- فَضْلٌ: فِيما أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى فِي الجَنَّةِ لِأَوْلِيائِهِ المُتَمَسِّكِينَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ... ٢٥٤
- كُلُّ الدُّنيا ساعةٌ من زمانٍ ٢٥٨
- لو فَرَضَ أَنَّ الإنسانَ فِي أَطيبِ عيشةٍ فإذا فَكَّرَ ساعةً ما المَالُ؟ ٢٦١
- المؤمنُ سجنُه الدُّنيا لوجهين: ٢٦١
- قصة ابن حجر - رحمه الله تعالى - واليهودي ٢٦٢
- الحياة الطَّيِّبَةُ لا تقتضي كثرةَ المَالِ ولا كثرةَ الأَوْلادِ ٢٦٤

- ٢٦٦ أرواح الكفار في وحشة
- ٢٦٧ الدنيا أحقر عند الله من جناح البعوضة
- ٢٦٨ الدنيا لا يُرَجَى منها الوفاء لمن يحبونها ويقدمونها على الآخرة
- فصل: في صفة الجنة التي أعدها الله - ذو الفضل والمنة - لأوليائه
- ٢٧١ المتمسكين بالكتاب والسنة
- ٢٧٢ فصل: في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين
- ٢٧٤ فصل: في أبواب الجنة
- ٢٧٦ فصل: في مقدار ما بين الباب والباب منها
- ٢٧٧ فصل: في مقدار ما بين مضراعي الباب الواحد منها
- ٢٧٧ تقدير ما بين البابين
- ٢٧٩ فصل: في مفتاح باب الجنة
- ٢٧٩ أسنان هذه المفاتيح هي الشرشرة
- ٢٨٠ هل الأعمال شرط لصحة الإيمان ودخول الجنة؟
- ٢٨١ فصل: في منشور الجنة الذي يُوقَّع به لصاحبها
- ٢٨٣ الجسر هو: جسر ممدود على جهنم
- ٢٨٤ ما يكتبه الملك على ابن آدم وهو في بطن أمه
- ٢٨٦ فصل: في صفوف أهل الجنة
- ٢٨٧ ذكُرُ يأجوج ومأجوج
- ٢٨٩ فصل: في صفة أول زمرة تدخل الجنة

- ٢٩١ فَضْلٌ: فِي صِفَةِ الزُّمَرَةِ الثَّانِيَةِ
- ٢٩٢ فَضْلٌ: فِي تَفَاضُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى
- ٢٩٣ فَضْلٌ: فِي ذِكْرِ أَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنزَلَةً وَأَدْنَاهُمْ
- ٢٩٥ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً
- ٢٩٥ خِلَاصَةٌ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّهُ ذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ:
- ٢٩٦ فَضْلٌ: فِي ذِكْرِ سِنِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٢٩٨ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَأْتِي بِالنُّصُوصِ الْمَشْكُوكَةِ لِيُغْرِبَ فِي الْمَقَالِ
- فَرَقٌ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِالْأَحَادِيثِ لِيُثَبِّتَ التَّعَارُضَ، وَشَخْصٍ يَرِيدُ
- ٢٩٨ الْجَمْعَ بَيْنَهَا
- ٢٩٩ فَضْلٌ: فِي طُولِ قَامَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَعَرْضِهِمْ
- مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَجْعَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَلَى
- ٣٠١ صِفَاتِهِمْ؟
- ٣٠٢ فَضْلٌ: فِي لِحَاهِمُ وَأَلْوَانِهِمْ
- ٣٠٣ فَضْلٌ: فِي لِسَانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٠٤ فَضْلٌ: فِي رِيحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ مَسِيرَةِ كَمْ يُوجَدُ
- ٣٠٤ الْاِخْتِلَافُ فِي هَذَا
- ٣٠٦ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الْآثَارِ الْمَخْتَلِفَةِ فِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ
- ٣٠٨ فَضْلٌ: فِي أَسْبَقِ النَّاسِ دُخُولاً إِلَى الْجَنَّةِ
- ٣١٠ ضَعْفٌ مَا رَوَى أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْفِرْدَوْسَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- ٣١٤ فَضْلٌ: فِي عَدَدِ الْجَنَّاتِ، وَأَجْنَاسِهَا
- ٣١٤ أَصْلُ الْجَنَّةِ ثِنْتَانِ وَثِنْتَانِ
- ٣١٥ الْجَنَّةُ لَهَا أَسْمَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ، لَكِنْ أَصْلُهَا أَرْبَعٌ
- ٣١٧ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُورِ الْقَاصِرَاتِ، وَالْمَقْصُورَاتِ
- ٣٢٠ الْفَرْدُوسُ فِي الْجَنَّةِ كَأَدَمَ فِي الْبَشَرِ
- ٣٢٣ هَلِ الْجَنَّةُ تَتَكَلَّمُ؟
- ٣٢٦ فَضْلٌ: فِي بِنَاءِ الْجَنَّةِ
- ٣٢٧ فَضْلٌ: فِي أَرْضِهَا وَحَضْبَائِهَا وَتُرْبِهَا
- ٣٢٩ فَضْلٌ: فِي صِفَةِ غُرْفَاتِهَا
- فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذَا شَفَافِيَةِ الْغُرْفِ تَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ مَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ
- ٣٢٩ الْإِنْسَانُ سَرًّا؟
- ٣٣٠ فَضْلٌ: فِي خِيَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٣١ الْمَقَاصِيرُ فِيهَا أَبْوَابُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ وَمُرْجَانٍ
- ٣٣٣ فَضْلٌ: فِي أَرَائِكِهَا وَسُرُرِهَا
- ٣٣٣ مَعْنَى «الْبَشْخَانَةُ» فِي لُغَةِ فَارَسٍ
- ٣٣٥ فَضْلٌ: فِي أَشْجَارِهَا وَتِبَارِهَا وَظِلَالِهَا
- ٣٣٦ السِّدْرُ
- ٣٣٧ هَلِ فِي الْجَنَّةِ طَلْحٌ؟
- ٣٤٠ لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مَمًّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ

- ٣٤٥ فَضْلٌ: فِي سَمَاعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٤٦ سَمَاعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ نَوْعَانِ:
- ٣٤٨ الْقَلْبُ يَتَعَلَّقُ بِالْغِنَاءِ
- ٣٥١ فَضْلٌ: فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ
- ٣٥١ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَجْرِي بِلَا أَحْدُوْدٍ
- ٣٥٢ مَوَادُّ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْمَاءِ وَالْخَمْرِ لَيْسَتْ كَمَوَادِّ الدُّنْيَا
- ٣٥٤ فَضْلٌ: فِي طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٥٥ فَضْلٌ: فِي شَرَابِهِمْ
- ٣٥٧ فَضْلٌ: فِي مَصْرِفِ طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، وَهَضْمِهِ
- ٣٥٧ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ ...
- ٣٥٩ فَضْلٌ: فِي لِبَاسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٦٠ هَلْ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَاتٌ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ؟
- ٣٦٣ فَضْلٌ: فِي فُرْشِهِمْ وَمَا يَتَّبِعُهَا
- ٣٦٤ فَضْلٌ: فِي حُلِيِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٦٥ أَسْوَرَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ
- ٣٦٧ قَوْلَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْفِقْهِ: هَلْ يُسَنُّ مَجَاوِزَةَ مَحَلِّ الْفَرْضِ أَوْ لَا يُسَنُّ؟
- فَضْلٌ: فِي صِفَةِ عَرَائِسِ الْجَنَّةِ، وَحُسْنِهِنَّ، وَجَمَالِهِنَّ، وَلَذَّةِ وَصَالِهِنَّ،
وَمُثُورِهِنَّ
- ٣٧١ وَمُثُورِهِنَّ
- ٣٧٨ إِذَا أَعْيَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَوْدٌ

- ٣٧٩ القلوبُ سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّنْيَا
- ٣٨٣ فَصْلٌ
- ٣٨٨ فَصْلٌ
- ٣٨٩ صفة ساق الحور.....
- ٣٩٠ فَصْلٌ
- ٣٩٠ أعمار عرائس الجنة.....
- ٣٩١ قوة الجماع.....
- ٣٩٣ فَصْلٌ
- ٣٩٥ تَبَخَّرُ عَرَائِسُ الْجَنَّةِ.....
- ٣٩٥ صفة الوصائف.....
- ٣٩٦ فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ الْخِلَافِ بَيْنَ النَّاسِ: هَلْ تَحْبِلُ نِسَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ لَا؟.....
- ٣٩٦ لا توالد في الجنة.....
- ٣٩٧ نفي حبلى نساء أهل الجنة.....
- ٤٠٠ لا مني ولا موت.....
- ٤٠٠ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ مِنْ أَصْنَافٍ أَرْبَعَةٍ:.....
- ٤٠١ الذي يظهر أنهم لا يشتهون الأولاد.....
- ٤٠٣ فَصْلٌ: فِي رُؤْيَا أَهْلِ الْجَنَّةِ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَنَظَرِهِمْ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.....
- ٤٠٤ غير المؤمنين هل يرون الله؟.....
- ٤٠٦ إثبات الرؤية في القرآن الكريم نوعان: صريحٌ وتعريضٌ.....

- ٤١٠ قصة جرت مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -
- ٤٢٢ **فَصْلٌ: فِي كَلَامِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ - مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**
- ٤٢٣ الله سبحانه وتعالى يُكَلِّمُ أَهْلَ الْجَنَّةِ
- ٤٢٥ الفرقُ بين العبارة والحكاية
- ٤٢٦ **فَصْلٌ: فِي يَوْمِ الْمَزِيدِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْكِرَامَةِ**
- ٤٢٩ **فَصْلٌ: فِي الْمَطَرِ الَّذِي يُصِيبُهُمْ هُنَاكَ**
- ٤٣٠ **فَصْلٌ: فِي سُوقِ الْجَنَّةِ الَّذِي يَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ**
- ٤٣٣ **فَصْلٌ: فِي حَالِهِمْ عِنْدَ رُجُوعِهِمْ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ**
- **فَصْلٌ: فِي خُلُودِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا، وَدَوَامِ صِحَّتِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ وَشَبَابِهِمْ،**
وَاسْتِحَالَةِ الْمَوْتِ وَالنَّوْمِ عَلَيْهِمْ
- ٤٣٥ رأيان في دوام الجنة مُقَابِلَانِ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ
 الْأُمَّةِ
- ٤٣٦ **فَصْلٌ: فِي ذَبْحِ الْمَوْتِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الذَّبْحَ لِمَلِكِ**
الْمَوْتِ، أَوْ إِنَّ ذَلِكَ مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ
- ٤٤٥ العملُ الصَّالِحُ يَأْتِي إِلَى الرَّجُلِ إِذَا دُفِنَ يُؤْنِسُهُ
- ٤٤٦ فضل حفظ سورتي البقرة وآل عمران وقراءتهما
- ٤٥٠ **فَصْلٌ: فِي أَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا الْكَلَامُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ** ..
- ٤٥٢ «باءُ» الإثباتِ، و«باءُ» العوض
- ٤٥٥ **فَصْلٌ: فِي إِقَامَةِ الْمَاتِمِ عَلَى الْمُتَحَلِّفِينَ عَنْ رُفْقَةِ السَّابِقِينَ**

- لماذا حُفَّت الجنة بالمكاره؟ ٤٥٩
- إذا رأيت من نفسك التَّخَلُّفَ فاعلم بأنَّ العينَ قد عَمِيَتْ ٤٦٢
- سؤال الكثير عن أسباب ضعف نفوسهم، والبعد عن الهداية ٤٦٣
- القلبُ إذا انسلخَ من تحكيم القرآنِ والسُّنَّةِ صار القرآنُ في نظره
أساطيرِ الأوَّلِينَ ٤٦٦
- بعضُ العلماءِ - رحمهم اللهُ - من المحقِّقين يظنُّون أنَّ مذهبَ أهلِ
السُّنَّةِ والجماعةِ هو التَّفويضُ في آياتِ الصِّفاتِ وأحاديثها ٤٦٩
- ينبغي أن نُذكِّرَ النَّاسَ بنعيمِ الآخرةِ ٤٧٣
- بيع الدنيا بالآخرةِ ٤٧٤
- من يقول لحبيبه: أنت عندي أحبُّ من كُلِّ شيءٍ حتَّى من اللهُ ٤٨٢
- وجوب تجريدِ المحبَّةِ لله تعالى ٤٨٣
- فصلٌ: في زُهدِ أهلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ وَإِثَارِهِمُ الذَّهَبَ الباقِي عَلَى الخَرْفِ
الفاني ٤٨٥
- من التَّمَنِّي ٤٨٧
- فصلٌ: في رَغْبَةِ قَائِلِهَا إِلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ أَنْ
يَتَجَرَّدَ اللهُ، وَيَحْكَمَ عَلَيْهَا بِمَا يُوجِبُهُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ؛ فَإِنْ رَأَى حَقًّا
قَبْلَهُ وَحَمَدَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ رَأَى بَاطِلًا عَرَّفَ بِهِ وَأرْشَدَ إِلَيْهِ ٥٠٠
- فصلٌ: في حَالِ العَدُوِّ الثَّانِي ٥٠٩
- فصلٌ: في حَالِ العَدُوِّ الثَّالِثِ ٥١٢

- ٥١٣ فَصْلٌ: فِي حَالِ الْعَدُوِّ الرَّابِعِ
- فَصْلٌ: فِي تَوَجُّهِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ
- ٥١٩ وَعِبَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ
- يَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَ اللَّهِ بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ
- ٥٢٠ حَقُّ النَّعْمَةِ هُوَ الشُّكْرُ، وَالشُّكْرُ عَمَلٌ صَالِحٌ

- ٥٣٩ آيَاتِ مَخْتَارَاتٍ مِنَ النُّونِيَّةِ
- ٥٤١ الصَّفْحَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَخْطُوطِ بِقَلَمِ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الشَّارِحِ
- ٥٤٢ الصَّفْحَةُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الْمَخْطُوطِ بِقَلَمِ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الشَّارِحِ
- آيَاتِ مَخْتَارَاتٍ مِنَ النُّونِيَّةِ بِقَلَمِ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ
- ٥٤٣ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
- ٥٤٣ فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ جَهْمٍ فِي الصِّفَاتِ
- ٥٤٣ فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ جَهْمٍ فِي أَعْمَالِ الْعَبْدِ
- ٥٤٤ فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ جَهْمٍ فِي الْإِيمَانِ
- ٥٤٤ فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ جَهْمٍ فِي فِعْلِ اللَّهِ
- ٥٤٥ فَصْلٌ فِي مَقْدَمَةِ قَبْلِ التَّحْكِيمِ
- ٥٤٦ فَصْلٌ فِي عَقْدِ مَجْلِسِ التَّحْكِيمِ
- ٥٤٧ فَصْلٌ فِي قَدُومِ الرِّكْبِ الْأَوَّلِ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ
- ٥٤٧ فَصْلٌ فِي قَدُومِ رِكْبِ آخِرِهِمْ وَهَمَّ حُلُولِيَّةِ الْجَهْمِيَّةِ

- ٥٤٨ فصل في قدوم ركب آخر وهم معطلة الجهمية
- ٥٤٨ فصل في قدوم ركب آخر وهم الدهرية
- ٥٥٠ فصل في قدوم ركب أهل العلم والإيمان
- ٥٥٢ فصل في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن
- ٥٥٤ فصل
- ٥٥٥ فصل
- ٥٥٥ فصل
- ٥٥٦ فصل
- ٥٥٩ فصل
- ٥٦٠ فصل
- ٥٦٠ فصل
- ٥٦١ فصل
- ٥٦١ فصل
- ٥٦٢ فصل
- ٥٦٣ فصل
- ٥٦٩ فصل
- ٥٦٩ فصل
- ٥٧٠ فصل
- ٥٧٠ فصل

٥٧١	فصل
٥٧١	فصل
٥٧٣	فهرس الآيات
٥٩١	فهرس الأحاديث والآثار
٦٠٣	فهرس الموضوعات والفوائد
